بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

مج٨، ع٤، ٢٠٠٥

قيمة الاشتراك السنوي:

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد:

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة:

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،

ص. ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

يضم هذا العدد من سلسلة علوم اللغة (٣٢) الذى يصدر بإشراف ا٠د٠ / سعيد حسن بحيرى ، أستاذ علوم اللغة ، ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب مجموعة من البحوث اللغوية فى مجالات متنوعة ، فالبحث الأول يندرج تحت علم لغة النص ، إذ أنه يتناول الوظائف الإحالية لجملة الصلة فى القرآن الكريم ٠ أما الثانى فيتناول قضية لغوية تراثية من منظور جديد ، وهو جدلية الأضداد فى التراث العربى بين الواقع اللغوى والتعسف ٠ ويندرج الثالث تحت البحث الصوتى ، إذ يعالج الظواهر الصوتية في استدراكات ابن حجر في كتاب (فتح البارى ٠٠٠٠) ٠ أما الرابع فيدخل تحت الدرس الصرفى النحوى ، إذ يتناول اسم الفاعل فى البنية الصرفية والاستعمال النحوى ، دراسة نظرية تطبيقية ٠ أما البحث الأخير وهو الرسول (ص) والشعر ففيه تفنيد لكثير من الآراء المغلوطة حول موقف الرســول (ص) من الشعر ٠

وبعد ٠٠٠ فأرجو أن يتسع صدر الباحثين لكلمة أخيرة ٠ سبق أن نوهت أن الهدف من هذه المجلة مؤازرة الباحثين الشبان فى المقام الأول ، فمن الواجب عليهم إذن إعانتنا على تحقيق ذلك الهدف . ولما كانت طاقة النشر فى المجلة محدودة فقد رجوت ألا ترسل لى البحوث التى تزيد عن (٥٠) صفحة ٠ وللأسف قوبل الرجاء بغضب وازورار وعدم تفهم ٠ وبعد مناقشة مضنية أُجيز أن ترتفع الصفحات إلى (٧٠) صفحة ، وآمل بعد ذلك أن يقتنع الشباب ويرضوا عنا إن شاء الله ٠

وتسعد أسرة تحرير المجلة أيما سعادة أن تهدى هذا العدد أيضاً إلى أستاذنا العالم الجليـــــل ا٠د٠ / محمد عونى عبد الرءوف ، أطال الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية جزاء ما قدم ويقدم لتلاميذه ٠

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أسرة التحريــــر

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم*

تضافر العناصر الموصولة مع العناصر اللغوية الأخرى في تماسك النص

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا

١/٠: الإطار العام :

١/١ : موضوع البحث :

أشير إلى أنني أحاول أن أركز على عدد من العناصر لها أهميتها، تُعد ركناً أساسياً في علم لغة النص؛ أعني العناصر الموصولة، وقد شهدت العناصر الإحالية والإشارية اهتماماً من الباحثين المحدثين[١]، غير أنني لم أر دراسة خاصة بالاسم الموصول، تتعلق

---

* يقول ابن يعيش: فالصلة مصدر، كالوصل من قولك : وصلت الشيء وصلاً وصلة، والمراد أن الجملة وصل له، فأمَّا تسمية سيبويه لها حشواً، فمن معنى الزيادة؛ أي أنها ليست أصلاً، وإنما هي زيادة يتمم بها الاسم ويوضح بها معناه، ومنه فلان من حشو بني فلان؛ أي من أتباعهم، وليس من صميمهم . شرح المفصل ١٥١/١، ويفضي بنا هذا التنويه إلى رأس الملاحظ، ونوردها على وجه الاختصار:

١ـ وقد اخترت تسمية الجمهور (صلة) على تسمية سيبويه (حشواً) ؛ لأن تسمية :

أ ـ الجمهور فيها مايشير صراحة إلى الوظيفة الحقيقية للاسم الموصول .

ب ـ وتسمية سيبويه فيها عكس ما في رأي الجمهور، إذ يشير إلى أنها حشو، أي زيادة، وبناء على ذلك يمكن الاستغناء عنها، وهذا عندي يحتاج إلى إعادة نظر.

ج ـ أن تفسير ابن يعيش لكلام سيبويه، فيه ما يوحي بأنه يمكن الاستغناء عنه، وهو رأي فيه نظر، خاصة (كما سيأتي في : ٠/٢) أن جمهور النحاة قد اجمعوا على أن جملة الصلة تتبوأ جميع الحالات الإعرابية من رفع ونصب وجر، وتمكنها هذه الموائز من اعتبارها أساسية في الشأن، خاصة وأنه يقربها من المبتدأ والخبر، ومالنا نذهب بعيداً، وقد ذهب النحاة إلى أنها جملة خبرية (ينظر: شرح المفصل ١٥٠/٣) ينطبق عليها ما ينطبق على تلك، والجملة الخبرية، ليست محل جدال بين النحاة في اعتبرها أساسية وليست فضلة .

١ أثبتت بعض الدراسات في هذا الشأن على سبيل التمثيل لا الحصر، منها من أشكال الربط في القرآن الكريم د.سعيد حسن بحيري. نسيج النص للأزهر الزناد، علم اللغة النصي د. صبحي=

بعلــم لغة النص ــ في حدود ما أعلم ــ على الرغم من المقاربة بين اسم الإشارة والاسم الموصول، والتي أشار إليها النحاة في أكثر من موضع .

ومــن ثــم فــإن البحث يركز على دور الاسم الموصول في انحباك وانسباك بنية الــنص، ويأتي هذا الدور من خلال مستويات عدة متشابكة حيناً ومفارقة حيناً آخر، إلا أن التشابك والتفارق ــ على الرغم مما يبدو من اختلاف ــ يعمل كلاهما معاً على تماسك بنية النص، كما يأتي ذلك بفضل بيان من البحث .

١/ ٢ : أسباب اختيار البحث :

١ــ لــم أجــد أحــداً مــن الباحثيــن المعاصرين ــ على حد علمي ــ تعرض لدور اسم الموصــول فــي تماسك بنية النص، على الرغم من اهتمامهم الخاص بقضايا أخرى كثيرة ومكررة لديهم جميعاً .

٢ــ الكشف عن نموذج للإحالة خاص باسم الموصول وبيان السمات المميزة له .

٣ــ توسيع رؤية نحو الجملة بالنسبة للاسم الموصول من خلال ما توصلت إليه اللسانيات النصية، ويعد القرآن الكريم مادة ثرية لهذا الجانب التطبيقي .

٣/١ : مادة البحث :

تقوم هذه الدراسة على مادة محددة، وهي القرآن الكريم، فيما يتعلق باسم الموصول .

٤/١ : الدراسات السابقة :

أنجــز عــدد من الدراسات في العربية تقع في حوزة علم لغة النص، وهي توجه أهميــتها تلقاء الضمائر ودورها في انسباك وانحباك النص، وتأتي في إطارين، الأول : ما دار حــول " نحــو الجملة "، ويمثله ما قدمه صاحب كتاب " الإبهام والمبهمات في النحو العربي " . الثاني : راح يقدم تصورات القدماء وتطعيمها بمعالجات حديثة، ومن ثم نستبين الاثنيــن معــاً؛ تصورات القدماء، ورؤية المحدثين . وعلى الرغم من الخطوة المهمة التي عــرض لها صاحب كتاب : الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، في التحليل والمعالجة،

= إبراهيم الفقي، ولكاتب هذا البحث فصل في رسالته للدكتوراه : دلالة التراكيب عند الزمخشري، بعــنوان : البنــية الدلالــية والإحالية للضمائر: الفصل والشأن والإشارة، غير منشودة بكلية دار العلوم بالمنيا، ١٩٩٩م .

ممـــا ينبئ عن طرح القديم برؤية جديدة، إلا أن الذي ظل مائلاً، أنه لم يستطع التخلص من معالجـــة القماء، وعلى ذلك لم تتعد المعالجة عنده حدود أسوار الجملة، ذلك أن معالجته لم تتعد الجملتين في أقصى الحالات الواردة لديه .

أمـــا دراســـة محمد اليعلاوي : ملاحظات في لغة القرآن من خلال اسمي الإشارة والموصول، فهي تعالجها من منظور متمايز، خاصة أنها تركز على الاستعمالات التي ندت عـــن رؤيـــة الـــنحاة والمفســـرين في طرح حلول لها، إضافة إلى تبدل هذه الأدوات عبر الـــتاريخ، وكـــيف كانـــت حـــتى صـــارت أمراً مقضياً، واعتمد في ذلك على رؤية الباحث الإنجلـــيزي رابيـــن، وحاصل ذلك أنها تغدو في التداول تلقاء جوانب عدة ومختلفة عما هو معتمد هنا، على الرغم من كون الأدوات واحدة .

أمـــا ما أورده صاحب كتاب : "الضمائر في اللغة العربية" فإنه نظر نظرة القدماء، ولـــم أر شـــيئاً مرضـــياً فـــيما يتعلق بالمعالجات اللسانية النصية، التي يمكن أن يقدم بها الضـــمائر ودورهـــا فـــي تماســـك النص، وعليه، فإن معالجته مفارقة عما نريد بحثه في الانطلاق من رؤية " نحو الجملة " وتوسيع النظر فيها، فيما يمكن أن تكشف عن جوانبه عناصر هذا البحث .

١/٥ : أهداف البحث :

١ــ توضيح أهمية اسم الموصول في انسباك وانحباك بنية النص القرآني .

٢ــ اســـتخلاص " قاعدة النص " لكل ضمير على حدة، وصولاً إلى قواعد النص الحاكمة للموصولات في النص القرآني .

٣ــ الكشـــف عـــن العناصر اللغوية الحاكمة، والتي لا تقل أهمية عن اسم الموصول، بما يشكل منها سمات نصية مهمة .

٤ــ بـــناء على ما ورد في (٢) ، (٣) نستطيع استخلاص "محدد النص" وهو حسب رؤية إيزنبرج : السمات العامة التي يتشكل منها النص .

١ /٦ : منهج البحث :

كنت قد قدمت تصورات الباحث الألماني إيزنبرج حول نظرية النص[٢]، ويعد طرحاً نظـرياً، يحـتاج إلى أن نختبر جوانب معاييره، فيما يقدم إضافة واعية في إثراء جوانب البحث في العربية .

٢/٠ : ملاحظات حول تصورات نحو الجملة :

فـرّق بوسـمن تفريقاً مبيناً بين الضمير الموصول Relativpronamen وجملة الصـلة Relativsatz، وذهـب إلـى أن اسـم الموصول يمثل القواعد المباشرة للأسماء (العبارة الاسمية أو حدود الجملة) : العلاقات وتقسيم العناصر الوصفية مثل ضمير الإشارة Demonstrativpronamina، أمـا جملة الصلة Relativsatz، فهي أن تقسم القواعد ــ حسـب رؤية بوسمن ــ العامة الواردة في الضمير الموصول، أو فيما يرتبط به، وبالتالي تقسم عناصر جملة الصلة إلى :

١ــ الضمير الموصول (الذي، التي، أي) .

٢ــ صفة الموصول (أين ، متى، .....) .

٣ــ ويمكن أن يكون الاسم الموصول عنصراً أساسياً كأن يأتي خبراً[٣] .

وإذا تدبرنا الأمر مع معالجة النحاة العرب وجدناها تكاد تكون واحدة، وبالتالي فإن موجز رؤية نحو الجملة واحدة، بيد أن التمايز في أن " نحو النص" يوسّع من هذه الرؤية، ويفيد من المنطلقات القديمة ولا يلفظها .

تعـد جملـة الموصول في الألمانية من الجمل الجانبية Nebensatz، بمعنى أنها فرعـية، وأرى أنها جملة ذات صلات شابكة؛ أي أنها ذات صفتين تبدوان متناقضتين، غير أن مـن يـرجع النظر يجدها كلاً منها تتسق مع الأخرى، فإذا حاولنا أن نطبق هذه الرؤية علـى العربـية تحديـداً، وعلى النص القرآني على وجه أخص، تبيّن لنا مدى اتساقها مع العربية، ويتبدى ذلك من خلال ملحظين يبينان ذلك :

---

٢ أشـير إلـى أن هـذا البحـث بعنوان : العناصر الأساسية المكونة لـ" نظرية النص" إيزنبرج نموذجاً، دراسة تحليلية نقدية .

٣ ينظر:

Hadunad Bussmann : Lexikon der Sprachwissenschaft , S . ٦٤٣, ٦٤٤ .

الأول : مـــا يتعلق بالإحالة المعجمية، سواء مع الذين أم الذي أم التي كما ورد في مواضع من البحث .

الثانـــي : مـــا يـــتعلق بالمواضـــع المشـــاكلة في النص القرآني، دون أن ترد فيها الإحالة المعجمـــية باســـتعمال الاسم الموصول في الآيات التاليات (البقرة : ٦٤، ٦٦، ٨٩، ٩٩، ١٩٥، ١٩٧، ٢٥٨) على سبيل المثال .

ويتـــبدى مـــن خلال ذلك أن جملة الصلة، إنما هي جملة زائدة في المبني، وعلى الـــرغم من ذلك تؤدي إلى زيادة في المعنى، حسب عبارة ابن يعيش، وبالتالي فإن وظائف جملـــة الصلة هي تلك التي وردت أو تمثل عناصر البحث الأساسية هنا، غير أننا يمكن أن نلاحـــظ أنهـــا وظـــائف يمكـــن أن تكون إضافية، بيد أنه من يمعن النظر يجد أن جل هذه الوظـــائف قائمـــة علـــى التماسك بين أكثر من جملة، وبالتالي فإن هذه الدراسة تحاول أن تظهر وظائف جملة الصلة، فيما له صلة بالتماسك النصي في القرآن الكريم .

أشـــار النحاة* إلى أن ألفاظ الأسماء الموصولة هي : الذي والتي واللذان واللتان (بـــالألف والـــياء). والألي، والذين، واللاتي، واللائي، واللواتي، وما ومن وأيّ وأيّة، وذو الطائية، وذا بعد ما الاستفهامية واللام[٤] .

بيد أن هذه الأدوات ليست واحدة من حيث اطرادها في القرآن الكريم، واكتفى بأن أشير إلى الإحصاء الذي قدمه اليعلاوي[٥]، كما يلي :

النوع	المفرد	المثنى	الجمع
المذكر	الذي : ٢٨٨	اللذان : ١ اللذين : ١	الذين : ١٠٨٦
المؤنث	التي : ٦٧	اللتان : ٠ التين : ٠	اللاتي : ١٠ اللائي : ٦

---

* لم أشأ أن أذكر تعريفات الاسم الموصول من حيث الإبهام والدلالة والتركيب، فذلك أمر مقرر في الـــدرس الـــنحوي، وقد كفاني مؤونة البحث في ذلك ما قدمه د. إبراهيم بركات من معالجة وافية ينظر: الإبهام والمبهمات في النحو العربي ص٥١ : ٦٦.

٤ الرضى : شرح الرضى على الكافية ١٦/٣ . وينظر ابن يعيش : شرح المفصل ١٣٨/٣.

٥ محمد اليعلاوي : ملاحظات في لغة القرآن الكريم من خلال اسمَي الإشارة والموصول ص٧٤ .

ويستيقظ نظرنا في الجدول السابق أمورٌ هي :

١ــ أنــه لم يحتو إلا على عدد محدود من الأسماء الموصولة، وترك ما أورده "الرضى" : مــا، من، أيّ، أيّة، وذو الطائية، وذا بعد ما الاستفهامية، واللام، وبالتالي لم يذكر منها إلا زيــادة علــى النصف تقريباً، بناء على العدد الإجمالي، وربما يكون إسقاطه هذه الأدوات؛ لأنهــا إما خلافية لدي النحاة، وإما لكون ورودها في القرآن قليلا، و خلاصة ذلك، أن هذه الأسماء يمكن تقسيمها، كما يأتي :

الفــئة الأولــى : تمــثلها : الذين، الذي، التي، من، ومن ثم تمثل الأكثر وروداً في القرآن وتركيزاً عليها في هذا البحث .

الفئة الثانية : تمثلها عندي حسب الورود : من، ما، اللاتي، اللائي من حيث مناقشتها .

الفئة الثالثة : تمثلها : أيّة، ذو الطائية، واللام، وهي التي تمثل خروجاً عن القياس إلى حد الســماع أو الحــالات النادرة، ويتحصّل لنا مما سبق عدد من الملاحظ نوردها على سنة الاختصار:

١ــ أن حاصــل عناصــر " الفئة الأولى " أنها تمثل في جملتها العناصر الأساسية المكونة لاسم الموصول في القرآن الكريم، والقضايا الأساسية لعناصر هذا البحث .

٢ــ يتحصــل مــن " الفئة الثانية " أنها تمثل قيمة لا تنكر في إظهار عناصرها، وهي وإن كانت تلتقي في بعض الجوانب مع أسماء " الفئة الأولى "، بيد أنه رغم ذلك تبقى لأدواتها سياقاتها، وإن تداخلتا في بعض الجوانب .

٣ــ لا تمــثل عناصر " الفئة الثالثة " أية أهمية فعلية في كشف جوانب أخرى، تضاف إلى عناصــر الفئتيــن السالفتين الذكر، ولذا فإن قيمة عناصرها تمثل الصفر، وعليه، فإنه لن يكون لأدواتها قيمة فعلية في هذا البحث .

وســوف ندلل على الأسباب الداعية لإهمالنا للعناصر المكونة للفئة الثالثة، خاصة وأن ورودهــا في القرآن الكريم يشكل في عاقبة الأمر الصفر، كما أنها حسب رؤية " نحو الجملة " قائمة على التقعيد، وبالتالي والأجدر أن يعرضوا لها؛ لأن الغاية هنا وثمة ليست واحدة .

أورد النحاة أن معنى الموصول : لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسماً، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومضافاً إليه ومبتدأ وخبراً[6]، وتشير عبارة ابن يعيش إلى :

١ـ العُلقة القائمة بين الاسم الموصول والحرف واسم الإشارة، على الرغم من عدم الإشارة الواضحة، إلا أن ثلاثتهم يحتاج إلى ما يبينه ويوضحه، أو ما يجعله يفيد معنى بعبارة ابن يعيش .

٢ـ أن دلالة اسم الموصول والإشارة والحرف في ذاتها تمثل الصفر، على الرغم من المفارقات القائمة بينها، فيما يمكن أن يجعل لها كياناً تعمل في إطاره .

فإذا كانت الموصولات تكتمل دلالتها من خلال صلتها التي ترفعها إلى مصاف الأسماء في إفادتها معنى، فإن اسم الإشارة يحتاج ليس إلى جملة الصلة، وإنما إلى اسم يوضح معناه (يُفسّر به)، والحالة مختلفة مع الحرف، الذي لا يحتاج إلى جملة صلة أو اسم يشير إليه ويوضح معناه، وإنما إلى اسم يُضاف إليه، ومن هنا، فإن ملاحظ عامة، تجمع بين عُراها على النحو التالي :

١ـ أن كليهما لا يفيد بنفسه، إذ هو اسم ناقص الدلالة في ذاته بعبارة ابن يعيش .

٢ـ أن كليهما يعتمد على شئ آخر يعمل من خلاله، وهو المكمل، أو ما يمكن أن نطلق عليه العنصر الأساسي في بناء البنية اللغوية، فإذا اعتبرنا الموصولات والإشارات والحروف أساسية هنا، فإن مكملاتها لا تقل عنها أهمية في هذا الشأن .

٣ـ ويتحصل مما ورد في النقاط السابقة الذكر، أنها تندرج ضمن المبهمات، وإذا كانت هذه النقاط مجتمعة تمثل جوانب الاتفاق، فإن جوانب الافتراق واضحة لا ريب، ولعل أجمع تقسيم وأخصره في ذلك ما يلي :

أ ـ اعتماد " الموصولات " على جملة الصلة المتأخرة : توضح معناها وتفسر مبناها.

ب ـ اعتماد " العناصر الإشارية " على أسماء متقدمة أو لاحقة؛ تفسّر مبناها وتوضح معناها .

ج ـ اعتماد الحروف على ما ينضاف إليها، فتؤدي بذلك معنى .

---

٦ ابن يعيش : شرح المفصّل ٣/١٣، وينظر : عباس حسن : النحو الوافي (هامش) ١ / ٣٤٠ .

وإذا كانت هذه العناصر تمثل جوانب الافتراق بين ثلاثتهم، فإن ثمة عنصراً يقع ضمن حدود الموصولات، لا يعمل إلا إذا أضيف، وأعني به (أيّ) حينما تكون موصولة، وتمثل هذه نقطة التقاء بين الموصولات والحروف، تضاف إلى ما هو وارد أعلاه .

وتبقى كلمة لا مناص من إيرادها، أن عناصر المطابقة، إنما تجسّد بشكل ضمني ما هو وارد في (٣)، أقصد وقوعها جميعاً ضمن المبهمات، وقد أدرك النحاة ذلك، حين قرنوا الموصولات بأسماء الإشارة [٧]، لما لها من عُلقة تجمع بينها، وفيما يلي بيان ذلك :

١ــ أن احتياج العناصر الإشارية إلى ما يوضّح معناها ويزيل إبهامها، يجعلها تقع في مصاف المعارف .

٢ــ احتياج الموصولات إلى جملة الصلة التي تليها، تتبوأ من خلالها مكانة وسطى بين المعارف، وقد أدى النهج الذي استعمله النحاة مع كل منهما إلى وقوعهما موقعاً مرموقاً ضمن المعارف .

يذكر الأستاذ عباس حسن أن : القسم الثاني من المبهمات هو الاسم الموصول: الذي والتي ومن وما، وكلها معارف بصلاتها، فبيانها بما بعدها أيضاً، إلا أن أسماء الإشارة تبين باسم الجنس، والموصلات تبين بالجمل بعدها أو أشباه الجمل، والذي يدل على أنها معارف أنه يمتنع دخول علامة النكرة عليها وهي (رُبّ)، وأنها توصف بالمعارف نحو : جاءني الذي عندك العاقل، وتقع أيضاً وصفاً للمعارف : جاءني الرجل الذي عندك، وكلها مبهمة، لأنها لا تخص مسمى دون مسمى، كما كانت أسماء الإشارة [٨] ، ويقتضي الإنصاف أن نشير إلى عدد من الملاحظ على النحو التالي :

١ــ ليس في كلام الأستاذ عباس ما يفيد بتجاوزه حدود " نحو الجملة " ، فكلامه عن أن الموصولات توضح بالجمل بعدها أو أشباه الجمل ليس فيه شيء عن العلائق القائمة بين هذه الجمل فيما بينها، وإنما حديث محدد في حدود " نحو الجملة " .

٢ــ إذا كنا واثقين أن الاسم الموصول، إنما تبينه جملة الصلة بعده مباشرة، فإنه يفتقر إلى موضح يزيل إبهامه، ومن ثم يحيل إلى :

أ ــ صلة الموصول اللاحق/ المتأخر .

---

٧ يقرن ابن يعيش الموصولات بأسماء الإشارة، ويلح على ذلك في مواضع عدة ؛ ينظر : شرح المفصل٣ /١٣٩،١٤١.

٨ عباس حسن : النحو الوافي ٢٤١/١ .

ب ـ تحتاج جملة الصلة : الاسم المبهم والاسم المفسر إلى جملة يحيلان إليها في قربه وبعهده من " صلة الموصول " وقد تكون :

ـ قبله مباشرة (داخل حدود الآية) .

ـ قبله في الآية السابقة (خارج حدود الآية) .

ـ قبله (ويفصل بينهما بآية أو بعدد من الآيات) .

ـ إحالة خارجية .

ـ إحالة خارج أسوار السورة .

وتمثل الإحالة إلى متقدم ـ على اختلاف فيما بينها ـ السمة الجوهرية التي تميزها، وإن كانت ليست واحدة من حيث المعيار المفهومي (kohärenz)، إذ تعمل من خلال عدد من الوظائف الإحالية التي يمثلها النص القرآني :

ـ المقابلة (المقارنة) .

ـ التفسير المعجمي :

١ـ داخل حدود الآية .

٢ـ خارج حدود الآية .

وخلاصة الملحظ الأخير، أنه يمثل سمة فعلية،على أساس الورود، فهو أكثر من التفسير المعجمي داخل حدود الآية، على أن هذا لا يمنع من وجود سمات إحالية أخرى، نشير إليها في موضعها من البحث. وهكذا تتجاوز الإحالة إلى ما هو أوسع من جملة الصلة إلى خارج حدود الآيات، بل خارج حدود السور والأجزاء، وهذا ما يُطلق عليه مصطلح " الربط " وهو عندي مصطلح عام، ويضم مستويين :

١ـ التماسك النحوي (kohäsion) [9] .

---

٩ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، ثمة بعض الملاحظات التي يمكن أن أبيّن فحواها فيما يلي :

في ص٨ حين عرّج الباحث على تحديد دلالات بعض المصطلحات، وذكر :

١ـ النص والخطاب .

٢ـ مفهوم الاتساق (التماسك) : cohesion =

= فـي المصـطلح (٢) قرن مفهوم الاتساق بمفهوم التماسك وجعلهما شيئاً واحداً، والأمر عندي غـير ذلـك، وموجـز ذلـك أن الباحثين العرب على اختلافهم لم يترجموا مصطلح (cohesion) بالاتسـاق(يـنظر لكاتـب هذا البحث : الدرس النحوي النصي ص ١٤١،١٤٠) وحتى مصطلح (coherence) بالإنجلـيزية و(kohärenz)، بالألمانية لم يترجمه الباحثون العرب كمكافئ لهذا المصطلح، إلا أن د. تمام حسان قدم له أكثر من ترجمة (ينظر لكاتب هذا البحث الدراسة المشار إلـيها أعـلاه ص١٠٨)، وبالتالي فإن الترجمة العربية المكافأة للاتساق لم تات كمقابل للمصطلح cohesion، وإنمـا جـاءت ترجمة لمصطلح (coherence) ولم تكن ذائعة بين الباحثين، وإن كانـت فهـي جاءت لغير ما تعارف عليه الباحثون، إذ قدموا ترجمة (coherence) بـ (الحبك)، والتناسـق، والانسـجام، والتماسـك، والاتساق والتقارب، والالتحام (د. أشرف عبد البديع، ص ١٠٨، مرجع مذكور أعلاه)، أما مصطلح (cohesion) فقد ترجم بـ : التضام، السبك والتماسك، الـربط الـنحوي، الالتحام (أشرف عبد البديع، ص١٤٠، ١٤١، مرجع مذكور أعلاه) . ونلاحظ الـتداخل بيـن هذه المصطلحات لدي الباحثين من ناحية، ومن ناحية أخرى، نجد الباحثين الذين تعرضوا لهذه المصطلحات لم يستعملوا مصطلح الاتساق إلا ما ورد عند شيخنا تمام حسان، وهو أمر جدير بإدامة النظر .

والـذي أجـده أيضاً لافتاً للنظر حين حدد مفهوم الاتساق (ص١٣) قال : والاتساق في الـنص عبارة أيضاً عن علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه، وترابط أجزائه، وهذه العلاقات تكون شبكة نصّية تعين على تفسير النص .

وإذا كان الباحث قد نقل هذا النص عن شيخي أ.د محمد حماسة وارتضاه، إلا أنني الاحظ أن هذه الفهم قد يحمل على غير ما حُمّل، فإذا كان الباحثون يرون :

١- أن الاتسـاق إنما هو ترجمة لمفهوم (coherence) وليس المفهومي (cohesion) ، وبناء عليه تحتاج إلى إعادة نظر، وقد أشرت منذ قليل إلى ذلك .

وعلـى سبيل الفرض النظري، وليس الإمبريقي أن ترجمة coherence بالاتساق صحيحة أو العكس، إلا أن الذي لا نرتضيه أن يحمل هذا المفهوم على أن يكون جامعاً للمصطلحين معاً : coherence، cohesion، إذ لكـل مـنهما دلالـة تخصـه وجوانب تحده، وهذه رؤية الباحثين الغربيين والعرب كافة، ولم يكن أحد المفهومين يحمل الاثنين معاً، وإلا كان خلطاً وخطلاً كبيرين، وأزيـد الأمـر توكيداً بما أورده الباحث (ص١٣) حين فرق بين مصطلحي الاتساق والتماسك عند محمـد خطابـي، وهمـا مصطلحان مختلفان، كل منهما يختص بدلالة محددة على ما أسلفت فيه القـول، فـإذا كان الاتساق عند خطابي (كما يحتاج ما هو وارد عنده ص١٣) فيما يتعلق بتحديد مصـطلح الاتسـاق) يحتاج إلى إعادة نظر مبنية وهو في تحديده لمصطلح "الاتساق" عند خطابي وعند هاليداي ورقية حسن يقع في إشكالية التداخل بين المصطلح مما هو غامض عليه، وبالتالي ينقض ما أورده عاليه (ص١٣) .
=

٢ـ التماسك الدلالي (kohärenz) .

وكلاهمــا يعملان من خلال صلات شابكة من العلاقات اللغوية والمفهومية؛ ليؤدي كل منهما ليس الوظيفة، وإنما الوظائف المختلفة في النص القرآني .

٣ـ علـة البـناء المـتطابقة لـدى الموصولات والإشاريات، تجعل كلاً منها يقع المواقع الإعرابية المختلفة، ويمكننا إيراد ذلك في الجدول التالي :

م	الحالة الإعرابية	الأسماء الموصولة	اسم الإشارة
١ـ	فاعل	جاء الذي مرَّ	جاء هذا الرجل
٢ـ	مفعول	رأيت الذي مرَّ	رأيت هذا الرجل
٣ـ	مجرور	التقيت بالذي مرَّ	مررت بهذا الرجل
٤ـ	مبتدأ	الذي في البيت محمد	هذا الرجل في البيت

٤ـ يتبيّــن مــن العنصر السابق (٣) أن الموصولات وأسماء الإشارة كليهما يمكن الحكم علــيه بالصدق أو الكذب؛ أي أنهما جملة خبرية، وهذا ما تنبه إليه ابن يعيش من أن : من الجمــل التي تقع صفات، يريد من الجمل التي توضح وتبين، وهي الجمل المتمكنة في باب الخبر، وصلح فيها أن يقال : فيه صدق أو كذب، وجاز أن تقع صفة للنكرة[١٠] .

= ويعــود (ص١٤) مرة ثانية إلى ما نقله عن د. حماسة، وأنه مفهوم يحوي الجوانب اللغوية، وهــو أمــر لم يتفق عليه الباحثون بل لم يعهدوه أصلاً. على أية حال هناك جوانب خلاف بيني وبين المؤلف في كثير من المصطلحات، إذ يقدم لها تفسيراً وتوضيحاً على غير ما ألفه الباحثون جميعاً، ولم أتتبعه خطوة بخطوة .

وعــندي أن إقامــة هــذه التصورات السالفة الذكر، بناء على ما توصل إليه، أن مفهوم الاتساق إنما يشمل الجوانب اللغوية والعلاقات الدلالية(ص١٤)، هو إعادة لكلام د. حماسة الوارد قبله(ص١٣) قدم به في تحليل جوانب البحث إلى تقديم تصورات ما كانت ينبغي أن تكون في مثل هــذا الموضوع، بناء على عنوانه، إذ يشير العنوان إلى شئ، ويقود التحليل ــ بناء على مقدماته الــنظرية التي تحتاج إلى صياغة نظرية دقيقة، وإلى إعادة نظرــ إلى شئ آخر. ولن أطيل في نقد هــذه التصــورات، إذ تحتاج إلى مقال خاص بها لبيان وجوه المطابقة والمخالفة، إذ ثمة جوانب كثيرة للخلاف بيني وبين تصوراته وتحليلاته .

١٠ ابن يعيش : شرح المفصل ١٥٠/٣ .

وحاصل رأيه في كونها تقع في الجملة الخبرية، أو هي خبرية، وليست إنشائية (طلبية) على حد قوله، وعلى الرغم من ذكره جوانب الاختلاف بين الجملة الخبرية والإنشائية، فيما يتصل بالموصولات، إلا أنه لم يشر صراحة أو ضمناً إلى نقاط الاتفاق.

وما يمكن أن نلحظه على تصورات النحاة حول الموصولات والإشارات نوجزه في الملاحظ الآتية على وجه الاختصار :

ـ ما يتعلق باسم الإشارة :

أـ أشار النحاة إلى أن أسماء الإشارة، لابد لها من اسم يحيل إليه يفسّره ويبينه .

ب ـ أن النحاة لم يبينوا مدى قرب أو بُعد هذا الاسم من مواقع اسم الإشارة، فقد يكون :

ـ في الجملة ذاتها، وبالتالي فإن إحالته لم تتعد حدود " نحو الجملة " .

ـ إلى متقدم (بالنسبة للنص القرآني) :

ـ داخل حدود الآية .

ـ الآية السابقة مباشرة .

ـ داخل السورة (وقد يفصل بينه وبينها عدد من الآيات) .

ـ خارج السور، وهو يأتي في :

أـ السور السابقة مباشرة .

ب ـ السور السابقة (ويفصل بينها بعدد من السور) .

والأمر معكوس للإحالة إلى متأخر .

وليس من ظل لريب أن تحديد هذه التصورات لم يشر إليها نحو الجملة، وإن ذكروا أنه مرتبط باسم يحيل إليه يفسره ويوضح معناه، إلا أن هذه الوظيفة في إطار الاستعمال الفعلي للنص القرآني، ربما لا تتفق في بعض جوانبها مع رؤية نحو الجملة .

وتنبغي الإشارة إلى أن التمايز بين تصورات " نحو الجملة " والبحث هنا مرده إلى الاختلاف في الاعتماد على المادة المعالجة والمنهجية المتبعة عند كليهما، فإذا كانت تصورات النحاة منقولة من واقع الاستعمال اللغوي في القرن الثاني الهجري، والبحث هنا يعتمد على النص القرآني، وبالتالي فإن المادة مختلفة، ويؤدي هذا الاختلاف إلى الافتراق في عدد من النقاط الأساسية بين ما ورد وما سيرد، وتأتي مناقشة ذلك في حينه بفضل بيان .

يذكر الأستاذ عباس حسن أن النحاة : يطلقون على أسماء الإشارة وأسماء الموصول اسما خاصا، وهو المبهمات؛ لوقوعها على كل شئ، من حيوان أو نبات أو جماد، وعدم دلالتها على شئ معين، مفصل، مستقل، إلا خارج على لفظها، فالموصول لا يزول إبهامه إلا بالصلة [11].

إلا أن هذه السمة الفعلية / الحقيقية تتسع فتشمل الضمائر؛ لأنها لا تخلو من إبهام وغموض ... سواء أكان للمتكلم أم للمخاطب أم للغائب، فلابد لها من شئ يزيل إبهامها، ويفسر غموضها . فأما المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر بكلمة غير مباشرة . وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حافز ولا شاهد ؛ فلابد لهذا الضمير من شئ يفسره ويوضح المراد منه، والأصل في الشيء الموضح أن يكون ـ في غير ضمير الشأن[*] ـ متقدما على الضمير ومذكورا قبله [12] .

وتكمن وجوه الافتراق في أن الرؤية الأولى خاصة، بينما الثانية عامة، فإذا كانت الضمائر تحتاج إلى ما يفسرها ويوضح معناها، فإن ذلك ينطبق أيضا على الاسم الموصول واسم الإشارة .

وإذا كان النحاة يرون أن الضمير يفسره ما هو وارد قبله خلافا لضمير الشأن؛ أي أنه يحيل إلى متأخر، وهي رؤية تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء ما هو وارد في النص القرآني من الإحالات اللفظية والمفهومية المتقدمة والمتأخرة، وليس قصدي أن الروابط تقتصر على الربط داخل حدود الجملة فقط .

وقد أدت نظرة الربط داخل حدود الجملة لدى النحاة، أنها ظلت ربطا ضيقا أيضا؛ لأن تصوراتهم النهائية، لم تتجاوزها، غير أننا إذا وسعنا النظرة في ظل التصورات الأرحب، التي يمكن أن تفرز دلالات يقبلها التفسير ولا يردها النص، ونستخلص من خلال ذلك دلالات جديدة، لم يأخذها النحاة بعين الاعتبار، وربما لم يشر إليها المفسرون كذلك، حسب ما اطلعت عليه من كتب التفسير، فلم نجد إشارة محددة داخل حدود الآية، وإن وردت بعض

---

[11] عباس حسن : النحو الوافي ١/٣٣٨ : ٣٣٩ .

[*] خلصت في دراستي للدكتوراه إلى أن ضمير الشأن يحيل إلى لاحق وإلى سابق، وهي رؤية مفارقة لرؤية نحو الجملة، ينظر تفصيلا موسعا حول ذلك في : دلالة التراكيب عند الزمخشري، ص ١٨٨ : ١٨٩، ١٩٤ : ١٩٦.

١٢ عباس حسن : النحو الوافي ١/٢٥٥ .

الإشارات التي يمكن أن تستثمر في ظل العلم الجديد الوافد (علم لغة النص) وتستغل بشكل جديد، إلا أن ما جاء منها ـ فيما أظن ـ بقصد أو بدون قصد في إطار المنهج المقترح لتحليل النص القرآني .

وعلى أية حال، فإنني تتبعت النصوص المتعلقة بالأسماء الموصولة في النص القرآني، واعتبرته نصاً واحداً وانطلقت منها، وقد أدي هذا فيما أحسب إلى طرح رؤية جديدة مما سعى النحاة إلى تطبيقه على النص القرآني، إذ لم نجد في كتاب " معاني القرآن " للأخفش الأوسط ـ على الرغم من أهميته ـ إسهاماً، يمكن أن يستثمر في إطار التحليل النصي، خلافاً لما هو وارد في "معاني القرآني" للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج وغيرهما [١٣].

ويعد عمل الزجاج السالف الذكر حصيلة الأفكار والتصورات المطروحة قبله، على أن من المتأخرين من أفاد مما أورده الزجاج في معانيه، كالعُكبري في " التبيان في إعراب القرآن " ويدل العنوانان ومقارنة النصوص عند كليهما ـ الزجاج والعُكبري ـ على أن الأخير ينقل النص كاملاً عن الأول، ونؤكد هذه الرؤية بمقارنة ما أورده كل منهما في تفسير الآية/٥ من البقرة ولقمان /٢ : ٣ مثلاً، وهكذا نجد إشارات يمكن أن توجّه التوجه السديد، وتستثمر الاستثمار الأمثل، على الرغم من قناعتي بأن منطلقاتهم كانت مفارقة عما نسعى إلى استخلاصه، إلا أن هذه الآراء التي وردت في سياقات تفسيرهم للآيات القرآنية من منطلق مختلف، تدل ـ بشكل ضمني ـ على إمكان وجود علاقات بمستويات عدة من الآيات، وأن تصوراتهم تعدت حدود الآية الواحدة، بمعنى أنهم وضعوا أيديهم على التصورات الأولى التي يمكن الانطلاق منها، غير أن التحليل، سار فيما بعد في منحى مختلف، ولم يكتمل إلا عند قليل منهم، ولهذا فإن ثمة كتباً أساسية في هذا المجال ككتاب الفراء : معاني القرآن ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج والتبيان للعُكبري وانتبذ كتاب " معاني القرآن لأبي عبيدة " والأخفش الأوسط مكاناً قصياً، وكانا أهون الشركاء في هذا المجال، فيما أتصور .

---

١٣ أحسب أن هذه الاتجاه في تفسير النص القرآني يحتاج إلى دراسة مفصلة لاستخلاص الأفكار الأساسية التي اعتمد عليها في تفسير النص القرآني وبيان العناصر النصية الفاعلة لديهم، وقد أشرت إلى هذه الفكرة في كتابي : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن ص١٧، ١٨.

وإذا كــان " نحــو الجملــة " قد عزى الأسماء الموصولة إلى طائفتين، تقترنان وتفــترقان فــي آن واحــد، إلا أن جوانب التحليل ــ كما سيأتي ــ تدل بوضوح على أنها ليســت واحدة في القرآن الكريم، وقد أفضت هذه الرؤية إلى إيجاد دلالات جديدة، مما يدل على سياقات متنوعة، تتيح بطبيعة الحال وجوه دلالية عدة .

وقــد أدت هــذه التصــورات إلــى أن أنماط (الذين) وردت أكثر من غيرها من الأســماء الموصولة، ويبدو أن هذه الرؤية ليس عليها معوّل في القرآن الكريم، إذ نجد ــ رغــم قلــة الأنمــاط ــ الوظــائف ذاتها، مع الأنماط الأقل؛ لتمثل ذلك الحشد الحاشد من النصــوص الكثــيرة، وبالتالــي فإن هذه الرؤية تحتاج إلى أن نرجع البصر فيها كرتين[١٤]. ومــن هنا فإن المعوّل الأساسي الذي يمكن أن نعول عليه، هو المقاربة الدلالية التي تجمع هــذه الصــلات الشــابكة بين الأسماء الموصولة، ومن ثم، فإن المقياس الدقيق أن تجمع الوظائف لهذه الأسماء من خلال :

ــ تتبع وظائفها في النص القرآني .

ــ توسيع النظر فيما ورد في " نحو الجملة " .

ــ بــيان الوجوه التي تحتملها السياقات من خلال مقارنة النصوص، ومن هنا فإن تقســيمات " نحو الجملة " للأسماء الموصولة من حيث الخصوصية والعمومية، ليس لها قيمة فعلية في ربط النص، مادام كل عنصر يقدم سبكاً وحبكاً على المستوى العام، وبالتالي فــإن اعتبار العام والخاص ليس عليه معول عندي، وإنما المعول الحقيقي يعزى إلى قيمته ودوره الجوهري في عملية انسباك وانحباك النص، ومن هنا جاءت من الأسماء الموصولة العامــة (مــن ، مــا) تشــترك وتضارع ما هو خاص (الذين، الذي، التي) من الأسماء الموصــولة أيضــاً ... وبالتالي تتداخل من حيث الخاص والعام في الوظائف الدلالية التي ترتبط النص من خلالها .

وربمــا يكون توزيع " نحو الجملة " لهذه الأسماء، من حيث الخاص والعام، أن لكــل منها دلالات تتميز بها، أو سمات تعمل من خلالها، كما أشرت إلى ذلك، بيد أننا ننظر إليها نظرة مفارقة :

ــ توسيع جوانب الربط الوارد في " نحو الجملة " .

١٤ ينظر تفصيلاً مفصلاً حول الأسماء الموصولة العامة عند عباس حسن : النحو الوافي ١/٣٤٩ : ٣٦٨ .

ـ الإفادة من التصورات المطروحة لدي المفسرين .

ـ الإفادة من مقارنة النصوص وإقامة علاقة مقارنة بينها .

ـ ألا يقتصر البحث على ما هو وارد داخل حدود أسوار الجملة، بتقديم تفسيرات أخرى في مواضع شتى من القرآن الكريم، وإذا فعلنا ذلك ـ وأظن أن ذلك ليس محالاً ـ يمكننا أن نستخلص تصورات ومقترحات جديدة، تظهر جوانب تماسك النص القرآني .

وإذا غدونا تلقاء الأسماء من حيث الوظيفة القائمة على ربط هذه الأدوات بما يسبقها ويلحقها تبيَن لنا حقيقة مؤداها أن (الذين، الذي، التي) تمثل الملامح الأساسية للعناصر السابكة والحابكة هنا، ونبرز جوانبها كما يلي :

١ـ الإحالة المعجمية .

٢ـ المقارنة/ المقابلة .

٣ـ الربط ، ويمثل وظيفة عامة تشترك معه (من) في أنها تؤدي إلى :

أـ المقابلة .

ب ـ الربط .

وتمثل هذه الوظائف ربطاً لما هو فوق الجملة (الآيتان وأكثر)، كما تشير الدراسة إلى ذلك في موضعه من البحث، غير أن ثمة مقاربة دلالية ومنهجية في آن واحد، تربط بينها جميعاً، وأذكر هذه المقاربات موجزة :

١ـ أن هذه الأسماء تعمل على الربط (سواء أكان ذلك داخل الجملة أم خارجها) .

٢ـ أن : الذين، الذي، التي، ما، تشترك في وظيفة المقارنة .

٣ـ تشترك : الذين، الذي، التي، ما، في الربط داخل حدود الجملة، وعلى الرغم من أن ربط هذه الأدوات يتجاوز حدود الجملة، كما تظهر ذلك الدراسة في أحد جوانبها، إلا أنه يظل ربطاً بين عناصر الجملة الواحدة كذلك، وهذا ما أشار إليه النحاة بإعادة الضمير إلى الاسم الموصول، وبالتالي يحدث ربطاً بين بنية الجملة الواحدة .

وعلى هذا الأساس، فإن العلاقة بين هذه العناصر مجتمعة هي : الربط، وهو بدوره مفارق من اسم لآخر تبعاً للسياقات المختلفة والأنماط الدالة عليه، وبالتالي فإن هذه الرؤية تؤدي إلى أن الربط، قد يكون :

ـ داخل حدود الجملة .

ـ فوق الجملة .

ـ بين الأجزاء بعضها ببعض .

ـ بين البنية الكلية المكونة له، ولذا، فإن الروابط ليست واحدة من حيث :

ـ الوظائف الرابطة (الدلالية) .

ـ الأنماط وترددها في النص القرآني .

ـ ربطها داخل الجملة وخارجها .

ـ ربط البنية اللغوية للنص القرآني كله .

وعلى هذا، فإن جوانب المقاربة والمفارقة ليس عليها ظل لريب، وعلى أساس الربط ودوره ينبغي أن يكون التقسيم الذي على أساسه ينبغي أن تكون التفريعات، على ما هو وارد داخل حدود الجملة والشروط (الشرائط) التي على أساسها أقام نحو الجملة تصوره؛ لأن النص القرآني قد وردت فيه أنماط أحسب أنها لم ترد عند نحاة الجملة، وإن وردت خرَّجوها على أنها شاذة ولا يقاس عليها، غير أن هذه السياقات تتيح هذا الاستخدام، وليس فيها لبس، وإنما تناسب هذه الاستعمالات، وما تحيل إليه، وتؤديه من دور سابك وحابك، وعلى أساس هذا كله، فإن تقسيمات نحو الجملة للأسماء الموصولة الواردة في صدر البحث، والمشار إليها في مظانها، تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء الروابط النصية وما تؤديه من وظائف .

٣/٠: الوظائف الاحالية لجملة الصلة ودورها في تماسك النص في القرآن الكريم

٣/١ : الوظائف الاحالية لجملة (الذين) ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن المتتبع لبنية (الذين) في النص القرآني، يمكن أن يخلص إلى الوظائف الإحالــية لهــا من خلال ورودها في السياقات المتباينة، وينبغي أن نقرر أن مثل الوظائف تشترك فيها مع بعض الأسماء الموصولة الأخرى، كما يأتي بيانه فيما بعد من البحث .

وإذا كــان من قول بداية، فإن السمة الغالبة هي " الربط " الذي تختص به الأسماء الموصــولة، وبالتالــي فإنـــه وظيفة عامة، وبناء على النص القرآني والسياقات المتعددة، يمكنـــنا أن نســتخلص عــدداً مــن الوظائف الدلالية والإحالية لــ(الذين) بجانب الوظيفة الحقيقية المشار إليه أعلاه .

وتمــثل وظــيفة المقابلــة / المقارنة أو التفسير المعجمي الوظائف الفعلية لجملة "الذيــن"، وتجــدر الإشارة إلى أن هاتين الوظيفتين لا تأتيان من خلال شكل واحد، إذا تأتي المقارنة بين المؤمنين والكافرين بأشكالها المختلفة، وقد تتعدى الآيتين أو أكثر في تفصيل لأحــد جانبــي المقابلــة، ويســبق هذا التفصيل في أحايين كثيرة وصف لهما، بينما يبقى التفســير المعجمي في كل حالاته ــ تقريباً [١٥]ــ متجاوزاً حدود الآية الواحدة ...وقد تتداخل الوظــائف الإحالــية بيــن الأسماء الموصولة محدثة انسباكاً وانحباكاً يتجاوز ذلك كله إلى مواضــع أخــرى مــن النص القرآني، كما سيظهر ذلك التحليل بشكل واضح، ولعل وظيفة المقابلة هنا تأتي من خلال عدد من المظاهر النصية نستجلي جوانبها في المطلب التالي :

٣/١/١: المقارنة / المقابلة مع (الذين) :

١/٠ : المقارنة من خلال : إمَّا أو أمَّا .

١/١ : المقارنة تتعدى حدود الآية .

١/ ٢ : المقارنة داخل حدود الآية .

٢/٠ : المقارنة بعدم استعمال : إما أو أمَّا .

---

١٥ ألفت النظر إلى أن المقارنة تأتي مع (الذين) داخل الآية، لكن السمة الغالبة هي ورودها كثيراً حين تتعدى حدود الآية الواحدة .

١/٢ : المقارنة تتعدى حدود الآية .

٢/٢ : المقارنة داخل حدود الآية .

٠/٣ : المقارنة من خلال (لكن) .

١/٣ : تتعدى حدود الآية الواحدة .

بالإضافة إلى مقارنات أخرى لـ (الذين) مع أسماء موصولة أخرى منتشرة في مواضع عدة من النص القرآني (وسنشير إليها في حينها من البحث) نظراً لأنها أقل استعمالاً .

ويبدو أن المقابلة من خلال (إمّا /أمّا) تأتي في سياقات كثيرة مما يجعلها في المرتبة الأولى، بينما تأتي المقابلة بدونها في مواضع عدة أيضاً، إلا أنها دونها قليلاً، أو تقترب منها، وتمثل هذه رؤية أولية، على أن المقابلة بـ (لكن) تمثل استعمالاً نادراً، مما هو قبلها، حيث لم تظهر الاستعمالات القرآنية إلا في مواضع يسيرة .

كما أقروا ـ بناء على ما ورد أعلاه ـ أن هذه الأدوات (إمّا ـ أمّا ـ لكن) إنما هي عناصر إضافية مساعدة على بيان وجوه المقابلة، وليست أساسية عندي، ولا أدل على ذلك أن وجوه " المقابلة " بدون هاتين الأداتين واضحة في مواضع أخرى . وإذا كانت هذه الملحوظات العامة، فإنني أحاول أن أفصّل القول فيها تحديداً فيما يختص بوظيفة المقابلة، كما يمثله الاستعمال القرآني .

٠/١ : المقارنة والتفصيل بـ (إمّا/ أمّا) .

١/١ : المقارنة والتفصيل تتعدى حدود الآية .

كما في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران ١٠٦ : ١٠٨ ، وفيما يتعلق بهذا الشأن، يرى الرماني[١٦] أن (أمّا) من الحروف الهوامل، ولها موضعان :

---

١٦ الرماني : معاني الحروف ص ١٢٩، وقد أشار المرادي إلى أن ابن مالك وغيره يرون أن (أمّا)، حرف تفصيل . الجني الداني في حروف المعاني، ص٥٢٢ .

أحدهمـــا : أن تكـــون لتفصيل الجمل، نحو قولك : جاءني أخوتك، فأمّا زيد فأكرمته، وأما عمرو فأهنته، وأمّا جعفر فأعرضت عنه ...

الثاني : أن تكون قطعاً وأخذاً في كلام مستأنف ...

الثالث : هي قيمة مركبة، وذلك قولك : أمّا منطلقاً انطلقت معك ...

وإما وظيفة " التفصيل " ، فإنها الوظيفة التي تتفق مع سياقات مثل هذه المواضع، وبالتالـــي تكون وظيفتها مضفورة، بمعنى أنها تؤدي وظيفة التفصيل من ناحية، ومن جهة أخـــرى تـــؤدي وظيفة المقابلة في آن واحد، ولم يشر النحاة إلى أن (أمّا) تؤدي الوظيفتين معاً، وكل ما أشاروا إليه أنها تؤدي وظيفة التفصيل .

وأمـــا (أمَّا) فقد أشار المرادي إلى عدد من الوظائف الدلالية كـــ : الشك والإبهام والتخيـــير والإحالة، والتفصيل [١٧]، وما نريد إثباته أن ثمة مشاركة فعلية / حقيقية بين (أمَا وأمَّـــا) وهـــي وظيفة التفصيل، وهي تتيح إيجاد عدد من البدائل والصيغ المقترحة، وعلى الرغم من ذلك تظل وظيفة مهمة، ويضيف البحث هنا فيما أرى وظائف جديدة لم يشر إليها النحاة، غير أن الذي بقي واضحاً وضوحاً مبيناً أن وظيفة التفصيل هي التي بقيت واضحة أو مســـتمرة مـــع اســـم الموصول في القرآن الكريم على الأقل، وإن وردت وظائف دلالية أخـــرى فـــيما يتعلق بسياقات أخرى مغايرة، وهنا نشير إلى أنها إحالة مقارنة، وتأتي في شكلين :

الأول : مقارنـــة وإحالة معجمية معاً، ويمثل ذلك ما هو وارد في البقرة ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّـــنَ الْخَـــوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ١٥٥ : ١٥٧ وتعمل عملين معاً، عمل الإحالة العجمية، ويمثلها :

ـ ما هو وارد في الآية/ ١٥٦ ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ .

ـ ويأتـــي وصـــف هـــذا التفسير (الإحالة المعجمية) في الآية التالية/١٥٧﴿أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَـــلَوَاتٌ مِّـــن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ كناية عن الصابرين وتأتي المقارنة بيـــن هـــذه الآيـــات من خلال المقابلة مع ما يليها (غير مباشرة) من الآيات، وتحديداً في

---

١٧ المرادي : الجني الداني في حروف المعاني، ص٥٣٠ .

الآيــة/ ١٥٩، ١٦٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَــئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ .

ومــن ثــم نجدها تعمل من خلال ضفيرتين، الإحالة بالمقابلة والإحالة المعجمية، وكلــيهما يعمدان بشكل مباشر أو ضمني إلى التماسك النصي، الذي نريد أن نظهر جوانبه فـــي هذا البحث، وعلى الرغم من أن كليها يرتبط بالآخر بعلاقة المقابلة، إلا أن الإحالة مع " الذيــن " ليســت بواحـــدة، ففي الأولى تحيل إلى ما قبلها (متقدم)، وفي الثانية تحيل إلى اللاحــق (مــتأخر)، وكليهما يعملان على تماسك بنية النص، وهذا وجه من وجوه الروابط النصية الخاصة باسم الموصول، ومما يدل على وجوه المقابلة عدد من الركائز نبرزها في الملحظ التالي :

ـ الموضوع الأول : اسم الموصول : يحيل إلى الصابرين، ويفسرها الاسم الموصول فيما تــلاه، وموضوع الاسم الموصول الثاني : الذين يكتمون ما أنزل الله، وهو موضوع مقابل للأول .

ـ وصــف " الصـــابرين " الذين جاء ذكرهم في الآية السابقة بـ (أولئك)، وجاء الوصف الثاني مع (الذين) ﴿أُولَــئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ وتظل المفارقة واضحة في أنها مـــع "الذيــن" الأولى تأتي (أولئك) ومعها في الآية التالية، مما يدل على أنه يتعدى إلى ما فـــوق الجملة الواحدة، في حين مع "الذين" الثانية يبقى داخل أسوار حدود الآية، ونستنتج من ذلك أن التماسك من خلال "التفسير المعجمي"، يتعدى حدود الآية، ومن ثم فإن التماسك أوســع من التماسك الإحالي إلى اللاحق، الذي يتجاوز الآية الواحدة، إلا أن (الذين) الثانية يمكن أن يأتي الوصف الذي يعد واحداً من أوجه (وجوه) الربط ليمتد إلى مساحة أكبر على ســطح القــرطاس، كما هو هنا، إذ نلاحظ الوصف في الآية/ ١٦٢﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَــنْهُمُ الْعَــذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وهو مرتبط بما قبله من حيث وحدة الموضوع، فالآية/ ١٦١﴿ أولَــئِكَ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ومن جهة أخرى ترتبط الآية/ ١٥٨ بما يليها بعدد من الروابط النصية، والتي يمكن استظهارها في العناصر التالية :

ـ ترتبط هذه الآية بما قبلها (الذين) /١٥٦مع ما يليها في (١٥٩) عن طريق المقابلة في الموضوع .

ـ (أولئك) تربط بين أجزاء الآية الواحدة في (١٥٩) .

ـ ويأتي الاستثناء في (١٦٠) كدليل على أن هذه الآية (الموضوع) مرتبطة بما قبلها في الآية (١٥٩)، وكمقابل للموضوع السابق (١٥٩)، ويأتي الوصف كتوكيد لموضوع الاستثناء، وكمقابل للموضوع الأول .

ـ وترتبط الآية/١٦١ بما قبلها من خلال رابطين :

١ـ المقابلة في الموضوع .

٢ـ الربط من خلال التكرار، ففي الآية /١٥٩ ﴿أولـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ ﴾ وفي الآية/١٦١ ﴿أولئِكَ عَلَيهِمْ لَعنَةُ اللّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ﴾ .

٣ـ وهكذا، فإن ثمة مقابلات أخرى بين دلالات الصيغ .

وبناء على ذلك، يتحقق التماسك من خلال التكرار اللفظي، إعادة (اللعنة) في صيغة الفعل (يلعنهم)، وصيغة الفاعلين (اللاعنون)، بما يدل على التجدد والحدوث، كما جاء ذكرهم (وصفهم) يلعنون من قبل الحق أولاً والناس ثانياً، بينما ورد الوصف في (١٦١) بالاسم (لعنة الله) بما يدل على ثبات هذا النعت وديمومته، وهي صفة تتقابل مع ما ورد في /١٥٩، إذا كانت الأولى تدل على التجدد والحدوث، في حين أن الثانية/١٦١ تدل على أن الوصف ثابت لهم بيقين، وإذا كان الوصف في الآية /١٦١ بـ (أولئك)، فإنه في الآية التالية (١٦٢)، يعقبها وصف صريح بـ(خالدين)، وبالتالي فإن الأمر متعلق بما قبلها من الآيات، ويؤكد ذلك بأنهم ﴿ لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ : توكيداً لما سبق وتوثيقاً لعراه .

ومما هو ليس محل جدال بين النحاة، أن الصفة تلي الموصوف، وهي من القواعد الثابتة، ولما كانت ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ البقرة/١٦٢، واقعة في صدر الآية/١٦٢، وعلى هذا فإن الموصوف واقع في الآية السابقة ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ..﴾ البقرة/ ١٦١، وهنا يتحقق التماسك بالصفة، أو بالحال الدال على حال القوم المذكورين في الآية السابقة، ثم يأتي الربط بين الآية/١٦٢، ١٦٣ بـ(الواو) .

وتأتي الآية /١٦٤ مرتبطة بالآية/١٦٣ بأن الله واحد لا إله إلا هو ... ، وفي الآية التالية/١٦٤ دل على ذلك من خلال قدرته على خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر. وما أنزل من السماء من ماء ... وبث فيها

مـــن كـــل دابـــة وتصـــريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ... ثم يستمر التماسك النحوي والدلالي فيما تلى هذه الآيات من خلال :

ــ الربط بالواو .

ــ ضرب الأمثال، وفي ذلك توضيحاً وتفسيراً لقوة الله، الذي خلق ما جاء في الآية/ ١٦٤ وهكـــذا . وفي قولـــه تعالى في آل عمران/١٩٠: ٢٠٠ *، ويمكن أن أبرز جوانب التماسك النحوي والدلالي فيما يرتبط بجملة الصلة فيما يلي :

ــ تعـــد جملة الصلة ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ الآيـــة /١٩١ تفسيراً معجمياً للفظ الوارد قبلها في نهاية الآية، أولي الألباب/١٩٠.

ــ تأتـــي إحالـــة مـــن نـــوع آخـــر، وهي إحالة ترادف، فيما يرتبط بلفظ الجلالة " الله " الـــوارد في آية /١٩١، نجد المرادف المعجمي (الضمني) له في الآيات التاليات /١٩١ : ١٩٤، وكلهـــا تـــبدأ بلفظ (ربنا) في صدر الآيات (٤) مرات، وهو منادى، حذفت أداة النداء، دلالـــة علـــى القـــرب الحاصلة بين العبد وربه، أو أن الله قريب إلى حد لا يحتاج فيها إلى استخدام أداة النداء (يا)، وهذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾ البقرة / ١٨٦ .

ــ تأتي الاحالة المعجمية من خلال تكرار الاسم : ربنا في الآيات من (١٩١: ١٩٤) .

ــ تأتي إحالة الضمائر المختلفة التي تعمل على تماسك بنية النص من خلال :

١ــ تماسك بنية الآية الواحدة .

٢ــ تماسك بنية الآيتين /الآيات كما أبنّا عن ذلك أعلاه .

٣ــ تماسك بنية النص القرآني .

ــ وحـــدة الموضـــوع " الدعـــاء " وأنـــه في كل الآيات ١٩١: ١٩٤، إنما هو صادر عن المؤمنيـــن، باستعمال الضمائر التي ذكرتها أعلاه، ولما كان السياق واحداً والمؤمنون كلهم طـــريقهم واحـــد، وقلوبهـــم تلهث بدعاء واحد، فإن الضمائر المستخدمة تكاد تكون واحدة كذلك، وكأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يقول إذا كان :

---

* لم أر وجهاً لذكر نص هذه الآيات كاملة؛ لأنه يستغرق مساحة كبيرة على سطح القرطاس، ومن ثم فإن متابعة التحليل هنا، يحتاج إلى متابعة الآيات في موضعها من النص القرآن .

١ــ الموضوع واحداً .

٢ــ المؤمنون يدعون بدعاء واحد .

ترتب على ذلك أن الضمائر المستعملة (١٩١: ١٩٤) تكاد تكون واحدة، وهي في الوقت ذاته تعمل على الربط بين الخالق سبحانه، وبين هؤلاء المؤمنين الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه، وحول هذين العنصرين اللذين يكونان المركز في هذه الآيات تقوم الروابط النحوية بتماسك النص بشكل عام .

وإذا كان تحليل الروابط (المشار إليها أعلاه) صحيحة ــ وهي إن شاء الله كذلك ــ فإن الله قد استجاب دعاءهم مباشرة، ويدل الرابط (الفاء) على أمرين لا يمكن إنكارهما :

ــ السرعة، وهي رؤية تدعمها وتؤكدها رؤية نحو الجملة .

ــ ربط الآيات السابقة، بما هو وارد في هذه الآية .

ــ تمثل الآية (١٩٥/ من آل عمران) نتيجة لما هو وارد في الآيات السابقات، فبناء على الدعاء الذي استغرق آيات أربع، جاءت النتيجة المرتبطة بالآيات السابقات، واستخدام الفاء الدالة على التعقيب والسرعة، بأني لا أضيع عمل عامل منكم .. والذين هاجروا وأخرجوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ويدخلون جنات تجري من تحتهم الأنهار .... إلخ، وذكر النحاة أن معنى (لكن) في جميع مواضعها الاستدراك [١٨] .

ويستلفت النظر في هذه الوظيفة (الاستدراك) في معنى المصطلح استدرك يقول ابن منظور: في مادة (الدرك) : اللحاق، وقد أدركه ... وتدارك القوم؛ تلاحقوا، أي لحق آخرهم أولهم، وفي التنزيل " حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً " ... والدراك إتباع الشي بعضه على بعض في الأشياء كلها ... واستدرك الشيء بالشيء : حاول إدراكه به [١٩]، ولمّا كانت دالة على طلب الاستدراك، وبالتالي فإن الاستدراك، إنما يدل على أن شيئاً أدرك أو طلب إدراكه، ويُفاد من كل ذلك، أن ثمة مقابلة أو مفارقة بين ما هو قبل لكن، عما هو بعدها، وبالتالي فإن ثمة مقابلة غالباً، وهي تتعدى حدود الجملة، فيما أظن، ومن هنا ،فإن هذه الرؤية يمكن أن تستثمر الاستثمار الأمثل في ظل اللسانيات النصية .

---

١٨ ينظر الزجاج : حروف المعاني ص١٥، المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني ص٥٨٨.

١٩ ابن منظور : لسان العرب٢ / ١٣٦٣، ١٣٦٤ .

ثـم تأتـي المقابلة في الآيات التاليات آل عمران/ ١٩٦: ١٩٧، لفريق آخر مقابل للفـريق الأول، وهـو فـريق الكافرين، كمقابل لفريق المؤمنين الذي استغرق طيلة الآيات (١٩٠: ١٩٥) ثم يأتي الاستدراك بـ (لكن)، ويدل هذا على شيئين :

١ـ أن فريق المؤمنين يأتي كمقابل لفريق الكافرين .

٢ـ عطـف طائفـة المؤمنيـن (الآيات من ١٩٠: ١٩٤)، وكأن الحق يريد أن يقول : لا يغـرنَّك الذيـن كفـروا، فإنما هي حياة قصيرة، ويأتي وصفها في الآية التالية بـ(متاع) كوصـف لتقلـب في الآية السابقة (١٩٦) دليلاً على أن لها وقتاً محدوداً ولابد من زواله، ومـن ثـم فإنها مكملة لها، وهنا مكمن التماسك النحوي في النص، ثم يأتي وصف "متاع" بأنـه قلـيل، ولما كان قليلاً /قصيراً أو هو قليل على أصل الوصف، مقارنة بالحياة الآخرة الأبدية،﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/ ٦٤، ولما كانت كذلك ـ وهي كذلك ـ ونتـيجة لكفرهم في البلاد، فإن النتيجة الواقعة هي ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، ويذكر العُكبري : أن (متاع قليل)؛ أي تقلبهم متاع، فالمبتدأ محذوف[٢٠] .

وأرى أن تصـور أصـحاب كتـب معاني القرآن مفارق لما ذهبت إليه، ففي جعْل (متاع) صفة يكون فيه ارتباط بينه وبين الآية السابقة، خلافاً لو جعلناه مبتدأ، وهنا تنفصل العلاقـة عمـا قبلها، وبالتالي فإن اعتبارها (صفة) فيه إظهار لجوانب التماسك، خاصة أن الصفة والموصوف كالشيء الواحد، وقد أبنت عن ذلك .

كمـا أن (لكن) تدل على الاستدراك[*]، فأما العطف فيكمن في عطفها على طائفة مـن الآيـات الخاصة بالمؤمنين، وأما "الاستدراك" إنما يأتي كمقابل لفريق الكافرين، وفي كلتا الحالتين تعمدان إلى تماسك الآيات بعضها ببعض، وأن بعضها آخذ برقاب بعض .

وإذا كان الوصف في آل عمران /١٩٧﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾، فـإن الآيـة التالية﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

---

٢٠ العكـبري : التبيان في إعراب القرآن ١/٢٦١، وهو تصور مقارب لما ورد عند الزجاج في : معانـي القـرآن وإعرابه ١/ ٥٠١، ويبدو أن العُكبري أخذه ه عنه أو ربما نقل نقل فحواه، قارن بين الموضعين لتتضح المقاربة .

* أشار القرطبي أن (لكن الذين اتقوا ربهم) استدراك بعد كلام تقدم فيه معنى النفي، لأن معنى ما تقـدم لـيس فـي تقلبهم في البلاد كبير الانتفاع، لكن المتقون لهم الانتفاع والخلد الدائم. الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣٢١ .

نُـــزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾/١٩٨، أي أن التقوى نتيجتها : جنات تجري مـــن تحتها الأنهار. وجاء الوصف بـــ(خالدين فيها ...)، وتأتي آل عمران/١٩٩ مرتبطة بما قبلها من خلال :

ـ الربط بالعطف (الواو) .

ـ وحدة الموضوع، فالحديث في الآيات السابقة عن المتقين .

ويأتـــي الفعل (اتقوا) باستعمال ضمير الفاعلين (الواو)، وهنا إشارة وجيزة، أن الضمير يحيل إلى موضع آخر من النص القرآني في تحديد لصفات المتقين، وأقصد ما ورد في البقرة/ ٢: ٥ ، وبناء عليه، فإن الإحالة هنا ليست إلى :

ـ داخل حدود الآية .

ـ داخل حدود السورة .

ـ وإنما إلى السور السابقة مباشرة (في بدايتها) .

ـ وتمثل الإحالة إحالة إلى متقدم .

ـ الإحالـــة إلى مواضع (المتقين) في النص القرآني في السور اللاحقة، تُسمى إحالة إلى لاحق وهي إحالة لفظية .

ـ وثمـــة إحالـــة ضمنية إلى صفات المؤمنين كـــ: المخبتين والمحسنين والصابرين وعباد الرحمـــن والمؤمنين ... وهي إحالة ضمنية، وهي بدورها تحيلُ إلي سابق في ذات السورة وفي السور السابقة، وإلى لاحق في السور القرآنية وفي داخل السورة .

وهكـــذا تتماسك بنية النص، ليس من خلال تعاقب الآيات، وليس من خلال الروابط الـنحوية فحسْـــب، أعنـــي أن تكـــون الآيـــات متتالـــية، وإنما من خلال الإحالة المعجمية والتفسيرية .

البنية الدلالية العليا الأساسية (الإيمان وجزاؤه)

الوحدات الدلالية الثانوية

الإيمان

الأفعال اللغوية

يذكرون/ يتفكرون/ خلق/ قنا/ سمعنا/ ينادي/ توفنا/ آتنا/ وعدتنا/ لا تخزنا/ لا تخلف/ استجاب/ لا أضيع/ قاتلوا/ وقتلوا/ أكفر .

ووحداته ومشتقاته الدلالية

الإيمان ونتيجته

النص

وتعد البنية الدلالية الإنجازية هي التي تفرض وظيفة الأفعال اللغوية، وهي مترتبة علـى البنـية الدلالـية الأساسية، ومن هنا نجد أن الأفعال كلها تقع في دائرة الأفعال التي تنتمي إلى الجذر الإيماني، وما ينتمي إليه .

وتختـتم آل عمران بعدد من الروابط الإحالية، تحيل إلى مواضع مختلفة من النص القرآني﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾/٢٠٠ ، ولنا مع هذه الآية وقفة، في محاولة لكشف الروابط النصية فيها، وبيان ذلك ما يأتي :

١ــ الضمير في الفعل (آمنوا) يحيل إلى عدد من المواضع في القرآن الكريم، نذكر بعضاً منها هنا على سنة الاختصار في المطلب التالي :

١/ ٢ : دور بنية الفعل (آمن) والفعل (كفر) وما ينتمي إليهما في تماسك النص :

أــ تحيل إحالة لفظية إلى كل المواضع المذكور فيها الفعل (آمن) وجذره وصيغه .

ب ــ يحيل الضمير (الواو) في الفعل (آمن) إلى تلك الصفات الواردة لهؤلاء المؤمنين* :

وبالتالـي فـإن الإحالـة فـي الفعل (آمنوا) تشير إلى لاحق/ متأخر في عدد من المواضـع من السور، والتي تمثل بدورها المركز الذي تدور في فلكه كل الإحالات المتعلقة بالإيمـان كوصف، أو بالإيمان كفعل، ومن ثم تمثل هذه المواضع المذكورة عاليه العناصر الأساسـية التـي تقدم تفسيراً لهؤلاء المؤمنين أو للصفات التي ينبغي للمؤمنين أن يتحلوا بهـا، وتأتي الضمائر مع هذه الأفعال بمثابة الجوانب الثانوية التي تستمد أهميتها من هذه المراكـز والمواضـع التـي ترتـبط بها في مواطن شتى، وتكون هذه العلاقة، ما يُسمى بمواضـع الإحـالات التي ينتج بناء عليها تماسك النص . وتختلف الإحالة إلى متأخر وإلى مـتقدم، حسْب وضع الآية والسورة ــ مثلاًــ فإذا كانت في سورة البقرة، فإن الإحالة إلى مـتأخر فـي كـل المواضع التي ورد فيها (آمن /آمنوا) في كل السورة الواردة قبل هذه الآيـات المشـار إليها أعلاه، والأمر معكوس مع المواضع التي وردت عقب هذه السورة، فـإن الإحالـة تكون إلى متقدم، ومن ثم فإن الإحالة الخاصة بذلك، يمكن أن تأتي مع هذه المواضع على النحو التالي في القرآن الكريم :

---

* أُحـيل إلى بعض مواضعها في النص القرآني تجنباً للإطالة الأنفال /٢ : ٤، التوبة/ ٧١ : ٧٢، المؤمنون/١ : ١١، النمل /١ : ٤، الحجرات /١٠، ١٥، على سبيل المثال .

١ـ يأتــي الفعــل (آمــن/آمنوا) في سورة : البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، ليحيل إلى متأخر/ لاحق، من ناحيتين :

الأولى : يحيل إلى المواضع السالفة الذكر التي تفسر الجذر الدلالي للمؤمنين .

الثانــية : يحيل إحالة لفظية إلى كل المواضع المذكور فيها (آمن/ آمنوا) أو ما هو على شاكلته :

١ـ يأتــي الفعــل (آمن/ آمنوا) وما هو قريب منه في السور التالية الحجرات، وبالتحديد بداية من سورة (ق) حتى نهاية القرآن، كل الإحالات فيها تمثل إحالة واحدة، إلى سابق .

٢ـ المواضــع التــي ورد فــيها الفعــل (آمن/آمنوا) في السور التي تعد تفسيرا معجمياً، والمذكــور أعــلاه، تمــثل الإحالة فيها إحالة معقدة، بمعنى أنها في كل سورة من السور المذكور فيها التفسير المعجمي، تكون كالتالي :

ـ يأتي الفعل (آمن/ آمنوا)، داخل السورة، فإذا كانت عقب التفسير المعجمي داخل موضع من المواضع المذكورة أعلاه، فإن الإحالة تكون إلى متقدم، وإذا كانت سابقة، فالإحالة إلى متأخر، وتوسع الدائرة مع السور فتختلف موضعها تبعاً لموقعها .

وإذا كــان الحديث عن الفعل (آمن/آمنوا) فإنه جذر دلالي من (آمن) ويأتي منه آمنوا، آمــنا، آمنتُ، آمنوا، الإيمان، وتقع كل هذه الأفعال للصفات المذكورة فيما مضى، وذلك في مقابل جذر دلالي آخر لا يقل أهمية عن جذر (آمن) وهو الجذر (كفر)، وفي رأيي أن هذين الجذرين الدلاليين يمثلان سمة جوهريــة يقــوم عليها بناء النص القرآني .

١ـ نلاحــظ أن هــناك جذورا دلالية تدور في فلك كل جذر، فإذا كان جذر (المؤمنين) يمثل عنصراً أساسياً يدور في إطاره عدد من الألفاظ التي تعد من مشتقاته، وأقصد ألفاظاً مثل : المتقيــن (الــبقرة /٢ : ٥)،الخاشــعين (البقرة/ ٤٥، ٤٦)، المخبتين (الحج/ ٣٤: ٣٥) ،الصــابرين (آل عمران/١٥: ١٦)، (البقرة/١٥٤ : ١٥٧)، المتقين (الأنبياء / ٤٨: ٤٩)، العباد (آل عمران / ١٦)، أولي الألباب (الرعد /١٩ : ٢٤) و(آل عمران / ١٩٠ : ١٩)، المحسنين(لقمان / ٣ : ٥)، والمتقين (الزمر/٣٤: ٣٥)، التقوى(الأعراف/ ١٥٦ : ١)، وتدل مقارنة النصوص في النص القرآني على المشاكلة الدلالية لما تدل عليه هذه الجذور الدلالــية، فمــن يتتــبع الإحالــة المعجمية / التفسيرية للجذور التي تقع ضمن إطار دلالة (المؤمنيــن) يجــد تداخــلاً بين صفات المؤمنين من ناحية، وصفات الصابرين والمخبتين والمتقين وعباد الله وأولي الألباب، والمحسنين من ناحية أخرى، وهذا ما جعلني أرجح أن

هــذه الجــذور الدلالية لهذه الصفات تقع في حيز واحد؛ نظراً لأنها تضم صفات تكاد تكون واحدة، أو ينبغي أن يتحلى بها المؤمنون ... إلخ .

٢ـ أمــا الجــذر الدلالــي للفعل (كفر) المقابل التقليدي للفعل (آمن) فيأتي في عدد من الجـذور الدلالــية، تدور في فلكه، وتؤدي دوره، ونخص بالذكر : المسرفين : (الشعراء/ ١٥١ : ١٥٢)، المشركين (فصلت/ ٦ : ٧)، الظالمون(الأعراف/ ٤٤ : ٤٥) و(العنكبوت : ٥٨ : ٥٩)، المكذبيــن (الطــور/٤٨ : ٤٩)، الفاســقون (البقرة/٢٦: ٢٧) ... إلخ ،ومما يؤكــد العلاقة القائمة بين جذر(المؤمنين) وطائفة من الجذور الدلالية الأخرى أن القرآن الكريم قد سوّى بين :

ـ الفلاح ومن يدعو إلى الخير (آل عمران/ ١١٤) .

ـ التسوية بين المتقين والمحسنين (فصلت/ ٣٣ : ٣٤) .

ـ التســوية في الصفات وتداخلها بين هذه الصفات بعضها ببعض، مما يعكس تداخلاً بينها فــي الصــفات، وأنهــا في عاقبة الأمر تؤدي إلى معنى واحد، وكذلك الأمر بالنسبة للجذر (كفر) وما يدور في فلكه من جذور دلالية مثل :

١ـ التسوية بين الكفر والفسق(النور/ ٥٥) .

٢ـ التسوية بين الكفر والفسق والظلم (المائدة / ٤٣ : ٤٥) .

٣ـ التسوية بين الكافرين والمنافقين (النساء/ ١٣٨ : ١٣٩) .

٤ـ التسوية بين الظلم والكذب (آل عمران / ٩٤) .

٥ـ الــتداخل فــي الصــفات بين هذه الجذور الدلالية، مما يجعلها جميعاً تصب في معنى واحد، وهو المقابل للجذر (آمن)، وعلى هذا الأساس، فإن الفعل (آمن) الوارد قبلاً في آل عمران نضيف إليه إحالة أخرى، يمكن أن نطلق عليها : الإحالة الترادفية .

ويلاحــظ على صفات المؤمنين، أن منها قليل مكرر، إما ضمناً وإما بالألفاظ ذاتها، إلا أنهــا تبقى في عاقبة الأمر مكونة لصفات أساسية، يجب أن تتوافر في المؤمن، ولا أدل علــى ذلــك، اســتخدام أداة القصــر إنمــا مع السياقات المختلفة التي وردت فيها صفات المؤمنين، خلافاً لما هو وارد في سورة المؤمنين، وبالتالي فإن هذه الصفات "يجب" وليس "ينبغــي" أن تــتوافر فــي شخصية من تنطبق عليه صفة المؤمن . وتجدر الإشارة إلى أن صــيغة " يــا أيها الذين آمنوا " في النص القرآني كله، تأتي في بنية لغوية ثابتة، أو بتغير دقيق : تأتي إما في صورة :

ـ يا أيها الذين آمنوا ـــــافعلـــ أمر .
ـ يا أيها الذين آمنوا ـــــلا تفعلواـــ نهي .
ـ يا أيها الذين آمنوا حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ـــــ متضمن معنى الأمر .
ـ يا أيها الذين آمنوا ـــــ (بصيغة اسم الفعل) .

دون تحديـــد من هم الذين آمنوا ؟ وأحسب أن هذه الصيغة تأتي في النص القرآني فيما يجب أو لا يجب فعله، فيما يتعلق بهؤلاء المؤمنين، ولم يذكر شيئاً عن صفاتهم؛ لأنها ذكرت في مواضع منثرة، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى :

١ـ أن هذه الرؤية تؤكد مقولة المفسرين : إن القرآن يفسر بعضه بعضا .

٢ـ أن مثل هذه المواضع ـ الواردة عاليه ـ وغيرها من النص القرآني، إنما تحيل بشكل مباشر أو ضمني إلى تلك المواضع في سورة الأنفال والنور والمؤمنين والحجرات، وهكذا يـــتكاتف كل موضع ورد فيه الذين آمنوا أو شيء عن المؤمنين، مع تلك المواضع الواردة سابقاً، ويؤدي هذا الطرح إلى توكيد أن النص القرآني :

ـ يفسر بعضه بعضا .

ـ سبك وحبك بنية النص القرآني عن طريق الإحالة .

وكأنني أنظر إلى هذه الآيات التي وردت في سياقات عدة في صفات هؤلاء المؤمنيـــن، وأنّ الله ســبحانه حـــريص على إيمانهم الحقيقي﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا﴾ الأنفال،وبالتالـــي تتـــبدى قســـمات العلاقة بين تلك الصفات، وبَيَّن ما هو وارد في سياقات أخـــرى مـــن هـــذه الصـــفات : يا أيها الذين آمنوا، وكأنّ الله حريص على أن يبقي هؤلاء المؤمـــنون علـــى حالهم، ومن ثم جاءت الصورة معهم بـــ : افعل أو لا تفعل في صورها المشـــار إلـــيها أعـــلاه . وهكـــذا تتكشف العلاقة بين أصحاب هذه الصفات وبين الأوامر والنواهي المتعددة، ونوجز ذلك فيما يلي :

١ـ إحالة ضمنية إلى ما ورد في مواضع أخرى .

٢ـ أن هذه المواضع " يا أيها الذين آمنوا "إنما هي متعلقة بتلك الصفات، ويؤدي هذا إلى:

ـ سبك وحبك بنية النص القرآني .

ـ أن كـــل هـــذه المواضـــع مـــع " يا أيها الذين آمنوا " إنما هي متممة ومكملة للمواضع الأخـــرى، وبالتالـــي فإن أي حذف لمثل هذه المواضع، إنما ينتج عنه خلل في هيكل النص

القرآني مبنى ومعنى، لأنه "... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ" الأنعام /٣٨ ، و " مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" الكهف/ ٤٩ .

وقد جمع بينهم في آية /٦٩، حين يكون بين الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ... ويدلنا لفظ " الإيمان" ومشتقاته بالمقابل التقليدي لهذا اللفظ، وهو لفظ "الكافرون" وما يحيل من مشتقات، ومن خلاله تتبدى السمات الجوهرية التي يمثلها، ومن خلال استقراء المواضع الوارد فيها تبدو خصائصه التركيبية والدلالية، إذ نجد المقابلة بين المؤمنين، وهكذا في كل مواضع النص القرآني نجد المقابلة بين الله ورسوله من ناحية، والكافرين من ناحية أخرى، أو بين المؤمنين والكافرين بشكل مباشر، وحتى المؤمنين من بني إسرائيل، وفي كل السياقات تأتي النتيجة، إما بالدعاء عليهم ﴿ وانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ آل عمران / ١٤٧، وإما بوصف ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾ التوبة /٣٧، وإما بالدعاء بالنجاة من هؤلاء القوم ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ يونس/ ٨٦، وإما بالدعاء بأن لا نكون معهم ﴿ وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ﴾ هود/ ٤٢، أو بالاستهزاء من دعائهم ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ الرعد/ ١٤، أو نتيجة كما في ﴿ تِلْكَ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ﴾ الرعد /٣٥ .

وتجدر الإشارة إلى ملاحظة وثيقة الصلة بتلك الوظائف الدلالية لجملة الصلة؛ أقصد أن مقابلة قائمة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، بناء على ما ورد سابقاً، ومن ثم يمكن القول إن المقابلة القائمة بين الفريقين، ليست بين الجوانب المعجمية القائمة بين دلالتي المؤمنين والكافرين على السواء، وإنما المقابلة قائمة بين كل صفة يختص بها كل فريق والفريق الآخر.

غير أن البحث في جوانب الصلة قد كشف عن جوانب أخرى تضاف إلى المقابلات الواردة هنا في البحث، وهذه المقابلات التي يمكن أن نضيفها إلى المقابلات السابقة، هي أن المؤمنين وصفاتهم الواردة في عدد من مواضع النص القرآني، يمكن أن أطلق عليها الصفات المباشرة، والحال كذلك فيما يتعلق بصفات الكافرين، هذه ملاحظة أولى، أما الملاحظة الثانية، فهي أننا نلاحظ أن الحق سبحانه يستخدم في مواضع كثيرة مع الصفات المباشرة كلمات معجمية، مع فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

وهنا يمكن أن أثبت تلك الألفاظ التي يمكن أن نصفها بمعادل طبيعي للمؤمنين والكافرين، وهنا أحاول أن أسطر الدلالات المعادلة المؤمنين، وأذكر منها : المتقين، المحسنين، المصلحين، المخبتين، الصالحين، التائبين، العابدين، القائمين، السائحين، الموقنين، المفلحين، الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، المتوكلين، الصابرين، الصادقين، القانتين ، المنفقين، والمستغفرين بالأسحار، آل عمران/١٧ .

ويمكن تحديد دلالة الكلمات بشكل آخر، فنجدها تعطي معنى من معاني المؤمنين أو الكافرين، وهي ترد عقب الإحالة بالذي أو بالذين التي تأتي دائماً في بداية الآية، وتكون الإحالة فيها (الذي، الذين) إحالة معجمية؛ أي إحالة إلى الآية السابقة مباشرة، وبالتحديد إلى الكلمة الأخيرة من الآية السابقة، وتسمى إحالة (الذين/ الذي) إحالة معجمية، وداخل حدود السورة، ويمكن تأمل عدد من الآيات التي تعطي ملمحاً مهماً لمثل هذه السمات الخاصة بالمؤمنين والكافرين على السواء .

وفي مقابل المعادلات الدلالية للفظة المؤمنين، نجد لفظة الكافرين، وهنا نجد أيضاً معادلات دلالية، أظن أنها تحمل سمات الكافرين، وإن كان لكل وحدة دلالية خصوصيتها التي تميزها عن غيرها من الألفاظ الأخرى، ويمثل مجموع هذه المعادلات الدلالية للألفاظ التي تؤدي دلالة الكافرين، وبالتالي فإن مثل هذه الألفاظ، إنما تمثل دلالات خاصة لكل تلك المعاني التي يؤديها لفظ الكافرين، أو لفظ المؤمنين، وهكذا تجتمع هذه الألفاظ الخاصة مع الاسم الموصول المذكور أعلاه، والذي يمثل الإحالة إلى سابق خارج الآية، وبالتحديد إلى الآية السابقة مباشرة .

وهكذا لا يمكن أن تقوم مثل هذه المعادلات الدلالية مقام للمؤمنين أو الكافرين في إطارها العام، أعني أن دلالاتها خاصة، وكل لفظة دلالية تؤدي دوراً محدداً في كشف جانب لا تؤديه اللفظة الأخرى، وهذه الخصوصية لكل معادل دلالي لأي جذر من هذين الجذرين، وعدم خروج أي منها عن الدور الدلالي المنوط بها، هو الذي أكسب المؤمنين، والكافرين الدلالة العامة، أعني ما تحمله كل منهما من دلالات مختلفة، غير أنها تدور جميعها في فلك واحد، وتحت سماء واحدة، أعني أن المعادل الدلالي :

١ـ المؤمنين ـــــ كل الألفاظ المؤدية إلى الجنة (ألفاظ كثيرة) .

٢ـ الكافرين ـــــ كل الألفاظ المؤدية إلى النار (ألفاظ كثيرة) .

وبالتالي فإن ما يمكن أن نخلص إليه أن المؤمنين والكافرين، تمثلان مجالين دلالين مختلفين ومتقابلين في آن واحد، إلا أن كل الدلالات المعجمية التي تدور في فلك كل منها تؤدي دلالته وتكشف عن بعض جوانبه، بيد أنه رغم الاختلافات والتداخلات الدلالية لكل هذه الألفاظ، إلا أنه يظل لكل مجموعة دلالتها الفارقة والمكونة لبنيتها، ومن هنا فإن العمومية الدلالية للمؤمنين والكافرين والخصوصية لتلك المجموعة التي تدور في فلك كل منها، هي التي جعلت مثل هذه الألفاظ للمجالات الدلالية، وكل مجموعة تدور في فلك المؤمنين أو الكافرين، وبالتالي تمثل المؤمنون المعنى النهائي والأخير لحصيلة المعاني الخاصة التي تمثلها ألفاظ كل مجموعة على حدة، هذه العمومية للمؤمنين والكافرين أعطت مساحة من الإمكانية أتاحت فيما أظن أن تمثل هذه الألفاظ التي تدور في فلكها تحيل إلى هذين اللفظين؛ لأن معناهما عام، ومن ثم تستوعب كل المعاني التي يحملها كل لفظ،

وبناء على ذلك يمثل هذان اللفظان مركزين من الإحالات ، وهكذا نجد : يا أيها اللذين آمنوا، وعلى الاتجاه المقابل نجد المكافئ الدلالي للكافرين، وفي كل وصف يصف المنافقين، الكاذبين، الخاسرين، المطففين، الذين يصدون عن ذكر الله، والذين إذا ذكروا بآيات الله اتخذوها هزواً، بالإضافة إلى كل الصفات والسلوك المؤدي إلى النار، أياً كان اختلاف الألفاظ، كما أن المعادلات الدلالية التي تدور في فلك المؤمنين، تؤدي جميعها إلى الجنة، كما يشير إلى ذلك النص القرآني . هذه الخصوصية للمعادلات الدلالات لألفاظ كلتا المجموعتين والعمومية هي التي جعلته قابلاً لأن يحيل ويحال إليه في النص القرآني .

كما أن سمة جوهرية أخرى، وهي أننا كما رأينا في ضمائر الوصل مع "الذين، الذي" مثلاً تحيل إما إلى سابق، وإما إلى لاحق، هكذا بصورة موجزة، أما تركيب : "يا أيها الذين آمنوا" و "يا أيها الكافرون" وما نحي نحوه من التراكيب، فإنه يحيل إلى سابق وإلى لاحق في آن واحد؛ لأن الآيات المفسرة للفظة المؤمنين، قد تكون بالنسبة لآية متقدمة، وقد تكون متأخرة، ويقع تركيب يا أيها الذين آمنوا موقعاً وسطاً. وثمة ملاحظة أود أن أشير فيها إلى أن :

١ـ إحالة إلى الكفار الواردة صفاتهم في موضع آخر من النص القرآني .

٢ـ فيها مقارنة بين الصفات الواردة في آية/ ٨٤، وما هو وارد في آية/٨٥، والعلاقة بينهما علاقة مقابلة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، وبالتالي تكون الإحالة

مـــزدوجة، إحالــــة إلــــى سابق في ٨٤، وإحالة إلى لاحق في ٨٥، ثم يلي الوصف الثاني الوارد في آية/٨٥ : الذين كفروا نتيجة في الآية ذاتها : أولئك أصحاب الجحيم .

﴿ الْحَمْــدُ لِلَّـــهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الأنعام/ ١، إحالة إلى متقدم خارج النص، وبالتالـــي فإن الإحالة إلى متقدم داخل حدود الآية (داخل السورة) وإلى متقدم مباشرة على الضمير الموصول (الذي) .

ثم تستمر الإحالة الخارجية إلى الذات العلية في الآية الثانية والثالثة، بيد أننا نجد الإحالات إلى لفظ الجلالة (الله) في الآيات في هذه السورة ليست واحدة، ففي الآية الأولى، اســتخدم (الذي) فقط، في حين الآية الثانية استعمل ضميرين : هو، الذي، ومن هنا تكون الإحالــة مــزدوجة في نظري، أقصد استعمال الضميرين؛ الفصل والوصل معاً، على أنني أقـــرر ابتداء أن مثل هذه الصيغة تتردد في القرآن بشكل لافت للنظر، مما يستدعي متابعة لها في سياقاتها المختلفة؛ لاستخلاص النتائج الفاعلة .

ويجـــب أن أشـــير إلـــى أن تكرار ضمير الفصل (هو) مع (الذي)، يمثل إحالة إلى الذات العلية، وهي إحالة خارجية، ليست موجودة في النص، غيرأنه إذا كان النص القرآني مـــن عـــند الله، وبالتالي ليس موجوداً فيه، إلا أن صفات الذات العلية مذكورة في سياقات مـــتفرقة مـــنه، تظهر قدرته سبحانه، وفي هذه السياقات نجد استعمال الصيغة التالية "هو الـــذي" .... (٥٦) مرة في القرآن، وكل مرة نجد الصفات المذكورة في كل موضع مختلفة عـــن ذلك الموجود في موضع آخر، وبالتالي تخلص هذه السياقات جميعها إلى تقديم صور كاملـــة عـــن قـــدرة الحق سبحانه، كما يلاحظ أن كل التراكيب بعد (هو الذي) جاء بصيغة الأفعال الماضية والمضارعة، كل حسب ما تمليه السياقات، إلا في موضع واحد من سورة الزخـــرف/٨٤ ﴿ وَهُـــوَ الَّـــذِي فِـــي السَّـــمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ . واســـتعمال الجـــار والمجرور : له، الذي يتقدم الجملة للتخصيص، وفي مثل هذه المواضع نلاحظ شيئين :

الأول : هو الذي صنع هذه الأشياء المذكورة مع : هو الذي .

الثانـــي : مترتـــب علـــى الأول، وبمـــا أنه صنَعَ كل هذه الأشياء، ومن ثم تأتي المواضع المســـتخدم فيها الجار والمجرور والمتقدم على الجملة بإفادة التخصيص، وأنها له وليست لغيره، كنتيجة طبيعية صنعها .

وفـــي هاتيـــن الحالتيـــن، تربط ضمائر الفصل أو الموصولة هذه السياقات بعضها بـــبعض، كنتيجة حتمية بأن هذا النص القرآني مرتبط بعضه بعضاً، ومن هنا تتحقق مقولة أن النص القرآني نص واحد .

وينبغي أن أشير إلى أن المقابلة بين صفات المؤمنين وصفات الكافرين، إن صفات المؤمنيـــن تقع كمقابل طبيعي لصفات الكافرين، وأحسب أن الحق قد صوّر الكافرين كمقابل للمؤمنيـــن، المـــائدة /٤٤ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأوْلَـــئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، ومن هنا تأتي المقابلة بين من يقوم بتلك الصفات، وبين من لم يحكم في صور شتى وطرق متعددة، وهـــنا ألاحظ أن ذكر الإيمان ومتعلقاته بشكل مباشر، في حين تأتي أشكال لا متناهية منها الكـــذب، ونكـــران وجود النبيين والجحود بأنعم الله، والتواكل، وكل ما هو مقابل لصفات الإيمـــان .... ومـــن ثم تتعدد صوره وأشكاله، حتى الكذب يُدرج صاحبه في الإطار المقابل لمـــن لا يؤمـــن بآيـــات الله ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأوْلَـــئِكَ هُمُ الكَـــاذِبُونَ﴾ الـــنحل/١٠٥، ولا أدل على العلاقة القائمة بين الكذب والكفر، أنه عقب الآية الســـابقة ذكـــر صـــراحة الكفر والإيمان ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ...﴾ النحل/ ١٠٦. وبالتالي فإذا كانت المقابلة بين :

الكـــــــــــــذب ⟷ الإيمان ، النحل /١٠٥ .

الكفـــــــــــــر ⟷ الإيمان ، النحل/١٠٦ .

وهكذا، فإن طريق الكفر متشعبة وطريق الإيمان واحدة .

١ـــ الضمير الثاني (اصبروا) يحيل إلى :

ـــ سابق/ متقدم .

ـــ خارج حدود الآية .

ـــ خارج أسوار السورة الواحدة .

ـــ الســـورة الســـابقة مباشـــرة، وبالتحديد إلى الآية/ ١٥٥: ١٥٧ في قوله تعالى ﴿وَلَنَـــبْلُوَنَّكُمْ بِشَـــيْءٍ مِّـــنَ الخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّـــابِرِينَ* الَّذِينَ إذَا أصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ...) هنا نلحظ أن سمات الصبر واردة وروداً محدداً في السورة السابقة، وبالتالي فإنها تحيل إلى هذا الموضع مع ما ورد في سورة البقرة في

تفصـيل لصفات هؤلاء الصابرين، الذين﴿ قالوا إنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴾ ويترتب على هذا الفعل قولاً وعمل / تصديقاً ما يلي :

ــ (أولـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ) .

ــ (وَأولـئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ) .

وكنتيجة محققة، إذا تحقق قولهم فعلاً وعملاً .

وإذا كان هذا الموضوع يمثل مركز الدائرة، لما يتعلق بالفعل " اصبروا " في النص القرآنـي، فـإن هـناك مواضع عدة، تعد مراكز توضيحية ثانوية، لما هو وارد في سورة البقرة، ونبرز عناصرها فيما يلي :

فـي الحـج/٣٤ : ٣٥ وردت الصـابرون كصـفة من صفات المخبتين* (وَبَشِّرِ المُخْبِتِيـنَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّـا رَزَقْـنَاهُمْ يُـنفِقُونَ﴾ ، وفـي الأحزاب/ ٣٥ ﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِـعَاتِ .... أَعَـدَّ اللَّـهُ لَهُـم مَّغْفِـرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾، وفي آل عمران/ ١٥: ١٧ ﴿ ... وَاللَّـهُ بَصِـيرٌ بِالعِـبَادِ يقولـون ... الصَّـابِرِينَ وَالصَّـادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالمُنفِقِينَ وَالمُسْـتَغْفِرِينَ بِالأَسْـحَارِ﴾ وبالتالي جاء كوصف للذين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَـنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية/ ١٦ مباشرة، وهي توضيح/تفسير لصفات العباد في الآية السـالفة /١٥ قبلها، وهكذا يُبين هذا الملحظ عدداً من الاستنتاجات السابقة الذكر والمتعلقة بـان الوصف يعد رابطاً نصياً، وإن كان لا يتجاوز حدود الآيتين أو الثلاث، على أية حال، فإنـه يتجاوز حدود الجملة/ الآية إلى ما هو فوق ذلك، وهذا ما تسعى الدراسة إلى تعميق النظر فيه .

وفي سورة البلد/١٧، يأتي الحديث عمن يريد أن يقتحم العقبة (وهو جبل)، ولن يـتأتى ذلـك إلا مـن خلال : فك (تحرير) رقبة، ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ يتيما أو

---

* يذكـر القرطبي في (وجلت قلوبهم) ... وصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومـراعاتهم لـربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها. الجامع لأحكام القـرآن ١٢/ ٥٩، وقـد ذكر العُكبري عدداً من التصورات ــ كما هو شأنه في مواضع أخرى ــ فقـال : (الذيـن إذا ذكر الله) يجوز أن يكون نصباً على الصفة، أو البدل، أو على إضمار المعنى، ورفعـاً علـى تقديـرهم. التبيان ٢/ ١٧٨، وقد أبنت عن رأيي في موضع سابق لمثل هذا الرأي ورجحت كونها صفة لتدل على الملاصقة .

مسكيناً ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾، ثم يأتي الوصف لهــذا الفعــل باستخدام ضمير الإشارة مع المؤمنين، والضمير الثالث(هم) مع الكافرين، فقال في نتيجة ذلك عن المؤمنين ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾،البلد /١٨، عقب فك رقبة أو إطعــام المسكين أو اليتيم، وفي مقابل ذلك جاء وصف الذين كفروا بهذا الفعل، ولم يقدموا شــيئاً ﴿هُــمْ أَصْــحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ البلد/١٩، ولم يكتف الوصف، كما في الآية السابقة مع المؤمنيــن، وإنمــا أكد في الآية/٢٠ ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾، أي محكمة الغلق، وفي ذلك تخويفاً وزجراً لأولئك الذين يكفرون بآيات الله، ولم يقوموا بفعل المؤمنين السابق، وهو ما لم يغفله الحديث عن أصحاب الميمنة، والله أعلم .

ويلفت النظر في الآية/١٨ (الواردة عاليه)، بما هو وارد في سورة الانشقاق/٧ : ٩، ﴿ فَأَمَّــا مَــنْ أُوتِــيَ كِــتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْــرُوراً﴾ وهو كناية عن الفوز في الآخرة، فقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم، أن أول مــن يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة عمر بن الخطاب ... وهو فوز ما بعده فوز، وأي فوز !!! وهنا نلحظ تفسيراً لما هو وارد لاحقاً في آية البلد من خلال الإحالة :

ــ إلى سابق (ليس في ذات الآية أو السورة) .

ــ إلى ما هو قبلها بعدد من السور .

تنتج هذه الإحالة العلاقة القائمة بين النصوص (الانشقاق والبلد) ومن خلال هذين الملحظيــن، تتماســك وتتشــابك السور المتباعدة مكاناً المتماسكة نصاً ومضموناً، وهكذا يتحقق التماسك من خلال ربط :

١ــ آمــنوا، الإيمان في سورة آل عمران/٢٠٠، الذي يمثل مركزا ثانوياً بما هو وارد في سورة : الأنفال، التوبة، المؤمنون، النمل، الحجرات، وفي ذلك تماسك لربط بنى السور من جهة، وربط وتماسك نصوصها اللغوية من جهة ثانية .

٢ــ اصبروا إحالة هذا الموضوع (آل عمران/٢٠٠) إلى متقدم من السور السابقة (البقرة) مباشــرة، وبالتحديد في الآيات ١٥٥: ١٥٦، وبالتالي يتماسك الموضوع بما هو وارد ثمة في سورة البقرة .

٣ــ رابطو إحالة إلى (الذين آمنوا) داخل حدود الآية، وبالتالي تعمل على تماسك بنية الآية الواحدة .

٤ــ اتقوا تحيل :

أ- إحالة لفظية : وتمثلها على سبيل المثال البقرة/ ١٨٠،٢، ١٩٤، ٢٤١، وآل عمران/ ٧٦ ، وبالتالي فهي متقدم في السورة السابقة مباشرة .

- إحالة إلى متأخر/ لاحق، ويمثلها ما هو وارد في سورة :

- (الأنبياء/ ٤٨، ٤٩) ومن هنا فالإحالة إلى لاحق متباعد .
- (الفرقان/ ٧٤، ٧٦) ومن ثم فالإشارة إلى لاحق متباعد أكثر .
- (القلم/٣٤) وبناء على هذا فالإحالة إلى لاحق نائي (بعيد) .
- (النبأ/ ٣١ : ٣٦) ومن ثم فالربط يشير إلى متأخر جداً .
- (الليل/ ٥: ٧) الإحالة إلى متأخر في نهاية النص القرآني تقريباً .

وبناء على ذلك، فإن مواضع الإحالة اللفظية والإحالة الترادفية الضمنية قربها وبعدها، إنما يمثل عملية نسبية، فليس لها موضع أو مساحة مكانية محددة، وتختلف درجة قربها وبعدها عن المحال إليه، وبالتالي لم أر قاعدة في النص القرآني يمكن أن تحدد مدى المسافة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، وإنما هي عملية نسبية حسب السياق وموضع السورة .

ونتبين أن هذا النمط القرآني (آل عمران/٢٠٠) إنما يمثل نموذجاً يمكن أن ترد فيه الأفعال الواردة ثمة، بأنها تشير إلى هذه المواضع، وبناء على ذلك، فإن هذه المواضع الإحالية المتعلقة بكل فعل من هذه الأفعال، يمكن أن يحيل إليها أي فعل ورد في القرآن الكريم، وتعمل هذه الإحالات من خلال عدد من الملحوظات، التي قد تكون :

- تقابلية (مقارنة) في موضعها (وصف وفي ذات الوقت مفسرة) .
- مفسرة (توضيحية)، وهي في الوقت ذاته موضحة لمعناها .

والمقارنة، قد تكون باستخدام :

- (إمّا / أمّا) الدالة على المقابلة/ المقارنة مع (الذين) وجملة الصلة .
- (الذين) وجملة الصلة للمقارنة أيضاً، وهذه الملاحظة تؤكد أن (الذين) وجملتها قد تكون مقارنة بدون (إمّا/ أمّا)، وفي حالة وجودها يدعم السياق اللغوي (وسوف نأتي لهذا العنصر فيما يلي من البحث) .

وإذا كانت (الذين، الذي) تأتي في سياقات عدة من النص القرآني، لتكون تفسيراً / توضيحاً لجزء معجمي ورد في نهاية الآية السالفة الذكر (أو في الآية السابقة في بعض

الآيـــات)، ثم تأتي (الذين/ الذي) كجملة مفسرة للجزء المعجمي في بداية الآية التالية، وقد يـــتجاوز التفســـير أكـــثر من آية، بمعنى أنه يمكن أن تقدم أكثر من وصف، كل واحد منها يمكـــن أن يكـــون تفســـيراً كافياً، وتتعدد جملة الصلة بتعدد الموضوعات، وهذا النمط يعد خروجاً على ورود الجذر الدلالي الوارد في نهاية الآية :

ــ وإنما يأتي التفسير المعجمي هنا في بداية الآية .

ــ ويترتـــب على الملحظ الأول أن الآية التالية لا ترد في كل الحالات مبتدأة بجملة الصلة، وإنما تتبدى ملامحها من خلال الأشكال التالية :

١ــ تأثر في (غالبية) الآيات مستعملة جملة الصلة في بداية الآيات .

٢ــ تأثر في (بعض) الآيات باستخدام (الفعل) قبل جملة الصلة .

٣ــ تأتـــي في (بعض) باستعمال الضمير الثالث (هو) قبل جملة الصلة. وأبقى على هذه التصورات لمعالجتها في موضعها من البحث . أعود لأفصل القول بفضل بيان، فيما يتعلق بسورة آل عمران في العناصر التالية :

ــ الجذر (آمن) ومنه المؤمنون، وقد ورد في القرآن :

ــ إنما + المؤمنون + الوصف في آية واحدة أو آيات .

وفي مثل هذه الحالة لا تأتي جملة الصلة تبعاً لذلك في الآيات التاليات، وإنما تأتي مباشـــرة في ذات الآية، ويتبدى ذلك بوضوح في الأنفال /٢ : ٤، والحجرات /١٠ : ١٥، ويـــبدو أن شدة الارتباط بين (إنما) وما يُراد قصده، يأتي وراءها مباشرة، دون الانتظار إلـــى الآية الأخرى، وإن كنت أذهب أن ورود التفسير المعجمي للكلمة في بداية الآية، لما هـــو وارد فـــي نهايـــة الآية السابقة مباشرة، مبدوءاً بجملة الصلة، لا يحتاج إلى وقف أو سكت، وإن حدث سكت خفيف؛ لاتصال المعنى الأول (الجذر الدلالي) بما يليه من التفسير المعجمـــي، وعلى الرغم من هذا فإنها تبقى ــ رغم العلاقة الحميمة ــ في مرتبة أدنى من بنية (إنما) .

ــ علـــى أن آية الحجرات/١٠ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، يخالف فيه أنماط (إنما) المشار إليها في :

١ــ أنه خال من (الذين) الاسم الموصول وبالتالي خال من الصلة .

٢ـ لم يستخدم فيه ضمير الإشارة المهم (أولئك) والمشار إليه كتفسير وتوضيح لصفات هؤلاء القوم .

ومـــن يمعن النظر في هذه الآية يجد اختلافا كثيراً بينها وبين أنماط (إنما)، إذ جاء القصــر موجزاً؛ أدي إلى عدم احتياجه إلى موصول يربط بين الموصوف السابق، والصفة اللاحقة من خلال (الذين)، وهكذا لم تستعمل، وقد أدى القصر الموجز إلى عدم ذكر صفات هــؤلاء من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن السياقات تشير إلى أنها تختص بمواضع الخلاف بين المؤمنين بعضهم بعضاً، ومن ثم فهي تمتاز عن الآيات الأخرى من هذه الجهة الثانية.

وعلـــى الـــرغم من المقاربة بين البنية اللغوية للأفعال الإنجازية لنمطي (إنما) في الأنفـــال/٢: ٤* والحجـــرات/ ١٥، إلا أن اختلافا قائماً، يبدو من خلال الحجرات /١٥، فلم تذكر لهم إلا صفات ثلاث : الإيمان، عدم الارتياب، الجهاد في سبيله، أما في الأنفال/٢: ٤، فقـــد جـــاء ذكر خمس صفات في ثلاث آيات : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، التوكل على الله، إقامة الصلاة، الإنفاق، وبالتالي :

ـ طال الوصف من ناحية .

ـ جَعْلُ (أولئك) في صدر آية جديدة، فيه تأثير أكثر على المتلقي، ومن ناحية أخرى يشير إلـــى أن (هؤلاء) المؤمنين أقل شيء أن يفرد لهم وصف خاص بهم في آية واحدة؛ لأنهم جديـــرون بهـــا، وأكدت الآية هذا المعنى بلفظ (حقاً) الدال على التوكيد والقصر، مثلما دلت (إنما) في المواضع السابقة على قصر هذه الصفات على هؤلاء المؤمنين .

وقـــد ذكر العُكبري هنا في هذا الموضع أنه مثله في النساء **. بيد أن ثمة تمايزا بين السياقين، ففي النساء/١٥ مع الكافرين، في حين أن آية الأنفال مع المؤمنين باستعمال العناصـــر اللغويـــة ذاتها، وها أنا ذا أذكر ما أورده العكبري في ذلك (حقاً) مصدر؛ أي حق ذلـــك حقـــاً، ويجـــوز أن يكون حالاً؛ أي أولئك هم الكافرون غير شك [٢١]. وأرجح اعتبارها مصدراً مؤكداً، بدلاً من كونها حالاً، وأدلل على ذلك من خلال التناص في العناصر التالية :

* قـــارن بيـــن صفات المؤمنين في الأنفال/ ٢: ٤ وبين صفات المخبتين في الحج/ ٣٤ : ٣٥ ، وتشترك السورتان في إيراد صفات مشتركة، وهو ما يؤكد ما أوردته في مواضع سابق من البحث من أن هذه جذور معجمية مختلفة، غير أنها تقع في حيّز واحد .

** أشار محقق (التبيَّان) ١/ ٤٧٢ في الهامش إلى أنه مثله في النساء .

[٢١] العكبري : التبيان ١/ ٢٣١ .

١ـ أن هـذه الآيـة/٤ من الأنفال، تأتي كوصف من جهة، ونتيجة لما هو وارد قبلها من الآيات للمؤمنين من جهة ثانية .

٢ـ يأتي هذا الوصف باستعمال (أولئك)، ويؤكد بأكثر من مؤكد على النحو التالي :

أـ ضمير الفصل (هم) الدال على التوكيد .

ب ـ (حقـاً) المصـدر المؤكـد لهـذه الصـفات مـن ناحية، وتدعيم أن (هم) ضمير فصل دال على التوكيد، وليس مبتدأ .

ج ـ استعمال الجملة الاسمية : أولئك هم المؤمنون .

ء ـ أن اعتـبار (حقـاً) مصـدراً مؤكـداً يتسق مع الوصف، خاصة إذا كان الوصـف يزيد هذه الصفات، ومن ثم يعد اعتبارها توكيداً أنسب من اعتبارها حالاً الذي يناقض الوصف فيما أرى .

وبالتالـي فإن التفسير/ الإحالة المعجمية لجذر (المؤمنين) لم يأت في آية تالية، وإنمـا ورد فـي ذات الآية، وإن وردت له صفات أخرى في بعض الآيات التاليات، إذ زاد الوصـف عـن الآيـة، بيد أن القاعدة الأساسية، هي أن الوصف مع (إنما) ورد على غير العادة في آية (إنما) وإن امتد إلى أبعد من ذلك في آيات تاليات .

علـى أن هـذا التفسير المعجمي يأتي في صور أخرى مختلفة؛ نظراً لأنها جملة الصـلة، وفي هذه الحالة تكون خبراً للمؤمنين، وبالتالي تستوي مع (المؤمنين) بـ(إنما) أو بدونهـا، كمـا في التـوبة/ ٧١، ٧٢، وتمثل هذه علامة فارقة بين البنيتين، أما حين تأتـي (الذيـن) كتفسير لما هو وارد في الآية السابقة، فالأمر مفارق، إذ المعنى يكون ـ حينـئذٍ ـ مكـتملاً نهاية الآية السابقة، ويمكن أن يكتفي به دون إهدار للمعنى العام، ومن هنا كانت تفسيرية للمعنى المعجمي .

وأرى أن ورود التفسـير المعجمـي ـ كما أبنَّا فيما ورد أعلاه ـ مع (إنما)، إنما يمـثل ركـيزة أساسـية فـي البنية اللغوية، لا يمكن غض الطرف عنه، أو إهضام حقه، وبالتالي يكون :

١ـ أساسياً من ناحية .

٢ـ وهـو مترتب على الأول، أن يعرب خبراً، وهو أمر متمم للمبتدأ : المؤمنون، ذلكم هي الحال مع (إنما) وغيرها، حين تكون :

أ ــ داخل الآية .

ب ــ جملة خبرية، وهي مترتبة على الأولى .

ج ــ مع (إنما) أو بدونها .

ــ المؤمنون + الصفات (التفسير المعجمي) ويأتي ذلك في إطار نوعين :

* المؤمنون + صفاتهم (في آية واحدة) .ويمثلها ما جاء في التوبة/٧١، ٧٢، وينطبق عليها ما ينطبق على قاعدة (إنما) .

* المؤمنون + صفاتهم (في آيات تاليات) .

وتمثلها سورة المؤمنين/١: ١١، حيث إنها تفسيرية، وإذا كان النحاة قد ذهبوا إلى أن جملة : الذين، إنما هي صفة للمبتدأ، فهذا لا ريب يدخل في سورة المؤمنين، وهكذا يدخل تحت هذا التصور الألفاظ الخاصة بلفظ (الكافرين)، وما يندرج ضمنه، كما حدث مع المؤمنين .

وهكذا يتحقق التماسك النحوي والدلالي معاً، من خلال التفسير المعجمي، فإذا كان التماسك النحوي ظاهر لا ريب فيه، عندما يكون تفسيراً للفظ المعجمي في نهاية الآية، فإنه يشتمل عليهما معاً حين يكون داخل الآية، وخبراً للمبتدأ من ناحية أخرى، وهو أقوى عندي من الأول، للأسباب المذكورة في موضعها عاليه . على أية حال، تنبغي الإشارة إلى أن هذا التفسير المعجمي، سواء أكان للمبتدأ والجذر الدلالي أم لما هو وارد في نهاية سابقة، إنما يبقى في حالاته :

ــ لا يتجاوز الآية الواحدة، وهو ربط على مستوى بنية الآية .

ــ يتجاوز الآية أو الآيتين، وبالتالي فإن دائرة الربط تتجاوزها إلى ما هو أوسع وتماسكه أكبر .

وإذا كان هذا التصور يتجاوز حدود الجملة أو الآية، فإننا يجب أن ندّعم هذه الرؤية بطرح تصورات أخرى في مثل هذه المواضع، خاصة ما ورد في المؤمنين والأنفال نموذجاً، إنما يحيل إلى :

١ــ الإحالة الضمنية : داخل حدود الآية تحيل إليها الضمائر، وكل الضمائر تمثل قضايا ثانوية تصب في القضية الأساسية (الإيمان)، وهي هنا تمثل المركز، ومن ثم تحيل إليها كل الضمائر الواردة في الآية، خاصة أنها مبتدأ، وكل ما هو وارد معها يمثل الخبر،

والمبتدأ أصل، والخبر فرع، وعلى ذلك فالضمائر في داخل حدود الآية من خلال الضمائر المختلفة، إذ لم تخل كلمة (اسم/ فعل) من الضمير في الآية/٢، إلا لفظ الجلالة (الله)، وهو لا يُضاف إليه شيء، و(إيماناً) وحرف الجر (على)، وما دون ذلك، فكل الآية تحيل إلى (المؤمنين) مما يشكل منها عنصراً مركزياً مهماً تحيل إليه كل الضمائر .

٢ـ الإحالة اللفظية :

ـ خارج حدود الآية السابقة :

تنتهي بـ (إن كنتم مؤمنين/١، وتبدأ الآية/٢ بـ (إنما المؤمنون) ومن ثم، فالإحالة تكرارية لربط بنية الآيتين معاً .

كما أن الإحالة الضمنية في الآية التالية، ليس فيها تكرار لفظي مباشر، وإنما تكرار ضمني (غير مباشر) لصفات عدة، وذلك من خلال صلة الموصول (الذين يقيمون ....) والضمائر الحاصلة في الآية في (يقيمون، رزقناهم، ينفقون) إنما تحيل إلى المؤمنين(٢)، وفيه نوع من التوكيد، أن هذه الضمائر في (٣)، إنما هي للمؤمنين في (٢) مما هو وارد في (٤) بالإحالة اللفظية التكرارية في إعادة لفظ (المؤمنين) واستخدام (حقاً) التوكيدية، ثم تتوالى الإحالات بالضمائر، وهي تعمل على :

ـ اختزال مساحة لا بأس بها على سطح القرطاس .

ـ الربط داخل البنية اللغوية للآية الواحدة، وإذا تجاوزت ذلك يكون من خلال صلة الموصول .

ـ في حين تبقى الإحالة اللفظية تعمل :

ـ داخل الآية الواحدة .

ـ من خلال أكثر من آية .

ـ ربط البنية اللغوية للسورة من خلال الإعادة اللفظية للفظ الواحد في صور شتى، إذ يأتي لفظ (المؤمنين) بصيغة الاسم في مواضع، ويأتي بصيغة الفعل (آمنوا) في مواضع أخرى، ومن خلال هاتين الصيغتين تتبدى قسمات الإحالة اللفظية، في حين تبقى ثمة إحالة داخلية، أعني داخل الآية من خلال الضمائر .

وإذا رجعنا البصر في سورة الأنفال، نجد أن المؤمنين ترد بالصيغ المختلفة في مواضع كثيرة بصيغة (آمنوا) : يا أيها الذين آمنوا، مع ورود صيغة المؤمنين في مواطن

أقــل مـــن السورة، وما يمكن أن نشير إليه هنا بصدد الإحالة في هذه السورة، أنها تعمل على مستويين :

الأول : داخل حدود السورة، وقد ورد تفصيله بفضل بيان أعلاه .

الثاني : خارج هذه السورة، ويتمثل في :

ـ السور السابقة واللاحقة، من خلال :

التكرار اللفظي أو الضمني كما ورد هنا في الأنفال .

وبناء عليه، فإن هذه المواضع تحيل إلى ما هو داخل الآية، وداخل السورة، ومن ناحية أخرى، فإنها تحيل إحالة مماثلة (لفظية وضمنية) إلى ما هو خارج السورة . وإذا ما وسعنا الرؤية إلى ما فوق السورة أو الجزء؛ فإن ذلك يأتي خلال :

ـ الإحالـــة اللفظـــية للمؤمنين و للكافرين ومشتقاتهما في أن كل موضع، إنما يحيل إحالة تكرارية إلى المواضع الأخرى .

ـ الإحالـــة الضـــمنية، وذلـــك من خلال الضمائر التي تدعمها جملة الصلة، والتي تجعلها تـــتجاوز حـــدود الآيـــة الواحدة من خلال عدد من الصلات الشابكة . وهكذا نوسّع الدائرة لتشـــمل النص القرآني كله، وبالتالي يجب ألا نقصر علاقة هذه الآيات بعضها ببعض داخل حـــدود الآيـــة أو الآيتيـــن، أو حتى داخل البنية اللغوية للسورة . على أية حال، فإن هناك قضايا إحالية رابطة أخرى بين السور أو داخل السور، أشار إليها القدماء .

وفـــي قولـــه تعالى ﴿إِنَّ هَـــذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُـــونَ الصَّـــالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً * وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الإسراء/٩،١٠، وموجـــز هـــذا النمط يتمثل في أنه :

١ـ يمـــثل إحالة معجمية داخل حدود الآية، في أن جملة الصلة : الذين يعملون الصالحات ... تعد تفسيراً معجمياً .

٢ـ تعـــد الآية/٦ مقابلة / مقارنة مع ما هو وارد في الآية /١٠، من حيث التقابل اللفظي، وهـــنا يجـــب أن أشير إلى أن المقابلة، تأتي من خلال عدد من الركائز الأساسية، نوجزها فيما يلي :

أـ أن تكـــون المقابلة (المقارنة) مقابلة ثانوية؛ أي أن تأتي بين ألفاظ تقع في فلك لفظ الإيمان من ناحية، وأخرى تقع في دائرة الكافرين .

ب ـ أن تكـــون المقابلة مباشرة؛ كأن تأتي بين الإيمان والكفر، وهي مقابلة مباشرة .

ج ـ أن تكـــون المقابلة باستخدام النص بأي شكل من أشكاله، كما هي الحال مـــع نمـــط الإســـراء/١٠،٩، وأحسب أن السمة التي تجمع بين هذه العناصر الثلاثة الدالة على المقابلة بأشكالها المختلفة تدل على المقابلة .

٣ـ وينبغـــي أن نشـــير إلى أن تنوع الأشكال التركيبية، بما تحتوي عليه من أدوات ربط، والتنوع في استعمال الأسماء والأفعال على اختلافه، إنما هو شكل من :

ـ الإبداع القرآني .

ـ ثراء النص القرآني .

ـ إعجاز النص القرآني .

ـ قدرتـــه علـــى تقديـــم تفصـــيلات جديدة يقبلها النص ولا يردها، وهذا يؤكد الرؤية القائلـــة، بأنـــه لا تنقضـــي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وأن إعجازه، إنما هو إعجاز لغوي في الأساس الأول .

وقد ناقش د. خليل عمايره ضمير الفصل والشأن والإشارة والموصولات، ويلاحظ علـــيها بشـــكل عـــام أن معالجـــته ظلت في حدود ضيقة، ففي قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَـــلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ المؤمنون/٢، قال : فيؤدي الاسم الموصول (الذي) دور المسند إليه، مســـنده خاشـــعون، ثم تحولت الجملة ... حيث يؤدي الضمير (هم) دور المحدد المخصص المزيل الإبهام في الاسم الموصول السابق عليه، فضلاً عن توكيده [٢٢]، وبالتالي غدى تلقاء توجـــه آخـــر بعيداً عن التحليل النصي من ناحية، وظل تحليله في حدود نحو الجملة التي اقتصرت تحليلاته عليه من ناحية أخرى، وأوجز ذلك فيما يلي :

١ـ لـــم يحـــاول أن يبين علاقة هذه الآية بما قبلها، كما فعل كل من: القرطبي والعكبري، وأشير إلى ذلك في موضعه من البحث .

٢ـ انشغل في تحليله بالتحويلات الأساسية التي عليها الجملة، كما هو مُبين عنده .

٣ـ ركـــز فـــي اســـتخلاص الدلالـــة للضمير (هم) داخل حدود أسوار الآية، وكان الأجدى والأجدر أن يذكر ربطه بما قبله، وبالتالي تبدو العلاقة الحاصلة بين الآيتين أو الآيات .

---

[٢٢] د. خليل عمايرة : آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث ص٣٥ .

وهكـــذا بقيـــت تصوراته ــ على الرغم من أهميتها وعمقها ــ في إطار " نحو الجملة "، وتدل النماذج المختارة على أنه ركز على موقع الاسم الموصول في النص القرآني، وكأنه يريد أن يقول إنه واسم الإشارة يُعربان حسب موقعهما في الجملة .

علـــى أن هـــذا التصـــور، لا ينفي الإعراب الذي أقامه كل من القرطبي والزجاج والعُكـــبري أن هذه الأسماء الموصولة، كما هي في النموذج السالف الذكر، تعرب صفة أو مفعـــولاً، وفـــي كلتا الحالتين نشعر بمحاولة ربط هذه الآية بما قبلها، أما في حالة إعرابها مبـــتدأ فتنفصـــل (الذين) عما هو وارد قبلها، مما يشير بشكل ضمني إلى انفصالها عما قبلها .

وإذا كنت قد ذكرت عدداً من العناصر، فذلك لأنها السمة الأساسية، وتأتي العناصر الأخرى لتمثل صور المقابلة، وهنا ينبغي أن أشير إلى أن وظيفة (الذين) تتمثل في :

١ــ كونها رابطة بين الجملتين/ الآيتين، وتمثل هذه الوظيفة الفعلية .

٢ــ المقابلة، وتكتسب أهميتها من خلال :

ــ المقابلة (المقارنة) بين فريقين متضادين .

ــ (الذين) التي تأتي مع كل فريق بوجه عام .

علـــى أن هـــذه المواضع، تعمل على التماسك النصي، من خلال الربط المفهومي (المقابلـــة) في هذه المواضع فقط، وتتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد، ويتبدى هذا الملحظ بوجه عـــام مـــن خـــلال الضمائر المختلفة؛ فعلى سبيل المثال تأتي المقابلة بين المؤمنين وبين الكافريـــن؛ الذين آمنوا، وما يدور في فلكها من جذور معجمية، والذين كفروا ومتعلقاتها، ومـــن ثـــم فالضمائر هنا، إنما تشير إلى مواضع منتشرة من النص القرآني، وقد أبنت عن ذلك بفضل بيان في موضع آخر من البحث، وبالتالي فإن الإحالة تتجاوز :

ــ حدود الآية .

ــ حدود الآيتين .

ــ حدود الثلاث آيات .

ــ حدود السورة إلى آفاق أوسع وأرحب إلى عدد من السور والأجزاء .

ــ حـــدود الجزء الواحد .

٣/١/٢ : الإحالة المعجمية التفسيرية بـ (الذين) :

٢/١ : التفسير المعجمي داخل حدود الآية .

٢/٢ : التفسير المعجمي خارج حدود الآية .

٢/١ : التفسير المعجمي داخل حدود الآية :

قال تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ الفرقان/٦٣، ويمثل هذا النمط مفارقة عن الأنماط الأخرى، في أن الصفة هي (الخبر)، وبالتالي لابد من وجوده ليتم المعنى، هذا من ناحية، ومن جهة أخرى، فإنه يتفق مع ما جاء في التوبة/٧١، ٧٢ في أنه :

ـ داخل الآية .

ـ خبر للمبتدأ (عباد الرحمن) أو اعتبارها صفة أفضل، كما ذهبت إلى ذلك في موضع آخر، ويفارق الأنماط الأخرى في الفرقان فيما يلي :

١ـ أن الإحالة تتجاوز حدود الآية إلى نهاية السورة، وهو ما ليس موجوداً في (التوبة) .

٢ـ أن الإحالة في الأنفال/١: ٢، لم تأت من خلال عطف جملة الصلة (الذين....) باستعمال حرف العطف (الواو)، وإنما جاءت من خلال :

ـ جملة الصلة (الذين ....) .

ـ الضمائر المتنوعة .

وفي الفرقان تجاوزت الروابط بإضافة (الواو) العاطفة زيادة على الروابط الواردة في الأنفال، وهكذا تأتي جملة الموصول التفسيرية مع (الذين) في مواضع ستة تكاد تكون متتالية .

٢/٢ : الإحالة المعجمية التفسيرية خارج حدود الآية :

وينقسم بدوره إلى قسمين :

الأول : أن يأتي مع نمط من الأنماط التي تحيل إحالة معجمية (يكون خبراً)، داخل حدود الآية، ثم يتجاوز الآية باستعمال جملة الصلة(الذين)، وهذا النوع قد فصلت فيه القول .

الثاني : يأتي التفسير المعجمي لكلمة واردة في نهاية الآية، وتكون جملة الصلة في بداية الآية التالية مباشرة، ويمثل هذا النوع نمطاً آخر له سماته الدلالية، وإذا كان الرابط في

الأول بين الآية الواحدة من جهة، وبين الآيات التاليات من جهة أخرى، فإن النمط الثاني يربط من خلال ربط جملة الصلة أو إحالتها بما قبلها .

ونلاحظ أن الآيات القرآنية التي ترد فيها هذه الإحالات المعجمية لجذر دلالي وارد قبلها في الآية السابقة مباشرة، إما أن يكون متعلقاً بالألفاظ التي ترد ضمن حدود لفظ (المؤمنين) أو لفظ (الكافرين)، ومن هنا نرى أن مثل هذه المواضع تفسيراً معجمياً لأحد هذين العنصرين، وبالتالي نرى تفسيراً للمتقين (البقرة/٢: ٥) والمحسنين (لقمان/١: ٥)، والمؤمنين (النمل /١: ٤) والكافرين (الطور/١١، ١٢) والمسرفين (الشعراء/١٥٢) ... وهكذا إلخ، هذا فيما يتعلق بالإحالة المعجمية إلى كلمة محددة، سواء أكان داخل الآية أم خارجها (قبلها)، وبناء عليه، فإن الإحالات، إنما هي إلى سابق .

٣/٢ : الإحالة المعجمية خارج حدود الآية والمقارنة :

كنت قد أشرت في موضع سابق في ثنايا معالجة الإحالة التقابلية إلى الإحالة المعجمية؛ لأن الأنماط القرآنية تشتمل بطريق التداخل على وظيفة المقابلة من ناحية، والإحالة المعجمية من ناحية أخرى، وتلفت هذه الظاهرة النظر في مثل هذه المواضع إلى أن كل المواضع التي فيها الإحالات المعجمية خارج حدود الآية تقريباً تشتمل على وظيفة المقابلة، وهي وظيفة مفهومية كوظيفة الإحالة المعجمية، وقد أدت هذه الرؤية إلى أن هناك عناصر يمكن أن تتداخل هنا بما ورد ثمة، إلا أن طبيعة المعالجة تبرر ذلك ولا ترده فيما يتسق مع بعضها البعض، وبالتالي فإن هذا التداخل تفرضه طبيعة المعالجة وطبيعة النصوص المتداخلة وظيفياً فيما بينها؛ نظراً للتشاكل بينهم من الناحية الوظيفية .

على أن هناك أنماطاً قرآنية توجز وظيفة (الذين) المشار إليها أعلاه، وأشير فقط إلى بعض المواضع توكيداً للفكرة وبياناً لجوانبها، وأحسب أن هذا النوع إنما يمثل إيجازاً للوظائف الموصولة لجملة (الذين) الواردة قبلاً (الرعد/ ١٩: ٢٥، والنمل/ ٢ : ٥، النحل/ ٢٧: ٣٤، الكهف/١٠٣: ١٠٨) وفيه :

١- إحالة معجمية في ١٠٤ إلى ﴿ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾/١٠٣، ثم وصف في ١٠٥، وهي إحالة تتجاوز في ربطها حدود الآية إلى الآيتين .

٢- المقابلة / المقارنة بين ﴿ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾/١٠٣، ووصفها في(١٠٤: ١٠٦) وبين (الذين آمنوا) /١٠٧، ووصفهم في (١٠٨)، وهي مقابلة تحقق ربطاً أوسع من الربط المعجمي في الواقع، خاصة إذا كان مع مثل هذا النمط، وبالتالي فإنه :

أ ـ إذا كانت المقارنة فقط يكون الربط أضيق .

ب ـ تتوسع الدائرة، إذا كان معها وصف (مقارنة+ وصف في آيات تاليات) .

ج ـ لربط الأوسع تتحقق فيه :

ـ الإحالة المعجمية .

ـ الإحالة بالمقارنة، وهي إحالة مفهومية، كما أشرت إلى ذلك أعلاه .

ـ الإحالة بالوصف والربط .

وتعمل هذه الإحالات مجتمعة على تماسك بنية النص القرآني من ناحية، وتوسيع الدائرة البحثية من ناحية أخرى، وإذا كانت الأنماط السابقة تأتي في صلات شابكة ومتداخلة، فإننا نوجزها في الركائز التالية :

١ـ التفصيلية، تفسيرا لجذر(المتقين) الواردة في نهاية الآية قبلها .

٢ـ المقابلة بين (المتقين) وصفاتهم (٢: ٥) وبين (الذين كفروا .... فيما تلا ذلك (ابتداء من/٦....) .

٣ـ النتيجة والجزاء، لكل من المتقين والكافرين .

ويمثل نموذج البقرة /٢: ٥ نموذجا متمايزاً من حيث عدم اشتماله على ما ورد عاليه، ونضيف زيادة أن وصف (الذين) الثاني (الكفار) في الآية/٤، جاء في آية تالية / ٥، في حين ورد في البقرة خلافاً لذلك، إذ جاء وصف الطائفتين بما يشكل ملمحاً جوهرياً، بيد أن وصف (المتقين) في الآية/٣،٤، جاء نتيجة في الآية /٥ باستعمال ضمير الإشارة (أولئك) مرتين، الأول : تفسير/توضيح . الثاني : إضافة إلى المعنى الأول : توكيداً وتدعيماً له، ولم يأت وصف (الذين كفروا) بضمير (أولئك)، وإنما بـ (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم) البقرة/ ٧ .

وفي هذا السياق يرى الزجاج : أن موضع (الذين) جر تبعاً للمتقين، ويجوز على المدح، كأنه لما قيل : هدى للمتقين، قيل : من هم؟ فقيل : الذين يؤمنون بالغيب/٢، ويجوز أن يكون موضع (الذين) نصباً على المدح أيضاً، كأنه قيل : أذكر المؤمنين[٢٣] .

---

[٢٣] الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٠ ، ٧١، ويبدو أن العُكبري قد نقل آراء الزجاج، كما هي، ينظر : التبيان١/ ٢٤ .

وفي تحليل الزجاج لكلمة (المطففين ....) قال : وقد فسر أمره في السورة، فقال ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [٢٤].

٢/٣ : الوظائف الاحالية لجملة (الذي) ودورها في تماسك النص :

يستلفت النظر بشكل أولي أن (الذي) في القرآن تعمل من خلال مستويات إحالية عدة ومتداخلة في آن واحد، إلا أنه يبقى لكل منها سياقه الخاص به، وهكذا يتحقق التماسك من خلال الربط الخارجي (خارج النص) أو إلى ما هو موجود في النص(داخل السور)، ويمكن أن نبرز جوانب ذلك في المطلب التالي :

٢/٠ : الإحالة المعجمية :

٢ /١ : خارج حدود الآية (أو الآيات) .

٢/٢ : داخل حدود الآية الوحدة .

١/٢ : الاحالة المعجمية خارج حدود الآية :

قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الشعراء/٢١٧: ٢٢٠، وفي (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ* وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ* لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الزخرف /٩ : ١٣، ونستبين أن الآية /١٠ : الذي جعل لكم الأرض .... إنما هي :

١ــ إحالة عامة ، ويفاد ذلك من صلة الموصول .

٢ــ إحالة إلى سابق (في الآية السابقة مباشرة) .

---

[٢٤] الزجاج : السابق ٥/ ٢٩٧ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٦٢. واشير إلى بعض المواضع الأخرى : لقمان/٢: ٧، الزمر/١٧: ٢٠، فصلت ٦ : ٨، النجم/٣١: ٣٢، البروج/٩، ١٠، المطففون /١: ٥، المعارج/٢٤ : ٣٥، الماعون/ ٤: ٧ .

٣ـ مـن خلال الإحالة، نستنتج أن صلة الموصول وما بعده، إنما هي إحالة تفسيرية لذلك الجذر الدلالي الوارد قبله في الآية السابقة مباشرة .

٤ـ ثم ترتبط الآيات بما يليها (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) /١٢ بما هو وارد قبلها، من خلال :

أـ الإحالـة إلـى متقدم فـي أنـه خارج حدود الآية، وبالتحديد في الآية /٩ : العزيز الرحيم .

بـ ـ الإحالـة إلـى سابق ـ أيضاً ـ من خلال (هو)، كما هو وارد في الرقم(١) الوارد قبله .

وهكـذا تتضافر هذه العناصر لتعمل على تماسك بنية النص من خلال هذه العناصر المعجمـية والتوكيدية . وعلى أية حال، فإن هذه العناصر تعتمد العناصر اللغوية والعناصر المفهومية، وهما العنصران المختصان بالنص المكتوب .

٥ـ من يرجع النظر في مثل هذه الآيات يجد غالباً أنه بعد الإحالة المعجمية :

أـ تأتـي عناصـر لغويـة، كضمائر الإشارة في تفسير/ توضيح لما هو وارد مع صلة الموصول .

ب ـ عناصر لغوية أخرى، كأدوات العطف : ثم، الفاء، الواو ... الخ .

ج ـ يلـي هـذه العناصر اللغوية عناصر مفهومية حابكة لبنية النص، كالمقابلة والتفصيل (الوصـف)، والإحالة المعجمية، وهي سمة جوهرية لا تنفك عن المواضع التي وردت فيها (الذي) كبنية تفسيرية للبنية اللغوية قبلها، وأن هذه القاعدة ما ورد في سورة الماعون/١: ٣، لـيس فيها مقابل، وإن جاءت الآيات التاليات معطوفة بـ (الفاء)، وهي إحالة معجمية أيضـاً، لكن مع (الذين)، وتعد هذه السورة متميزة من حيث الإحالة المعجمية، إذ الآيات / ٢، ٣ تفسيرا معجمياً لما هو وارد في /١ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، في حين تعد الآيات ٥ : ٧ تفسيراً معجمياً للآية/٤﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، وتحتوي على إحالة معجمية مع (الذي) و(الذين) .

وتمـثل الإحالـة المعجمـية سمة جوهرية في هذه السورة بالتحديد، وفي سورة (الناس) كذلكَ، إذ لم ترد المقابلة، حيث جاءت الآيات / ٥، ٦ تفسيراً معجمياً للآية/٤ (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) .

وفـي مـثل هذه الحالات لا تنفصل صلة الموصول عن العنصر المعجمي في الآية السابقة، فسواء أكان وصفاً أم مدحاً، فإن الصفة والموصوف، والمدح والممدوح لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وإنما هما كالشيء الواحد .

وقد اقترب الزجاج بشكل ملحوظ إلى ما نريد إيضاحه، وهي رؤية دقيقة من حيث الروابط النصية، إذ يرمي إلى أن الروابط لا تعتمد على الروابط اللفظية فحسب، وإنما ثمة أنـواع مـن الإحالـة المفهومية (Kohärenz) القائمة على التماسك الدلالي، وعليه فإن التماسـك أساسـه هـنا دلالـي في المقام الأول، وهو ما رأيناه موجوداً بشكل موجز عند الـزجاج والقرطبـي والعُكـبري وغـيرهم في مواضع منتثرة، وهو ما ليس موجوداً عند الأخفش في معاني القرآن، على أنه وإن كان قد أشار إلى بعض المواضع، فلم يشر إلى أن هـذه المواضـع تشكل ملمحاً رئيسياً مع الاسم الموصول في القرآن الكريم، سواء كان مع (الذيـن أو الـذي أو التي)، ومما يؤكد هذا الملحظ ـ أنه لم يشر إلى أنها قاعدة عامة في القرآن الكريم ـ أنه :

١ـ قد أشار في عدد من المواضع إلى ذلك، ولم يشر إلى ذلك في المواضع الأخرى .

٢ـ لـم يشر إلى أن مثل هذه المواضع يوجد ما يماثلها في المواضع الأخرى، أو أنها قد ذكرت في مواضع أخرى، بما يشكّل منها جميعا في عاقبة الأمر سمة جوهرية، وأن الجهة بينها ليست منفكة . وينبغي أن نشير إلى أن (الذين) حين تتكرر في آيات بعدية متتالية، كما في (المؤمنين) المشار إليه، تكوّن :

أـ إحالة معجمية رابطة بأكثر من آية، كما في الروم /٢٠ : ٢٥ مع الفارق .

ب ـ تفصيلية / تفسيرية، كما في المؤمنين/ ٥٧: ٦١، الفرقان/٦٣ : ٧٧ .

ج ـ وهـي هـنا فـي (٢) عنصر مقابلة، (الشعراء/٧٧: ٨٢، الزخرف/ ٩ : ١٤)، وينطبق هذا الملحظ على العناصر الموصولة الأخرى التي تتجسد فيها مثل هذه السمة الأساسية .

٢/٢ : الإحالة المعجمية داخل حدود الآية الواحدة :

الإحالة المعجمية إلى متقدم داخل حدود الآية، وتأتي في إطار نوعين، نذكرهما كما يلي :

ـ إحالـة إلى السابق (إحالة مباشرة)، وهي إحالة معجمية، كما هي في النوع السابق (إلى متقدم خارج نطاق الآية)، ويمثل ذلك ما هو في الأعراف / ١٥٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

رَسُـولُ اللّـهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِـنُواْ بِاللّـهِ وَرَسُـولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

ويحتوى هذا النمط القرآني على إحالتين :

الأولـى : تتمـثل فـي أن ما ورد فوق الخط مع (الذي) الأولى، يمثل إحالة معجمية إلى (رسول الله) قبله مباشرة .

الثانـية : أن ما ورد فوق الخط مع (الذي) الثانية يمثل إحالة معجمية إلى (النبي الأمي) الـوارد قـبلها مباشـرة، وعلى الرغم من أن هذه الإحالة داخل الآية، إلا أنها تظل إحالة متقدمة، ويمكن أن نطلق عليها إحالة ضيقة /محدودة تربط داخل حدود محددة (الآية /٢)، وذلـك في مقابل ربط متوسط خارج حدود الآية/٣، إلى ما هو أكبر من ذلك بداية السورة بوسطها أو آخرها إلى خارج حدود السورة والجزء إلى الأجزاء .

غـير أن العُكـبري يركـز في قوله (الذي له ملك السموات) في موضع نصب بإضـمار أعني أو في موضع رفع على إضمار هو، ويبعد أن يكون صفة لله، أو بدلاً منه، لما فيه من الفصل بينهما بإليكم وحاله، وهو متعلق برسول [٢٥] .

وفـي إبراهيم /٢ [*]﴿ اللّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وفي الآية /٣٩ ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّـي لَسَـمِيعُ الدُّعَاء ﴾، وفي النمل /١٥ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

والروم /٤٠ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢٦].

---

[٢٥] العكبري : التبيان ١/ ٤٦٣، ولم يشر إلى هذا التحليل الفراء والقرطبي والزجاج في كتبهم .

* ينظر الوجوه الإعرابية التي أشار إليها صاحب التبيان ٢/ ٣٥، ولم أشأ أن أعيدها كاملة تجنباً للـتكرار، علـى أسـاس أن نصوصـاً مشاكلة ذكرت في مواضع أخرى من البحث، وربما يكون العُكـبري قـد نقـل الفكرة عن الفراء وطوّرها ينظر الفراء : معاني القرآن ٢/ ٦٧ : الله الذي : يخفـض في الإعراب ويرفع الخفض على أن تتبعه (الحميد) والرفع على الاستئناف لانفصاله من الآية. وقد ذكر القرطبي هذه الآراء قبل ذلك كله ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٣٩ .

٢٦ ثمة مواضع أخرى : سبأ /١ ، فصلت / ٢١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، الأحقاف / ٣٣ ، الطلاق / ١٢ ، على سبيل المثال ، وأحسب أن تحليل مثل هذه الآيات مشاكل لمثل التحليل الوارد في المتن أعلاه.

علـــى أننـــي ينبغي أن أشير إلى أن هناك بعض المواضع التي جاءت الإحالة فيها إلى غير الذات العلية، وهى مواضع محددة فيما أرى، كما يلي :

ــ الصافات /٢١ ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

ــ الطور /٤٥ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ .

ــ النجم /٣٧ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ .

ــ إحالة لفظية :

كمـــا في القصص/١٥ ﴿ وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـذَا مِـن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَــزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾، ونحاول أن نعلق على جزء من الآية، وهو ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ﴾ يحيل إلى ما هو سابق داخل الآيـــة فـــي (هذا من شيعته)، وبالتالي فالربط لفظي داخلي ضيق (داخل حدود الآية)، ويعد الـــربط الإحالي المباشر إلى الذات العلية ربطاً أكثر انتشاراً في النص القرآني مما هو وارد هنا، ونوجز عناصر الإحالة المعجمية في العناصر التالية :

١ــ الإحالة إلى سابق (خارج الآية السابقة مباشرة أو داخل الآية) .

٢ــ تعـــد الإحالة هنا إحالة معجمية؛ بمعنى أنها تحدد وحدة معجمية محددة وتفسرها جملة الصلة التالية لذلك .

٣ــ تعـــد الإحالـــة إلى سابق (خارج أو داخل الآية) إحالة محدودة ومقارنة، كما سيأتي، علـــى أنها تعمل على الربط النحوي من جهة، والتماسك الدلالي من ناحية أخرى، وهذا ما تكونه الإحالة اللفظية والمباشرة والمعجمية .

٤ــ علـــى الرغم من جَعْل الإحالة هنا محدودة (بناء على تصور ما هو قائم داخل الآية أو الآيتيـــن) إلا أننا يمكن أن ننظر إلى لفظ الجلالة (الله) في المواضع المذكور فيها، أنه يمثل إحالة لفظية (تكرارية) :

ــ تعد هذه الإحالات المذكورة (في الإحالات المعجمية) فيما يتعلق بورود لفظ الجلالة (الله) في النص القرآني مركزاً بالنسبة لـــ (الذي) وما ورد في سياقات أخرى تدور في فلكه .

ــ الإحالة (خارج حدود الآية أو السورة)، وهى بدورها تأتى في إطار نمطين :

الأول : اللفظي (التكراري) .

الثاني : الضمني / الترادفي، وكل من هذين النمطين يمكن أن يتفرع إلى :

ـ متقدم إلى الآية السابقة مباشرة، ويمثل ما هو وارد في :

ـ متقدم إلى أول السورة (خارج وداخل حدود السورة) على أية حال، فإنني أفصّل القول في كل نوع على حدة، على النحو التالي :

ـ الإحالة اللفظية :

ـ الإحالة اللفظية خارج حدود الآية، وهى تعد تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبلها من الجذر الدلالي، ونأخذ :

ـ الإحالة المعجمية داخل حدود الآية :

كما في قوله تعالى الأنعام /١١٤ ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ **فما هو وارد فوق الخط : وهو الذي .. يعد تفسيراً معجمياً لما هو وارد قبل لفظ الجلالة (الله)، وهذه الإحالة داخل هذه الآية تعمل على تماسك :**

ـ البنية اللغوية للآية الواحدة :

ـ أن لفظ الجلالة (الله) الوارد هنا يحيل إحالة لفظية على النحو التالي :

١ـ يحيل إحالة لفظية داخل حدود السور، وهى أيضا تأتى في إطار نوعين :

أ ـ إحالة قبلية، وتأتى في إطار نوعين :

ـ الإحالة المتوسطة :

ـ داخل حدود السورة؛ وتمثلها كل المواضع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) مذكوراً في السورة .

ـ الإحالة الموسعة : وتمثلها كل المواضع التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) في السور السابقة، وهى تتسع وتضيق تبعاً لقربها وبعدها، وبناء عليه، فإن كل موضع من هذه المواضع يعد مركزاً بالنسبة للآخرين لفظ الجلالة (الله)، وهكذا تتقاطع المواضع وتتداخل بما يخلق فيما منها شبكة من العلاقات اللغوية الماثلة على سطح القرطاس .

ب ـ إحالة لاحقة (بعدية) : وتأتى من خلال نوعين :

١ـ الإحالة الضيقة : داخل حدود الآية (إلى لاحق) .

٢ــ الإحالــة المتوســطة : داخــل حدود السورة، وأقصد بها المواضع التي ورد فيها لفظ الجلالــة (الله) فــي الآيات اللاحقة، ويختلف الكم اللاحق والسابق من الإحالة اللفظية تبعاً لموقع الإحالة في النص، فليس على هذا الأمر معولاً كبيراً في تماسك النص .

٣ــ الإحالــة الأوســع : خارج حدود السورة، وتمثله المواضع التى ورد فيها لفظ الجلالة (الله) في المواضع اللاحقة في كل السور .

٤ــ الإحالة الضمنية :

وإذا كانت الإحالة اللفظية تأتى من خلال لفظ واحد أياً كان، فالإحالة الضمنية تبعاً للســياقات متنوعة، أعني أن لفظ الجلالة (الله) مثلاً، يمثل إحالة ضمنية إلى : ربكم، خالق السماوات والأرض، أو الحي القيوم ... الخ، والعكس، فالإحالة لا تقتصر على ما هو داخل الآيــة، وإنمــا توســع الدائــرة ليرتــبط الــنص القرآني من خلال هذه الإحالات المختلفة والمتنوعة، وعلى أية حال فإن الإحالة الضمنية يمكن أن تقسم كما هي الحال مع تقسيمات الإحالــة اللفظــية المشار إليها أعلاه، ونكتفي بالإشارة تجنباً للتكرار، وثمة إحالة ضمنية أخــرى، تجسّــدها الضــمائر الإحالية داخل الآيات والسور، وهناك إحالات ضمنية أخرى، ســوف نشير إليها في سياقها من البحث، وعلى هذين النوعين من الإحالة الضمنية تعتمد الســور القرآنية، على أن المواضع التالية في النص القرآني، تمثل ما هو وارد عاليه خير تمثيل؛ وليست كل المواضع، وإنما تمثل سمات أساسية [٢٧] :

ــ الإحالة المعجمية خارج حدود الآية

لكنها ليست كما هي مع (الذين) بشكل مباشر، خاصة أنها مع (الذي) تأتى على شكل :

هو الله .... هو الذي .... الله الذي ...

ومــن هــنا، فالأمر مختلف، كما هو وارد ثمة مع (الذين) وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في موضع مضى من البحث، ونوجز جوانب الاختلاف بينها فيما يلي :

١ــ أن جملــة الصــلة مــع (الذيــن) تعد تفسيراً مباشراً للجذر الدلالي الوارد في الآيات السابقة مباشرة .

---

٢٧ الأنعام/ ١٤١، ١٦٥ . الأعراف/ ١٨٩، التوبة/ ٣٣، يونس /٢٢، الرعد/ ٣ ، الفرقان/ ٤٦، ٤٧، فاطر/ ٣٤، الأحزاب/ ٤٣ .

٢ــ أن جملــة الصــلة مع (الذي) تأتى معطوفة على جمل / آيات سابقة، وليس الأمر مع (الذين) على هذه الشاكلة .

٣ــ أن جملــة الصــلة مع (الذين) و(الذي) تعرب مبتدأ، إلا أن التمايز بينهما يكمن في أن جملة الصلة مع (الذي) يمكن أن تحيل إلى :

ــ سابق داخل الآية .

ــ سابق إلى الآية السابقة مباشرة .

ــ سابق ويفصل بينه بعدد من الآيات .

ــ سابق في النص القرآني .

ــ خارج النص القرآني وتمثله الإحالة مع الذات العلية في مواضع عدة .

أما جملة الصلة مع (الذين)، فلا يمكن أن تحيل إلى :

ــ سابق في الآية السابقة مباشرة، وبالتحديد في الكلمة الأخيرة، وقد أبنا عن ذلك فيما تمت مناقشته بفضل بيان .

ــ سابق في الآية السابقة، وبالتحديد إلى جذر دلالي داخل الآية، وليست الأخيرة، وقد تمت مناقشة مثل هذه المواضع .

٤ــ أن جملة الصلة مع (الذين) و (الذي) تشتركان في أن كليهما يحيل إلى :

ــ سابق داخل الآية .

ــ نهاية الآية السابقة مباشرة .

ــ إلى مواضع سابقة من السورة .

ــ إلى مواضع أخرى سابقة من النص القرآني ، ويأتي هذا النوع من خلال :

ــ الإحالة اللفظية .

ــ الإحالة الضمنية (وقد أشرت إلى مثل هذه الإحالات بشكل واضح فيما مضى) :

ــ إلى لاحق : وهو كما ورد في الإحالة إلى سابق، ولكنها معكوسة .

٥ــ أن جملــة الصــلة مع (الذي) تُعرب خبراً، وهو معرفة من خلال جملة الصلة، وليس نكرة كما في :

هو الله الذي . الله الذي خلق . ربكم الذي ...

وبالتالي فإنها جملة أساسية لإيضاح المعنى وتكامل أجزائه بالنسبة الآيات، وبناء علـــيه، فإنهـــا عنصر قوى ومهم في تأكيد الدلالة المرجوة ، إلا أن الأمر مع (الذين) على مـــثل هذه الحالة، من الناحية الإعرابية ، وإن كنت أتصور أن قرب صلة الموصول (الذين) مـــن المواضـــع المفسرة لها تضعف بشكل أو بآخر من قيمتها الذاتية، إذ المعنى الأساسي مرتـــبط فـــي الذهن بما هو قبله مباشرة، ومن هنا يقلل من استقلالية (الذين) في مثل هذه المواضع فيما أحسب، على أن الإحالة المعجمية خارج حدود الآية، تأتى في النص القرآني من خلال عدد من البنية اللغوية، التي يمكن أن نبرز عناصرها كالتالي :

ــ إحالـــة معجمية إلى متقدم في آيات سابقة (تفصل بينهما آية أو اثنتين أو أكثر كما في قولــــــه تعالى ﴿ {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَـــاتِ لِقَـــوْمٍ يَعْلَمُـــونَ * وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ *وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ﴾ الأنعام/ ٩٧، ٩٨ ، ٩٩، ومن هنا فإن هذه الآيات مع جملة الصلة فيها :

وهو الذي جعل . وهو الذي أنشاكم . وهو الذي أنزل .

اســـتعمال العطف (الواو) ثم الضمير (هو) + صلة الموصول (الذي+ الفعل) وهو متـــنوع ويـــدل على وحدانيته من ناحية، وعلى قدرته على أن يجعل وينشأ وينزل في آن واحد من ناحية أخرى، وكل هذه المواضع تحيل إلى :

ــ مـــا هـــو سابق في الآية (٩٥)، مع الأخذ في الاعتبار أن الآية (٩٦)، إنما هي تفصيل لـــتلك الصـــفات الواردة في الآية السابقة لها مباشرة من خلال الإحالة بالضمائر المتنوعة فيها .

ــ أن كـــل ما هو وارد في ٩٧، ٩٨، ٩٩ (هو الذي + الفعل)، إنما يحيل إلى شئ واحد فـــي ٩٥ : أن الله فـــالق الحب والنوى ... وهذه الرؤية تدعم ما رأيته قبلاً، تعدد الصفات والمصـــدر واحـــد، وبالتالـــي فإن الآية /٩٥ تعد مركزاً أساسياً لهذه الآيات، وأنها في هذا الموضع (٩٥)، إنما يحيل إحالة :

ــ ضمنية إلى سابق أو لاحق :

ــ لمـــا هو وارد قبلها في الآية أو الآيات في السورة أو السور السابقة مباشرة من خلال الضمائر .

ــ للصفات الواردة للذات العلية في السورة مباشرة أو في السور السابقة .

ـ لفظـيـة إلى سابق أو لاحق، وقد أشرت إلى هذا النوع فيما مضى، وإنما تطبق العناصر السـابقة عليها فقط، وفي قولـه تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِـتَّةِ أَيَّـام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْـبُدُوهُ أَفَـلاَ تَذَكَّـرُونَ ﴾ يونـس/٣، ويمثل هذا النمط إحالة إلى خارج السورة في كل المواضع التي ورد فيها لفظ (رب)، وهي :

ـ إحالة إلى كل السور السابقة .

ـ إحالة إلى كل السور اللاحقة .

وهذه الإحالات تكون :

ـ لفظية إلى لفظة (رب) .

ـ ضـمنية إلى لفظ الجلالة (الله) وصفات الحق سبحانه في هذه المواضع، وهذه الإحالة أيضـاً إلـى سابق وإلى لاحق، إما إلى سابق خارج السورة، وإما إلى لاحق داخل السورة والسورة اللاحقة (التالية)، وتمثل الإحالة إلى لاحق :

ـ داخل حدود الآية (ذلكم الله ربكم ...) .

ـ داخل السورة في المواضع التي ذكرت فيها لفظة (رب)، وهي إحالة لفظية بحتة وإلى صفات الحق الأخرى، وهي إحالة ضمنية .

وتمـثل جملـة الصـلة : الذي خلق السموات والأرض ... جملة تفسيرية لما هو وارد قـبلها داخل حدود الآية الواحدة في (إن ربكم الله ....)، وكل هذه العناصر الإحالية القريـبة والبعـيدة سـواء علـى مستوى الإحالة الضيقة أم الإحالة المتوسطة أم الإحالة الموسعة التي تعمل على تماسك أجزاء بنية :

ـ الآية الواحدة من جهة .

ـ هذه الآية مع ما قبلها وما بعدها من جهة ثانية .

ـ السورة ودخولها في علاقات رابطة (بأنواعها المختلفة من جهة ثالثة) .

ـ أجزاء الجزء الواحد .

ـ اللغة لمثل هذه المواضع في القرآن الكريم مجتمعة .

ثم تأتي الآية/٥ من يونس ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لتحيل :

١ـ إحالة لفظية، إلى ربكم في الآية / ٣ من السورة ذاتها .

٢ـ إحالة ضمنية، وتمثلها الضمائر الواردة في الآية / ٣، وكل من الضمائر في (٤) والضمير (هو) وصلة الموصول في (٥)، إنما تحيل إلى المركز في السورة (ربكم) في الآية (٣)، وتحيل إليها كل المواضع الواردة في السورة، فيما يلي ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر .

وفي الإسراء/٦٦ ﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ نلاحظ أن (ربكم) لم يأت باستخدام أدوات العطف المختلفة، اعتمادا على الربط اللفظي بين هذه الآية والآية التي تسبقها مباشرة، ويتمثل في :

ـ " وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً " في الآية السابقة مباشرة/٦٥ .

ـ إحالة إلى (٦٠) " وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ " .

ـ إحالة إلى (٥٤) "وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ " .

ـ الإحالة إلى متأخر :

ـ إما إلى متأخر داخل السورة .

ـ وإما إلى السور اللاحقة .

وهناك الإحالة الضمنية :

ـ إلى سابق :

ـ داخل السورة .

ـ داخل السور السابقة *.

ـ إلى لاحق :

ـ داخل السورة .

---

* أشير إلى بعض المواضع الأخرى، اكتفاء بما ورد من تحليل، أرجو أن يكون محققاً الهدف كما في الأنبياء/٣٣ القصص/١٨، الروم/٢٧، غافر/١٣، ٣٠ ، ٣٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، الشورى/ ٢٥، الفتح /٤، الأحزاب /٣٢ .

ـ داخل السور اللاحقة .

ـ داخل أسوار الآية الواحدة .

وأمـــا الإحالة الضمنية، فهي أن تشير إلى المعاني التي به أو الدالة على الذين في قلوبهم مرض كالمنافقين والكافرين، وما ينتمي إلى كل منهما .

ـ إحالة إلى خارج السورة :

﴿المر تِلْكَ آيَــاتُ الكِتَــابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَــكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الرعد /١ .

﴿ الــر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ إبراهيم/ ١ .

﴿سُــبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ الإسراء/ ١ .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ الفرقان/ ١، ويلاحظ على مثل هذه المواضع فيما يتعلق بالإحالة أنها :

ـ خارجية، على أساس أن لفظ الجلالة (الله) أو ما يتعلق به لم يأت ذكره في النص؛ أي في بداية الآية مباشرة .

ـ خارج حدود السورة، حيث ورد في مواضع أخرى توضّح (الذي نزل الفرقان)، كما هــي الحــال بالنسبة لسورة الفرقان الواردة أعلاه، وتعد الإحالة التي خارج حدود السورة إحالتين : قبلية، وبعدية .

وكليهما إحالة لفظية، وقد تأتى فيها الإحالة الضمنية، في الذي نزل الكتاب بالحق أو (أنــزل) بصــيغة الــتعدية بالهمزة أو أنزل عليك القرآن ... الخ ، ولا ريب أن المعنى واحــد، كمـــا هـــو وارد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه الآيات الأولي في هذه الســـور غالـــباً مـــا تكـــون تمهيداً لما هو قبل ذلك، حيث تأتى الآيات التاليات لذلك تفسيراً معجمـــياً لمـــا هو وارد قبلها، كما في النمل (٣)، إنما هي تفسيرية من ناحية، ومن ناحية أخرى، فهي إحالة معجمية إلى (المؤمنين) في الآية /٢، ووصف السابقة لها مباشرة .

والفرقان/٢ * ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ... ﴾ حيث هي تفسير لما هو وارد قبلها في الآية/١ .

﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، والحال كذلك بالنسبة لما هو وارد في الرعد وإبراهيم في المواضع المذكورة سلفاً، وتمثل هذه صفة أساسية في مثل هذه المواضع، باستثناء آية الإسراء/١، والكهف/١.

ـ إحالة إلى خارج النص (الربط) الوظيفة الأساسية .

كما في قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ مريم/ ٧٧، ٧٨ .

وفي طه/٧١ ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ . وكذلك في الأنبياء/ ٣٦ ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

ونلاحظ على هذه الآيات، خلافاً لكل الآيات والمواضع السابقة، حيث تعتمد الإحالة على السياق غير اللغوي، كما يسميه بحيرى في مواضع متفرقة من دراساته .

ففي آية مريم / ٧٧، لم تأت الإشارة فيها إلى صفة صاحب هذا القول، وإنما يشير المقام [٢٨].... وفي الأنبياء الأمر بيّن، إذ السياق غير اللغوي سياق تكذيب بما جاء به الله، وقد آمن السحرة، بما في ذلك كبيرهم، وبما أن الأمر متعلق به، وهو الأساس في إيمانهم، والنتيجة : لأقطعن أيديكم ... ولأصلبنكم في جذوع النخل ...) ولا شك أن هذا العذاب، إنما هو بسبب إيمانهم، وهنا يبرز دور المقام في تحديد المراد . وواضح أن آية الأنبياء/٣٦ الأمر فيها مرتبط بالمقام كذلك، إذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الكفار حاولوا أن يبعدوه عما كان يعبدوا، والاستفهام دال على السخرية والاستهزاء، ولا شك أن

---

* ينظر تصور العُكبري حول قوله تعالى (الذي له) كما ورد في مواطن سالفة الذكر. التبيان ٢/ ٢١٠ .

[٢٨] جاء في أسباب النزول للسيوطي : أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت، قال : جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده، فقال : لا أعطينك حتى تكفر بمحمد، فقلت لا حتى تموت، ثم تبعث، فقال : إذا لمبعوث؟ فقلت : نعم، فقال : إن لي هناك مالا وولدا، فنزلت هذه الآية ص١٨٠، وقد أورد القرطبي قبل ذلك تفصيلا موسعا حول ذلك، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤٦.

المقـام يشير إلى أن النبي الأمي هو المقصود ﴿ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾، وعلى هذا، فإن مـثل هـذا الـنوع لا يعتمد على البنية اللغوية، وإنما يعتمد على المقام في توضيح بنيته اللغوية، خاصة وأنه ليس مذكوراً .

ـ الإحالة إلى مواضع أخرى من السور القرآنية :

١ـ كمـا فـي قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ الرعد/١٢ .

٢ـ وفـي يس /٨٠، ٨١﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

١ـ تحلـيل الآية الأولى البقرة /٢٠ ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ .

٢ـ الـروم/٢٤ ﴿ وَمِـنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْـأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وتحيل آية يس إحالة إلى الآيات التاليات من النص القرآني[٢٩]: ومن هنا فإن آية الرعد /١٢، تمثل :

١ـ عنصراً إحالياً يقدم تماسكاً نصياً .

٢ـ تمثل الإحالة إحالة لفظية .

٣ـ هذه الإحالة تشير إلى سابق متقدم أو متأخر .

في حين أن آية يس / ٨١ تمثل :

١ـ عنصراً إحالياً يعمل على سبك وحبك بنية النص .

٢ـ إحالة لفظية .

٣ـ هذه الإحالة اللفظية تحيل إلى سابق فقط، وتمثل هذه علامة فارقة بين النوعين .

أما أشكال (الذي) في القرآن الكريم، فنوجزها في الأشكال التالية :

ـ فعل + فاعل + مفعول .

ـ فعل ماض فقط .

---

٢٩ الأنعام/ ١، ٧٣ ، الأعراف/٥٤ ، يونس/ ٣، هود/ ٧، إبراهيم/١٩، ٣٢ النحل/٣ ، الإسراء/ ٩٩، الكهف/ ٥١ .

ـ فعل مضارع فقط .

ـ جار ومجرور (شبه جملة) + مبتدأ .

ـ فعل مضارع + اسم موصول + جار ومجرور .

ـ ضمير (مبتدأ) + جار ومجرور + خبر .

ـ فعل + جار ومجرور + مفعول .

ـ جملة الشرط + جواب الشرط .

ـ جار ومجرور + الاسم الموصول + جملة .

ـ جار ومجرور + جملة فعلية .

وبالتالـــي اســـتخدم مع الذات العلية، ومع لفظ الجلالة (الله)، وهذا الاستعمال يأتي في عدد من الأشكال التالية :

ـ مع لفظ الجلالة مباشرة : الله الذي سخر .

ـ مع لفظ الجلالة باستخدام الضمير: هو الذي .... .

ـ مع لفظ الجلالة بشكل ضمني : الذي أمدكم بأموال .

١ـ مقارنة بين المؤمنين والكافرين (بعدم استعمال إما) .

٢ـ معجمية تفسيرية : الذي خلق .

٣ـ تأتـــي " الـــذي " مقارنــــة مـــع أداة موصولة أخرى مثل (ليس)، ومن خلال النص القرآني، نجد أن " الذي " جاءت من خلال نوعين :

<u>الأول</u> : مع الذات العلية، وتمثل السمة الأكثر وروداً وانتشاراً في القرآن مع " الذي " .

<u>الثانـــية</u> : جاءت مع أخلاط شتى وإحالات عدة، وعلى الرغم من التنوع في الإحالات، فيما ورد فـــي مثل هذا الموضع، إلا أن أنماط هذا النوع جاءت قليلة مقارنة بما جاء في النوع الأول .

وإذا كنت قد أشرت إلى إحالات النوع الثاني، فإن إحالات النوع الأول الأكثر ترددا في النص القرآني، يمكن أن نشير إلى التصور العام على هذا النحو :

١ـ إحالة مباشرة باستخدام لفظ الجلالة (الله) .

٢ـ إحالة ضمنية باستخدام الضمير (هو) .

٣ـ إحالة باستخدام صفة من صفاته تعالى مع (الذي) .

وهنا نلاحظ أن هذه الإحالات الواردة أعلاه، كلها تؤدى إلى ربط النص سواء كان الـــربط مباشـــراً؛ أعنى الإحالة داخل الآية إلى سابق أم إلى لاحق، وهنا نشير إلى أن هذه الإحـــالات تمثل الإحالات فيها شيئاً واحداً، وهى الإحالة إلى متقدم مباشر داخل حدود الآية بشكل أولى، ثم إن هذا الذي هو داخل حدود الآية (الذات العلية) تحيل إلى مواضع أخرى مـــن الـــنص القرآني تفسرها وتوضح معناها، وبالتالي فإن إحالة مثل هذا النوع يمكن أن نتصورها على النحو التالي :

١ـ الإحالة القريبة : تحيل إلى ما هو متقدم أو إلى لاحق داخل الآية أو السورة .

٢ـ الإحالة البعيدة : وهى الإحالة إلى المواضع الأخرى من النص القرآني التي تفسر هذا الموضع أو ذاك .

علـــى أنني أقرر أن مثل هذه الإحالات، ليست بدرجة واحدة، أو هي ليست سواء، إذ أحســـب أن الإحالـــة الضمنية هي الأقوى، وأنها تأتى في المرتبة الثانية، وتأتى الإحالة باســـتخدام الصـــفات المذكورة في مواضع أخرى من النص، فتجعل منها إحالة تحتاج إلى مطابقة النصوص لإظهار العلاقات القائمة بين مثل هذه المواضع، وما تدل عليه من ترابط فـــي بنـــية الـــنص القرآني، وهكذا فإن الترتيب الوارد أعلاه له دلالته، كما أبنت عن ذلك بفضـــل بـــيان، وبناء على ما ورد أعلاه، فإن النوعين الذين تقوم بهما " الذي " يمكن أن يكون كاتالي :

١ـــ أن الســـمات الدلالـــية الحاكمة لتلك التراكيب التي ترد مع الذات العلية مفارقة تماماً لتلك الدالة على أشياء أخرى كثيرة، فمع الذات العلية تؤدى :

أـــ الربط بالإحالة المباشرة (الذات العلية) .

ب ـــ الإحالة الضمنية (هو) .

ج ـــ الإحالة بالصفات .

وتكون الإحالة في كل هذه المواضع إحالة متأخرة داخل حدود الآية، وربما الآيات التالـــية مباشرة، غير أن مقارنة النصوص مع "الذي" التي لم ترد مع الذات العلية ووردت في سياقات أخرى، تبين أنها تكون :

١ـــ مقارنة بين صفات أو فريقين : المؤمنين والكافـــرين باستخدام (الذي) مع كل منها .

٢ـــ المقارنة بين فريقين ... باستخدام أداة "من " من ناحية" و" الذي " من ناحية أخرى .

٣ـ تكون الإحالة معجمية وتفسيرية، وهنا تكشف السياقات عن خلافات في بنية التراكيب مع كل فريق، خاصة أنها تؤدى إلى التمايز، ويمكن أن تحيل إلى متقدم داخل السورة في الآيات المتقدمة : الذي لمتنني فيه يوسف/ ٣٢ .

وهو الذي مد الظل، الرعد/ ٣، تحيل إلى :

١ـ متقدم من الآية/٢ من السورة ذاتها .

٢ـ إحالة إلى متقدم ليس موجوداً في النص القرآني، إنما يقع خارجه، ثم يأتي العطف في (٣) وفي (٤) وفي (٦)، وبعد ذلك يأتي الوصف/ النتيجة أكثر من مرة أولئك .. أولئك .. أولئك، الرعد/ ٦، ويلاحظ على قوله تعالى (أم حسبت) كما ذكره د. فريد عوض بعدما عرض لأقوال المفسرين خلص إلى رأى، أعرض له كالتالي :

فالإحالة هنا خارجية على اعتبارين، الأول : أن المرسل سبحانه وتعالى لم يذكر اسم رسوله صراحة في نص القصة . الثاني : أن الخطاب له صلى الله عليه وسلم، ولكن المقصود به غيره ، وغيره أيضاً (أهل الكتاب) لم يرد لهم ذكر في نص القصة ... ويمكن اعتبار هذه الإحالة داخلية، على اعتبار أن القصة جزء من نص كبير هو سورة الكهف، فتكون الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المذكور بلفظ لغوى يدل عليه، في أول آية من السورة في قوله تعالى﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الكهف/١ [٣٠] .

وبناء عليه، فإن الإحالتين ممكنتان من الناحية الفعلية، وهى رؤية مفارقة لرؤية " نحو النص " الذي يريد أن يقيم تصورات جديدة مباينة لتلك المتبعة في" نحو الجملة "، وإذا كان " نحو الجملة " يرى أن هناك بعض المواضع تحتمل إعرابين، وتشير هذه الرؤية إلى أنها تحتمل المعنيين معاً، وأنه لا يمكن الجزم بترجيح أحد المعنيين على الآخر، وهذه رؤية يردها " نحو النص " ولا يقبلها، وتمثل هذه علامة فارقة بين النحوين .

وبالتالي فنحو الجملة يرى الرأيين، دون أن يرجح أحدهما على الآخر، أما نحو النص فيرجح أحد المعنيين بقرينة من قرائن النصية التي أشار إليها كل من إيزنبرج وطورها فيما تلا ذلك كل من بوجراند/ درسلر، ومن ثم يردون رؤية قبول الاحتمالين معاً، ويرجحون أحد هما بقرينة من قرائن النصية [٣١] .

---

[٣٠] د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف ص٤٢، ٤٣ .

[٣١] أشير إلى بحث د. تمام حسان : نحو الجملة و نحو النص ص٤ : ١٣، حيث معالجة فريدة لمثل هذا النوع، ويحتاج النص القرآني إلى دراسات معمقة لاختبار فاعلية وجهة نظر نحو =

أمـــا تصور " نحو الجملة " فيمن جاء ذكرهم، فقد سارت فيه رؤية د. فريد عوض حيــن اعتــبر الإحالة خارجية وداخلية في آن واحد، وبالتالي فإنه يرتضيهما معاً، وهو ما يرفضه " نحو النص " ويصر على تحديد إحدى الإحالتين التي يعود عليها الضمير وترجح مــن معايــير الــنص المقترحة عند علماء النص، وما تصوره د. فريد يظل واقعاً لا ريب ضمن أسوار " نحو الجملة " .

وثمـــة ملاحظـــة أخرى تتعلق بهذا الشأن، وذلك اعتباره أن النبي صلى الله عليه وســلم، لــم يأت ذكره مباشرة داخل حدود القصة، وبناء عليه، اعتبر أن الإحالة خارجية، بــناء على وروده في خارج القصة، وهو أمر فيه نظر، ذلك أن النص القرآن كله يعد نصاً واحداً، ومن هنا فالإحالة ليست إلى خارج النص، وإنما الإحالة إلى :

ــ خارج حدود الآية / الجملة .

ــ داخل حدود السورة .

ــ وبناء على ذلك، فإن الإحالة هي إحالة إلى متقدم داخل حدود السورة، ومن ثم فإن الإحالة تعمل على ربط بنية النص من خلال إعادة اللاحق على السابق، وهو أمر لم يشر إلى أهميته الباحث .

ــ ولــم يشــر إلى علاقة سورة الكهف بما هو وارد في موضع آخر من النص القرآني، وأقصــد بــه الآيــة الأولى من سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَــرَامِ إِلَــى الْمَسْــجِدِ الأَقْصَــى) وهكــذا تمثل الإحالة هنا إحالة "ترادف" كما أشار إليها واورزنياك، وهكذا تمثل الإحالة بين اللفظين المترادفين ليس ربطاً بين بنية السورة، وإنما تــتعدى بعلاقة المرادفة إلى ربط بين بنية السورتين، وأشير إلى توضيح ذلك، لما فيه من توكيد، بما يلي :

* فــي سورة الإسراء/١ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ .

* فــي سورة الكهف/١ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ يُلاحَظ أن الآيــة الأخيرة من سورة الإسراء﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ

= الجملـــة، وكنــت قــد اطلعت على تصورات أولية لمثل هذه الآراء عند أصحاب معاني القرآن، وبخاصة الفراء .

فِـي المُلْكِ ولَمْ يَكُن لَهُ ولِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾، وفي بداية سورة الكهف ﴿ الحَمْدُ لِلَّه الَّـذِي أنــزَلَ عَلــى عَبْدِهِ الكِتَابَ ولَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا﴾، نلاحظ الربط بإعادة اللفظ في آخر الإســراء/١١١، وأول الكهف من خلال ما ورد فوق الخط ... ويمكن أن نشير إلى علاقة الترابط بين هاتين السورتين، وما لها علاقة هكذا ﴿ الحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أنزَلَ عَلى عَبْدِهِ الكِتَابَ ولَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا﴾ الكهف/١.

الحمد لله : إحالة معجمية إلى الإسراء/١١١، ربطها بنهاية السورة التى قبلها .

عبده : إحالة معجمية إلى أول الإسراء ، وهكذا ترتبط :

ــ بداية سورة الكهف/١ بنهاية سورة الإسراء : الحمد لله .

ــ بداية سورة الكهف ببداية سورة الإسراء : عبده .

ولا يخفــى أن التماسك النحوي والدلالي بين العناصر المكونة للبنْية اللغوية التي تعمــل علــى تماســك بنيته وترابط أجزائه، وهى لا ريب واحدة مما تكسب النص القرآن إعجــازه . وتــبقى ملاحظة تتعلق ببداية سورة الكهف ونهاياتها، وأعنى لفظ : عبده /١، بعباده /١١٠ .

وكــأن العلاقــة قائمــة بيــن اللفظين بعلاقة المقابلة وأن (عبده) تفيد الخصوص والثانــية (بعبادة ربه) تفيد العموم، وأن جعل محمدٍ صلى الله عليه وسلم عبداً له، وهو ما يترتــب عليه صلاح الكون كله، وهم القوم الذين يرجون لقاء ربهم ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّــهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَداً ﴾ الكهف/١١٠، ومن هنا تقع أحداث الســورة بين ما يفيد الخصوص وما يفيد العموم، وكأن قصة الكهف كلها، إنما هي تحفيز لهمــم الكافرين بضرب الأمثال، وهو ما جعل الحق يعيد ذكر قصة ذى القرنين في السورة مرتين، لما في ذلك من الردع بالتذكير لما حدث للأمم السابقة .

وإذا كــان في ذلك ردعاً (القصص والتذكير في السورة) فإن النتيجة المترتبة على ذلك هي نهايتها (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَداً) / ١١٠ وهى نتيجة تتسق مع ما ورد في بداية السورة .

وإذا كــان مــا ورد من نتائج القربى بين الآيات بعضها ببعض، وكذلك السورتين صحيحاً ــ وهو إن شاء الله كذلك ــ فإننا يمكن أن نبرز أن بداية سورة الكهف تمثل بؤرة الدائــرة بيــن الســورتين، أو تمثل المحور الذي من خلاله تعمل الروابط المختصة بسبك وحبك النص، من خلال بيان وجوه علاقتها :

ـ ببداية سورة الإسراء .

ـ بنهاية سورة الإسراء .

ـ بنهاية سورة الكهف / ١١٠ .

ـ الكهف :

ـ بالإحالات الواردة في سورة الكهف .

ـ بالإحالات (الضمائر) العائدة إلى السور القرآنية المختلفة :

ـ المتقدمة في سورة سابقة مباشرة أو يفرق عنها عدد من السور .

ـ اللاحقة في السورة التالية أو يفرق عنها عدد من السور . وهكذا تؤدى هذه العلاقات المتشابكة بين الضمائر إلى التماسك النحوي والدلالي معاً إلى انسجام وحدة النص .

وهكذا فإن ارتضاءه إحالتين يخرجه عن دائرة " نحو النص " إلى دائرة " نحو الجملة "، وبالتالي تظل رؤيته واقعة في إطار النحاة القدامى، وذلك من خلال :

١ـ ارتضائه إحالتين (خارجية، داخلية) تخرجه من دائرة حدود " نحو النص" وتدخله ضمن خطوط " نحو الجملة " بناء على ما هو وارد سلفاً في التحليل .

٢ـ إشارته إلى الإحالة بالنسبة للضمير (الضمائر) إلا أنه لم يشر صراحة إلى أهمية هذه الإحالات، وأنها لم تتعد حدود الآية الواحدة إلى عدد من الآيات :

ـ داخل السورة، وبالتالي تجاوزت الآية الواحدة .

ـ خارج إطار السورة، وبالتالي، فإن الربط قائم، ليس بين بنية السورة الواحدة، وإنما يتجاوز ذلك إلى ربط بين بنية عدد من السور، قد تكون متقدمة أو لاحقة، وهكذا يتقاطع عدد من السور ويتداخل مع سور أو سورة أخرى، وتمثل هذه الرؤية أن آيات السورة الواحدة تتقاطع وتنسجم ليس فيما بينها، وإنما تتجاوز ذلك إلى تقاطع مع آيات أخر، تؤدى إلى الانسجام والالتحام ولا تؤدى إلى التنافر، وهذا ما لم يشر إليه الباحث .

وإذا كانت المواضع التي تأتى فيها (الذي) أو (الذين) داخل الآية/ الجملة، أعني عدم ورودها في صدر الآية؛ كما هي الحال مع الإحالة المعجمية، وهنا ملاحظة أود استثمارها، أن رؤية أصحاب كتب معاني القرآن في قوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) البقرة/١٨٥، يرون : الذي أنزل، أحدهما : هو خبر مبتدأ محذوف، تقديره هي

شـــهر، يعـــنى الأيـــام المعـــدودات، وبالتالي يكون نعتاً للشهر، أو لرمضان، والثاني : هو مبتدأ[32] .

وموجز رؤية أصحاب كتب معاني القرآن أن : الذي أنزل، فيها وجهان، أي يحتمل أكـــثر مـــن دلالـــة حسب رؤيتهم، غير أننا يمكننا أن ننظر إلى هذه الرؤية من وجهة نظر نصـــية مخـــتلفة، خاصة أنها ترتضي الرؤيتين، وهي قريبة من رؤية " نحو الجملة " في ارتضائهم الرؤيتين معاً، وهى مفارقة لرؤية " نحو النص " .

ونـــنطلق فـــي ذلـــك، من خلال رؤية علماء البلاغة * الذين يرون أن (الخبر) في أساســـه هـــو صـــفة للمبتدأ، ويؤدى هذا التصور إلى أن اعتبار الذي أنزل... خبراً لشهر رمضـــان، أو هو صفة، وبالتالي فالرؤيتان في واقع الأمر تؤديان إلى تماسك الجزء الثاني من الآية بالجزء الأول منها .

وعلى الرغم من ذلك، فإن اعتبار (الذي أنزل...) صفة صريحة، جديرة عندي من اعتـــبارها خـــبراً، وإن كانـــت صفة ضمناً. ونبّين أهمية اعتبارها صفة حين ترد (الذي ، الذيـــن ، التـــي) في صدر الآية، فإن اعتبارها صفة يجعل منها صفة مائزة مرتبطة بما هو وارد في الآية السابقة مباشرة، أما جعلها خبراً، فإن هذه الرؤية تجعلها معزولة عن الآية السابقة .

وبـــناء على ذلك، فإني لا أرى وجهاً لما ذهب إليه أحد الباحثين أن : الموصولات ودورهـــا في التماسك النصي يعتمد في أغلب الأحيان على الجملة الواحدة "[33] والترابط في هذه السورة، إنما :

- يتجاوز حدود الآية الواحدة .
- وحدة الموضوع التي تدور أحداث السورة حولها، إنما هو موضوع واحد، ولنأخذ

---

٣٢ ينظر حول ذلك : الفراء : معاني القرآن ١/١١٢، ١١٣، الزجاج : معاني القرآن وإعرابه١/ ٢٥٣، العُكبري : التبيان ١/١٣٠، ١٣١، الزجاج : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/٧٤٣ .

* ينظر حول هذا التصور لدى الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٤٨، ١٤٩ .

[33] د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي ١/ ١٩٨، وإن حاول في مواضع كثيرة أن يكشف الترابط بين هذه العناصر (١/ ١٩٨، ٢١٤ ، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٠) ومواضع أخرى، لا داعي لحصرها .

نموذجـــاً لما أورده الباحث في سورة الملك، حينما أشار[٣٤] إلى الأرقام التالية من سورة الملـــك : ١، ٢، ٣، ٥، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٠ ، كان الأجدر به بـــدلاً مـــن أن يقول : فهذه المخلوقات كلها ــ والتي ذكرتها الآيات ــ تقع في ملك الإله تـبارك وتعالى، وكأن الآيات من (٢) إلى آخر السورة تفصيل لهذا الملك، وهذا التفصيل كلمـــا طـــال احتاج إلى رابط يربطه بمركز / نواة النص أو جملة الأساس، وهذا ما حدث في هذه السورة، والسور التي سبق تحليلها [٣٥] .

هـــذا الكـــلام فيه تحليل جزئي مقتطع من ناحية، ومن جهة أخرى كان الأولى أن يشير إلى ملحظين يدعمان هذه الرؤية ويؤكد إيضاحها، ويبدو ذلك ناصعاً من خلال :

١ــ الفعـــل (تبارك) الذي لم يرد في النص القرآني إلا خاصاً بالحق سبحانه، وهذا يؤكد أنه خاص بتنزيه المولى وتعظيم شأنه .

٢ــ أن هـــذه المواضـــع التي ورد فيها الفعل (تبارك)، إنما تحيل إلى المواضع الأخرى، وهـــي إحالة لفظية، وبالتالي تحدث إحالة بين هذه المواضع المختلفة من خلال التركيز (أو تذكر) الفعل (تبارك) الدال على استحضار عظمته سبحانه .

٣ــ كان ينبغي أن يشير إلى أن التفصيل الوارد في سورة (الملك)إنما يأتي من خلال :

ــ الربط بين جملة الصلة الواردة في الآية الثانية، وبين الذي بيده الملك في الآية الأولى .

ــ أن الآيـــة الثانية إحالة معجمية لصفات الذي بيده الملك في الآية الثانية، ويأتي ذلك من خـــلال : الـــذي خلق ..... وتبدو ملامح التفصيل (الإحالة المعجمية) في أنها تكررت في الآية /٣، مع ملاحظة أنها أوردت صفات أخرى للذي بيده الملك، الذي خلق سبع سماوات طـــباقاً، ثم يأتي العطف، فيما تلا ذلك من آيات بـــ (ثم) مرة، و(الفاء) مرة أخرى وهكذا، ومن هنا، فإن الضمائر الموصولة وغيرها من العناصر اللغوية تعمل على :

١ــ ربط بنية هذه الآيات بعضها ببعض .

٢ــ ربط بنية السورة كاملة .

٣ــ تحيل إلى مواضع أخرى من خلال الفعل (تبارك) .

٤ــ تحيل إلى مواضع أخرى من النص القرآني، وبالتالي تتجاوز حدود الآية من خلال :

---

[٣٤] السابق : ١/ ٢١٤ : ٢١٧ .

[٣٥] ينظر : السابق ١/ ٢١٠٥ .

أ ــ الفعل (تبارك) يحيل ضمناً إلى الأفعال والمصادر الخاصة بالذات العلية كالفعل : سَبّحَ، سُبْحَانَ، في كل المواضع، وهي أفعال قريبة في معناها من الفعل (تبارك)، وهي إحالة ترادفية .

ب ــ الفعل (تبارك)، إحالة معجمية، لورود الفعل في مواضع أخرى .

ج ــ من خلال الضمائر، وهي إحالات معجمية من ناحية، ومن جهة أخرى إحالات ضمنية، حسب ما يقتضي السياق، وعلى هذا، ينبغي أن يوسّع من النظر ليبيّن :

ــ ليس تماسك الآيات داخل السورة الواحدة .

ــ وإنما تماسك الآيات داخل النص القرآني من جهة أولى، وليظهر العلاقات الحابكة لها من جهة ثانية، لأننا لو أبقينا هذه العلاقات داخل حدود الآيات أو السور :

١ــ لظل الأمر ضيقاً، كما هو في نحو الجملة .

٢ــ لأضحت كل سورة ماسكة بزمام نفسها معزولة عن غيرها من السور اللاحقة والسابقة، ولظهرت لنا وحدة النص القرآني من ناحية ثانية .

وبناء على ذلك، فإن رؤيته في بيان تماسك أجزاء السورة الواحدة تناقض ما حاول بيانه في موضع آخر من الكتاب، وهو بيان علاقة السورة بما قبلها وبما لحقها، وهو أمر يقع في مستويين :

الأول : التتابعات الجملية (بنية السطح) .

الثاني : التتابعات البادية على السطح (بنية العمق)، وهذان العنصران هما المتعلقان بالنص المكتوب[٣٦] .

غير أننا يمكن أن ننظر إلى هذه الاستعمالات الفعلية من وجهة نظر تحليلية، باعتبار سياقاتها غير اللغوية، فالأمر لا يتعلق بتفصيل عادي، وإنما يتعلق بالخالق وبالذات العلية، ولما كان الأمر على هذه الشاكلة، صدّرت الآية التفصيلية بالفعل الخاص به سبحانه

---

[٣٦] ينظر حول ذلك ما أورده أهل الاختصاص من علماء النص :

R . de Beaugrand , W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S . ٨ .

د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة في علم النص ص ١٦٩ .

والعناصر الأساسية المكونة لنظرية النص ص ٢٨، ٢٩ .

(تــبارك)، أو هو فعل خاص بالذات العلية، ونلاحظ أنه لم يرد في النص القرآني إلا معه ســبحانه، وبالتالي فإن له استعمالاً خاصاً يتسق مع خصوصية المحال إليه (الله)، وهكذا نخلص إلى أن استعماله ذات خصوصية، كما نلاحظ أنه يأتي في إطار نوعين من التراكيب الرابطة :

الأول : تمثل السمة الفعلية له، من حيث استعماله مع (جملة الصلة) .

الثانــي : يأتــي دون جملة الصلة، ويترتب على ذلك إنتاج دلالة متمايزة إلى حد ما، وهي الأقل وروداً .

وعلــى الرغم من كون النوعين مختلفين بشكل عام، إلا أن السمة النهائية لوظيفة الفعــل تظــل ماثلة على الرغم من السياقات المختلفة، وهكذا يتبوأ الفعل (تبارك) في كلتا الحالتيــن مكانة : التعظيم والتفخيم للذات العلية، ورغم ذلك تظل ثمة فروق واضحة، أبرز جوانبها فيما يلي من تحليل :

فــإذا كانت السمة الأساسية مع الفعل (تبارك) أن يأتي مع صفات الحق سبحانه، وعلى الرغم من ذلك، فإن ملاحظة المواضع التي وردت فيها الآيات، يمكن أن نصنفها من حيث بناء الأفعال الإنجازية إلى ما يلي :

١ــ جملة الصلة في بداية الآية الفعل (تبارك) يأتي بدون جملة الصلة :

الأعراف/٥٤، غافر/٦٤.

٢ــ يأتي الفعل (تبارك) بدون صلة الموصول :

المؤمنون /١٤، الرحمن/ ٧٨ .

٣ــ يأتي قبل الفعل (تبارك) صلة الموصول :

الفرقان/ ١، ١٠، ٦١، غافر/٦٤، الزخرف/٨٥، الملك/١ .

ومــن هــنا، فــإن ثمة ملاحظة تختص بإحالة جملة الصلة بما هو وارد في آيات الفرقان /١، ١٠، ٦١، إذ يمثل ورود الفعل في بداية السورة/١ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلــى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ سمة بارزة، قال العُكبري : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ﴾ (الـــذي لـه)، يجــوز أن يكــون بدلاً من (الذي) الأولى، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، أو يكون في موضع نصب على تقدير أعني[٣٧] .

وأبــدي عــدداً مــن الملحوظــات فيما يتعلق برؤية العُكبري، وهي رؤية أرحب، وتوحي ضمنياً بتماسك نصي، يتجاوز حدود الآية لدى النحاة، وأشير إليها :

١ــ أن (الذي له .....) تعد بدلاً من (الذي) الواردة في الآية الأولى .

٢ــ أن تكون في موضع نصب على تقدير أعني .

٣ــ أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف . هذا هو موجز قول العُكبري، وأفصل فيه القول بفضل بــيان كالتالـــي، إن اعتبار (الذي له) بدلاً أو في موضع نصب، على تقدير : أعني، إنما يشير بشكل ضمني إلى أن :

١ــ التماسك النحوي يتجاوز حدود الآية، وبالتالي فالإحالة أو التماسك يتعدى حدود رؤية نحو الجملة .

٢ــ أن اعتــبار (الـــذي له) منصوبة، على تقدير أعني، تقدر بناء على هذا التقدير جملة تفســيرية أو بتعبير دقيق تفسيرية معجمية، وذلك واضح من تقدير العُكبري بفعل محذوف تقديــره : أعنـــي، وبالتالي فهي جملة تفسيرية، غير أنها تعد هنا إضافة عناصر تفسيرية أكــثر زيــادة علـــى ما ورد مع (الذي أنزل....)، وليست بدلاً منها بشكل دقيق، وبالتالي أرجح كونها منصوبة أو بدلاً .

وبعــد ســرد الأحــداث، وبالتحديد في الآية/١٠، يتكرر الفعل (تبارك) بما يحدث تكــراراً في المرة الثانية، يربط الثاني (١٠) بما ورد في الأولى (١)، وبعد مساحة مكانية على سطح القرطاس من آيات السورة، آية (٦١)، نجد الفعل يتكرر مرة ثالثة تذكيراً بقدرة الله وتــنزيهاً مرة تلو الأخرى، وفي إعادة اللفظ، إحالية فعلية (جملة فعلية) ومذكورة قبلاً ومباشرة، على أساس أنه معروف للمتلقي، ويستطيع أن يحيل إليه بشكل مباشر .

وإذا كــان الفعل (تبارك) يعمل على تماسك النص من خلال الإحالة اللفظية، فإن هــذه تمــثل مركز الدائرة؛ بمعنى أن الإحالة تأتي داخل حدود السورة الواحدة . وإذا قمنا بتوسيع الدائرة قليلاً داخل السورة، فإن مركز الدائرة يتسع ليشمل تسعة أجزاء؛ بمعنى أن

---

[٣٧] العُكبري : التبيان ٢/ ٢١٠ .

كل فعل (تبارك) يقع في جزء لا يقع فيه الفعل الآخر، وهنا يبدو إحكام التوزيع التكراري من ناحية :

١ــ أن كل سورة تمثل جزءاً لا يقع فيه غيرها .

٢ــ أن الــتوزيع المتباعد للفعل (تبارك) في الأجزاء المختلفة، إنما يشير بوضوح إلى أنه على الرغم من هذه المباعدة الإحالية التكرارية، فإنه يدل من جهة أخرى على التذكير بنعم الله وقدرته، وهي لا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ النحل/١٨ .

٣ــ أن هــذا التوزيع للفعل (تبارك) يجعل كل موضع من هذه المواضع يرتبط عن طريق الإحالــة التكرارية، بالأفعال الأخرى الواردة في مواضع منتشرة من النص، ويشير التكرار إلى التماسك النحوي الذي يقوم به الفعل (تبارك) في جميع المواطن التي يرد فيها . وهكذا تتسع الدائرة من مركزها من سورة الفرقان لتشمل تسعة أجزاء، بدلاً من جزء واحد (١٩) لســورة الفرقان ، ولم يتكرر الفعل (تبارك) إلا في سورة الفرقان ثلاث مرات، ومن هنا اعتــبرتها مركــز الدائــرة، بيد أن عنصراً آخر، يلفت النظر في الأجزاء الوارد فيها الفعل (تبارك) على النحو التالي :

م	المرة	اسم السورة	الجزء
١	الأولى	الأعراف/٥٤	٩
٢	الأخيرة	الملك/١	٢٩
٣	الثانية	المؤمنون/١٤	١٧
٤	قبل الأخير	الرحمن/٧٨	٢٧

ــ وفي الجزء الرابع والعشرين :

الفــرقان /١، ١٠، ٦١، يلاحظ العدد (٢٤)، هو رقم الجزء أن الفعل (تبارك) لم يرد في الأجزاء الأربعة قبله، وهو رقم مقسوم على :

$$٢٤ = \frac{٦ X ٤}{٤}$$

ــ في الجزء الخامس والعشرين :

الزخرف (٨٥)، وأن الأجزاء الباقية (٥) خمسة أجزاء، وهو متوسط رقم(٢)، ٥x ٥ = ٢٥ .

٣/٢ : وظائف جملة صلة " التي" ودورها في تماسك بنية النص :

تعـد (التي) من الأسماء الموصولة الأقل ورودا في النص القرآني، مقارنة بالذين والـذي، إذ ورد لهـا (٥٦) نمطـا، ونلاحـظ علـي هذه المواضع أدناه أنها تليها الصيغ التركيبية التالية :

١ـ فعل ماض : مبني للمجهول .

: مبني للمعلوم .

٢ـ فعل مضارع .

٣ـ ضمير(هو ، أنتم) + خبر .

٤ـ جار ومجرور .

ويعـد (١،٢) السـمة الجوهـرية الأكثر انتشاراً في القرآن، وتكررت (٣) مرات، مناصـفة بيـن الضمير (هو) و(أنتم) فيما جاء الجار والمجرور مرة واحدة، وبالتالي تمثل السمة (١ ،٢) ورداً أكثر .

غـير أننا نلاحظ أن (التي) حينما وردت في النص القرآني داخل إطار الآية، وهنا نشـير إلـي أنها كانت ترد في بداية الآية (الهمزة/ ٧ ، الفجر /٨) تكون إحالتها معجمية (تفسـيرية)، أي تفسـير لارم ذات العمـاد فـي سورة الفجر، وتوضح لنا كلمة (الموقدة) الهمزة /٦، وبالتالي تمثل هذه سمة جوهرية تتعلق بـ(التي) في النص القرآني .

بـيد أنـنا نجـد في الرحمن/٤، ٣ ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أنها تفسـيريه وإحالـة معجمية، وبالتالي تمثل هذه سمة مشتركة ومفارقة في آن واحد، وهذه السـمة ليسـت مستعملة في الرحمن/٣ ، ٤ وحدها، وإنما مستخدمة أيضاً في البقرة/٢٤، ومـن ثـم يمكن أن نخلص إلى أن قاعدة النص الخاصة بـ (التي) في القرآن علي النحو التالي :

١ـ إذا كانت في بداية الجملة تكون لها وظيفتان علي النحو التالي :

أـ تحـيل إلـي ما هو وارد في الآية السابقة مباشرة، ومن هنا تكون الإحالة إلي متقدم خارج نطاق الآية .

ب ــ هــذه الإحالــة المــتقدمة، إنمــا هي تفسير معجمي لما هو وارد في الآية الســابقة، وبالتالــي تكــون الفائدة مزدوجة، فائدة الربط بين جملتين أو أكثر من ناحية، والتفسير من ناحية ثانية .

٢ــ تكــون توضيحية / تفسيرية لما هو وارد قبلها، ويكون هذا داخل حدود الآية، وتكون (التــي) داخــل الجملة . وتمثل هذه الوظيفة السمة الأكثر وروداً في النص القرآني، وعلي هــذا الأســاس يمكن اعتبارها الوظيفة التي تمثل قاعدة النص الأساسية في القرآن . ومن هــنا نخلــص إلي أن ورودها داخل الآية وفير، وأنها تؤدي في كلتا الحالتين إلي التفسير/ التوضيح، إلا أنها في بداية الجملة تزيد وظيفة أخري (الربط) .

علــي أية حال، فإنها داخل الآية، إنما تؤدي وظيفة الربط أيضا بجانب التوضيح، إلا أنهــا فــي بداية الآية يمكن اعتبارها تربط بين آيتين أو أكثر، في حين أنها داخل الآية تربط، إلا أن ربطها أضيق، وبالتالي يمكن اعتبارها في كلتا الحالتين تؤدي الوظيفتين معاً، بيد أنها داخل الآية تكون وظيفتها :

١ــ أضيق .

٢ــ داخل حدود الجملة .

وفي بداية الآية تكون :

١ــ أوسع .

٢ــ خارج حدود الآية الواحدة، وهذه هي المفارقة الجوهرية التي نتجت عن تفسير موقف في النص القرآني، أما باقي النماذج، فإنه لا خلاف حول عملها بشكل إجمالي .

٣ــ ويمكــن أن تحيل (التي) إلي لاحق داخل الآية، وتكون تفسيرية، يوسف/٢٣ فــ" الذي هو في بيته " يحيل إلي لاحق :

ــ داخل نطاق الآية .

ــ داخل نطاق الآيات التالية مباشرة .

ــ داخل نطاق السورة .

وتجــدر الإشــارة إلي أن (التي) تفارق (الذين) و (الذي) و(من) و(ما) في القرآن الكريم من حيث عدد من الموائز، نوجز مجملها في العناصر الآتية :

١ــ أن عددها مقارنة بما سبق ذكره لا يقارن، إذ جاءت أعدادها قليلة .

٢ــ أن عملهـــا يأتي داخل إطار الآية الواحدة، بخلاف ما جاءت الإشارة إليه، وتمثل سمة جوهرية للاسم الموصول (التي) في القرآن .

٣ــ علـــي الرغم من السمة الأساسية المذكورة في (٢)، إلا أنها شذت في موضوعين في القـــرآن (الفجـــر/٧، ٨ والهمـــزة /٦،٧) حيث جاءت تفسيرية في بداية الآية الكريمة، وهـــذان النمطان، وإن لم يمثلا سمة فعلية لها، إلا أنه يرقي بها إلي أن تطاول " الذين" من جهة و(الذي) من جهة ثانية، باعتبارها اسما موصولا.

٤ــ علي الرغم من مجيء (التي) داخل الجملة، وهو ما يجعلها تعمل في حدود أضيق مما ســـبق بـــيانه، وهي في هذا الصفة المائزة تفرق عن كل من (الذين) و(الذي) و(من)، كما سيرد بيانه .

إلا أنـــنا ينبغـــي أن نشير إلي أنها في كل السياقات القرآنية التي وردت فيها، إنما تعمـــل مـــن خـــلال شبكة أكبر منها، وهي تفصيل أو توضيح لما هو وارد قبلها أو بعدها، وبالتالـــي تتعدد السياقات المختلفة التي تكتسب وظيفتها من خلالها، وبالتالي فإن سياقاتها قد تكون :

ــ وصفا .

ــ إحالة معجمية (مع الذين) .

ــ مقارنة مع (الذين) باستخدام (إمّا) أو بدونها .

ــ وترتبط جملة الموصول (التي) بما يسبقها ويلحقها إما :

ــ بالضمائر.

ــ التفسير .

ــ المقارنة .

ــ الأدوات العاطفة .

وعلـــي الـــرغم من ذلك، إلا أنها في عملها الحقيقي لا تتجاوز حدود الآية، وهي وظـــيفة التفســـير والإحالة المعجمية الوصف داخل الآية، وهي الوظيفة الأساسية بالنسبة (للذين) و (الذي)، وعلي الرغم من الوظائف الرابطة الأخرى التي استخلصناها، بناء علي السياقات المتنوعة، إلا أن ورود هذه السمة لدي (التي)، يدعم اعتبارنا الإحالة المعجمية /

التفسيرية عامة والوصفية / التفصيلية خاصة الوظيفة الأساسية لهذه الضمائر فيما يتعلق بالنص القرآني .

ومـــن جهة أخري، فإنها قد اشتركت مع (الذين والذي) في ورود (التي) في بداية الآيـــة، بمـــا يشـــكل منها في عاقبة الأمر الملامح الجوهرية المائزة التي تجعل منـها اسما موصولا متميزا بشكل أو بآخر عن الأسماء الموصولة الأخرى .

إلا أن الوظـــيفة مـــع " الفجـــر" و " الهُمَـــزة " تظل تجعل منها سمة تتجاوز في حدودهـــا إطار الآية، وهكذا يتحقق الربط بين أكثر من آية، بيد أن الأمر في الواقع الفعلي يـــتجاوز حدود الآية ــ كما ذكرت ــ خاصة إذا كانت (التي) عضواً في بنية كلية كبرى لا تكتســـب ميزتـها الحقيقة إلا في إطار القصة (أكثر من آية أو عدد من الآيات)، وهكذا تمثل (التي) في كل المواضع التي وردت فيها :

ــ عنصر ربط (داخل حدود الآية) .

ــ هـــذا الربط الداخلي / الضيق، يعمل في سلسلة من العلاقات، تمتد فتشمل أوسع من ذلك بكثير .

ــ شبكة من العلاقات التي تتجاوز الآية، كما أشرت إليه، وأنها تأتي في بداية الآية، ويدل هـــذا إن دل علي أنها داخل حدود الآية وخارجها، الأمر سواء بسواء، فيما يتعلق باختلاف السياقات المتنوعة .

٥ــ تتفق في بعض الجوانب مع (الذين والذي وغيرهما) في أنها تحيل إلي سابق، غير أن إحالتها تظل إلي :

أ ــ سابق (داخل حدود الآية) وتمثل السمة الفعلية لها .

ب ــ سابق (خارج حدود الآية) وتمثل السمة الأقل وروداً .

ج ــ ونستخلص من (١، ٢) أن ربطها أضيق (داخل حدود الآية الواحدة)، إلا في بعض المواضع اليسيرة، وبالتالي فإن ورودها ضمن شبكة أكبر تجعل جملة (التي) وصلتها مـــا بيـــن قوسين، أو جملة تفسيرية، وتمثل هذه الوظيفة الأساسية لها، وتعد إحالة (التي) إحالة مباشرة، خاصة أنها تعمل في نطاق .

٣/ ٤ : وظائف جملة صلة (من) ودورها في تماسك النص :

١ــ استعمال "من" و" ما " بمعني " الذي" في آية واحدة، ثم يأتي الوصف، وفي الآية ذاتها تأتي باستعمال (أولئك)، آل عمران/١٩٩ .

٢ــ تأتي " من " الموصولة حاملة معني الشرط، وبالتالي فإنها تشمل علي :

أ ــ الجملة الأولي : جملة الشرط وتضم (من) الحاملة للشرط .

ب ــ الجملــة الثانــية : جــواب الشرط وهي تبدأ بالفاء ، وتكون الجملة الثانية (تشتمل) لما هو وارد في الجملة الأولي .

ونشــير إلــى ملاحظة وثيقة الصلة بما نحن فيه، أن " من " الشرطية تشترك مع " الذيــن" فــي أنهمــا يأتي خلفه وصف ونتيجة، إلا أن النتيجة مع " الذين" تأتي باستخدام " أولئك"، في حين تأتي النتيجة مع جواب الشرط حاملة المعنى ذاته، مع اختلاف التراكيب واتحــاد المعني . وتجدر الإشارة أن هذا الاستنتاج السابق للمقارنة بين جملة صلة (الذين) و(من) في حالة كونها أداة شرط، إلا أنها تحمل معني الاسم الموصول، وأحسب أن حملها سمات الشرط، إنما هو نتيجة أو لتتقبل معني الجزاء الموجود مع جملة (الذين)، ومن هنا يشــتركان ربمــا لأنهما جملتا الموصول في هذه الصفة، إلا أن جوانب المفارقة تظل ماثلة ومــرجعها أن جملة (من) التي فيها معني النتيجة ليست أخيرة، وإنما هي مرهونة بما هو قــائم فــي جملة الشرط الأولي، خلافا لما هو وارد مع (الذين)، فالنتيجة معها نهائية، كما تدل علي ذلك المواضع الواردة معها .

بــيد أن جملة الصلة مع (من) التي تحمل معني (الذي) وليست بجملة شرط، تأتي فيها النتيجة بشكل آخر مختلف، وهو أن تكون النتيجة علي شكل التركيب الآتي :

ضمير + لا + فعل + فاعل :

وهم لا يظلــ ــمون

وهــناك من الآيات التي ترد فيها (من) الشرطية وتكون بحاجة إلى جواب الشرط مصــحوبا (بأولئك) دليلاً علي أن جواب الشرط، إنما هو نتيجة ومترتب علي جملة الشرط ودلــيل أيضا علي أن جملة جواب الشرط مع (من) تتقارب إلى حد بعيد في الصيغة الدلالية مــع تلك التي تتصف بها جملة (الذين) في مواضع عدة لا يكتفي بجملة أولئك نتيجة لفعل الشــرط، ثــم تــأتي " أولئك " كنتيجة لجملة الشرط وجوابها الجملة المعلقة، وبالتالي فإن (أولئك) هنا مرة أخري جملة الشرط لها حالتان :

الأولي : تأتى كنتيجة وتحققها يعتمد علي تحقق فعل الشرط .

الثانية : تأتى كنتيجة للجملة المعلقة، وهي جملة الشرط والجواب علي السواء، وبالتالي يمثل عملها مقارنة بينها وبين (أولئك) مع (الذين)، غير أنها في كلتا الحالتين تقدم تفسيرا أو بتعبير آخر، إنما هي جملة تفصيلية لما هو وارد قبلها دائماً، ونشير أنه إذا كانت جملة الجواب مع (أولئك) أو نتيجة للجملة المعلقة، فإنها في كل تقدم توضيحاً، إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أن التفسير مع أولئك الواقعة جوابا للشرط التفسير فيها أضيق أو أن تفسيرها محدد، مقارنة بما هو وارد مع أولئك التفسيرية للجملة المعلقة، فإذا كانت (أولئك) تقدم تفسيرا لجملة الشرط المحدودة الدلالة، فإنها مع (أولئك) جملة الشرط تقدم تفسيرا للجملة الشرط، وربما بما هو أكثر علي أساس أن جملة الشرط قد تكون مقارنة مع جملة الصلة الأخرى قبلها، وبالتالي تكون مقارنة مع جملة الصلة الأخرى، وقد تدل علي ذلك بالمقابلة بين المعنيين باستخدام جملة الصلة الأخرى، وقد تدل علي ذلك بالمقابلة بين المعنيين باستخدام جملة الصلة .

وتشير الملاحظات الأولية إلى أن (من) لها سمات أساسية فاعلة، وتتبدى هذه الملاحظات بوضوح حين نرى وظائفها تقع علي مستويات عدة ومختلفة، وهكذا نرى أن إحالتها تقع داخل الجملة وفي مواضع أخرى تكون عنصر مقابلة (مقارنة) بين أكثر من آية أو داخل الآية أو تكون تفصيلية ... الخ .

علي أية حال، فان هذه الملامح الجوهرية المكونة لبنية وظائف (من) في القرآن نشير إليها فيما يلي بفضل بيان، وألمح مرة أخرى أن الأنماط الواردة في هذا البحث ليست كلها، وإنما أكتفي بما يمثل تصورا عاماً، دون عرض كل الأنماط، بما يؤدي إلى الإحالة بما لا داعي له، وهكذا يقتصر البحث علي العناصر الأساسية المكونة لبنية وظيفة (من) وأعرض لها في المطلب التالي :

١/٤ : المقارنة /المقابلة تتعدى حدود الآية الواحدة :

ـ المقابلة بين (من) و (من) :

وتعـد هـذه الوظـيفة ملمحاً مهماً من ملامح تميز الأدوات الموصولة المعالجة، وكذلـك (مـن) حيـث تظهـر الأنمـاط المستخلصة [٣٨]، أنها تتبوأ مكانة مرموقة من بين الوظـائف التي تؤدي بها، ولعل تجاوز حدود الآية إلى أكثر من ذلك، إنما هو تجاوز حدود الـرؤية المستقاة، وما بنا أن نتتبع ذلك، ففي تحليل الآيات ما هو أنجع وأوفق، قال تعالي ﴿ وَمَـن يَعْمَـلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ النساء / ١٢ : ١٩، ونلاحظ على هذه الآيات من خلال اسم الموصول (من) ما يلي :

١ـ أنهـا تقـع داخل شبكة من العلاقات الأربع، أي اعتبارها (جملة الموصول) جزءا في دائرة المربع، وهكذا نلاحظ :

ـ عطفها علي ما قبلها آية/ ١٠٩ .

ـ عطفها علي ما بعدها آية/ ١١٢ .

ـ تكـرار الاسم الموصول (من) مع الفعل (من يكسب) مرتين، والتكرار الضمني مع (من يعمل) علي اعتبار أنها على وزن : من يفعل مثلا .

ـ تكرار أداة العطف الوحيدة (الواو) ولم تشاركها أي أداة أخرى .

ـ تعد هذه الآيات (١٠٩ : ١١٢) فيما بينها تفصيلا لما هو وارد فيما بينها .

ـ تعد مع ما يليها عناصر مقابلة، ويعد هذا العنصر عنصرا مفهوميا .

ـ وإذا كانـت هـذه الملحوظات من خلال شبكة أضيق، فإنها تعمل في محيط أوسع داخل إطار السورة سواء أكانت إلى :

ـ سابق / متقدم .

ـ لاحق/ متاخر .

ويمكـن توسيع دائرة الربط، فتشمل النص القرآني كله، أي بتوسيع دائرة البحث في إطار حدود السورة، وهذه الإحالات علي اختلافها تعمل من خلال :

ـ إحالة لفظية (اسمية أو فعلية) .

---

٣٨ أشـير مـن خلال تتبع الأنماط العامة، إذ البحث مَعنيٌ في الأساس باستخلاص الأحكام العامة لهذه الوظائف، وليس مشغولا بالإحصاء، ولعل في هذه النظرة ما يفي بالغرض .

ـ إحالة ضمنية (اسمية أو فعلية) .

علـــي أننـــي ينبغـــي أن نبيـــن أن هذه المقارنة التي تتجاوز حدود الآية، وليس بالضـــرورة أن يكـــون بيـــن (من) و(من) لأن هذه تمثل السمة الجوهرية في المقارنة في القـــرآن بشكل عام، إذ قد تأتي مع (الذين) مثلا أو أي اسم موصول آخر، ففي قوله تعالي ﴿ وَلأُضِـــلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَـــنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً * أُوْلَـــئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَـــنْهَا مَحِيصاً * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾ النساء/ ١١٩: ١٢٢ .

ونلاحـــظ أننـــي اقتطعـــت هذه الآيات من سياقها العام، وبالتحديد من بداية الآية/ ١١٦ ﴿ إِنَّ اللّـــهَ لاَ يَغْفِـــرُ أَن يُشْـــرَكَ بِـــهِ وَيَغْفِـــرُ مَـــا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ... ﴾ ١٢٧، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء ...﴾، وبالتالي فان جملة الصلة تمثل :

ـ عنصـــراً مهماً ضمن إطار أكبر، وهو وحدة الموضوع الداخلي، وتعمل هذه العلاقات من خلال :

ـ الإحالة بالضمائر التي تتجاوز حدود الآية .

ـ الإحالة بالضمائر المختلفة داخل أسوار الآية .

ـ الربط بأداة العطف (الواو) في بداية الآيات وداخلها .

ـ الربط بأداة العطف (ثم) داخل الآيات .

ـ ينبغـــي أن نوضـــح أن (من) في مثل هذه المواضع المختلفة لا تعمل منفردة، وإنما مع أدوات متساوقة من حروف العطف، هذا من ناحية، وهناك من العناصر الموصولة الأخرى مثل : الذين، الذي، ما .... الخ، بجانب الأسماء والأفعال من ناحية أخرى .

ففـــي المؤمنين/ ١٠٢ : ١٠٥ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّـــتْ مَوَازِيـــنُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾، ينبغي أن نشير إلى عدد من الملاحظ نوجزها علي النحو التالي :

١ـ المقابلة/ المقارنة بين : من ثقلت موازينه، ومن خفت .. وهما عنصران متقابلان .

٢ـ تأتـي النتـيجة مـع كل منها باستخدام : فأولئك هم المفلحون، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خامدون .

٣ـ وتأتـي الآيـات التالـيات مفسرة (ابتداء من ١٠٤ : ١١٨) بما هو في الآية /١٠٣ وترتبط به من خلال عدد من الجسور :

ـ الضمائر المحيلة في الآيات التاليات (١١٠: ١١٨) وكلها تحيل إلى (١٠٣)، وهكذا تعد هـذه الآيـة المحور الأساسي التي تدور حوله هذه الآيات، وبالتالي تمثل هذه الضمائر في هذه الآيات عناصر ترتبط جميعها بالأساس (١٠٣) : (من) .

٤ـ نلاحـظ أن الآيات التاليات لوصف (﴿مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه﴾ استغرقت أكثر من /١٥ آية فـي مقابل آية واحدة ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ترغيبا في الجنة وترهيبا من النار: تلفح وجوههم النار وهم فيه ...) وتمثل الآيات/ ١٢٣ : ١٣٥ من سورة طه نموذجا مشابها لما هو وارد في سورة المؤمنين .

ونـأخذ نموذجيـن آخرين كدليل علي الترابط النصي القائم بينه من ناحية والسور الأخـرى من ناحية ثانية، وذلك من خلال سورتي الليل والقارعة، أما نموذج القارعة، فان وظيفة (من) تدل علي المقابلة / المقارنة، ونؤكد هذه الاستخلاص من خلال :

ـ (أمَّا) الدالة علي التفصيل والمقارنة والوصف .

ـ أن ثمـة مقابلـة بيـن فريقين مختلفين : من أعطى، ومن بخل، هذا من ناحية، وهذه المقابلة تقدم تماسكا دلالياً بين المعنيين، وبالتحديد بداية الآية /٥ : ١٢، وتربط الآية /١٣ بما هو وارد في هذه الآيات، ذلك أن الآخرة والأولى هنا ليس المقصود بها الدنيا والآخرة المعـروفة، وإنما لها معني آخر، أن الأولى من أعطى واتقي وصدق بالحسنى، أما الآخرة مـن بخـل واسـتغني وكـذب بالحسنى[٣٩] من ناحية أخرى، وبالتالي فنحن الذين نستطيع التيسـير ونسـتطيع التعسـير، وأن كليهما (الميسر والمعسر) راجع إلينا، ومن هنا، فإن العلاقة القائمة لا ريب فيها، ثم تأتي الآية /١٤ مرتبطة بما قبلها بـ :

ـ الفـاء الـرابطة، وأرى أنها تحيل إلى (من بخل واستغني)، وبالتالي فان الإحالة إلى سـابق ليس مباشراً، إذ يفصل بينها بأكثر من آية، والآية /١٥ ترتبط بما قبلها عن طريق الإحالـة بالضمير(ها) وتربط الآية /١٦ بما قبلها في أنها تمثل إحالة معجمية (تفسيرية)

---

٣٩ د. تمام حسان نحو الجملة ونحو النص ص ١١ .

للأشــقى، ثــم تــأتى الآية/ ١٧ ، ١٨ كمقابل للآيتين/١٥،١٦ مع الربط (بالواو) الرابطة، والمقابلــة بينها من ناحية أخرى، وتعد الآية /١٨ تفسيرا معجميا للأتقى في (١٧)، ولعل هذا يمثل الربط العام داخل البنية اللغوية للسورة .

أمــا الترابط القائم بين البنية اللغوية لهذه السورة والسور القرآنية الأخرى، فقائم علــي علاقة المشاكلة من ناحية، وعلاقة الإحالة اللفظية من ناحية ثانية وعلاقة التضمين (الترادف) من ناحية ثالثة.... الخ هذه العلاقات الجامعة بينهما .

أمــا النموذج الثاني، فيتجاوز الآية الواحدة، فهو من سورة القارعة، أحاول أن أبين بشكل موجز علاقة الارتباط بين الآيات بعضها ببعض داخل السورة علي النحو التالي :
درج " نحــو الجملــة " علــي إعــراب القارعة مبتدأ . وما القارعة، ما نكرة تعرب مبتدأ والقارعة (الثانية) خبر، والمبتدأ الثاني والخبر في محل رفع خبر للمبتدأ الأول، هذا موجز رؤيتهم :

إلا أنــنا يمكن أن نجد لها تصورا آخر يتسق مع الآيات التاليات، فإذا أمكن لنا أن نعــرب (القارعة) خبراً، فإن المبتدأ هنا محذوف تقديره هي، وبالتالي فإن الآية الثانية : ما القارعــة ليست مبتدأ وخبرا (وكليهما ليس خبر للمبتدأ الأول (القارعة)، وإنما تعرب في هذه الحالة علي النحو التالي :

مــا : التعجبية نكره بمعني شئ مبتدأ، وفعل التعجب محذوف تقديره : أعظم وهنا تكــون القارعــة مفعــول به لفعل التعجب أعظم، وهنا تكون بنية الآية كالتالي : ما أعظم القارعــة، وقــد استدل د. تمام حسان علي تدعيم هذه الرؤية بحديث زوج أبى زرع، حين قالــت تتعجــب مــن حسن معاملته لها : أبو زرع، ما أبو زرع، علي تقدير: أبو زرع، ما أعظم أبا زرع، علي تقدير فعل محذوف تقديره : ما أعظم أبا زرع، وهذا هو الدليل الأول.
أمــا الدلــيل الثاني مضمون نص الآية : وما أدراك ما القارعة، إذا لو كانت القارعة . ما القارعــة، كمــا ذهــب النحاة، لما كان هناك داع من إيراد : وما أدراك ما القارعة، وكان الأجدر أن تأتي الإجابة علي ذلك، كما حدث في سورة طه/٨٣ ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ فهــي هنا علي رواية حفص تعجبية، بيد أننا يمكن أن نتصور لها إعرابا آخر: (مــا) مبتدأ نكره أعجلك خبر للمبتدأ النكرة و (أعجل) مضاف والكاف ضمير من في محل جر مضاف إليه .

بيد أن التفسير الثاني، يتسق مع الآية الواردة بعدها، فلما كانت سؤالاً : ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ جاءت، الآية /٥٣ إجابة علي السؤال المطروح ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَـرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ولو كانت تعجبية، لما كان هناك داع من إيراد الإجابة في الآية التالية، وهذا ما لم نره في آية القارعة /٢ علي اعتبار أنها سؤال ؛ لأن الآية /٣ ليست جواباً ، وإنما تهويل لما هو قبلها، ومن ثم تدعم جعلها تعجباً أقرب إلى المعنى الذي يتسق مع الآيات [٤٠] .

وإن كـان لي من قول، فإنني أذكر أن بعد جملة التعجب مثل ما هو وارد في (وَمَا أَدْرَاكَ مَـا الْقَارِعَةُ ١:٣ (في الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ. الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) و(أَصْحَابُ الشِّـمَالِ مَـا أَصْحَابُ الشِّمَالِ) (أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) الواقعة /٢٧، نلاحظ أن مثل هذه المواضع، لو كانت استفهامية، لكان يجب أن ترد الإجابة، إلا أن ترجيح اعتبارها تعجبسية، لكن في ذكره : أصحاب الشمال، ثم يأتي بعدها : ما أصحاب الشمال، تعجب علي تقديـر فعـل محذوف : ما أصعب / أحقر أصحاب الشمال، وكذلك الحال مع : ما أصحاب اليميـن، ويؤكـد أنها للتعجب الوصف التالي لمثل هذه المواضع ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَـا أَصْـحَابُ الْمَيْمَـنَةِ * وَأَصْـحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الواقعة/ ٨، ٩، قال الفراء تعلـيقاً على الآية الكريمة : عجّب نبيّه منهم، فقال : ما أصحاب الميمنة؟ أي شيء منهم؟ وهـم أصـحاب اليميـن (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) عجبّه ايضاً منهم، وهم أصـحاب الشـمال ... [٤١]، ويتصل بهذا الموضوع ما هو وارد في (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ) حيث قـال : والحاقـة : مرفوعة بما تعجبت منه من ذكرها، كقولك : الحاقة ما هي؟ والثانية : راجعـة على الأولى . وكذلك قولـه (أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) و (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ) معناه : أي شيء القارعة؟ فما في موضع رفع بالقارعة الثانية والأولى مرفوعة بجملتها ... [٤٢] .

وبالتالـي فإن د.تمام استوحى أفكاره منه، وإن طور فيها، وربما يكون اعتمد في تحليله على رؤية بعض المفسرين، ولم يشر ليها من قريب أو بعيد، إلا أن الذي بقي ماثلا أنه استوحى أفكاره من كتب التفسير بشكل عام، وكتاب الفراء بشكل خاص فيما أعلم .

---

٤٠ ينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ١٠ .

٤١ الفراء : معاني القرآن ٣/ ١٢٢ .

٤٢ السابق : ٢/ ١٨٠ .

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَــاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ... ﴾ الواقعة / ٢٧: ٣٣ .
﴿ وَأَصْــحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَــا كَــرِيمٍ * إِنَّهُــمْ كَــانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ .....﴾ الواقعــة /٤١: ٤٦،﴿ الْحَاقَّــةُ * مَــا الْحَاقَّــةُ * وَمَــا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ الحاقة/١: ٤ .

وبالتالـــي فـــإن الوصف يأتي عقب هذه الآيات مباشرة، وليس إجابة علي اعتبار أنهـــا ســـؤال، ويتناسب / ينسجم مع التهويل أو التعظيم من شأن ما هو مورد سواء أكان خاصا بأهل الجنة أم بأهل النار.... الخ .

ويستمر الوصف في القارعة في /٤ ، ٥ ، ويعد علاقة رابطة، وما هو وارد قبلها فـــي ﴿مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾/٢ ،٣ وتكون الآيتان /٤،٥ وصفا لهما، وتأتي الآيات /٦ : ١١ لتؤدي أكثر من وظيفة نصية في النص نظهرها كما يلي :

١ـــ ترتـــبط هذه الآيات بما قبلها في أنها تفصيل ليوم القارعة والحاقة، وهما أسماء ليوم القيامة .

٢ـــ تؤكد ما هو وارد في (١) بأنها تفصيل، وذلك من خلال :

ــ أما الدالة علي التفصيل .

ــ المقابلة بين من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ، وتمثل الآيات ٦ : ٩ آيات للمقارنة مـــن جهـــة، ومن جهة أخري، تمثل مقارنة، ثم تعد الآيات ١١،١٠ تفصيلاً للآيتين /٨،٩ وذلك من خلال تهويل للنار وما فيها من أصناف العذاب باستخدام فعل التعجب : وما أدراك مـــا هي، وتأتي الآية /١١ لتؤكد جملة التعجب بأنها : نار حامية، وهكذا ارتبطت الآيتان / ١٠ ، ١١ بالآيتين السابقتين قبلهما مباشرة .

هـــذا الـــربط علـــي مستوي السورة يمثل ربطاً مفهومياً، بجانب عدد من الروابط الماثلـــة في البنية اللغوية باستخدام أدوات العطف، مثل الواو الواردة (٤) مرات في مقابل (الفـــاء) المســـتعملة (٣)، وعلـــي هاتيـــن الأداتين تقوم الروابط اللغوية، بجانب الضمائر الأخرى الكائنة في نص السورة، هذا علي مستوي السورة، وهناك ربط آخر علي مستوي النص القرآني يتمثل في :

ـ أن القارعـــة باعتبارها اسماً ليوم القيامة، تحيل إلى المواضع الأخرى من أسماء يوم القيامة في النص القرآني، وهذا هي الإحالة الترادفية .

ـ كمـــا تحـيل المواضـــع الخاصـــة بمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه إلى المواضع الأخـرى المتعلقة بالثواب والعقاب في النص القرآني، وهي إحالة مثل النوع الوارد أعلاه، علـــي أننا نوضح أن الإحالتين المذكورتين هنا، إنما هما إحالة خارج حدود السورة، وهي إحالة إلى :

ـ متقدم خارج إطار السورة .

ـ متأخر خارج إطار السورة .

وتعمـــل هاتـــان الإحالتان من خلال الروابط المشار إليها عاليه علي تماسك البنية اللغويـــة الماثلة علي سطح الورق، ومن ناحية أخرى تعمل علي ترابط العناصر المفهومية لهذه البنية اللغوية وتكامل معانيها .

ـ مقارنة/ مقابلة داخل الآية لـــ (من)* :

تـــدل علـــي الربط والمقابلة بين أكثر من آية، حسب السياق أو داخل حدود الآية، وهـــو ربـــط / أضيق مقارنة بما قبلها، ففي المائدة / ١٨﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْـنَاء اللّـــهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ والمقارنة واضحة بين العـــذاب والمغفـــرة، باستخدام (من) ، ومثلها الآية /٤٠ من ذات السورة، والآيات التاليات تدل علي ذلك بشكل بيّن .

ونـــأخذ نمطـــا فريداً في قوله تعالي ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَـــاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْـــوِي الْوُجُـــوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِـــيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِـــنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف/٢٨، إذ يعمل من خلال عدد من المستويات :

---

* ينظر المواضع التالية : الإسراء/ ١٥، الكهف/ ١٧، غافر/ ٤٠ على سبيل المثال .

المستوى الضيق : داخل حدود الآية ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ الكهف/٢٩، فتأتي (من) الموصولة، لتقارن بين الإيمان والكفر باستعمال الفعل (شاء) الدال على الاختيار، لينسجم مع الثواب والعقاب، إذ لو كان الأمر ليس اختياراً، ما كان ينبغي أن يُحاسب إنسان على شيء لا دخل له في اختياره، ومقارنة باستعمال (من) بين الحالتين المتضادتين: حالة الإيمان وحالة الكفر، غير أننا نلاحظ أن من اختار طريق الكفر / الظلم جاء وصفه حتى نهاية الآية باستعمال (ناراً) المنكرة تعميماً وتغمية وتخويفاً له .

١ـ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ، وبالتالي فإنه ماء، بيد أنه ليس كالماء المعروف؛ لأنه يشوي الوجوه، وهنا مكمن المفارقة .

٢ـ استخدام فعل الذم المتسق مع موضوع التفصيل والوصف : بئس الشراب .

٣ـ استخدام الفعل (ساءت مرتفقاً) .

وتنتج هذه الاستعمالات النصية الدلالة الكلية : تخويفاً وتهويلاً، ونبذاً لطريق الكفر من جهة، ومن جهة أخرى ترغيباً في طريق الإيمان، ويدل هذا الاستخلاص على أن الآية التالية مباشرة/٣٠ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) دعماً لتلك الدلالة الكلية (السابقة) من ناحية، وتدل الآية/٣١ (أولئك لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) على الوصف الوارد، يرغب في طريق الإيمان، كما نفرت الآية/٣٠ من طريق الكفر، ويدل هذا إن دل على المقابلة بين الفريقين، وقد جاءت المقابلة ليست باستعمال (من) مع (من)، صحيح هي موجودة، وإنما داخل آية /٢٩، وتمثل المقارنة بين (من) في (٢٩) ، و(الذين) في (٣٠) مقارنة بين :

ـ أداتي الموصول .

ـ الكافرين والتنفير منهم من ناحية .

ـ المؤمنين والترغيب في فريقهم من ناحية أخرى، ومما يؤكد وظيفة المقارنة من خلال اسمي الموصول والموضوع ما يلي :

١ــ في الآية / ٢٩ :

ــ جـــاء وصف من كفر في نهاية الآية بأن (ناراً أحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) .

ــ وفي نهاية الآية (بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا) .

٢ــ في الآية / ٣٠ ، ٣١ :

ــ جاء وصف الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) .

ــ وفي نهاية الآية (نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) .

وأعـــتقد أن المقابلـــة بين ما ورد في (٢٩/١، ٣٠/٢، ٣١) أعلاه، لا يحتاج إلى مقارنـــة مـــا هو وارد لكل منهما، وإن تعدى وصف المؤمنين الآية الواحدة، في حين ظل وصـــف الكافرين داخل الآية، وربما دل بسط البنية اللغوية لوصف المؤمنين ترغيباً وبسطاً لهم في الآخرة، كما أن تضييق وصف الكافرين، يدل على التضييق عليهم يوم القيامة وفي الآخرة، ومن ناحية أخرى، نلاحظ أن المقارنة في الآية (٢٩) باستعمال (من) ﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِـــن وَمَـــن شَـــاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ ثم فصّل القول داخل الآية فيما يتعلق بالكفر، ولم يذكر في الآيـــة ذاتهـــا وصفاً للمؤمنين، وإنما جاء في الآيات التاليات ليحدث ربطاً بين هذه الآيات، وما يسبقها من ناحية :

ــ التماسك الدلالي (بنية العمق) .

ــ التماسك في البنية اللغوية (بنية السطح)، وبالتالي تكون الآية ٣٠ ، ٣١ :

ــ تفصيل للإيمان الوارد في (٢٩) من ناحية .

ــ مقارنـــة بيـــن الكافريـــن في (٢٩) و (٣٠)، وهو ربط أوسع من خلال (من) في(٢٩) و(الذين) في(٣٠) وإن هذين العنصرين يمثلان تماسكاً أرحب مما هو في الآية السابقة .

ــ ثـــم أخـــذ فـــي التفصيل الأكثر، حينما ضرب المثل بجنتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ) ٣٢ ، ٣٣، تفصيلاً أكثر لما هو وارد قبله وربطاً بين بنـــية العمق وبنية السطح، وقد تكون المقارنة بين (من) و (الذين) داخل الآية الواحدة كما في البقرة/ ١٢١.

ــ تفصيل خارج حدود الآية ورابط بنية السطح (الربط الأوسع) :

قـــال تعالى ﴿ قالوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ* قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّــهِ إِلاَّ الضَّـــآلُّونَ﴾ الحجــر/٥٥ ، ٥٦ . وفـــي البقرة /٩٧ : ١٠١ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِــبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ* مَن كَــانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ* وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ* أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِــنُونَ* وَلَمَّــا جَــاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِــتَابَ كِــتَابَ اللَّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، وفي البقرة ٢٠١ /٢٠٢ باستخدام ﴿ أولــئك لَهُـــمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ كما أن هناك تفصيلاً خارج حدود الآية، كما ورد أعلاه، فإنه على الاتجاه المقابل، هناك تفصيل داخل حدود الآية، وهو الربط الأضيق .

ـ الربط الضيق : تفصيل داخل حدود الآية * :

البقرة/٨ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ـ مقارنـــة خارج حدود الآية بين (من) و (الذين). البقرة/٨١، ٨٢ ﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَــتْ بِـــهِ خَطِيــئَـــتُهُ فَأُولـــئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أولئك أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وتبدو المقابلة من خلال :

ـ الموضوع .

ـ المقارنة بين (من) في (٨١) و (الذين) في (٨٢) :

* مَن كَسَبَ سَيِّئَةً (فأولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون)/٨١ .

* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا .. (أولئك أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)/٨٢ .

ومن هنا، فالمقارنة واضحة لا ريب فيها، وكذلك الأمر في العنكبوت/٦٨ : ٦٩ .

ـ المقارنة بين (من) من ناحية و (الذي) من ناحية أخرى :

ـ مقارنة بين (من) و (من) مرة باستعمالها ومرة بدونها :

---

* البقرة/ ٦٢، ٢٣٢،آل عمران /١٣، ٢٦، يونس/٦٦، هود/٩٣، يوسف/٢٥، الرعد/٥، فصلت/ ٤٦.

قال تعالى ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/١٢٣: ١٢٤ .

وبناء على ما ورد لاسم الموصول، فإن أنماط (من) الموصولة تشترك مع الوظائف الإحالية الأخرى للأسماء الموصولة المذكورة قبلاً، ويبقى الافتراض في أن وظيفة التفسير المعجمي ظلت قاصرة حتى الآن على (الذين، الذي، التي)؛ أي ما يدل على العاقل بشكل عام، ونستنتج من خلال ذلك أن رؤية النحاة في اعتبار (ما) للعاقل ومواضع أخرى لغير العاقل، أن السياقات المختلفة وتتبع النصوص، إنما تدل على شيء آخر، إذ لم ترد لها وظيفة الإحالة المعجمية، بخلاف ما هو وارد قبلها، وما دون ذلك، فإن الملامح العامة بين الأسماء الموصولة تكاد تكون متقاربة، وإن ظل لكل منها ملامحها الجوهرية المائزة التي تميزها عن غيرها .

وقد تدل (من) على الربط داخل حدود الآية ﴿ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ الكهف/١٥، وهنا يرى أحد الباحثين أن قوله تعالى﴿ أفَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ والمراد هنا (من) الثانية، حيث مثله هي وجعلتها (افترى) عنصراً إشارياً دلَّ على ذات غير معينة، وقد جرت الإحالة عليه بضمير الغائب المستتر في افترى كذبا على الله تعالى، إذ الآية بمثابة القانون العام، ويدخل فيه قوم الفتية، لكونهم اتخذوا من دون الله آلهة، وتعد الإحالة هنا من نوع الإحالة بالعودة على السابق القريب[٤٣] ويمكن أن أوجز عناصر الملحوظات فيما يلي :

١ــ أن تحليله فيما ورد فيه تكرير: حيث مثلت (من) الثانية هي وصلتها عنصراً إشارياً دل على ذات غير معينة، ويكرر هذا القول بصيغة ضمنية فيما يلي ذلك مباشرة بقوله : وهو اسم عام مشترك (الضمير الغائب المستتر) في افترى بعدما ذكر في النص، يشير إلى كل من افترى كذباً على الله تعالى ...

٣ــ أظهر أن الإحالة من النوع القريب، ولم يشر إلى من المعني بالشيء القريب .

٢ــ إذا كان ما ورد في (٢) صحيحاً ــ وهو إن شاء الله صحيح ــ فإن رؤيته لم تتجاوز حدود نحو الجملة في أن الاسم الموصول، إنما يرتبط بجملة الصلة التي يكون من خلال :

---

٤٣ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، ص٤٣ .

٣ـ الضمير الموجود في جملة الصلة والذي يرتبط بالموصول .

٤ ـ جملـــة الصلة التي تلي الاسم الموصول، إنما هي تفسير للاسم الموصول، ومن خلال هذين المفهومين، مفهوم الضمير الإحالي، والتفسير والتبيين، تقوم العلاقة بينهما .

ومـــن يمعـــن النظر فيما أورده يجد أن جُلّ قضاياه الموضحة، بل كل قضاياه كان معقـــوداً عليها الآمال في أن تتجاوز حدود " نحو الجملة " إلى ما هو أوسع أفقاً وأرحب تفســـيراً، وهو في كل ذلك، إنما يقدم تفسيرات نيرة تكشف جوانب ثرية في إضاءة جوانب مـــن الـــنص القرآني، وتتبدى جوانب " نحو الجملة " فيما أورده، في عدد من المعايير، نبرز جوانبها فيما يلي :

١ـ (مـــن) اسم عام، والمراد هنا (من) الثانية، حيث مثلت هي وصلتها (افترى) عنصراً إشـــارياً دل على ذات غير معينة وهي رؤية نحو الجملة، وليس له في الأمر شيء، وليس فيها ما يدل على ورودها زيادة على ما أورده النحاة .

٢ـ سار على نهج " نحو الجملة " في أنه لم يتتبع القول فيما أراد أن يشير إليه، واكتفى بما قاله النحاة إنها تحيل إلى لاحق قريب، ولم يكتف " نحو النص " بالإشارة إلى أن الإحالـــة إلـــى قريب أو بعيد، دون أن يحدد المراد، ليتسق المعنى، وإشارته هنا لا تدل علـــى الربط، بقدر ما تدل على التعميم الذي يحاول " نحو النص " أن يتخلص منه للولوج إلى رؤية أكثر تحديداً .

٣ـ لـــم يحـــدد دور الضـــمير فـــي كيفـــية " الاتساق "، ومن هنا حدث خلل بين العنوان " المرتضـــى" والتحليل "المبتغي "، إذ لم يظهر دور الضمير في كيفية سبك النص القرآني، وأحســـب أن فصـــل القول فيما يمكن أن قوله، إن الضمير يربط عن طريق الإحالة، وهي وظـــيفة عامـــة، وقـــد تكون هذه الإحالة إلى قريب أو بعيد، إذ تظل هذه الظاهرة شائعة . وخلاصة القول إن رؤية التحليل هنا لم تتعد حدود نحو الجملة، وإنما كان ينبغي أن يصنع ما يلي :

١ـ لا يسير في نطاق ما ذكره " نحو الجملة " يتجاوز ذلك إلى فضاءات أرحب وتفسيرات مضيئة، تضيف تفسيرات ودلالات جديدة .

٢ـ كـــان علـــيه أن يتتـــبع علاقة الجذور الواردة في الآية وربطها بما هو مساو لها في مواطـــن أخرى من النص القرآني، سواء كان داخل الآية أم داخل السورة أم خارج السورة

: لاحقاً أم مستقدما، وهنا تتجاوز إلى ربط أوسع دلالة وأكثر دقة، وبناء عليه، تتجاوز رؤيته حدود الجملة أو حدود الآية أو السورة .

٤/ . : الوظائف الإحالية لأسماء موصولة أخرى ودورها في تماسك النص :

لا ريب أن هذه الأسماء فيما بينها ليست واحدة من حيث الوظيفة والاستعمال، وإذا كنا قد أشرنا إلى العناصر الفاعلة فيها فيما سلف بيانه، فإن العناصر هنا، ليست كالتي مضت، وذلك من خلال عدد من الركائز الأساسية، نظهر جوانبها كالتالي :

١ـ أن عدد ورودها في النص القرآني يمثل مواضع محددة، لا تكاد ترقى إلى تلك التي أشرنا إلى قواعدها (الذين، الذي، التي .....) واعتبار التردد، وإن كان ليس له دور فعلي في إظهار جوانب الإحالة، إلا أن عليه معوّل كبير في إظهارها كعنصر له قيمته في البنية اللغوية (بنية السطح) .

٢ـ وهو ما يبدو مترتب علي الأول، من حيث إن قلة التردد في القرآن تنعكس على الوظائف الإحالية لهذه الأسماء، فتكاد تنحصر في عملية الربط الإحالي فقط، وعلى العكس من ذلك، رأينا أن وفرة الأنماط أدت إلى ثرائها وظيفياً، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى أن :

كثرة الأنماط ←—— الثراء الوظيفي والإحالي (الذين، الذي، التي ...) .

قلة الأنماط ←—— فقر في الوظيفة الإحالية (من ، ما ....) .

فإذا احتسبنا هذه قاعدةً في النص القرآني، فيجب أن نحترز من (ما) العاملة عمل (الذي) مع وفرة أنماطها، إلا أن عملها ظل داخل حدود الآية، وهو الربط والمقارنة بين جملتين في دائرة محددة / ضيقة، ونحاول هنا أن نظهر الملاحظات الواردة عاليه في السطور التالية، إن شاء الله .

٤/١: اللذَان ، الذَيْن :

لم ترد في القرآن إلا في موضعين :

١ـ النساء/١٦ ﴿ وَاللَّذَانَ يَأتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإن تَابَا وَأصْلَحَا فَأعْرِضُوا عَنْهُمَا إنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ .

٢ـ فصلت/ ٢٩ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أرِنَا الَّذَيْنِ أضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأسْفَلِينَ﴾ .

فإذا نظرنا إلى البنية اللغوية في كلتا السورتين، تبين :

١ـ أن كـلاً مـنها تأتـي فـي إطار حديث للكافرين، وإن ورد في سورة النساء (واللذان يأتـيانها) والضـمير راجع إلى ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ....﴾/١٥، وأحسب أن الذيـن يأتيـن الفاحشـة، تقـع ضمن الجذر الدلالي الذي يندرج في إطار الجزء الأساسي (الكافـرون) في حين يأتي الحديث في سورة فصلت بالجذر الأصلي (وقال الذين كفروا) إذاً السياق واحد، وإن اختلفت الآليات المؤدية إليه .

٢ـ أن كـلاً مـنها فـي إطار وصف للكافرين، وهو وصف لهم في النار، ويوم الحساب، ويسـتغرق مسـاحة طويلة تبدأ من الآية ١٩: ٢٩، ويتنوع الخطاب مما بين حديثهم مع أنفسهم ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ثم أسباب هذا العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَـوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾/٢٦، ثم النتيجة مباشرة، إذ تقع ضمن بيان كلي داخل السورة، يسـتغرق تسـع آيات كلها تبين كيفية تقسيم الميراث في حالات مختلفة، ثم يأتي وصفها، ومـن يعص الله بأن لا يمتثل بما جاء ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾/١٤، هذا كلـه فـي حالة إذا كان الأبناء شرعيين، وحينما انتهى من الأولى جاء الحديث عن الأبناء غير الشرعيين، وأنهم ليس لهم الحق في الميراث .

وفـي الموضـعين، نلاحظ المقابلة بين طائفتين لا يجد القرآن حرجاً في وصفهما بصـور شـتى، ابتداء من الآية ١٧/ النساء وفيما تلا ذلك مباشرة، وفي فصلت/٣٠ ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ قَـالُوا رَبُّـنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَـنَّةِ الَّتِـي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ومن هنا، فإن (اللذان والذين) يأتيان كأسماء موصولة تربط وتصـف ما هو داخل حدود الآية، وتأتي في إطار كلي، يضم عدداً من الأسماء الموصولة الرئيسية في كلتا الحالتين كما في (الذين) .

٢/٤: اللتان/ اللتين، الآئي، الآلاء :

لم يرد لها شيء في القرآن الكريم .

٣/٤ : اللاتي، واللائي ودورهما في تماسك بنية النص :

١/٣ : اللاتي :

وردت في القرآن الكريم في سبع مواضع*، وزعت كالتالي :

النساء (٥) مواضع، ويوسف والأحزاب كل منهما مرة واحدة، ويقرر هذا الاستخلاص أن (اللاتي) خاصة بجمع النساء، وهذه دلالة تكرارها في النساء، لمعالجة القضايا المتعلقة بهنّ، والأمر كذلك مع المجادلة والطلاق، حيث وردتا في سياق خاص بهنّ أيضاً، هذا تصوراً أولي .

وبناء عليه، فإن رؤية النحاة فيها نظر، إذ أشاروا إلى أن هذه الموصولات تقع للعاقل وغير العاقل[٤٤]، وبالتالي تمثل هذه الرؤية مفارقة لما توصل إليه النحاة في القرآن الكريم على الأقل .

إلا أن تقديم هذه العناصر الموصولة هنا لجوانب الربط تعدت فيما أحسب تصورات نحو الجملة؛ وقد ساعد ذلك وجودها داخل إطار وصف، وبالتالي يأتي الوصف باستخدام عناصر لغوية وغير لغوية، فالعناصر اللغوية كالربط بـ " الواو " بين أكثر من آية؛ لأن الوصف جوانبه لم تنته بعد، كل ذلك داخل إطار شبكة من العلاقات الحابكة لهذه العناصر.

وقد جاءت (اللاتي) كعنصر من هذه العناصر، التي يستكمل بها الحق سبحانه الفريق الآخر، وهم الأبناء غير الشرعيين، مقابل الأبناء الشرعيين، الذي جاء وصف ميراثهم، أما أولئك فلا ميراث لهم، وبالتالي يظهر عنصر المقابلة داخل القضية الواحدة، وهي مقابلة صغرى، أي داخل عناصر القصة الواحدة، وتمثل (اللاتي) مع أحداث القضية المثارة ثمة مقابلة أخرى أوسع من أولئك الذين يتوبون ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء/١٧.

ونلاحظ أن المواضع التي وردت فيها (اللاتي) في النص القرآني، أنها تأتي بصفة عامة ضمن إطار حديث عن قضية ما، وكيفية العلاج ووصفها، وبالتالي أدت هذه الرؤية

---

* أشير إلى مواضع الورود في القرآن، نظراً لقلة الأنماط وأن ذكرها لن يؤثر على الهيكل العام للبحث ، النساء/١٥، ٢٣، ٣٤، ٦٠، ١٢٧. يوسف/ ٥٠ ، الأحزاب/٥٠ .

٤٤ ابن يعيش : شرح المفصل ٣ /١٤٤ : ١٥٠، عباس حسن : النحو الوافي١/ ٣٤٦ .

أن تطـــول مثل هذه المواضع بعض الشيء مقارنة بما يسبقه وبما يلحقه، وتدل المواضع المشـــار إلـــيها أعلاه على صدق تلك الرؤية، ولـهذا فإن الوظيفة الإحالية لـــ (اللاتي) تأتي داخل حدود الآية، وقد تحيل إلى بعض المواضع خارج نطاق الآية، هذا ملحظ أوليّ .

غـــير أن ثمـــة ملحظـــا آخر يتعلق بتلك الإحالة الضمنية / الترادفية، أنها لا تحيل بشـــكل مباشر، وإنما من خلال أن الاسم قد ذكر في موضع آخر من النص سابق أو لاحق، ومن ثم فالإحالة :

ـ إحالة صريحة (مباشرة) .

ـ إحالة ضمنية (غير مباشرة) .

ـ اســتعمال أدوات الــربط بيـــن جملتين أو أكثر تربط بين أجزاء النص الواحد، ويحدث تماســكاً علـــى مســـتوى بنية السطح وبنية العمق، ومن خلال هذه العناصر تتبدى قسمات الوظـــيفة الإحالـــية لـــــ (اللاتي) التي تعمل على سبك البنية اللغوية، والتي يترتب عليها التماسك الكلي .

وعلـــى هـــذا، فـــإن وجوه المقاربة واضحة بين (ما) و (اللاتي) من ناحية، في مقابل الأسماء الموصولة الأخرى (الذين، الذي، التي، من) التي تمثل العناصر الأساسية، كما وردت الإشارة إلى ذلك من ناحية أخرى .

وربمـــا تمثل هذه المفارقة المباشرة بين الطائفتين، وعلى الرغم من ذلك، فإن ثمة مواضـــع عدة وردت فيها (الذين ، الذي، التي، من) تعمل عمل (ما، اللاتي، اللائي)، ولـهذا فإنها تشترك معها في وظيفة، وتزيد الطائفة الأساسية من الأسماء الموصولة عن الطائفة الثانوية في وظائف عدة أساسية، أشرنا إليها في موضع سابق .

إذا كـــان النحاة قد أشاروا إلى أن هذه الموصولات تقع للعاقل وغير العاقل[٤٥]، إلا أنني ألاحظ أنها لم ترد إلا مع جمع المؤنث للعاقلات في جميع مواضعها هنا، وبالتالي تمثل هذه الرؤية مفارقة لرؤية النحاة في نحو النص القرآني دون غيره .

إلا أن تقديمهـــا لجوانـــب الربط تعدت حدود نحو الجملة، أي الربط بين الموصول والصـــلة مـــن ناحية أو ربط جملتين بالإضافة إلى عناصر لغوية أخرى في الربط بين أكثر مـــن جملـــة، ففي قوله تعالى ﴿ وَالَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا

---

٤٥ ابن يعيش : شرح المفصل ٣ / ١٤٤ : ١٥٠، عباس حسن : النحو الوافي ١/٣٤٦ .

عَــنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ النساء/١٥ ، هذه الآية عقب الحديث المفصل من الحق سـبحانه فـي كيفية توزيع المراتب بداية من الآية /١١، ١٢ ﴿ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَـر مِـثْلُ حَـظِّ الأُنثَيَيْـن ....﴾ وجاء العطف بالواو ليس ربطاً بين جملتين، وإنما بين الآيتين /١١، ١٢ .

وتمـثل الآيـة /١٢ إحالة عن طريق الوصف لما هو وارد في الآيتين السابقتين مباشـرة، ولم يقتصر على ذلك، وإنما جاءت المقابلة من خلال " من " الموصولة التي فيها رائحـة الشـرط، لـتعقد مقارنة بين طاعة الله ورسوله ومعصيته ونتيجة ذلك. ففي حالة الطاعـة تأتـي النتـيجة بإدخـال الجنات، ثم وصف هذه الجنات بأن لها أنهاراً تجري من تحتها، ليس هذا فحسب، وإنما الحياة فيها خلود بلا موت (خالدين) والوصف باسم الفاعل يفيد الثبات كما قال البلاغيون [٤٦]، أما حالة المعصية يدخله ناراً خالداً فيها .

ثـم جاء عطف اللاتي (الآية/١٥) على الآية السابقة، على الرغم من كون العلاقة ليسـت باديـة، إلا أن ثمة علاقة يتداخل في السياق العام، وهو عصيان الله وتعدي حدوده فـي حالـة عـدم تقسيم الميراث، حسب ما جاء في الآيات؛ لأن في كل تعدي لحدود الله، ودلـيل هذه العلاقة، أن الحق جل وعلا، لم يذكر عقوبة مرتكبها في الآخرة، اكتفاء بما هو وارد فـي الآية السابقة مباشرة/١٤ ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، حتى الآية التالـية لذلـك (١٦)، لم يذكر عقوبتها اكتفاء بما هو وارد في الآية السابقة/١٤، واكتفى بذكـر عقوبـة الدنيا ﴿ وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّــهَ كَــانَ تَوَّابــاً رَّحِيماً﴾ وتربط هذه الآية بما قبلها بعلاقة المشاكلة اللفظية، وتتمثل في لفظيــن فــي هــذه الآيــة، الأول: (متابا)، والثاني (توابا)، وفي كلتا الحالتين يرتبط بلفظ "التوبة" الوارد في الآية التالية/١٧، إلا أن لهذه الألفاظ مقاربة دلالية نشير إليها كالتالي :

إن ذكــر الحــق ســبحانه بأنه : تواب رحيم، يناسب السياق اللغوي، حيث يدور الحديـث عن التوبة، وأن من عاد، فإن الله تواب رحيم، غير أن التوبة في آية/ ١٧، إنما تعـود علــى توبـة العباد، وبالتالي فالأولى المتعلقة بتوبة العباد، والثانية وصفه سبحانه وتعالى بالتوبة تناسب العباد، ومما يؤيد ما أذهب إليه قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ

---

٤٦ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٣٣ .
القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٨٧ .
د. فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية ص ٩ .

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأولئك يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ /١٧، وهكذا ترتبط هذه الآية/١٧ بما هو قبلها من الآيات بما يلي :

ــ وحدة الموضوع،إذ الموضوع كله عمن يتعد حدود الله، ومن يعصه، ثم يتوب الله عليه.

ــ إن (إنمـــا) للقصـــر والتخصيص، إنما تدل على أنها ترتبط بجملة قبلها، وليست معزولة عما يليها .

ــ ترتـــبط هذه الآية بما قبلها بالتفصيل/ الوصف الذي تدل عليه " فَأولئك يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً /١٧، فهي نتيجة لما هو وارد في الآية/١٦، ١٧ واحدة بواحدة .

وممـــا يدعم هذا الطرح أنه في الآية /١٨ تأتي النتيجة في ذات الآية ﴿ أولَـئِكَ أعتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، وتقع الآية /١٨ في علاقات تشابك مع ما قبلها من خلال عدد من الأمور:

١ــ وحدة الموضوع، وقد أبنت عن ذلك .

٢ــ علاقة الربط القائمة بينها وبين الجملة السابقة باستعمال (الواو) .

٣ــ تعـــد الآيــــة/١٨ جملـــة استثناء للآية الواردة قبلها، وبالتالي يكون المعنى، وليست التوبة للذين يعملون السيئات .... إنما التوبة على الذين يعملون السوء بجهالة .

ثـــم يأتي في الآية /١٩ الحديث عن عدم ورث النساء كرهاً والمعاشرة بالمعروف لـــلأزواج .... الـــخ هذه القضايا الاجتماعية، ولا ريب أن عدم فعل هذه الأوامر، إنما يوقع الإنســـان فـــي دائـــرة : من يعص الله، ومن يتعد حدود الله، والعلاقة بينهما وبين الآيات الســـابقة بادية، إلا أنها على استحياء يحيط بها سياج من العلاقات المتشابكة، وهي تحتاج إلى من يرجع البصر فيها مرة تلو الأخرى؛ لينقلب هذا التفكير والتركيز عن أشياء ــ على الرغم من أنها موجودة ــ غير أنها خافية على من يمر عليها مروراً عابراً، أما من يمعن النظر فتتكشف له جوانب دلالية وعلاقات متداخلة تجمع أواصر هذه الآيات بعضها ببعض، إذ لا يمكـــن الجزم بأن هذه العناصر تعمل منفردة داخل وحدة النص، وإنما تتضافر بجانب عناصـــر لغوية وغير لغوية أخرى تساعدها على التماسك مع ما يسبقها وما يلحق بها من آيات، ويمكن أن أبرز هذه الجوانب على النحو التالي :

١ــ عناصر لغوية مثل (حروف العطف : ثم، الفاء، أو أمَّا ...الخ) .

٢ــ الربط عن طريق التفسير المعجمي؛ بمعنى أن تكون جملة الصلة تفسيراً لما هو وارد فـــي الآيـــة الســـابقة لهـــا مباشـــرة، أو استدراكاً لما هو وارد قبلها (كما بينا في الآيات الماضية).

٣ـ الـربط من خلال أن الموضوع عام لكلتا القضيتين، يمكن أن يكون واحداً، على الرغم مـن وضوحه من أنهما ينتميان إلى قضيتين مختلفتين، أعني أن موضوعهما يكون واحداً في إطاره العام (وقد أبنا عن ذلك فيما ورد عاليه) .

٤/٤ : " ما " ودورها في تماسك النص القرآني :

حاولـت اسـتقراء المواضـع التـي وردت فيها (ما) كاسم موصول في القرآن الكـريم، فوجدتهـا كثـيرة، ولم أشأ أن أحصيها؛ لأنها لن تقدم شيئاً يهم جوانب المعالجة وتبّين إظهار الوظائف الإحالية في النص القرآني، غير أني وجدت ـ في تتبع النصوص ـ أن (ما) ليس لها إلا وظيفة واحدة، تأخذ شكلاً يكاد يكون واحداً، على الرغم من اختلاف السـياقات المخـتلفة، وهي تربط بين جملتين داخل إطار الآية الواحدة، ولما وجدتها كذلك فـي كـل المواضـع، لم أشأ أن أعرض لها، ومن يشاء فليرجع إلى مواضعها في القرآن الكريم، وهي تدل دلالة واضحة على صدق ما أذهب إليه .

غير أن الملاحظ أنها ليست جميعاً جملة صلة، أو اسم موصول، فهي نافية مرة، وأخـرى اسـتفهامية، وثالثة موصولة ....الخ، وهكذا تتنوع دلالتها القائمة على أساسها، وهكذا نلاحظ أنها تأتي في سياقاتها القرآنية على النحو التالي :

١ـ ما ـ رابطة بين جملتين (في آية واحدة) :

*مـن ←── موصـولة ، يأتي خلفها وصف ←── ثم نتيجة (أولئك) في آية واحدة (النساء/٤٨) .

*من (شرطية) يأتي خلفها وصف ←── ثم نتيجة (جواب الشرط) في آية واحدة .

٢ـ مـا ←── وصف ←── نتيجة في آية تالية (أولئك) (آل عمران/١٩٩، النساء/ ١٦٢) .

٣ـ من/ ما ←── وصف نتيجة داخل الآية، بدون استعمال (أولئك)، التوبة/٩٩،٩٨،

ونلاحـظ أن " مـا " عـندما تـتكرر فـي آية واحدة، ندرك مغزاها من خلال تتبع مقارنة النصوص القرآنية، وهي المقابلة، كما في إبراهيم/ ٢ ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِـي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وإبراهيم/٣٨ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا

نُعْلِنُ وَمَا يَخفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ مثلاً *. إلا أن ثمة قضية تحتاج إلى إثارة وجيزة، أعرض لها كالتالي، ففي قوله تعالى﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ يس/ ٣٥ .

وتتمثل المشكلة في إعراب ما فوق الخط (وما)، فـ " نحو الجملة " لا يمنع أن تعرب (ما) اسماً موصولاً، وفي هذه الحالة تكون " الواو " عاطفة، غير أن ثمة رأيا آخر مفاده أن (ما) تكون نافية، وبالتالي فإن (الواو) للحال، على اعتبار أنها موصولة، يكون المعنى ليأكلوا من ثمره الذي عملته أيديهم، وعلى أساس أن (ما) نافية ليأكلوا من ثمره ومما لم تعمله أيديهم، وهذا الرأي الأرجح، على اعتبار أن الأكل مما لم تعمل الأيدي، أدعى إلى الشكر مما تعمله اليد، وذلك مأخوذ من قوله : أفلا تشكرون، توكيداً على هذا الرأي [٤٧] .

<u>٤/٥ : (ماذا) ودورها في تماسك النص :</u>

لا ريب أن تصورات النحاة حول جملة الأسماء الموصولة تجعل (ذا) مع (ما) الاستفهامية، ونتبين مما هو وارد في النص القرآني أن (ذا) الموصولة والمرتبطة بـ (ما) الاستفهامية، قد وردت في عدد من الآيات (٢٠) موضعاً .

وواضح أن رؤية النحاة حول جعل (ذا) مع (ما) الاستفهامية تجعل القارئ في حيرة ، وأنى لنا ــ والحال ما سبق بيانه ــ أن نستشرف آفاق (ماذا) ورؤية النحاة حول ذلك لا توحي بعظمة المسئولية الملقاة على (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وتعتضد هذه الرؤية بما يلي بيانه :

١ــ أن ورود (ذا) مع (ما) الاستفهامية في النص القرآني، لم ترد بشكل كبير .

٢ــ وإذا كنا لم نعّول على عدد الورود، فالأجدر والأولى أن نعول على الاستعمال، ونخلص مما هو في السياقات الخاصة بـ (ذا) و (ما) الاستفهامية، أنها ليس فيها ما يحيل إلى (ذا)، وبالتالي فإنها تفتقد إلى صلة لهذا الموصول، وعلى هذا، فإن استخلاص العناصر الفاعلة التي تقوم بها (ذا) في انحباك وانسباك بنية النص، تبدو فقيرة مقارنة بالأسماء

---

* ينظر مواضع أخرى من النص القرآني : النحل/١٩، ٢٣. طه /٩، ١١٠ ١١١. الحج/١٢، النور/٣١ على سبيل المثال لا الحصر .

٤٧ ينظر حول هذه الجزئية د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ٩ .

الموصــولة الأخــرى، إذ لــم يمكن استخلاص عناصر فاعلة لها، إلا على مستوى الجملة وداخل حدود الآية، بل الجزء من الآية الواحدة .

وبيّن من هذا أن السمات الوظيفية لــ (ذا) مع (ما) الاستفهامية، هي السمات ذاتهـــا مع (ما) في أن عملها لا يتعدى حدود الآية الواحدة، وهذا من شأنه أن يقلص من ورودهـــا، بالإضافة إلى أننا لم نجد لها وظائف أخرى ــ من خلال تتبع النصوص الواردة فيها ــ إلا ما ذكرت .

٦/٤ : (أي) ودورها في تماسك النص :

نخلــص من خلال نصوصها المذكورة في القرآن الكريم : أنها وردت في مواضع لا تقــل عما ورد لــ (ذا) مع (ما) الاستفهامية، وربما تكون أكثر، بيد أن المعول عندنا لــيس بكــثرة التردد، بقدر ما نعول على الوظائف التي تقدمها، وليس مراداً بما سبق أن نقلــل مــن أهميتها، وأن هذه الوظائف لــ (الذين، الذي، التي، من) حاضرة جميعها هنا، وإنما المراد بهذه النصوص تمثيلاً جيداً لهذه الظاهرات مجتمعة .

ونتوصــل مما سبق أن عدداً من الملاحظ في تصوري على جانب كبير من الخطر مــن جهتيــن، الأولــى: أن وظــيفة النصوص التي وردت فيها (أي) ، لم تتجاوز حدود الجملــة، وهــي تعطي تصوراً واضحاً يمكن أن نخلص إليه . الثانية : أن الوظيفة الأولى تجعلهـــا تشــترك (أو تتساوى) مع كل من : ما ، ماذا ، من، وبالتالي يبدو تقسيمي البادي فـــي صدر البحث أن هذه الأسماء من حيث العمل والأهمية ليس شيئاً واحداً، وليس مراداً بما سبق أن تكون هذه العلل حاضرة في جميعها بدرجات متساوية،وإنما تمثل تمثيلاً جيداً.

ومن ثم فليس جديراً بالنظر أن تُحمل هذه الأدوات على عواهنها، وإنما الأجدر أن تســتقرأ في مظانها، وأنها كانت حقيقة أنه تستنبت بذرتها وتحظى بالرعاية، والسقيا، بدلاً مــن تركها تؤخذ على علتها، خاصة أن السياقات اللغوية وغير اللغوية، ربما تنتج قواعد تشــذ عن القاعدة، وهو ما أطلق عليه في " نحو الجملة " بــ الاطراد، أي اطراد القاعدة والمعيارية [٤٨] .

٤٨ ينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص١، وينظر نقد د. سعد مصلوح لرؤية د. تمام في : المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص ص٧.

ويتحصل مما سبق بيانه في البحث أن الصيغة التي اقترحتها في صدر البحث من تجزئة الأسماء الموصولة، وجَعْلِها في فئات ثلاث لرُؤية جديرة بالنظر وأخذها في الاعتبار، والرأي عندي أنه لا حجة فيما أورده النحاة على أنه قول فصل، وإنما ينبغي أن نرجع فيه البصر، ونديم فيه النظر، ونوسّع الدائرة فيما ورد في التراث العربي من مادة يمكن أن تستثمر الاستثمار الأمثل، وليس كل حصيلتهم، يندرج في إطار " نحو الجملة " خاصة إشارات المفسرين التي تعدت في أحايين كثيرة قواعد النحاة، وتجاوزت ـ بناء على الاستعمالات الفعلية ـ حدود ما قعّد له النحاة، وضربوا في مواضع عدة بقواعد النحاة عرض الحائط، هذه الإشارات، هي التي ينبغي أن تؤخذ بعين الفحص والدرس؛ ليتناسخ الموروث القديم والوافد المعاصر في جسد المثاقفة الحديثة .

٥/٠ : رسم تخطيطي لنموذج الإحالة خاص بالاسم الموصول :

٥/١ : السمات المميزة للإحالة :

نشير إلى أن جوانب التحليل تعتمد على إمكانيتين في غاية الأهمية، وإن كانتا تنتميان إلى جوانب تحليلية مختلفة :

١ـ تقديم الدلالة الجزئية في النص، ويعتمد ذلك على العلاقات القائمة بين الجمل والاستبدال اللفظي، ويمثل ذلك الجمل في علاقات بعضها ببعض، وأن هذه الرؤية لا تتجاوز حدود نحو الجملة.

٢ـ تقديم تفسير للدلالات العامة، من خلال المفارقات القائمة بين السياقات، على الرغم مما يبدو من تشابه بادي، ومن ثم يظهر أن هذه النظرة أوسع مما هي في النقطة السابقة، وأن التصورات تمثل رؤية نحو النص، والملحظ السابق يمثل تصورات نحو الجملة، وينبغي أن نشير إلى أن التحليل في هذا البحث يعتمد الإمكانيتين معاً، ومن ثم يفيد من تصورات نحو الجملة ولا يرفضه ويوسّع من دائرة البحث فيه، فيما يمكن أن يمثل تصورات لنحو النص، وهكذا تتبدى رؤى جديدة، ربما لم تخطر في ذهن منتج النص .

ونؤكد أن اعتمادنا العنصرين السابقين الذكر، إنما يشيران إلى أن عناصر التحليل النصي، لا يمكن بأية حال من الأحوال أن ترفض نحو الجملة، وإنما تنطلق منه، وتوسع فيه لتقديم جوانب مضيئة لإثراء تفسير النص .

وإذا كانـت الوظـائف الإحالية متعددة ومختلفة بتعدد السياقات، فإن هذا الاختلاف ينتج عنه اختلاف آخر، وهو يكمن في بنية الإحالة . وتجدر الإشارة إلى أن الإحالات لاسم الموصول تأتي في إطار نوعين :

١ـ الإحالـة الصـريحة : وتمـثل الإحالة الأساسية التي يأتي عليها الاسم الموصول، في إحالتها إلى ما هو سابق أو لاحق بشكل صريح ومحدد .

٢ـ الإحالـة الضـمنية : وهـي أقـل من الأولى في الاستعمال القرآني، وتأتي من خلال نوعين:

أ ـ الإحالة إلى ما هـو خارج النص، وهي خاصة بالذات العلية (لفظ الجلالة) .

ب ـ الإحالة بالضمائر (ضمائر الفاعلية والمفعولية ... الخ)، وهي تعمل :

ـ داخل حدود الآية، فتعمل على تماسك الآية من خلال تكثيف الروابط والتركيز عليها . ـ خارج حدود الآية، بإعادة هذه الأفعال أو الصفات إلى المركز الأساسي المحيل إليه ، وهنا نود إبراز السمات الأساسية الجامعة على النحو التالي :

ح	يعنـي هـذا الرمز إحالة، فإذا كانت الأسماء الموصولة من المبهمات، وبالتالـي فإنها لا تكتسب معناها إلا من خلال وجودها داخل جملة على الأقـل، وتمـثل السـمة الأساسية لكل عنصر موصولي على الإطلاق، إضـافة إلـى العنصـر المفهومي كالمقارنة المقابلة والتفسير... الخ، وبالتالي فهي الوظيفة العامة للاسم الموصول . وينبغي أن أشير إلى أن ترتيب هذه الرموز والمصطلحات، إنما جاء تـبعاً لأهميـتها ومـدى انتشارها في النص، ومن هنا، فإن المقدم هو الأهم، يليه ما هو أقل أهمية .
ح . م	نقصد بها الإحالة المعجمية، وتشترك فيها كل من : الذين، الذي، التي، من، وتأتي من خلال شكلين :
(ح . م)	<u>الأول</u> : خـارج حدود الآية، وهي تحيل دائماً إلى عنصر محدد أو كلمة أو وصـف فـي آيـة أو اثنتيـن أو ثلاث، وقد يتجاوز ذلك في بعض المواضع .
(ح . ق)	الثاني : الإحالة بالمقابلة، وتأتي مع اسم الموصول مثل : الذين، الذي،

التي، من، وبالتالي فإن هذه السمة أقل شيوعاً من الإحالة المعجمية من حيث ورودها في ثلاثة أسماء موصولة، في مقابل أربعة أسماء موصولة في الإحالة المعجمية، وهذه الإحالة تأتي في أشكال عدة ومختلفة على النحو التالي

(ح . ق . م) إحالة مقارنة باستخدام (إما)، وتشترك فيها : الذين، من، ومن ثم فهي أخص، وتأتي من خلال :

(ح. ق.م. د) داخل حدود الآية .

(ح. ق . م)

(ح. ق. أ. خ) إحالة مقارنة من خلال (إمّا) أو (أمّا) خارج حدود الآية، وهي وما قبلها، تأتي بشكل يكاد يكون متقارباً من خلال الاسم الموصول . وبناء عليه، يمكن استخلاص أن : الذين، من، تعدان اسمين موصولين أساسيين في الأسماء الموصولة في قضية الوظائف الإحالية للأسماء الموصولة .

(ح . ق . ب . م) إحالة مقارنة بدون (أما أو إمّا)، وتمثل هذه سمة أساسية في النص القرآني، وهي عنصر دلالي (Kohärenz)، تعمل من خلال :

(ح. ق. ب. م. د) إحالة مقارنة بدون استعمال (أما أو إمّا) داخل حدود الآية .

(ح . ق . ب . م . خ) إحالة مقارنة بدون استعمال (أمّا أو إمّا) خارج حدود الآية ونلاحظ من خلال تتبع النصوص، أنها جاءت تراوح بين الإحالتين، حتى نكاد نقول إنهما يمثلان سمة متقاربة من حيث الورود .

(ح . ق . ك) إحالة مقارنة باستعمال (لكن)، وتأتي فقط مع (الذين)، وهي أقل أنواع الإحالة بالمقارنة، من حيث الكم والكيف على السواء .

(ح . ق . ذ . ن) إحالة مقابلة بين (الذين) و(من)، وهي ليست مثل الإحالة بالمقابلة بدون (أمّا أو إمّا) فانتشارها يعد أقل، لكن ليس بالمقابلة بـ (لكن)، غير أنها ربما تزيد قليلاً .

(م) : (ما) على الرغم من كونها تؤدي معنى "الذي"، إلا أنها لا تقوم بوظائفها وتدل المقارنة بين الوظائف الإحالية لـ (الذي) و(ما) على تحقق ذلك، إذ لا تحيل إلا لما هو داخل الآية فقط، وتعد بذلك أقل الأسماء الموصولة من حيث الوظائف الإحالية .

٢/٥ : تقسيم الأبنية وإحالاتها في النص القرآني :

بنية جديدة : (ب . ح. ج) وهي البنية التي تأتي لأول مرة في موضعها، ويحيل إليها الاسم الموصول إحالة مباشرة، سواء أكانت موجودة أم محذوفة .

بنية غير جديدة (ب.غ.ج) وتمثل البنية التي يقع عليها الاسم بطريقة غير مباشرة، والتي يمكن أن تحال في النص بطريق غير مباشر، والتي يمكن أن تحال في النص بشكل ضمني .

متطابق(ت) هنا يوجد للاسم اسم آخر يسبقه أو يلحقه في النص، ويحال عليه الشيء نفسه بطريق مباشر أو غير مباشر .

غير متطابق (غ. ت) هنا يوجد للاسم اسم آخر مماثل له (مطابق له)، يمكن أن يسبقه أو يلحقه في النص .

محدد (ح) هنا ينبغي للمتحدث تحديد الموضوع، الذي يمكن أن يحال إليه الاسم بطريقة مباشرة .

غير محدد (غ .ح) لا يمكن للمتحدث أن يحدد الموضوع الذي يحيل إليه الاسم بشكل مباشر .

عام (ع) أن الاسم لا يؤدي مباشرة إلى الإحالة الضمنية، ولا يقوم على موضوع محدد منه .

خاص (خ) لا يؤدي الاسم إلى الإحالة مباشرة، ولا يقوم على خاصية محددة.

تقابلي : (ق) يوجد بجانب العنصر الإحالي عنصر مفهومي آخر كالمقابلة بين المؤمنين والكافرين، وله دور في تماسك النص، ويدعم الإحالة ويقويها .

غير تقابلي (غ . ق) يحيل اسم الموصول إحالة واحدة بدون وجود المقابلة بين الآيات .

معروف(ف) هنا يفترض المتحدث أن البنية التي يحال إليها الاسم بطريقة مباشرة معروفة للسامع، ذلك أن المتكلم يفترض أن هذا الموضوع معروف للمتلقي .

مجهول(هـ)	هنا يفترض المتحدث أن الموضوع الذي يمكن أن يحال إليه الاسم بطريقة مباشرة ليس معروفاً للسامع، ومعنى ذلك أن المتحدث يعرف هذا الموضوع ولا يمكن تحديده أو معرفته عن طريق التلقي، وبالتالي ربما يحتاج إلى أسباب النزول أو السياق المقامي .
محدد بشكل مباشر(م. ش. ب)	حيث إن المتحدث يفترض أن الموضوع الذي يحال عليه الاسم مباشرة يمكن أن يُعرف أو يحدد مباشرة من المتلقي/ المستمع .
غير محدد بشكل مباشر(غ.م. ش)	حيث إن المتحدث يفترض أن الموضوع الذي يحال إليه الاسم غير محدد بطريقة مباشرة للمتلقي .

٣/٥ : محدد النص : Textmark :

يعتمد هذا العنصر على العنصر السابق (السمات المميزة للإحالة)، ومن ثم يكون تنظيماً وتوضيحاً له، وهكذا تتجلى العلاقة بينهما .

ونقصد بـ" محدد النص " السمات الجوهرية التي تقوم عليها الإحالة في المطلب السابق، ويمثل النص سمة دلالية مهمة، يؤدي إلى تفصيلات دقيقة، تظهر جوانبه وتحدد قضاياه، وعلى أية حال، فإن محدد النص يختلف باختلاف النصوص، إذ يمثل "محدد النص" عناصر قد تتفق أو تختلف مع نصوص أدبية أخرى، وبالتالي فإن استنتاج محدد النص، يعتمد بشكل أولي على استنباط السمات العامة للإحالة في النصوص المختلفة . وإذا كنا نعتمد النص القرآني كمادة تحتاج إلى تحليل، ونحتسبه نصاً واحداً، رغم كونه حاصل سياقات عدة تتنوع ما بين :

١ـ النصوص الحوارية : ويمثلها حديث موسى مع الحق سبحانه، أو حديث موسى مع الرجل الصالح، أو حديث المرسلين مع قومهم، وحديث الكافرين مع خازن النار (مالك) .

٢ـ نصوص خاصة بالمستقبل (حوارات فردية ـ متجهة إلى الخارج) وتمثلها نصوص الدعاء : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ... لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ...الخ .

٣ـ نصوص حوارية خاصة بالمرسل (حوارية فردية، متجهة إلى الداخل) وتمثلها النصوص القرآنية، الأوامر والنواهي، وهي تمثل قاعدة النص في القرآن الكريم ـ حسب

رؤيـــة الفقهاء ـــ : افعل أولا تفعل، وبالتالي شغلت حيزاً مرموقاً منه، وقد أدى هذا الملحظ إلى جملة من التصورات نسوقها كالتالي :

أـــ أن الفقهـــاء فـــي علم الأصول، أدركوا ذلك، فحظي باب الأمر والنهي بمساحة لا بأس بها.

ب ـــ أن المحدثيـــن لاحظوا هذا الاهتمام في القرآن الكريم من ناحية، وتركيز الفقهاء من ناحية ثانية، فأدى بهم إلى تخصيص دراسات في هذا الاتجاه، وجاء هذا الاهتمام من خلال طائفتين :

الأولى : دراسة الفقهاء الأصوليين، إذ خصصوا جزءاً كبيراً من أبحاثهم فيما يتعلق بقضية الأمر والنهي، وتدل الدراسات التي لا داعي لذكرها هناعلى ذلك .

الثانـــية : دراسة اللغويين، وقد أدى البحث في القرآن الكريم إلى معالجة مثل هذه القضايا مـــن الناحية الدلالية، والدراسات في هذا المجال، لا تقل أهمية من حيث الكم والكيف، عما هو قائم في الطائفة الأولى .

٤ـــ النصوص الوصفية (متجهة إلى وصف فعل خاص بالمستقبل) :

أـــ نصـــوص وصفية خاصة بالمقابلة : تمثل سمة بارزة في النص القرآني، من حيـــث جـــزاء المؤمـــن وعقـــاب الكافـــر، وتأتي هذه النصوص في أشكال شتى ومتـــنوعة، وقد أدى هذا التنوع إلى إفراز ألفاظ دلالية تدور في فلك الجذر الدلالي للمؤمن والكافر، وقد أشرت في مطلب سابق إلى ذلك.

ب ـــ نصـــوص وصـــفية خاصة بالإحالة المعجمية / الوصف، وتمثل سمة من حيث الانتشار تجعلها في مرتبة دانية مما هي قبله .

وبـــناء على ذلك، فإن هذه الأنواع المختلفة من النصوص تثري النص القرآني من جهـــة، ومـــن جهة أخرى تمثل حصيلتها الأخيرة " قاعدة النص " القرآني، وبالتالي يكوّن الـــنص بناء لغوياً معبراً عن سياق واحد أو عدة سياقات، ينجز مهمة اجتماعية من خلاله، وهـــذا البناء اللغوي قد يطول، وقد يقصر تبعاً للسياقات، غير أن الذي يظل ماثلاً أنه أطول من الجملة .

وبالتالـــي لا يمكـــن أن نتصور " النص " بدون " الجملة " وذلك أنها تمثل الأساس الـــذي يـــتكون منها، وهنا نشير إلى أن هذه الجمل فيما تتفاعل من خلال عدد من الأدوات والضـــمائر والروابط الصريحة والضمنية وحروف الجر والإحالات بأنواعها، وكلها عناصر

فاعلــة في سبك وحبك بنية النص . و ليس من ظل لريب في أن الأساس الذي تنطلق منه هــو الجملــة التـــي تكــون مع جمل أخرى البنية الكبرى، وبالتالي فإنه ليس هناك إنكار للتصـــورات القائمة ثمة، وإنما الانطلاق منها إلى ما هو أرحب، وبالتالي ليس صحيحاً، ما يقال إن تصورات " نحو النص " تقصي تصورات " نحو الجملة " ولا تعتد بها .

وهــنا أحــاول أن أستظهر العناصر الموصولة ودورها في تماسك النص القرآني، ونلم كلما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، فيما يتعلق بالعناصر الموصولة والعناصر اللغوية الأخرى : حــروف العطف والروابط اللغوية الأخرى، إضافة إلى عناصر التماسك الدلالي ، وأراها بــارزة هــنا فيما أطلقت عليه بـــ "المقابلة" والإحالة المعجمية/ التفسيرية .... إضافة إلى عناصــر أخــرى لا تقــل أهمــية عن العناصر البارزة على سطح القرطاس، على أن هذه العناصر الماثلة على السطح، تأتي في :

١ـ تتابع أفقي للجمل .

٢ـ استقلال نسبي للجمل .

٣ـ تماسك داخل هذا التتابع الجملي .

٤ـ تماسك بنية هذه المكونات، يؤدي إلى تماسك بنية النص* .

وتمــثل هــذه العناصر الخصائص البارزة للاسم الموصول في " نحو النص " في القــرآن الكريم، وتعد سمة " التتابع " سمة نصية مهمة تؤدي ـ لا محالة ـ إن وُجهت أو اســتغلت بشــكل جــيد في التحليل إلى استخلاص تصورات مهمة؛ تظهر جوانب التماسك للبنية الكلية لنص . وأحاول أن استخلص النسق القاعدي لـــ " نحو النص " كما هو وارد في النص القرآني على النحو التالي :

١ـ النص (ص) ⟵ # الجملة (ج) .

٢ـ ج ⟵ م س (مركب اسمي) م ف (مركب فعلي) .

٣ـ م ف ⟵ ف .

٤ـ م س ⟵ س .

* هــذه الخصــائص اعتبرها إيزنبرج خصائص نحو النص، وهي تقريباً تنسحب على ما هو في القرآن الكريم، ينظر فولفجانج/ ديتر: مدخل إلى علم لغة النص ص٢١ .

ب ج
ب غ ج

ت
غ ت

ع
خ

ف
غ ت

ف
غ ق

ف
هـ

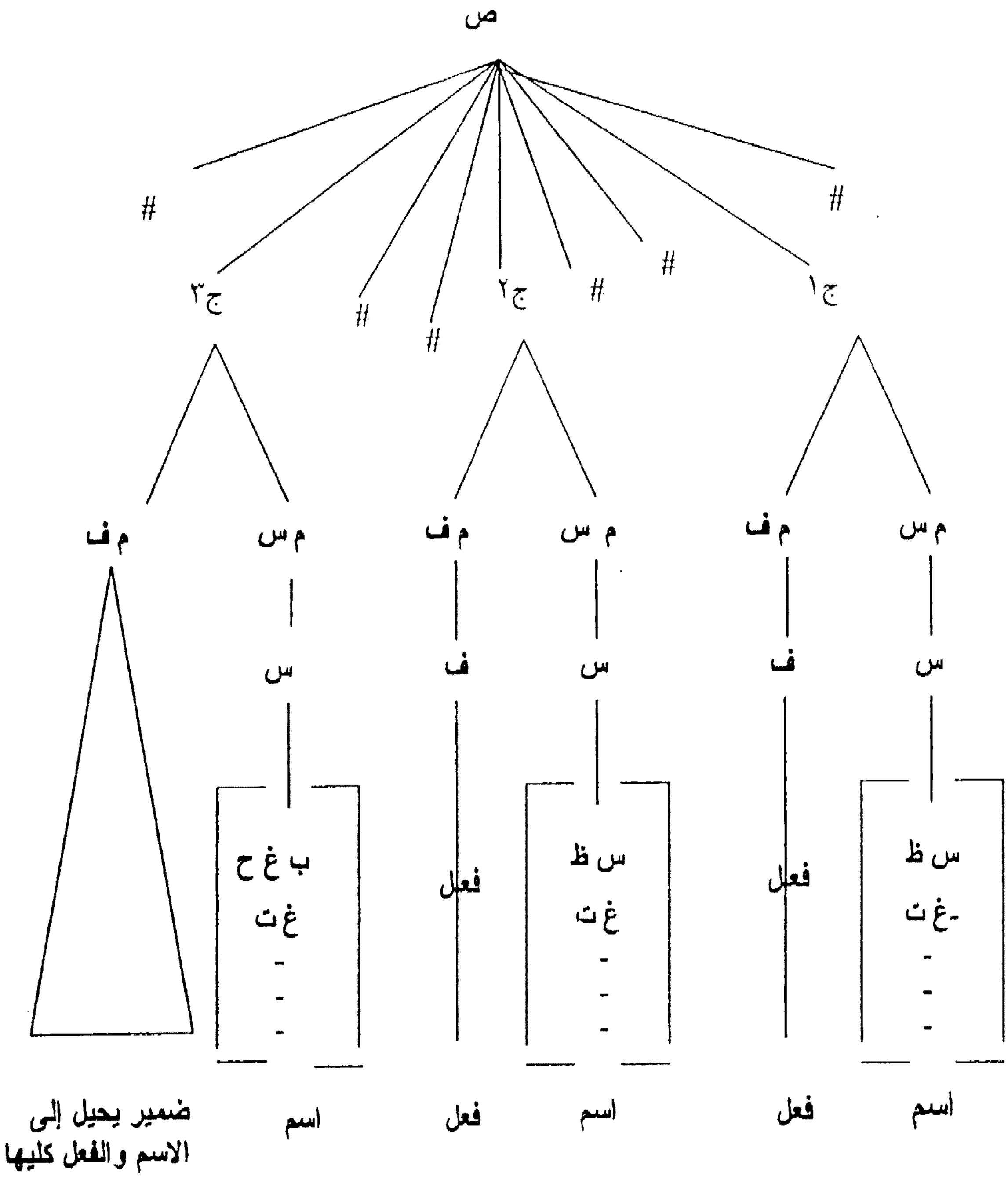
م ش ب
غ م ش ب

*
*

*
*

*
*

← ٥- س



تخطيط يوضح النسق القاعدي للاسم الموصول في النص القرآني

٤/٥ : قواعد النص (Textregeln) :

لا ريب أن " نحو الجملة " الذي كان سائداً في الأنحاء التقليدية، هو الذي ينتج قواعد النص، غير أننا ننظر إليه نظرة أخرى من خلال علاقات اسم الموصول التي تتجاوز حدود الجملة في" نحو النص "، وقد تمت معالجة الاسم الموصول في نحو الجملة، بيد أن معالجتهم لم تتجاوز حدود الجملة، كما تم بيان ذلك في صدر البحث، وليس المقصود بـ " نحو النص " أننا نتصور نحواً جديداً، وإنما مقصدنا في ذلك أن نوسّع النظر، ونستخلص عدداً من القواعد الحاكمة للاسم الموصول في القرآن الكريم، التي يمكن أن نطلق عليها قاعدة النص ، وأذكرها في العناصر التالية :

أولاً : الاسم الموصول يمثّل عنصراً إحالياً :

أ ــ إلى جذر دلالي محدد، وهذا العنصر قد تكون :

ــ إحالته قبلية، وهي تأتي في إطار نوعين :

ــ إحالة أوسع : وهي الإحالة المعجمية التي تحيل إلى جذر دلالي في الآية السابقة، وبالتحديد إلى الآية السابقة مباشرة أو غير ذلك .

ــ إحالة أضيق : وهي الإحالة المعجمية التي تحيل إلى جذر دلالي داخل حدود الآية، وتمثل الإحالة هنا إحالة مباشرة ومحددة، سواء أكانت إحالة واسعة أم إحالة ضيقة من خلال استخدام الاسم الموصول .

ــ إحالة أكثر وسعاً : توكيداً للإحالة السابقة بالاسم الموصول، وهي غالباً ما تأتي خلفه، سواء داخل الآية أم خارجها في آيات تاليات، وذلك يأتي دائما باستعمال (هؤلاء و ذلك)، وأحسب أن مفارقة قائمة بينهما في الاستعمال القرآني، حيث تأتي هؤلاء كعنصر إحالي إلى متقدم لما هو سابق غالباً ، وأعتقد أن ثمة مفارقة في الاستعمال بين هؤلاء الدالة على القريب، وذلك الدالة على البعيد، سواء في المكان أو الدرجة، وغالباً ما تأتي (ذلك) كعنصر إشاري / مفسر إلى ما هو سابق تالية لـ (هؤلاء) .

وبناء على ذلك، فإن كلاً من " هؤلاء " و " ذلك " يحيل إلى سابق، كما هي الحال في الذين والأسماء الموصولة، غير أن ثمة مفارقة ماثلة بينهما تتمثل في :

١ـ أن إحالــة اسم الموصول تحيل إحالة أضيق وأوسع، فكلما تتكثف أدوات العطف بعدت المســافة بيــن الإحالــة بالاســم الموصول وما يحيل إليه، وفي مثل هذه الحالة قد تكون الإحالة:

ـ بالاسم الموصول المذكور، وهنا تحيل إلى العنصر الذي يمثل المركز الرئيسي .

ـ بالاسم الموصول المقدّر (محذوف)، وواضح من خلال العطف على الاسم الموصول المذكور قــبله اختصاراً، فإذا تجاوز الاسم الموصول حدود الآية الواحدة، فالإحالة واسعة، وكلما ابتعدت الإحالــة (الاســم الموصول) عن المركز الرئيسي، كانت الإحالة أكثر وسعاً، وبالتالي فإن الاسم الموصول يقع الموقعين معاً .

١ـ الإحالــة باسم الإشارة : أولئك، وذلك، فإن إحالته في حالة وجوده مع الاسم الموصول كعنصــر مفســر/إشــاري، إنما تحيل إلى ما هو أبعد من الاسم الموصول، فإذا كان الاسم الموصــول يقع الموقعين ـ كما أشرت إلى ذلك أعلاه ـ فإن اسم الإشارة يحيل إلى ما هو أبعد من الاسم الموصول .

٢ـ يلاحــظ أن الإحالة المعجمية والتفسيرية، حين تتجاوز حدود الآية أو داخلها تأتي في مواضــع عــدة ومعها عنصر مفهومي آخر، يربط بين آيتين أو أكثر من ذلك، قد تصل في بعــض المواضــع مــن الســورة، وكلها في قصار السور، وهي تتراوح ما بين الإحالات بالضــمائر، والاسم الموصول وأدوات العطف، وعناصر مفهومية أخرى تتعاون في تماسك بنية النص القرآني .

وينبغــي أن نشــير إلــى أن هذه الجذور الدلالية التي يحيل إليها ويفسرها الاسم الموصــول والعناصــر اللغوية الأخرى، تحيل إحالة مطابقة، بمعنى أن لفظ (المتقين) مثلاً الــوارد فــي البقرة/٢ يوجد له اسم آخر يلحق به في النص القرآني، يحيل إليه بشكل غير مباشر إلى المواضع الأخرى وتمثل : الذين، الذي، التي، الأسماء الموصولة الأساسية التي تعــتمد علــيها الإحالــة المعجمــية، وبالتالــي تسقط العناصر الموصولة الأخرى من هذه الوظيفة.

ثانياً : الاسم الموصول يمثل عنصراً إحالياً وتقابلياً في آن واحد :

وفــي هــذه الحالة يعمل من خلال عدد من الوظائف الإحالية التي أوجز عناصرها في هذا المطلب .

١ــ تأتـــي مـــن خلال الاسم الموصول، ويمثل هذا العنصر أولى أدوات الإحالة، سواء إلى القريب أم البعيد، وغالباً ما تكون إحالة إلى متقدم ــ كما مضي بيانه في موضعه ــ ويأتي هذا الربط بالاسم الموصول من خلال مستويات عدة أبرز جوانبها فيما يلي :

ــ يمثل الاسم الموصول يمثل :

ــ عنصرا إحالياً إلى متقدم في ذات الآية .

ــ عنصراً إحالياً إلى متقدم داخل السورة .

ــ عنصراً إحالياً إلى مواضع أخرى، وهي تأتي من خلال عنصرين، إما إلى سابق عليها، وإما إلى لاحق لها .

هذا فيما يتعلق بالاسم الموصول في ذاته، وهو في مثل هذه الحالات يمثل مركزاً، ومما يدعم هـذا الاستخلاص أن كل الإحالة بالضمائر المختلفة، تحيل إليه وتعود عليه، وهذا يحدث تماسكاً نصياً من خلال هذه الإحالات، وفي هذا السياق، أود أن ألفت النظر إلى أن الضمائر المختلفة تأتي في إطار :

١ــ ضـمائر تعمـل علـى الربط، داخل حدود الآية، وتمثلها أدوات الربط التي تربط داخل الجملة فقط .

٢ــ أدوات ربط تتعدى حدود الآية إلى أكثر من ذلك، وقد يصل إلى مدى أبعد .

علـى أنني أقرر أن هذه الأدوات تمثل أدوات ربط خاصة بـ " بنية السطح "، وهنا نلاحظ أن عناصر التماسك النصي في القرآن الكريم متنوعة وكثيرة منها :

ــ مـا هـو رابـط سطحي : ويأتي خلال عدد من الإحالات القريبة والبعيدة، والتي أشرت إليها .

ــ مـا هـو مفهومـي : ويأتي من خلال عدد من الوظائف المفهومية الحابكة لبنية النص .

تمـثل الإحالـة بالاسـم الموصـول إلى مواضع مختلفة سمة جوهرية ينتج عنها تماسـك بيـن بنية السطح للنص، ويترتب على هذا التماسك السطحي تماسك دلالي، وهذه رؤية موجزة أفصل فيها القول .

نلاحـظ أن الاسم الموصول، يأتي في النص القرآني معه ذكر المؤمنين، ثم وصف وتفصيل (قد يكون داخل الآية، وقد يكون خارجها) ثم يكرر الاسم الموصول مرة أخرى،

غير أن الإحالة هنا تحيل إلى الكافرين ـ مثلاً ـ أو أحد مشتقاته الدلالية، وتكررت هذه المقابلة في مثل هذه المواضع، حتى أننا أعددناها عنصراً رابطاً، وإن كانت عنصراً مفهومياً، ومن هنا فإن الإحالة تأتي من خلال :

١ـ إحالة بنية السطح : وتأتي في المستويات الواردة أعلاه، وهي روابط ذات أثر كبير يتجاوز مداها حدود الآية والسورة والجزء إلى مواضع مختلفة من صفات المؤمنين أو الكافرين أو ما يدور في فلكها، وجاءت الإشارة إليها فيما ورد فوقاً .

٢ـ إحالة بنية العمق : وهي عنصر مهم في ربط أكثر من آية، وإن بقي نطاقه أضيق داخل حدود عدد من الآيات أو السورة، على أية حال هو لا يتجاوزها؛ لأنه يظل يعمل كعنصر مقارنة بين متقابلين، وبالتالي فربطه أضيق من الربط السطحي .

٣ـ وإذا كانت الإحالة المعجمية والتفسيرية تأتي من خلال : الذين، الذي، التي، فإن الإحالة الخاصة بالمقابلة تأتي من خلال (الذين) منفردة؛ أي (الذين) في كلتا الطائفتين، و(من) و (التي) ، وهي تأتي في بعض الحالات مع (الذين) وتمثل هذه السمة الجوهرية لمثل هذه المواضع .

وبناء على " قاعدة النص" فيما يختص بالأسماء الموصولة، فإن : الذين، الذي، التي، من، تمثل العناصر الأساسية، فيما يتعلق بالوظائف الأساسية للأسماء الموصولة في القرآن الكريم .

ـ الاسم الموصول يمثل عنصراً رابطاً فقط :

وتأتي هذه المواضع كعنصر رابط داخل حدود الآية، وتأتي الأسماء الموصولة في هذه المواضع لتمثل عنصراً رابطاً فقط بين جملتين داخل حدود الآية من خلال الإحالة .

فإذا كانت : الذين، الذي، التي، من، تأتي في " قاعدة النص "، فإن (ما) الموصولة لم تذكر في المواضع السابقة، وبالتالي ظل عملها مقصوراً على اعتبارها اسم موصول فقط (عنصر إحالة) بين جملتين داخل حدود الآية الواحدة، على الرغم من أنها تأخذ معنى (الذي) إلا أن تتبع المواضع التي وردت فيها أظهر تميز(الذي) عن (ما) على الرغم من قول النحاة إن (ما) بمعنى (الذي)، إذ تبيّن النتائج أن (الذي) لها وظائف دلالية وإحالية غير متوفرة في (ما) .

على أننا ينبغي أن نشير إلى أن الأسماء الموصولة ـ الذين، الذي، التي، من ـ لم تأت فيما أوردناه لها من قواعد النص فيما سبق، وإنما تمثل تلك العناصر الأساسية

لهـــا، بـــيد أنها في سياقات عدة، تؤدي وظيفة (ما)، كما تؤكده النصوص، وبالتالي فإن وظــيفة هــذه الأســماء الموصولة المذكورة أكثر تعقيداً من وظيفة (ما)، إذ إنها تعمل في اتجاهات عدة وسياقات مختلفة، وبالتالي فإن هناك عدداً من الأسماء الموصولة لم يأت لها ذكر، تبعاً لقلة ورودها في النص القرآني، ومن ثم في دورها في ربط البنية الكلية للنص.

تـــتعدد أشكال الروابط النصية تبعاً لاختلاف السياقات اللغوية وغير اللغوية، وبناء علــى ذلك، فإن ثمة روابط داخلية، كالروابط الزمانية والسببية (الترابط السببي) والربط المرجعي والتنويع فيه .

وإذا كــان كــل نص له تصنيفه الذي يوائمه، فإن مرده إلى طبيعة النص، فتقسيم بنية النص إلى وحدات، تناسب الوحدات النصية للمحادثة، مفارقة لتقسيم الرواية، وتقسيم كــل مــنهما مختلف عن تقسيم الشعر، وعلى ذلك كله، فإن تقسيم بنية النص القرآني إلى وحــدات، خلافــاً لما هو سائد في النصوص الأخرى، أمر مقرر في الدرس النصي مراعاة لطبــيعة النصوص من ناحية، ولأن هذا يؤدي إلى استخلاص الروابط المتنوعة التي تقبلها النصــوص ولا تردها، وإلى التقسيمات المختلفة التي تشكل أساساً لتوزيع النصوص . وإذا كانت النصوص تقسم إلى محادثة، ونصوص روائية، قصصية وشعرية على اختلافها، فإن اللافت للنظر هنا في النص القرآني أنه يحتوي على :

١ــ جوانب قصصية، تمثل سمة بارزة فيه .

٢ــ جوانب من المحادثة أو لغة الحوار .

٣ــ جوانب من اللغة الواصفة .

٤ــ جوانب تتعلق بالإيقاع الصوتي (الانسجام الصوتي) ... الخ .

وبالتالــي فــإن كل نوع يحتاج إلى كشف السمات الرابطة، وبناء عليه، فإن الذي يقــع ضــمن إطار هذا البحث هي الجوانب التي يمثلها النص القرآني في العناصر المشار إلــيها أعــلاه، إنما هي اللغة الواصفة، ذلك أن جملة الصلة في القرآن الكريم، وهي رؤية مقــررة لــدى النحاة تنتمي إلى التركيب الخبري، وهي تعتمد على النصوص الوصفية، أو هــي ســمة أساســية ترتبط بها، وتبدو هذه النظرة منطقية في ضوء رؤية البلاغيين، أن الخبر هو الذي يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب، خلافاً للتركيب الإنشائي، الذي لا يجوز الحكم عليه بالصدق أو الكذب .

وإذا أردنـــا تطبـــيق هذه الرؤية على جملة الصلة في القرآن الكريم، أمكننا فصل القول بأنها جملة تحتمل الصدق والكذب، وهي جملة وصفية، ومن هنا فإن القاعدة النصية المستخلصـــة تنسحب عليها فقط دون غيرها من السمات اللغوية الأخرى، إذ يحتوي النص القرآنـــي علـــى أنواع شتى من أنواع النصوص، وما خلصت إليه الدراسة يندرج في إطار الجملة الخبرية عامة، وجملة الصلة خاصة .

إلا أن هـــذا يمكـــن أن يؤخـــذ مـــن منظور آخر، أن المتلقي له دور في ربط هذه العلاقات الكائنة في النص، وبالتالي فالمعول على المتلقي .

ـ التـــتابع الزمنـــي فـــي النص، أي أن كل فعل مترتب على زمن الفعل الآخر، وغير مناقض له، وإنما يتسق معه ويكمل معناه .

ـ الـــروابط ، وأحســـب أن المتلقي عليه معّول في فهم هذه العلاقات القائمة بين بنية الـــنص، وأنهـــا تعمـــل على سبك وحبك أجزائه، بداية بالبنية الصغرى وانتهاء بالبنية الكبرى .

ـ الجملـــة المكملة في النص : تؤدي دوراً تفسيرياً، لا تقل أهمية عما يمكن أن يكون عمدة فيه، وتسمى لدى النحاة بالفضلة، ومن هنا يكون دورها تفسيرياً .

وأحســـب أن اعتبار بعض الجمل (فضلة) في النص، يمكن أن ينطبق على جملة الصـــلة، لكن ليس في كل الحالات، وإنما في حالة اعتبارها عنصراً مفسراً وهي سمة تتفق فـــيها (الذيـــن، الذي، التي)على اختلاف بينها في النسبة، على أية حال، فإنها تمثل سمة جوهرية في هذه الأسماء .

وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أن التتابع الزمني للأفعال المكونة لبنية الأفعال الإنجازية المكونة لجملة الصلة، تأتي متسقة مع كل الأزمنة، ليس على مستوى :

ـ الآية الواحدة .

ـ العدد من الآيات .

ـ السورة الواحدة .

ـ النص القرآني .

أما الروابط النصية الأخرى (سواء العطف منها أم الضمائر المتصلة فقط) فقد حاولت ما وسعني الحوال، أن أبرز بعضاً من جوانبها، وتبقى السمة المستخلصة كوظيفة لاسم الموصول، وهي :

ـ التفصيل بعد الإجمال (التفسير) .

ـ المقارنة، كعناصر دالة على أهمية اسم الموصول في التماسك الذي يتعدى ما فوق الجملة إلى التماسك الذي يتجاوز الآية والآيتين .

وتعد هاتان الوظيفتان المذكورتان أعلاه وظيفتين تنتميان إلى العنصر المفهومي (Kohärnz)، وهو ما يتعلق بـ (بنية العمق)، وإذا عمقنا الرؤية فيهما، أمكننا أن ندلي بدلونا في ما يتعلق بهما على النحو التالي :

العنصر المفهومي الأول : التفسير المعجمي والتفصيل في النص القرآني أن هذه السمة الجوهرية، تأتي لتمثل هذه الوظيفة كتفسير للعنصبر المعجمي الكائن في نهاية الآية السابقة، أو في ذات الآية، وفي كل منها تأتي الإحالة إلى عنصر متقدم، غير أن هذا التفسير ليس في كل المواضع، وإنما يأتي كمادة تفسيرية لما هو سابق عليها، ويدل على أن هذه الوظيفة فضلة أن :

١ـ النص يمكن أن ينتهي بدون ذكر هذه الصفات دون أن يكون هناك خلل في البنية الإنجازية للأفعال اللغوية .

٢ـ هناك مواضع عدة من النص القرآني تنتهي بـ (المتقين) أو بـ (المحسنين) وبـ (المخبتين) والكافرين والفاسقين ... الخ دون أن يأتي في الآيات التاليات تفسير وتوضيح (وصف)، وهذا ما يدعم أن هذه الوظائف فضلة، ومرد هذه الرؤية أن طبيعة الصفات محددة، وبالتالي فإن :

١ـ ما ذكر في المواضع المحددة الأخرى والمشار إليها في البحث، تغني بما هو ليس وارداً في المواضع الأخرى .

٢ـ حدوث تكرار دون داع، ومن ثم يحدث خلل في البنية اللغوية .

٣ـ ذكر الصفات في مواضع، وعدم ذكرها في مواضع أخرى من شأنه أن يعكس التماسك بين هذه المواضع عن طريق المقابلة .

٤ـ هذه الصفات لو ذكرت في كل المواضع ما أمكن حصرها والوقوف عليها، بما يستدعي عناصر واصفة غاية في الاستطراد، لا داعي لها .

العنصر الثاني : المقارنة / المقابلة :

وتكون دائماً بين متضادين، وقد كشفت الدراسة أنها تأتي من خلال مستويات عدة :

ـ داخل الآية .

ـ خارج الآية (أو الآيات) .

ـ خارج الآية (متجاوزة عدداً من الآيات) من خلال النتيجة لكل فريق، فقد تكون النتيجة :

ـ داخل حدود الآية .

ـ خارج حدود الآية .

وهذه النتيجة، قد تؤكد بمؤكدات لغوية، كالتكرار والضمير المنفصل واسم الإشارة وغير ذلك، في مقابل الجانب الآخر حين تتعدى حدود الآية، وبالتالي تكون الروابط من خلال هذه الصفات، إلا أن تكرار هذه السمة التركيبية وهي سمة مفهومية في النص القرآني، جعلت منها سمة جوهرية، واستطاعت الدراسة أن تستخلص وظيفة المقابلة، ومن هنا فإن عدم الاعتداد بها لا يقلل من أهمية العناصر اللغوية الماثلة على سطح القرطاس .

غير أن هذه الوظائف المفهومية مهمة في بيان التماسك الدلالي الذي يتعدى ما فوق الآية، خاصة أنها وظائف غير ماثلة في البنية اللغوية، وبالتالي فإنها تعمل على تماسك أجزاء عدد من الآيات . على أنني لم أجد أحداً من النحاة أو المفسرين ذكر هذه الوظيفة في ثنايا معالجة هذه المواضع، إلا ما أشار إليه الزجاج والعُكبري في بعض المواضع بما يمكن أن يكون مشاكلاً للعنصر الأول : التفسير المعجمي، إلا أن العنصر الثاني لم أجد أحداً أشار إليه من قريب أو بعيد في حدود ما أعلم .

وهاتان الوظيفتان ترتبطان بالتماسك الدلالي، بجانب عناصر لغوية ماثلة في بنية السطح، وتنتج من خلال العناصر المفهومية والعناصر اللغوية معاً العناصر الرابطة المختلفة، كما أشارت الدراسة إلى جوانب ذلك ثمة، وعلى أية حال، فإن الدراسة أشارت إلى الروابط النصية فيما يتعلق بـ (الاسم الموصول) فقط، ومن هنا فإنه يمكن أن نستخلص عناصر أو وسائل تنصيص أخرى، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال متابعة عدد من

النصوص المختلفة، وقد خلص إيزنبرج[٤٩] (Isenberg) إلى عدد من وسائل بناء النص ، بناء على دراسة عدد من النصوص، وموجزها كالتالي :

١ــ البنية السطحية : Thematisievung

٢ــ الربط السببي : Kausalanknüpfung

٣ــ الدافع / الحافز : Motiv _ Anknüpfung

٤ــ التفسير (التحديد) : Diagnostische Interpretation

٥ــ التخصيص : Spezifizierung

٦ــ التنظيم (الترتيب) : Metasprachliche Einordnung

٧ــ التتابع/ الربط الزمني : Temporalanknüpfung

٨ــ التعليق الافتراضي : Anknüpfung Van Voraussetzungen

٩ــ التقابل الاستدراكي : Adversative Kontrastierung

١٠ــ الانسجام (التوافق) بين السؤال والجواب :

Korrespondenz– Antwort– Frage

١١ــ المقارنة : Vergleisch

١٢ــ تصحيح الأقوال المذكورة سابقاً : Korrektur Von Vorerwähnten Aussagen

وقد اعتمد على استخلاص هذه العناصر من نصوص متنوعة، تنتمي إلى مستويات متباينة في استعمال الروابط، مما أتاح له هذا الاستخلاص العام، مما من شأنه أن يعكس الملامح الجوهرية التي تمثل سمات للنصوص على اختلافها، وقد أدى هذا التصور إلى اعتماد نظرية تعتمد على عناصر مختلفة، منها ما ينتمي إلى بنية السطح، ومنها ما ينتمي إلى بنية العمق،ومنها ما يعتمد عناصر تداولية وغير ذلك، وعلى الرغم من اعتماده على نصوص متباينة فيما توصل إليه، فإنه قد عوّل على نوعين من النصوص، مما يشير إلى أنه لم يفصّل العناصر الأساسية المكونة لبنية الأفعال الإنجازية من جهة، وأن كل نوعية من النصوص لها سمات/ بنية لغوية منجزة لها من جهة ثانية، وأن هذه الجمل هي التي توجه كل الجمل الموجودة في النص، وهذا الارتباط يجب أن

---

٤٩ H . Isenberg : Überlegungen zur die Texttheorie, S .١٥٩،١٦١ .

يكـون بشـكل آلـي، وهـذا يؤكد أن ما استنتجته أعلاه يمثل منهجية أقرب إلى العنوان المقترح .

وتبدو لي رؤية أخيرة في هذا الشأن، أود التنبيه عليها، أن ما توصّل إليه القدماء في الدرس التفسيري، تؤكده جوانب عدة من البحث النصي، ومن ثم فإن هذا البحث يعتمد أفكـار النحاة والانطلاق منها،وتوسيع النظر والإفادة مما قدمه المفسرون، لاستخلاص ما يمكن أن يمثل تصوراً لرؤية النحاة أو بعض المفسرين، أو ما يمكن أن يمثل تصوراً عاماً، يبرز جوانب الاسم الموصول في تشابك وتماسك العناصر اللغوية .

٦ / . : المراجع :

٦ /١: العربية :

١ـ د. إبراهيم بركات : الإبهام والمبهمات في النحو العربـي، دار الوفـاء بـالمنصورة، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٧م .

٢ـ د. أشرف عبد البديع عبد الكريم : الدرس النحوي النصي في كتـب إعجـاز القـرآن الكريم، دار فرحة ، المنيا ، ٢٠٠٣م .

٣ـ د. أشرف عبد البديع : العناصر الأساسية المكونة لنظرية النص "ليزنـبرج نموذجـا"، دراسة تحليلية نقدية، بحث غير منشور.

٤ـ د. أشرف عبد البديع : دلالة التراكيب عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية دار العلوم بالمنيا، ١٩٩٩ .

٥ـ د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص، بحث غير منشور.

٦ـ د. خليل عمارة : الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، دار البشـير، عمـان، الأردن، ١٩٨٩م .

٧ـ د. سعد مصلوح : المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النـص، بحث غير منشور .

٨ـ د. سعيد حسن بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة، مجلة علامات، عدد ٣٨، ٢٠٠٣م .

٩ـ السيوطي : أسباب النزول، دار قتيبة. الطبعة الاولى، ١٩٨٧ .

١٠ـ د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م .

١١ــ عباس حسن : النحو الوافي، الجزء الأول، دار المعارف(القاهرة)، الطبعة الخامسة، د.ت .

١٢ــ العُكبري : التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٣ــ د. فاضل السامرائي : معاني الأبنية في العربية، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الأولى، ١٩٨١ .

١٤ــ الفراء : معاني القرآن، الجزء الأول، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠. الجزء الثاني تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد على النجار، ط بيروت، ١٩٨٠.

١٥ــ د. فريد عوض حيدر : اتساق النص في سورة الكهف، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

١٦ــ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ ،١٩٦٧.

١٧ــ القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من أساتذة اللغة العربية بالأزهر، مطبعة السنة المحمدية، د.ت .

١٨ــ ڤولفجانج هاينه مان / ديتر ڤيهڤجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه أ . د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

١٩ــ الداني : الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٣ .

٢٠ــ الرضي : شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، جامعة قاريونس، ١٩٧٨ .

٢١ــ الرماني : معاني الحروف، حققه وخرج شواهده وعلق عليه وقدم له د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨١،

٢٢ــ الزجاج : إعراب القرآن المنسوب للزجاج، القسم الثاني، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط ٢، ١٤٠٢ ــ ١٩٨٢ .

٢٣ـ الـزجاج : حـروف المعاني، حققه وقدم له د. على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ .

٢٤ـ الـزجاج : . معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م .

٢٥ـ عـبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨ .

٢٦ ـ محمـد اليعلاوي : ملاحظات على لغة القرآن من خلال اسمي الإشارة والموصول، حوليات الجامعة التونسية، العدد السابع، ١٩٧٠ .

٢٧ـ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف القاهرة، د.ت .

٢٨ـ ابن يعيش : شرح المفصل، الجزء الثالث، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت) .

٦ / ٢ : المراجع الأجنبية :

1- Bussmann H . : Lexikon der Sprachwisseschaft , Alfred Kröner Verlg : Stuttgat, 1990 .

2- Beaugrande R. De / Dressler W . :Einführung in die Textliguistik, Niemeyer, Tübingen, 1981.

3 -Isenberg H. :Überlegungen zur Texttheorie. Jens Ihwe (Hrsg) In : Literaturwissenschaft und linguistik, Ergebnisse und Perspektiven, Band 1 : Grundlagen und Vorussetzungen , Athenäum,1971

جدلية الأضداد في التراث العربي

بين الواقع اللغوي والتعسف

د. هاشم محمد سويفى محمد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تعتبر اللـغة العربية من (اللغات المرتقـية) التي تمتاز بسعة نطاقـها واحتوائها علـى أكثر مـا يحتـاج إليه الإنسـان من أنواع الـتعبيـر ، ومنهـا لغات العـالم المتمدن[1] ، وهي كـذلك مـن اللـغات (المتـصرّفة) فـي تقـسيم الـلغـات إلى متصرّفة[2] . وقد حفلت هذه العربية بثروة ضخـمة من الألفاظ التي لو جمعنا ما دوّنت المعجمات اللـغوية منها مضيفين إليها ما فات هـذه المعجمات لكان بين أيدينا كمية كبيرة قد لا نجد مثلها فـي لغة قريبة أخرى ، حيث إن العربية ظلت طوال عصورها المديـدة تُزِيد هذه الثروة وتُوَسِّعها وتُضِيف إليهـا أشياء جديدة . ولقد توسَّلت الـعربية لهذا التنامـي بوسائل كثيرة منهـا : القلب ، والإبدال ، والإشتقاق ، والنـحت ، والاتباع ، والمجاز أو الاستعارة ، فـضلاً عن المعرَّب والدخـيل ، والترادف ، والمـشترك اللـفظي ، والأضداد . ولـقد أدَّى تَوَسُّل العربية بهـذه الوسائل إلى تكثير ألفـاظها ومعانيها ، ولذلك فـإن هذه الوسائل كانـت بمثابة الـروافد التـي تصب في مـصب كبيـر يزداد خصـبه وثراؤه كلـما

(١) جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، مطابع دار الهلال ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢١ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

استمرت هذه الروافد في العطاء ، وبالرغم من كونها تتفاوت في نسبة عطائها وما يمكن أن تغدق به على اللغة ، كالنسبة مثلاً بين الاشتقاق والنحت ، أو بين المجاز والدخيل ، إلا أنها جميعاً تساهم في النماء والزيادة . غير أنه من بين هذه الوسائل وسيلة لعلها من أهم هذه الوسائل ، إن لم تكن أهمها جميعاً ، ألا وهي (الأضداد) ، التي نعقد لها هذا البحث ، لدراسة مشكلتها فى اللغة ، وذلك لأن وجود الأضداد يختلف عن وجود غيرها من ظواهر اللغة ، لأن التضاد في دلالة اللفظة ليس - كما يبدو - طبيعي الورود ، فلقد حوت كتب الأضداد ألفاظاً كثيرة لا يمكن أن يُفَسَّر وجودها في هذه الكتب بغير تعسُّف مؤلفيها وتكلُّفهم في إخضاعها للفكرة ، ومع ذلك فهي غير خاضعة لها بما أوردوا من معانٍ ، فليس من العلم أن نصطنع بناءً ونزعم وجوده في اللغة بحجة أنه مقيس على قواعدها ، لأن اللغة استعمال قبل كل شيء ، فينبغي أن يُسْمَع ويُعْرَف لِيُبْنَى عليه درس ويقوم فيه رأي ، ولذلك فإن كثيراً مِمَّا عُدَّ من الأضداد لا يقوم دليل قويٌّ على وجوده في كلام العرب وإنما هو مقيس على كلامهم . لأن العربية البدائية لم تكن لتحوى هذه الكثرة من الأضداد ، وإنما اكتسبتها بفعل التغير الحتمي في دلالتها والذى تستدعيه الحياة المتغيِّرة المتبدِّلة في كل آن .

ويهدف هذا البحث إلى دراسة قضية الأضداد في اللغة العربية وعرض الرؤى المختلفة حول هذه القضية ، والتي تراوحت بين إثبات وجودها في العربية بهذه الكثرة والكثافة التي وصلت إلينا ، وبين من يدَّعي أن العربية ليست فيها مشكلة اسمها (الأضداد) ، وإنما هناك ألفاظ تداخلت معانيها وتغيَّرت أصواتها ودلالاتها فَعَلَقَتْ بها الضدية ، فهى علاقة طارئة غير أصيلة ، ترتب عليها مشكلة حقيقية تمثَّلت فى ضخامة كتب الأضداد ، وهناك من يرى أن العربية فيها عدد ضئيل من ألفاظ الأضداد ، ويأتي في هذا المضمار ما

توصَّل إليه المستشرق جيز (Giese) في دراسته للشعر الجاهلى ، إذْ إنه لم يجد أكثر من اثنين وعشريـن ضداً فقط ، مستعيناً بنتائج عـلم تطور المعاني[1] . إن لغة فيها هذا العدد الضئيل من الألفاظ التي تنصرف انصرافاً متضاداً ليست بدعاً بين اللـغات إذ لانعدم أن نجد فـي أكثر اللغـات مثل هذا العـدد من الأضداد[2] والذي يُعبِّر – في العربـية وغيرها – عن بقايـا تاريخية تشير إلـى مرحلة حوت فيها اللغة ألفاظاً معينة تتوفر فيها الضدية لسبب أو لآخر .

ولقد جـاء هذا البحث في ثـلاثة محاور يضم كـل منها عدداً من المـباحث الفرعية ، أمَّا عـن المحور الأوَّل فيتناول بالدراسة الأضداد بـين الرواية وحركة التأليـف المعجمي ، والمحور الثـاني يناقش قضايا تـأسيسية تتعـلَّق بالأضداد في العربية من حيث المفهوم والمصطلح ، أمَّا المحور الأخير فيتناول بالدراسة جدليَّة الأبنية الصرفية ودورها في تكثير الأضداد .

---

(١) انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ص ٢/٢٩٣ ، ومجلة مجمع اللغة العربي الملكي ، ص ٢/٢٣٧ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ص ٢/٢٩٤ ، ٣٠٢ ، للوقوف على الأمثلة .

(١)

الأضداد بين الرواية وحركة التأليف المعجمي :

إذا رأينا أن وضع كتب الأضداد يدخل في مجال التأليف المعجمي ، فإنه اقترن تاريخيًا بولادة هذا النوع من الكتابة، ولقد وُلِدَت معجماتنا اللغوية صغيرة متفرِّقة غير منظمة، ثم نمت شيئا فشيئًا وتوسَّعت وتكاملت جيلاً بعد جيل»[١] .

وإذا كان الصينيون واليونان قد سبقوا العرب في وضع المعاجم ببعض مئات من السنين ، فإن العرب سبقوا أوربا في هذا المضمار بأكثر من تسعة قرون ذلك أن تأليف أول معجم عربي يعود إلى القرن الثامن الميلادي ، في حين يرجع تأليف أوَّل معجم أوربي إلى القرن السابع عشر، وهو معجم إنجليزي[٢] .

لقد جُمِعَتْ ألفاظ اللغة العربية ودُوِّنَتْ ورُتِّبَتْ خلال ثلاث مراحل تاريخية ، بدأت الأولى منها أواخر القرن الهجرى الأول واستغرقت زهاء مائة سنة حتى أواخر القرن الثاني للهجرة . وفي هذه المرحلة جُمِعَتْ الأحاديث الشريفة والقصائد الشعرية وبعض الأعمال النثرية . «وكان علماء اللغة يأخذون الألفاظ من أفواه عرب الصحراء ، أو الوافدين على الأمصار ، ممن لم تتأثر ألسنتهم بمخالطة الأعاجم»[٣] .

في المرحلة الأولى جُمِعَتْ المفردات والألفاظ كيفيًا دون ترتيب أو تنظيم «لأن الغاية كانت تتجه أولا إلى الجمع والتدوين دون غيره خوفًا على العربية من الغريب والدخيل»[٤] . وعرفت المرحلة الثانية قدرًا أكبر من التنظيم ،

---

(١) د. عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دار طلاس ١٩٨٦ ، ص ٣٤ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٣٥ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٣٧ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٣٨ .

كجمع الألفاظ التي تشترك في حرف واحد أو التي ترتبط برابطة الأضداد . وفي المرحلة الثالثة وُضِعَتْ المعجمات الشاملة المنظَّمة ، واعتمد مؤلفوها على ما كُتِبَ في المرحلتين السابقتين ، فجمعوا وأضافوا ورتبوا ونسقوا .

أما رواية الأضداد فإنها بدأت في وقت مبكر نسبيًا ، إلا أنه بعد الإسلام بأكثر من قرن على كل حال . ولا نستطيع أن نقطع بشيء من تحديد أوَّل من روى ألفاظًا من الأضداد ، إلا أنه يمكن تحديدها بعصر أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والكسائي ومن في طبقتهم مِمَّنْ لم يُؤَلِّف في الأضداد ، لأن أوائل مصنفات الأضداد وكتب اللغة قد روت عن هؤلاء شيئًا من هذه المادة ، وليس في أيدينا كذلك ما يدل على أن هؤلاء الأوائل قد نصُّوا على أن اللفظة التي يذكرون معانيها هي من الأضداد ، ولكننا نطمئن إلى أن أولى مصنفاتهم التي أشارت إلى هذه الظواهر إشارة صريحة فيها شيء من التعجب والدهشة هو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) إذْ قال في مادة (شعب) بعد أن ذكر المعنيين المتضادين : «هذا من عجائب الكلام ووسع العربية أن يكون الشعب تفرقا ويكون اجتماعا ، وقد نطق به الشعر»[١] . كما تعجب أيضا من تضاد لفظة (الناشد) وقال : «وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد : الطالب والمعرف جميعا»[٢] . ومع ذلك فإن الخليل لم ينص على أن (الشعب) أو (الناشد) من الأضداد ، فقد اكتفى بذكر المعنيين المتضادين وتسجيل دهشته من هذا التضاد ، ولم يحاول تبرير ذلك فقد نطق به الشعر على حد قوله . أما ما عدا الخليل من رواة اللغة الذين عاصروه ، وتتلمذوا له فيعوز النصوص التى نقلت عنهم في الأضداد الوضوح والصراحة فقد اختلط النقل عن أبي عمرو

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، مادة (شعب) .

(٢) نفس المصدر السابق : مادة (نشد) ، ومنقولة عنه في اللسان ، ٣/٤٢١ ، وفي التاج ٩/ ٢٢٠ .

بن العلاء بالنقل عن أبي عمرو الشيباني ، لذكر الكنية عارية عن اللقب في أكثر النصوص الموجودة في كتب الأضداد ، فلم يُعْلَمْ لمن منهما الكلام ، والقليل من هذه النصوص ما كان يذكر اللقب المميز لكل منهما ، ولكن الراجح أن أكثرها منسوب للشيباني لأن مقارنة النص الواحد بين صوره في المصادر يهدي إلى ذلك أحيانا . وكذلك يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) فلم يرو عنه أكثر من أربعة أضداد عند قطرب وأبي الطيب اللغوي منقولة عنهما فى كتب الأضداد الأخرى ، ونصوصها غير واضحة في تحديد كلام يونس لاتصاله بكلام قطرب وأبي الطيب ، مثل قول قطرب : «قال يونس : الرغوث : التي يرغثها ولدها من الشاء ، فصارت فى معنى مرغوثة ، والولد أيضا رغوث والمعنى أنه راغث لها ، فصارت رغوثًا للمفعول والفاعل»[1] . فلا يُعْلَم هل انتهى كلام يونس عند ذكر المعنى الأول واتصل به كلام قطرب أم استمر إلى آخر النص ، فالنقل غير واضح في هذه المسألة . وهكذا الأمر بالنسبة لسائر رجال هذه الطبقة ممن لم يُؤَلِّف في الأضداد أو لم يعاصر التأليف فيها ، فما رُوِيَ عن لغويّي هذا الجيل من الأضداد يعتبر ضئيلاً لو قورن بما أصبح عليه الوضع بعد ذلك ، فهى كلمات قليلة ترد عارضة على الأستاذ في حلقة الدرس فيتنبه إليها ويحاول تفسيرها ، فتعلق في ذهن أحد التلاميذ ويفطن إلى ما فيها من تضاد ، ويجتمع عنده من هذه الألفاظ عدد يدفعه إلى تدوينه في كتاب مع شيء من الشرح والاستشهاد ، فظهرت كتب الأضداد الأولى صغيرة الحجم قليلة المادة ، بسبب تمحض النية لتدوين هذه الألفاظ ، دون محاولة التكثّر منها بالتعسّف والتكلّف والاصطناع ، وإن لم تخل خلوًا تامًا من هذه الدوافع ، ولكنها أقل بكثير مما نجده فى المؤلفات اللاحقة .

(١) قطرب : الأضداد ، تحقيق هانس كوفلر - مجلة اسلاميكا ، المجلد الخامس ، ١٩٣١م .

ومن التناقض الذي وقع فيه الأوائل ، ما وقع فيه قطرب على سبيل المثال ، فنقرأ في أضداده : «وقالوا : القاسط الجائر ، قال الله وجل وعز : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1] ، ويقال قد قسط عن الحق قسوطا أي عدل عنه ، وقال العديل بن الفرح العجلي :

قَسَطوا على النّعمان وابن محرقٍ　　　وابنَـيْ قَطَامِ بِعـزَّةٍ وتناولِ[2]

فعدا أنه لم يتنبه إلى دور (عن) و (على) في صرفهما المعنى إلى السلب وإلى الإيجاب كدور الحرفين في (رغب في ، ورغب عن) ذاهبًا إلى الفعل (قسط) وتغيّر معناه في القرآن والشعر ، فهو قد عد اللفظة من المثلث في كتابه (المثلثات) مبينًا هناك أن اختلاف المعاني لاختلاف حركة فاء الفعل في المصدر ، قال :

طارحني بالقَسْطِ　　　ولم يزن بالقِسْطِ
ففيه عرف القُسْطِ　　　والعنبر المطيب

وقال الشارح في توضيح المعانى الثلاثة :

الجور في الأحكام فهو القَسط　　　والعدل والإحسان فهو القِسط
ثم الذى يباع فهو القسط　　　يفوح طيب نشره في النّار[3]

فاللفظة إذن من المثلثات وليست من الأضداد ، بعد أن رجع قطرب إلى المصدر في تحديد المعنى ، بعيدًا عمًّا يكتنف الفعل من الملابسات اللفظية والأسلوبية التي تؤثر في معناه لأن في المثلثات رجوع إلى جذر المادة (ق س ط)

---

(١) سورة الجن : الآية ١٥ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) السنهوري : شرح مثلثات قطرب ، تحقيق هفنر وشيخو . المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٤م .

الذي منه يمكن معرفة الأصل المعنوي بدقة ، في حين لا يتوفر مثل هذا الرجوع في الأضداد ، حيث يُكْتَفَى بأن تـؤخذ أى كلمتين متشابهـتي الحروف الأصلية وتعقـد المقارنة بين مـعنييهـما دون ملاحظـة الخلافات الدقيـقة بين الكلـمتين، ولذلك حين تنبه علماء الأضداد بعـد قطرب إلى دور الحرف في ضـدية (قسط) راحوا يفتـشون عن شاهد يؤيد تضـادها فوجدوه في القرآن الـكريم ، فذكروا لمعـنى الجور الآيـة التي ذكـرها قطرب ، وذكـروا لمعنـى العدل قـوله تعـالى : ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ الـلَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1] ، وبهـذا المعنـى في قول الحـارث بن حلزة :

ملكٌ مقسِطٌ وأكملُ من يمـ ـشي ومن دون ما لديه الثناء[2]

ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن أن الفعل في الآية الأولى (قسط) وفي الثانية (أقسط) ناسين أو متناسين دور همزة السلب في قلب المعنى إلى ضده .

ومثل قسط مادة (الجد) ذكرها قطرب في الأضداد[3] ، وكان قد ذكرها في المثلثات[4] ، محدداً معانيها بدقة ، وعن أضداده نقلتها كتب الأضداد الأخرى، حيث ذكرها ابن الأنباري[5] ، وأبو الطيب اللغوي[6] ، والصغاني[7] ، بشيء من التفصيل فـي الشرح والاستشهاد عند الأولين ومثل هاتـين المادتين كثير من

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٤٩ .

(٢) محمد بن القاسـم الأنباري : الأضداد ، تحقيق محمد أبي الفضـل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠م . ص ٥٨ ، وانظر : أبا الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب، تحقيق عزة حسن - دمشق ١٩٦٣م ، ٥٩٤/٢ .

(٣) قطرب : الأضداد ، ص ٢٧٩ .

(٤) السنهورى : شرح مثلثات قطرب ، ص ١٧٢ .

(٥) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢٠٦ .

(٦) أبو الطيب اللغوي : الأضداد فى كلام العرب ، ص ١٧٤/١ .

(٧) الصغاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م ، ص ٢٢٦ .

المواد التي أُخِذَتْ أخذ المسلَّمات عن المؤلِّف الأوَّل، لهذا فنحن - إن جاز لنا - نُحَمِّل قطربًا مسئولية كثير من الألفاظ التى اعْتُرِتْ من الأضداد وتُلُمِّسَتْ لها الشواهد من هنا وهناك تأييدًا لهذا المعنى وتوثيقًا لذاك لأن قطربًا كان قد ذكرها في كتابه معتبرًا إياها من الأضداد . وشأن الأضداديين في هذا شأن سواهم من الذين يتصدون للتأليف فيما سبقهم إليه مؤلف سابق ، إذ تكون مادة كتابه هى التى يُعَوَّل عليها ويُزَادُ فيها وتُشْرَح غوامضها ويُفَصَّل في موجزها .

إن مؤلفات الأضداد تندرج تحت نوع من المصنفات اللغوية يُعْنَى بدراسة الظواهر اللغوية وجمع مفرداتها وشرح معانيها في جملة ما عُنِيَ به. والأضداد من الظواهر التى حظيت بدراسات وكتب كثيرة فيما لو قورنت بسواها من الظواهر كالإبدال والقلب والنحت والاشتقاق وما إلى ذلك. ولقد عثر الباحث في كتب التراجم والمظان القديمة والفهارس على ذكر لواحد وثلاثين كتابًا في الأضداد لم يصل أكثرها والظاهر أنه مفقود فيما فُقِدَ من تراثنا الضخم خلال العصور .

ولم ير النور منها سوى ثمانية من الكتب القديمة[1] ، عدا أربعة أو خمسة من الكتب الحديثة أو المتأخرة المحفوظة في مخازن المخطوطات بعضها مجهول المؤلف[2] .

---

(١) محي الدين توفيق إبراهيم : ابن السكيت اللغوي ، مطبعة دار الجاحظ - بغداد ١٩٦٩م ، ص ٢٤٢ . ولقد فات مؤلف هذا الكتاب الإشارة إلى كتابي قطرب وأبي الطيب اللغوي فيما عده من كتب الأضداد التي وصلت ونشرت ، عدا التي لم تنشر من الكتب المتأخرة .

(٢) سوف ندرج قائمة بأسماء مؤلفي الأضداد مرتبة حسب تواريخ وفياتهم ، ونذكر بعد كل منهم المظان التي أشارت إلى كتابه منوهين إلى المطبوع منها :

١- أبو علي محمد بن المستنير قطرب (ت ٢٠٦هـ) ذكره : الفهرست ٧٨ ، ونزهة الألباء ٦١، وإنباه الرواة ٣/ ٢٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣/٤٣٩ ، ومعجم الأدباء ١٩/ ٥٣ ، والوافي بالوفيات ١٩/٥ ، والمزهر ١/ ٣٧٩ ، وبغية الوعاة ١٠٤ ، وشذرات الذهب ٢/ ١٦ ، وكشف الظنون =

= ١/ ١١٥ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ١٤٠ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٢٥ ، والأعلام ٧/ ٣١٥. ونشره محققا المستشرق هانس كوفلر في العدد الثالث من المجلد الخامس من مجلة (اسلاميكا) ١٩٣١م التي تصدر بالألمانية .

٢- يحيي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، ذكره : أضداد ابن الدهان ٩١ (لم يصل) .

٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) . ذكره : الفهرست ٨٠ ، وإنباه الواة ٣/ ٢٨٦ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٦١ ، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٦ ، وإيضاح المكنون ١/ ٩٤ (لم يصل) .

٤- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) . ذكره الفهرست ٨٢ ، وإنباه الرواة ٢/ ٢٠٣ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٤٩ ، وبغية الوعاة ٣١٣ ، وخزانة الأدب ٤/ ٥٣٠ ، وكشف الظنون ١/ ١١٥ ، وهدية العارفين ١/ ٦٢٣ ، ومعجم المطبوعات ٤٥٧ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ١٤٩ ، والأعلام ٤/ ٣٠٨ ، ونشره محققا المستشرف الدكتور أوغست هفنر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد ، بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م .

٥- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) . ذكره : المزهر ١/ ٥٨١ ، ٢/ ٢٤٩ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ١٥٨ (لم يصل) .

٦- أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي (ت ٢٣٣ هـ) . ذكره : الكامل ١/ ٢٥٥ ، ٣/ ٢٢٨ ، وفهرسة ابن خير ٣٨٤ ، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٦ ، والمزهر ١/ ٣٩٧ ، وبغية الوعاة ٢٩٠ ، وهدية العارفين ١/ ٤٤٠ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ١٦٢ ، وإيضاح المكنون ١/ ٩٤ ، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٤٣ (لم يصل) .

٧- أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ذكره: الفهرست ١٠٨ ، وفهرسة ابن خير ٣٨٢ ، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٤٣ ، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٥٢ ، وخزانة الأدب ١/ ١١ ، ٢/ ١٤٧ ، ٢/ ٥٣٠ ، ٤/ ٧٦ ، ٤/ ٢٠٠ ، والذريعة ٢/ ٢١٤ ، وهدية العارفين ٢/ ٥٣٦ ، وإيضاح المكنون ١/ ٩٤ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ٢٠٥ ، ومعجم المطبوعات ١٢٠ . نشره محققا المستشرق الدكتور أوغست هفنر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) ، بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م .

٨- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨ هـ) ذكره : الفهرست : ٨٧ ، وانباه الرواة ٢/ ٦٢ ، ووفيات الأعيان ٢/ ١٥٠ ، ولسان العرب ٧/ ١٢٦ ، وكشف الظنون ١/ ١١٥ ، وهدية العارفين ١/ ٤١١ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ١٦٠ ، ومعجم المطبوعات ١٠٠٩ ، والأعلام ٣/ ٢١٠ . نشره محققًا المستشرق الدكتور أوغست هفنر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) بالمطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م .

٩- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ذكره : مجلة الأقلام ، السنة الأولى ٤/ ٩٨ .

١٠- عبيد (أو عسل) بن زكوان (ت ؟) عاصر المبرد . ذكره : الفهرست ٨٩ ، وإيضاح المكنون ١/ ٩٤ (لم يصل)

=

=

١١- أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب (ت ٢٩١ هـ) . ذكره : أضداد بن الدهان ٩١ ، وفهرسة ابن خير ٣٨١ (لم يصل) .

١٢- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ذكره : الفهرست ١١٢ ، وإنباه الرواة ٣/ ٢٠٤ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦٤ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ٣١٢ ، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٤٤ ، والمزهر ١/ ٣٩٧ ، وبغية الوعاة ٩١ ، وخزانة الأدب ٣/ ٣٥ ، ٤/ ٧٦ ، وكشف الظنون ١/ ١١٥، وتاريخ بروكلمان ٢/ ٢١٥ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٨٢ ، ومعجم المطبوعات ٤١ ، والأعلام ٧/ ٢٢٧ . نشره محققًا المستشرق هوتسما في ليدن ١٨٨١م ، والشيخ محمد ابن عبد القادر سعيد الرافعي بمشاركة الشيخ أحمد الشنقيطي في المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ هـ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠م.

١٣- عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) . ذكره : تصحيح الفصيح ٨ ب ، ٢٥٦ آ ، والفهرست ٩٤ ، وإنباه الرواة ٢/ ١١٤ ، والمزهر ١/ ٣٩٦ ، وكشف الظنون ١/ ١١٥ ، وهدية العارفين ١/ ٤٤٦ (لم يصل) .

١٤- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ذكره : خزانة الأدب ١/ ١١ ، ٤/ ٧٦ ، وتاج العروس ١/ ٧ ، ١٠/ ٤٧٣ ، وتاريخ بروكلمان ٢/ ٢٤٣ ، والأعلام ٤/ ٣٢٥ . نشره محققًا فى مجلدين الدكتور عزة حسن بدمشق ١٩٦٣م .

١٥- الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ذكره : معجم الأدباء ٨/ ٨٦ ، وإنباه الرواة ١/ ٢٨٧ ، وبغية الوعاة ٢١٨ ، وهدية العارفين ١/ ٢٧١ ، وروضات الجنات ٣/ ٧٥ (لم يصل) .

١٦- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ) . ذكره: الصاحبي ٦٧ (لم يصل) .

١٧- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) . ذكره : مجلة الأقلام السنة الأولى ٤/ ٩٨ .

١٨- سيد بن المبارك بن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) . ذكره : معجم الأدباء ١١/ ٢٢١ ، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٤، ونكت الهميان ١٥٨، والمزهر ١/ ٣٩٧، وبغية الوعاة ٢٥٦، وكشف الظنون ١/ ١١٥، وهدية العارفين ١/ ٣٩١ . نشره محققًا الشيخ محمد حسن آل ياسين ضمن المجموعة الأولى من (نفائس) المخطوطات ، في النجف ١٩٥٢م . وأعاد طبعه في بغداد ١٩٦٣م .

١٩- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) . ذكره : الوافي بالوفيات ٢/ ١٧١، والمزهر ١/ ٣٩٧ ، وبغية الوعاة ٣٠١ (لم يصل) .

٢٠- أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) . ذكره : تاريخ ثغر عدن ٢/ ٥٤ ، والمزهر ١/ ٣٩٧ ، وبغية الوعاة ٢٢٧ ، والجواهر المضيئة ١/ ٢٠٢ ، وفروق اللغات ١٩٠ ، وكشف الظنون ١/ ١١٥ ، وروضات الجنات ٣/ ٩٤ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٥٠ ، الأعلام ٢/ ٢٣٢ . نشره محققًا أوغست هفنر ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) على شكل (ذيل) بيروت ١٩١٣م .

=

= ٢١- عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي (ت ٧٩٠) . ذكره : الذريعة ٢/ ٢١٤ (لم يصل) .

٢٢- محمد بن أحمد بن شرف الدين المدني (ت ٩٠٤) . ذكره : مجلة اللسان العربي ٩/ ١٠٥ . مخطوط بمكتبة السليمانية بالأستانة رقمه (١٠٤١) .

٢٣- تقي الدين عبد القادر التميمي المصري (ت ١٠٠٥هـ) ذكره : كشف الظنون ١/ ١١٥ ، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٨٥ (لم يصل) . وهو مختصر كتاب الأضداد لابن الأنباري .

٢٤- ملا حسن بن تقي الدين عبد القادر التميمي المصري (ت ؟) . ذكره : كشف الظنون ١/ ١١٥ (لم يصل) . وهو ترتيب المختصر السابق على حروف الهجاء .

٢٥- عبد الهادي نجا بن رضوان نجا المصري الإبياري (ت ١٣٠٥هـ) . ذكره : تاريخ آداب اللغة العربية ٤/ ٢٢٧ ومعجم المطبوعات العربية ٣٦١ ، ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٠٣ ، وفهرس دار الكتب المصرية ٧/ ٧ . مصور بدار الكتب المصرية رقمه (٨٤٤ لغة) ، باسم (دورق الأنداد في أسماء الأضداد) .

٢٦- عبد الهادي الإبياري (السابق) . ذكره : مجلة اللسان العربى ٩/ ١٠٥ (لم يصل) . كتاب ثان باسم (الرونق على الدورق) وهو شرح كتابه السابق .

٢٧- أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني الخليجي (ت ١٣٠٨ هـ) . ذكره : فهرس دار الكتب المصرية ٧/ ١٢ ، وفهرس المخطوطات المصورة ١/ ٣٦٤ . مصور بدار الكتب المصرية رقمه (٨٤٤ لغة) ، باسم (الكأس المروق على الدورق) وهو شرح لكتاب (دورق الأنداد) للإبياري .

٢٨- محمد بن سليمان بن محمد التنكابني (ت قبل عام ١٣٢٠ هـ) . ذكره : الذريعة ٢/ ٢١٤ . (لم يصل) .

٢٩- عبد الله بن محمد (ت ؟) . ذكره : مجلة اللسان العربي ٩/ ١٠٥ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقمه (٢٤١ مجاميع) ، باسم (رسالة في ذكر بعض الألفاظ المستعملة في الضدين الموجودة في القاموس) .

٣٠- مؤلف مجهول : ذكره في : مجلة اللسان العربى ٩/ ١٠٥ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقمه (٣٢٩ لغة) ، باسم (منبه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد) .

٣١- مؤلف مجهول . ذكره : مجلة المورد ١/ ١٥٧ . مخطوط في مكتبة جستر بيتى في دبلن رقمه (٣١٦٥) مجموعة ، باسم (أضداد آي القرآن) .

(٢)

الأضداد في العربية المفهوم والمصطلح :

والأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف إلى معنيين متضادين . وهي - لغة - جمع ضد وهو النقيض والمقابل ، وعليه فليست الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني دون أن يتحد اللفظ كالليل والنهار والطول والقصر والنور والظلمة ، والتي عقدت لها بعض كتب الأدب القديمة فصولاً من هذا النوع[١] ، ولذلك فلقد وقع المستشرق (ردسلوب Redslob) في الخطأ على هذا الأساس حين اعتبر الجاحظ ممن ألّف في الأضداد متوهمًا بأن كتابه (المحاسن والأضداد) من هذا الباب[٢] .

ورد في لسان العرب أن الضد هو كل شيء ضاد شيئًا ليغلبه ، وجاء التعريف نفسه في تاج العروس للزبيدى وأضاف : السواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، قاله الليث . والضد والضديد : الضد والشبيه والقرين ، ويقال لقي القوم أضدادهم وأندادهم أي : أقرانهم . وعن الأخفش : الندّ : الضد والشبه ، ومنه : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ﴾[٣] أي أضدادًا وأشباهًا . والضد : ضد كما قال أبو عمرو ، قال تعالى: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[٤] . أي تكون الأصنام أعوانًا على عابديها يوم القيامة ، وقال عكرمة : أي يكونون أعداء عليهم يوم القيامة . وسمع أبو تراب من زائدة : صده وضده : صرفه ومنعه برفق . وفي الصحاح : الضد بالفتح الملء : ضد[٥] . وجاء في المصباح

(١) الهمذانى : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٣م ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) ٢/٢٩١ ، Redslob Die arabischen Worter mit : (دائرة المعارف الإسلامية) .

(٣) سورة فصلت : الآية ٩ . (٤) سورة مريم : الآية ٨٢ .

(٥) الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت - ١٩٧٠ م ، الجزء الثامن ، ص ٣١٠ .

المنير : الضد هو النظير والكفء والجمع أضداد . والضد خلافه . و (ضاده مضادة) إذا باينه مخالفة ، و (المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار[1] . وأشار الشرتوني في أقرب الموارد إلى ما دعاه «لغات الأضداد» : اللغات الدالة على معنيين متضادين كالضد للمثل والمخالف»[2] .

وقال قطرب : «ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده»[3] . فلقد توصل قطرب من تصريف المشترك اللفظي ، بأن منه قسمًا يزداد التخالف فيه إلى التضاد . وهذا التعريف - في رأى الباحث - غير شامل ولا دقيق .

ومثل تعريف قطرب ، تعريف أبي حاتم السجستاني لها بقوله : «ضد الشيء خلافه وغيره»[4] ، إذ ليس كل ما خالف المعنى ضد .

وقال ابن الأنباري عن كتابه في الأضداد : «هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة : فيكون الحرف منها مؤيداً عن معنيين مختلفين»[5] ، فذكر في صدر التعريف ما يقرِّبه من الهدف ، وذكر في آخر التعريف ما أوقعه في اللبس .

---

(١) الفيومي (احمد محمد بن علي الفيومي المقرى) : المصباح المنير ، المكتبة العصرية - صيدا ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م ، ص ١٨٦ .

(٢) سعيد الخوري الشركوني : أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، مطبعة مرسلي اليسوعية - بيروت ١٨٨٩، ص ٦٧٩ .

(٣) قطرب (أبو علي بن المستنير قطرب) : الأضداد ، تحقيق هانز كوفلر - مجلة إسلاميكا الألمانية المجلد الخامس ، ١٩٣١م ، ص ٢٤٤ .

(٤) السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : الأضداد (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثلوليكية . بيروت ١٩١٣م ، انظر : المقدمة .

(٥) ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري) : الأضداد ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ ، انظر : المقدمة .

أما تعريف أبي الطيب اللغوي فهو أقرب إلى الدقة ويوضح كل لبس ، يقول : «الأضداد . جمع ضدّ . وضدّ كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل» ولقد بيَّن قصور التعاريف السابقة ، بقوله بعدئذ : «وليس كل ما خالف الشيء ضدًا له . ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين ؟ ، وإنما ضدّ القوة الضعف ، وضدّ الجهل العلم . فالاختلاف أعمّ من التضاد : إذْ كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدّين»[1] . فالأضداد وهي الألفاظ التي يدل الواحد منها على معنيين متضادين ، وهذا هو جوهر تعريف أبي الطيب اللغوي الذي أزال به الإبهام والاضطراب عن فكرة التضاد التي هي أخصّ من الاختلاف في معناها العام . وعلى هديه سار المتأخرون والمحدثون في تعريفاتهم للأضداد[2] .

وفي ضوء هذا المفهوم فإنه يُشْتَرَط لتكون الكلمة من الأضداد أن تتحد ومتعلقاتها في المعنيين ، لأن أي تغيير فيها أو في متعلقاتها يُخْرِجُها عن كونها بذاتها تحتمل المعنيين المتضادين . ومن ذلك مثلاً «ترب الرجل» بمعنى : افتقر ، و «أترب» بمعنى : استغنى[3] . ولهذا قال ابن الأنباري : «وهذا عندي ليس

---

(١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد فى كلام العرب ، تحقيق عزة حسن - دمشق ، ١٩٦٣م ، انظر المقدمة .

(٢) انظر : حاجى خليفة : كشف الظنون ، تحقيق بالتقايا الكليسي ، وكالة المعارف - استنبول ١٩٤١م ص ١/ ١١٥ . وانظر : جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال - القاهرة ١٩٣٦م، ص ١/ ٤٥ . وانظر : د. إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التأريخي ، دار الرائد لطباعة - القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٩٠ . وانظر : علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - د.ت، ص ١٨٦ ، وانظر : مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة ، الجزء الثاني السنة الأولى ١٩٣٥م ، ٢/ ٢٣٠ ، وانظر : مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق ، مجلد ٣٩ : ٤/ ٥٣٠-٥٣١ .

(٣) قطرب : الأضداد ، ص ١٢٤ . وانظر : ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٨٠ . وانظر : أبا الطيب اللغوي : الأضداد ، ص ١/ ١١٥ . وانظر : الصغاني : الأضداد ، ص ٨٢ .

من الأضداد لأن ترب يخالف أترب ، فلا يـكون ترب من الأضداد لأنه لا يقع إلا على معنى واحد»[1] . وقال أبو الطيـب اللغوي مبينًا شرط الكلـمة لتكون من الأضداد «إن شرط الأضـداد أن تكون الكلمـة بعينها تـستعمل في مـعنيين متضادين من غير تغيير يدخل عليها»[2] .

فاللفظة لكى تعد من الأضداد فالمفروض أن تنصرف هذه اللفظة إلى معنيين متضادين مجردة من كل ما يتصل بهـا من تعليق أو تركيب أو سياق يخص أحد المعنيين ويجرهـا إلى دائرة الألفاظ الدالة على معنى واحـد ، لأن فكرة الضدية في هذه الحالة لا تتوفر في اللفظة نفسها وإنما تتوفر في الاختلاف الذى ينشأ من تفسـيرها بسبب مـا يفسر به الـسياق أو التركيـب العام للجـملة فالتضـاد بذلك سيكـون في التأويـل لا في اللفـظة ، وفي متعـلقاتهـا من الحروف لا بأصـلها المفرد، وتدخل تحت هذا النوع من الأضداد ثلاث طوائف هي :

الطائفة الأولي : تشمل ما كان تضاده بسبب حـروف الجر المتعلقة بالفعل ، مثل : (أغارَ الـرجل إلى القوم : أغاثهـم ، وأغار على القوم : قـتلهم)[3] . ومن ذلك أيضًا : (راغ فلان عـلى القوم : أقبل عليـهم . وراَغ عنهم إذا ولّى عنهم)[4] . وكذلك : (فزّعه : إذا أخافه . وفزّع عنه : كشف عنه الفَزَع)[5] .

---

(١) ابن الأنبارى : الأضداد ، ص ٣٨٠ .

(٢) أبو الطيب اللغوى : الأضداد ، ص ١/ ٤٥٥ ، ٢/٥٧٨ .

(٣) قطرب : الأضداد ، ص ٢٥٥ . وابن الأنباري : الأضداد ، ص ٣٦٨ .

(٤) قطـرب : الأضداد ، ص ٢٧٨ . وابن الأنبـاري : الأضداد ، ص ١٥٣ . وابـو الطـيب اللـغوي : الأضداد في كلام العرب ١/٣٢٨ .

(٤) قطرب : الأضداد ، ص ٢٧٣ . وابـن الأنباري : الأضداد ، ص ١٩٩ . وأبو حاتم السجـستاني : الأضداد ص ١٤٥ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ٢/ ٥٣٣ .

والفيروزابادي : بصائـر ذوي التميز ، تحقيق محمد علـى النجار - القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٤/ ١٩١ . علي بن حمزة: التنبيهات، تحقيق عبد العزيز اليمني الراجكوتي، دار المعارف- مصر ١٩٦٧م، ٩٢ .

ونحو : (طَلَعْتُ على القوم : غِبْتُ عنهم . وَطَلَعْتُ إليهم : أَقْبَلْتُ إليهم)[1] .
ونحو : (أَوْزَعْتُهُ بالشيء : أو لغته به . وأَوْزَعْتُهُ : كففته عنه)[2] . ونحو (تياجروا على الطريق : ساروا عليه تباعًا . وتَيَاجَروا عنه : عَدَلوا عنه)[3] .
ونحو : (ظاهرٌ عنك : زائل عنك . وظاهرٌ عليك : لم يزل عنك)[4] .
ونحو: (قَسَطَ : عَدَلَ . وَقَسَطَ عن الحق وعليه : عَدَلَ عنه وجَار)[5] .
ونحو: (واطْلب لى شيئًا : ابْغِه لى واطْلُبْنِي : أعِنِّي على الطلب)[6] . ومما لم تذكره كتب الأضداد : (رغب فيه : أراده وأقبل عليه . ورغب عنه : عافه وتركه) . ونحو : (انْصَرَف إليه : أقْبَل عليه . وانْصَرَف عنه : تشاغل بغيره). وما أشبه ذلك من الاستعمالات .

وواضح أن التضاد في كل هذه الأفعال غير حاصل إلا بسبب المتعلقات التي تصرف الفعل إلى معنى إيجابى أو آخر سلبي ، فحقيقة الضدية هي بين (إلى وعلى) ، (على وعن) و (في وعن) وهكذا ، وليس بين الفعل ونفسه في أي من استعمالاته ، فلقد احتفظت المواد الأصلية للأفعال بمعانيها ، فالفعل (أغار) يعنى اشترك في صراع ، ولكنه مرة مع القوم وقد أفاده حرف الجر (إلى) ، ومرة عليهم وقد أفاده الحرف (على) والفعل (راغ) يعني تحرَّك بخفاء، ولكنه تحدَّد بالإقبال بالحرف (على) ، وتحدَّد بالإدبار بالحرف (عن) . والفعل

---

(١) أبو الطيب اللغوي: الأضداد في كلام العرب ص ١/ ٤٥٩ . أبو بكر السجستاني : غريب القرآن ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٥١٨ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٧٢ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٦٦٧ . أبو حاتم السجستاني ص ١٥١ . ابن الانباري : الأضداد ص ١٤٠ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٦٨٧ .

(٤) قطرب : الأضداد ص ٢٧٥ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٥٦ .

(٥) قطرب : الأضداد ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٦) الزبيدي : تاج العروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥-١٩٧١م ، ص ٣/ ٢٧٥ .

(رغب) يدل علـى مطلق الرغبة فـي كلا الاستعمالين ، وإنمـا الذي صرف هذه الرغبة إلى اتجاهين متعاكسين هو حرفا الجر . ولهذه الحروف معانٍ خاصة تتضح وتتبلور إذا اتـصلت بالفعل ، فحـرف الجر (إلى) يفيد معنـى الإفضاء والإقبال والإقدام وهي معانٍ إيجـابية ، وحرف الجر (على) يفيد معـنى الإيقاع والنزول والتمـكن ، وهي معانٍ سـلبية ، كمـا أن حرف الجر (في) يفـيد معنى الـرغبة والإرادة ، بعكس (عن) الذى يفيد معـنى الترك والعزوف ، . . . إلخ ، فهذه الأفعال التـي تعلقت بها حروف الجـر هي ألفاظ رسم لدلالاتها الـطريق وحدّد المعنى إيجابيًا كان أم سلبيًا بواسطة هذه الحروف .

الطائفة الثانية : وهو ما كان التضـاد فيها بسبب موقع اللفـظة من السياق ، مثل كلمة (فَوْق) التى تأتى بمعنى دون[1] في قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾**[2] . ومن ذلـك أيضًا لفظـة (خلْف) بسكون اللام وفتحها لـلولد الصالح والطالح[3] ، في وقوله تـعالى : **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾**[4]. وكذلك نحو : (بَيْن) للوصل والفراق[5]

(١) قطرب: الأضداد ص ٢٧١. وابن الدهان: الأضداد في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطـبعة دار التضامن - بغداد ١٩٦٣م ، ص ١٠٢ . وابن الأنباري : الأضداد ص ٢٤٩ . وثعلب: مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٤٨م ، ص ١/ ١٩١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٣) الفراء : معـاني القرآن ، تحقيق : أحمـد يوسف نجاتي ، ومحمـد على النجار ، دار الكتـب المصرية ١٩٥٥م ، (الجزء الأول) . والدار المصـرية للتأليـف والترجمة ، مطـبعة سجل العـرب - القاهرة ، د.ت. (الجزء الثاني) ، ص ٢/ ١٧٠ . ابن منظور : لـسان العرب ، نشر دار صادر ودار بيروت، - بيروت ١٩٥٥م ، ص ٩/ ٨٤.

(٤) سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٥) قطرب : الأضداد ، ص ٢٧٤ . الأصمعي : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣م، ص ٥٢ . ابن الأنـباري : الأضداد ص ٧٥ . الحريري : درة الغـواص في أوهام الخواص ، طبـعة بالأوفست عن طبعة ليبزج مكتـبة المثنى - بغداد ، ص ٦٣ . الخفاجي : شرح درة الغواص ، نشر نظارة المعارف ، مطبعة الجوائب - قسطنطينية ١٢٩٩هـ ، ص ٩٧ .

في قوله تعالى : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[1] . ونحو : (جديد) للـجديد والبالى[2] في قوله الوليد بن يزيد :

أبى حبى سليمـى أن يبيدا وأصبح حَبْلُها خلقًا جديدا

وغير ذلك من أشباه هذه الألفاظ التى كان اختـلافهم في تفسير معناها في مواضعها التي وردت فيها هو الذي أكسبهـا صفة الضدية ولم تكن بها قبل هذا الخلاف ، كما لا تكون بعده لو أنها أُنْتُزِعَتْ مـن موضعها الذي هي فيه ، ذلك أن السياق هو الذى يُعَيِّن بالضـرورة معنى اللفظة وعلاقتها السلـبية أو الإيجابية فيه ، فهو لا يـخفي مقصد المتكلـم منه إذا وعى السامع نظم الجـملة وأسلوب تركيـب الكلام . وإلى هـذا رمى ابن الأنبـاري بقوله : «كـلام العرب يُصَحِّح بعضه بعضًا ، ويرتـبط أوّله بآخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب منـه إلا باستيفائه واستكمال جميع حـروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيـين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يُراد بها في حال التكلـم والإخبار إلا معنى واحد»[3] فمن خلال الاستعانة بالسياق يمكن معرفـة المعنى والوقوف على حـقيقته ، غير أن الشـىء الذى سَبَّبَ تضاد طائفة من الألـفاظ هنا هو الاختلاف في تفـسير معانيها وأغراضـها عند ورودها في نصوص كان احترامهم لها حينًا وجهلهم بملابساتها حينًا آخر هو الذى دفعهم إلى الاختلاف في معاني الألفاظ فيها .

فالآية الكريمـة التي وردت فيها لفظـة (فوْق) أشعرت جماعة من المـفسرين بأن المراد منـها أن يضرب الله مثلاً بأصغـر ما يمكن من الأشياء فـلابد أن يكون

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٢) ابن الأنـباري : الأضـداد ص ٣٠٨ . ابن الـدهان : الأضـداد في الـلغـة ص ٩٥ . الصـغانـي : الأضداد، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م ، ص ٢٢٦ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٢ .

المقصود ما هو أصغر من البعوضة ، فذهبوا إلى تفسير (فوْق) بمعنى دون لهذا السبب ، غير أن وعْي فكرة الآية يقود إلى اعتبار (فوق) مستخدمة بمعناها الأصلي ، إذ يكون المقصود ابتداءً في الصغر من البعوضة وصعودًا إلى ما هو أكبر منها ، وهو الذي مال إليه ثعلب وجوَّده[1] . لأن ذكر البعوضة يُشْعِرُ بنهاية الصغر ، وإلا لذَكَرت الآية شيئًا أكبر من البعوضة كالطير مثلاً ، ليصح أن يكون هناك شيء أصغر منه وتكون (فوْق) بمعنى دون ، ومن القدماء من أراد أن يجمع بين المعنيين فقال إن معنى الآية (فما فوق البعوضة حقارة) ولقد أخذت بهذا الرأي بعض دراسات المحدثين[2] . ولا نرى وجهًا لهذا التفسير ولا ضرورة له .

ولولا عبارة (أضاعوا الصلاة) في الآية الكريمة الثانية ، لما أُخْتُلِفَ في تفسير (الخَلْف) ، يقول صاحب لسان العرب : «لأنهم إذا أضاعوا الصلاة فهم خلف سوء لا محالة»[3] . ولهذا فَرَّقوا بين (خَلَف) بسكون اللام وفتحها ، فقالوا : إن المفتوحة للولد الصالح والساكنة للولد الطالح ، ثم قلبوا بين الاثنين[4] ، ثم ساووا بينهما وصرحوا بأن كلاً منهما تكون للصالح والطالح . وكل هذا - في رأينا - تخبّط لا جدوى منه بسبب الحرص على معنى خاص يجب أن تؤديه الآية ، ولا يتعدى المعنى أن يكون بمعنى الولد صالحًا كان أم طالحًا ، حافظًا للصلاة أو مضيِّعًا لها ، وهو مذهب ابن شميل[5] . والآية استعملت فتح اللام في الفعل واسكانها في الاسم وهو جمع بمعنى الأولاد ،

---

(١) ثعلب : مجالس ثعلب ص ١/ ١٩١ .

(٢) عبد الواحد وافي : فقه اللغة : وابن السكيت : الأضداد ص ٢٤٠ . ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢/ ٢٣٦ .

(٣) لسان العرب : ص ٩/ ٨٤ .

(٤) الفرّاء : معاني القرآن ٢/ ١٧٠ .

(٥) لسان العرب : ص ٩/ ٨٤ .

وعلى هـذا فلا فرق بين السـاكنة اللام والمفـتوحة اللام أصلاً ، ولا تـضاد في المادة .

أما (بَيْن) فلا يمكـن الاحتجاج بالآية عـلى ضديتها بـقراءتها مرفوعـة على الفاعلية قراءة ضـعيفة ، لأن الأصل فيها (لقد تقطّع ما بـينكم) ولذا فهي تُقْرَأ مبنية على الظرف بالرغم من حـذف (ما) ، وهي القراءة المشهور التى عَبَّرَ عنها الفرّاء بـقوله : «وهو وجـه الكلام»[1] ، ولذا فهي ظـرف مستعمل استـعماله الطبيعى ، وهي غير (البَيْن) بمعنـى الفراق الذى هو من بانَ يَبِين فهذه معربة إلا أن الأضداديين قرنوا (بَيْن) فـي الآية مقروءة بالرفع حيث تـعن الوصول ، إلى (البَيْن) الاسم المعرب الذي يعني الفراق وحكموا بالضدية[2] .

وأما (جَديد) فـي البيت فهـي أيضًا على معنـاها الأصلي وهو (المـقطوع) يقول ابـن دريد : «والجِدّ : مصدر جَدَدْته جـداً إذ قطعتـه . وجِداد النَّخل : صِرَامها ، والجديدان : الليل والنهـار وهما الأجدّان . والجديد المقطوع»[3] . فكأن الشاعر يقول : لا يموت حُبِّي لسليمى بالرغم من أن حِبلها خلق مقطوع . إلا أن غياب المعنى الأصلي للجديد عن أذهان الأضداديين وتصور معناه المتطور قد أورثهم هذا الوهم . إذْ أن تسمية الليل والنـهار بالجديدين هي من تسميتهم بالمقطوعـين لأن كلا منهما ينقطـع عن صاحبه وعن سابقـه ، وهو الذي تطور فصار يطلق على كل مستحدث (جديد) فـكأنه مقطوع عما سبقه بحدوثه هذا ، والأصل هـو معنى الـقطع ذاك ، وبذلـك يتضـح لنا أنه لا ضـدية في لفـظة (جَديد) في الشاهد .

---

(١) الفرّاء : معاني القرآن ١/ ٣٤٥ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ص ٧٥-٧٦ .

(٣) ابن دريد : الاشتـقاق ، تحقيق عبد السلام هـارون ، مطبعة السنة المحمـدية - القاهرة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

فهذه الألفاظ وغيرها حيث تقوم دعوى التضاد على إنكار ما سبَّبَه اختلاف التفسير وتبايـن وجهات النظر في مؤدّى اللفظة في موقـعها من السياق ، إذ لم يقصد المتـكلم أن يستعمل في نـصّه ضدًا ، وإنما كان فهم السامـعين متضادًا ، فالكلمة في مـنأى عمّا يحدث في ذهن السامع من إدراك ، وعلـيه فليست من الأضداد .

الطائفة الثالثة : وتشمل ما كان تضاده من النصـوص بسبب اختلاف التفسير وهو شبيه بالنوع السابق إلا أنه يفرق عنه بأن التضاد المزعوم في ذلك النوع كان في اللفظة المفردة بسبب اختلافهم في مؤداها من سياق الكلام . أما التضاد في هذا النوع فهـو في المعنى العام للـنص ، كأن تكون آية برمتـها من الأضداد أو بيت شعر بـكامله من الأضداد ، وذلك لاختـلافهم في تفسير مـراد القائل من مجموع تعبيره . فمن أمثلـته في القرآن الكريم : يقول ابن الأنباري : «ويُفَسَّر أيضًا قوله عزّ وجلّ : ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1] تفسيرين متضـادين ، فيقول الـكلبي : هذا بـقوله الله جلّ وعزّ لأصـحاب الأعراف ، وقال: يرى أصحاب الأعراف فـي النار رؤساء المشركين فينادونـهم : يا عاصي ابن وائل يا وليد بن المغيرة ويا أسود بن المـطلب ويا أبا جهل بن هشام ما أغنى عنكم جمعكـم في الدنيا وما كنتم تستكبـرون ، إذ أنتم الآن في النار ، ويرون في الجنة المستضـعفين من المسلمين : سلمان الفارسي وعـمّار بن ياسر وصهيبًا وعامر بن فـهيرة ، فيقولـون للمشركين : أهؤلاء الـذين أقسمتم لا يـنالهم الله برحـمة ، فيقـول الله تبارك وتـعالى لأصحـاب الأعراف : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ . وقال مقاتل بن سليـمان : يقسم أهل النار أن أصحاب الأعـراف لا يدخلون الجـنة ، فتقـول لهم الملائـكة الذين حـبسوا أصحاب الأعراف على الضراط ، أهؤلاء الذين أقـسمتم لا ينالهم الله برحمة ،

(١) سورة الزخرف : الآية ٦٨ .

ويقولون لهم أيضًا : «أدْخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون . . .»[1]. وهكذا نرى أن المسألة لا تتعدى أن تكون اختلافًا بين المفسرين في مُؤَدَّى الآية وهو مما حفلت به كل كتب تفسير القرآن الكريم ومعانيه ، فهل تعد هذه الكتب من كتب الأضداد ؟ . ويبدو أن الذي دفع ابن الأنباري إلى الخوض في ذلك هو اتصاله بالقرآن اتصال بحث دقيق ودرس مستوعب واضعًا فيه مصنفاته ودراساته فانعكس ذلك على دراساته اللغوية ، إذ لا نجد مثل هذا في كتب الأضداد الأخرى ، ودعوى تضاد هذه الآية متهافتة لا تقوم على ساق ، كما أن مكان هذه الآراء ووجهات النظر ليست كتب الأضداد ، وإنما كتب تفسير القرآن ذلك لأنها تتعلق بمعاني الآيات لا بمعاني الألفاظ . ولذا نجد أن ابن الأنباري كثيرًا ما يرجع القارئ إلى مصنفاته القرآنية لزيادة الإطلاع على الخلاف في التفسير[2] . ومثل هذه الآية آيات أخرى كثيرة[3] .

ومن أمثلة هذا النوع في الشعر : يقول ابن الأنباري : «ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس بن الخطيم :

أتعرفُ رسمًا كاطّرادِ المذاهب   لَعَمرةَ وحشًا غير موقفِ راكبِ

قال ابن السكيت : أراد بقوله (غير موقفِ راكبِ) إلا أن راكبًا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يُرِدْ الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن (غير) نعت للرسم ، تأويله : أتعرف رسمًا غير موقف راكب ، أى ليس بموقف للراكب لاندارس الآثار منه وامحاء معالمه ، فمتى بصر به الراكب من بعد ذعر منه فلم يقف به . وتفسير ابن السكيت يدل على أن الراكب أراد به الشاعر نفسه ، أي إلا أني أنا وقفت به متذكرًا لأهله ، ومتعجبًا من خرابه وخلائه من

(١) ابن الأنبارى : الأضداد ص ٣٦٩-٣٧٠ .

(٢) انظر على سبيل المثال : نفس المصدر السابق : ص ٤٢٨ .

(٣) وانظر : نفس المصدر السابق : ص ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ .

سكانه الذين كنت أشاهد وأعاشر»[1] . وشبيه بهذا الاختلاف اختلافهم في أبيات أخرى[2] .

ونقول في هذه الأبيات ما قلناه في الآيات ، من أن هذه الآراء المختلفة في تفسيرها لا تجعل منها أضدادًا بالمعني الذى حدَّدْناه وحدَّدَه قبلنا علماء الأضداد أنفسهم ، إذْ لا بد أن يكون البحث عن التضاد قائمًا على دراسة اللفظة الواحدة دراسة تاريخية دقيقة آخذة بنظر الاعتبار استقلالها المعنوي عن كل ما يتعلق بها من كلام وتركيب . أما أن يكون البحث فيما أراد الشاعر في هذا البيت وما قصد إليه فى ذلك البيت ، مما يُسَمَّى أضدادًا ، فذلك ما لا يقول به أحد خَبرِ طبيعة الدرس اللغوي ووقف على حقيقة الضدية في الألفاظ ، ولعل ما يؤيد ذلك أننا لا نجد مثل هذه البحوث عند غير ابن الأنباري من علماء الأضداد ، فكأنهم تنبهوا إلى أن الخوض في هذا الغمار ليس مما يدخل فى كتبهم التى محضوها لدراسة تضاد الألفاظ وجمع الأضداد ، وأن هذا الأمر تختص به كتب النقد الأدبي ، فلو رجعنا إلى أي من الكتب المعنية بنقد الشعر ودراسة معانيه ومذاهبه وأغراضه لألقيناه غاصًا بمثل هذه المسائل ، فهذا ابن رشيق القيروانى في كتابه العمدة - على سبيل المثال - يُقَلِّب قول سليمان قنة في رثاء الحسين :

أولئك قومٌ لم يشيموا سيوفَهم   ولم تكثر القتلى بها حين سلّتِ

على جميع وجوهه ذاكرًا أقوال الآخرين في تفسير معناه ، حتى يخلص إلى فكرتين متضادتين تُستَفَادان من قول الشاعر[3] فهل يُعَدّ عمل ابن رشيق في

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) انظر على سبيل المثال : نفس المصدر السابق : ص ٢٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٩ .

(٣) ابن رشيق القيرواني : العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر - القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٢/١٨٧ .

العمدة بحثًا في الأضداد ؟ ولـهذا فإننا نستطيع إلغاء جميـع أمثلة هذا النوع من الأضداد لعـدم توفر فكـرة الضدية فـيها جمـيعًا . ونستـطيع أن نقـول إن ابن الأنباري هـو المُتَكَثِّر الوحيد من هذا الـنوع ، لأننا لا نكاد نـعثر على مثـله في كتب سواه مـن علماء الأضداد ما عدا ابـن الدهان الذي وضع كتابـه اختصاراً لكتاب ابن الأنباري .

خلاصـة القول فـإن كتب الأضداد حـوت ألفاظًا كـثيرة لا يمـكن أن يُفَسَّر وجودها في هذه الكتـب بغير تعسُّف مؤلِّفيها وتكلُّفِهم في إخضـاعها للفكرة ، ومع ذلك فـهي غير خـاضعة لها بمـا أوردوا من معاني . فـليس من الـعلم أن نصطنع بناءً ونزعم وجوده في اللغة بحجة أنه مقيس على قواعدها ، لأن اللغة استعمال قبـل كل شيء ، فينبغي أن يُسْمَع ويُعْرَف لِيُبْنَى عليـه درسٌ ويقوم فيه رأيٌ ، ولذلك فإن كثيراً ممَّا عُدَّ من الأضداد لا يقوم دليل قوي على وجوده في كلام العرب وإنما هو مقيس على كلامهم .

(٣)

جدلية الأبنية الصرفية ودورها في تكثير الأضداد :

إن كتب الأضداد ابتداءً بكتاب قطرب وانتهاءً بالكتب المختصرة المتأخرة أوردت مجموعة كبيرة من الأضداد يمكن لدارسها أن يستشعر بوضوح دور الأبنية الصرفية والتباس الصيغ المختلفة في خلق تضادها المزعوم والإيهام بأصالته فى دلالاتها .

إن الدرس المتأني المتأمّل للأبنية الصرفية وقوانين الاشتقاق في العربية من ناحية ومدى سعة هذه اللغة فيما تحوي من صيغ يمكن الاستعاضة ببعضها عن البعض الآخر في الاستعمال من ناحية أخرى ، وكذلك فإن تتبع ما يطرأ على الألفاظ المختلفة من ظواهر تصريفية تتصل بزيادة الأصوات أو حذفها لنكت لغوية تتعلق بالدلالة تارة ، وبالانسجام الصوتي تارة أخرى ، وبسهولة النطق ثالثة ، يكشف عن انهماك علماء الأضداد فى تلمّس التضاد في لفظة عَرَضَ لها التصريف فصرف أصواتها إلى ما يُوهم بضدية دلالتها في الظاهر ، وهي في حقيقتها بعيدة عمّا يراد لها بالنظرة الدقيقة . ومع ذلك فنحن لا نعدم أن نجد بين هؤلاء المهتمين بالأضداد من قَلَّلَ من شأنها وأفردها بملحق في آخر كتابه .

وفي ضوء الأبنية الصرفية نستطيع أن نُقَسِّم هذه الطائفة من الأضداد إلى مجموعتين كبيرتين ، أمَّا المجموعة الأولى منهما فتشمل :

* ألفاظ على وزن (فاعل) تنصرف للفاعل والمفعول، مثل: (خائِف)[1]

(١) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٥ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١/ ٢٣٧ .

و (عائذ)[1] و(عارف)[2] و(نائم)[3] و(عازم)[4] و(عاصم)[5] و(فاطم)[6] و(لائق)[7] و(وامق)[8] و(حالق)[9] و(كاتم)[10] و(بائتة)[11] و(داحضة)[12] و(راضية)[13] و(أشرة)[14] ، وغير ذلك مما تصح تسمية فاعل الفعل به وكذلك الشيء المفعول ، وهو استعمال شائع في العربية يراد به تقوية المعنى حين يُصرف إلى المفعول ، كما يُراد به التفنن في الكلام وتحسينه ، ولم يلتبس على العرب من ذلك شيء ، لأن الاستعمال يوضح دلالة الصيغة من خلال سياق العبارة ، فإذا قيل مثلا : (سرّ كاتم) أو (عيشة راضية) أو (ليلة بائتة) فالقصد واضح في أن المعنى : سر مكتوم ، وعيشة مرضية ، وليلة مبيت فيها ، وقد أشار غير الأضداديين في كتبهم ومصنفاتهم اللغوية إلى هذه الألفاظ دون أن يلمحوا فيها شيئًا من التضاد ، كالخليل بن أحمد الفراهيدي[15] ، والفرّاء[16] ، والثعالبي[17] ، بل اعتبروا مثل هذه الاستعمالات مما يشيع في لغة العرب ،

(١) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٥ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٥٠٤ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٦ . وأبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٥٠٤ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ص ١٢٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٥) نفس المصدر السابق : ص ١٢٨ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٥٠٦ .

(٦) ، (٧) قطرب : الأضداد ص ٢٥٠ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٦٣ .

(٨) نفس المصدر السابق : ص ٣٤ .

(٩) أبو الطيب اللغوي الأضداد في كلام العرب ١/ ٢٠٩ .

(١٠) نفس المصدر السابق : ص ٢/ ٦١٠ .

(١١) نفس المصدر السابق : ص ١/ ٨٥ .

(١٢) نفس المصدر السابق : ص ١/ ٢٧٤ .

(١٣) نفس المصدر السابق : ص ١/ ٣٢٦ .

(١٤) نفس المصدر السابق : ص ١/ ٢٦ .

(١٥) الخليل بن أحمد : العين ص ١٥٥ .

(١٦) الفراء : معاني القرآن ص ٢/ ١٥ - ١٦ .

(١٧) الثعالبي : فقه اللغة ص ٤٩٢ .

ذلك أنهم يدعمون كلامهم على كل لفظة من هذه الألفاظ بطائفة من الأمثلة المتشابهة من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب .

* ألفاظ على وزن (مَفْعُول) تنصرف للفاعل والمفعول ، مثل : (مأتِيّ)[١] ، ولم يعثر الباحث على غيرها من كتب الأضداد ولقد أُستُدِلّ على ضديتها بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[٢] حيث استعملت بمعنى (آتيا) والحقيقة إن معنى الفاعل مستفاد من سياق الآية وإن كان بلفظ المفعول ، وربما يكون في عبارة (وعده) مجاز ما عن مكان الحساب يوم القيامة ، إذ يكون المعنى : كان مكان حشركم الموعود مأتيّا . ولكن الفرّاء عالج الآية بشكل آخر فقال : «وقوله (إنه كان وَعْده مأتِيّا) ولم يقل آتيا . وكل ما أتاك فأنت تأتيه ، ألا ترى أنك تقول : أتيتُ على خمسين سنة وأَتَتْ عليّ خمسون سنة ، وكل ذلك صواب»[٣] . ومهما يكن التفسير فإن في اللغة سعة في الاستعمال إذا وضح المعنى وأُمِنَ اللبس ؛ وما قلناه في صيغة (فاعل) نقوله في صيغة (مفعول) ، علمًا بأن الأضداديين فاتهم أن يقرنوا إلى (مأتِيّ) لفظة أخرى أشار إليها الثعالبي ، فبعد أن ذكر الأولى قال : «وكما قال جلّ جلاله : ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[٤] أي ساترًا»[٥] .

* ألفاظ على وزن (فَعول) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل :

---

(١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ١/ ٣١ .

(٢) سورة مريم : الآية ٦١ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ص ٢/ ١٧٠ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٤٥

(٥) الثعالبي : فقه اللغة ص ٤٩٢ ، وانظر : ابن فارس : الصاحبي ، نشر المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد – القاهرة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م ، ص ٢٠١ .

(ذَعور)[١] و(ركسوب)[٢] و(فجوع)[٣] و(زجور)[٤] و(رغوث)[٥] و(نَهوز)[٦] و(غَموز)[٧] و(عَصوب)[٨] و(شكوك)[٩] و(ضَغوث)[١٠] و(عَروك)[١١] و(ظؤر)[١٢] و(رَحُول)[١٣] و(نَخور)[١٤] و(طعوم)[١٥] و(زعوم)[١٦] و(مَخوض)[١٧] و(خَلوج)[١٨] و(شروب)[١٩] و(قدوع)[٢٠] و(لبوس)[٢١] و(قرون)[٢٢] و(لموس)[٢٣] و(سَحور)[٢٤] و(فَطور)[٢٥] و(شَمول)[٢٦]

---

(١) الأصمعي : الأضداد ص ٥٥ . أبو حاتم السجستاني الأضداد ص ١١٢ . ابن السكيت : الأضداد ص ٢٠٧ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٥٧ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١/ ٢٨٠ .

(٢) قطرب : الأضداد ص ٢٤٩ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٥٦ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ١/٣٠٦ .

(٣) ابن الأنبارى : الأضداد ص ٣٥٦، ٣٥٧ . وأبو الطيب اللغوى : الأضداد في كلام العرب ص ٢/٥٣٩، ١/ ٣٣٢، ١/٣٠٨، ٢/ ٦٥٠، ٢/٥٢٦، ٢/٥٠١، ١/٤١٦، ١/٤٥٦، ٢/٥٠٣ .

(٤) نفس المرجع السابق . (٥) نفس المرجع السابق . (٦) نفس المرجع السابق .

(٧) نفس المرجع السابق . (٨) نفس المرجع السابق . (٩) نفس المرجع السابق .

(١٠) نفس المرجع السابق . (١١) نفس المرجع السابق .

(١٢) قطرب : الأضداد ص ٢٤٩ - ٢٥٠ . ابن الأنباري : ص ٣٥٨ - أبو الطيب اللغوي : ص ١/٣٢٤، ٣٣٦، ٤٦٤، ٤٧٩، ٢/ ٦٥١ .

(١٣) نفس المرجع السابق . (١٤) نفس المرجع السابق . (١٥) نفس المرجع السابق .

(١٦) نفس المرجع السابق .

(١٧) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٦٣ .

(١٨) أبو الطيب اللغوي : ص ١/٢٥٨ ، ٣٨٥ ، ٢/٦٠٥ ، ٦١٧ .

(١٩) نفس المرجع السابق . (٢٠) نفس المرجع السابق . (٢١) نفس المرجع السابق .

(٢٢) قطرب : الأضداد : ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢٣) نفس المرجع السابق .

(٢٤) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١١٣ .

(٢٥) نفس المرجع السابق . (٢٦) نفس المرجع السابق .

و(جنوب)[1] و(دَبور)[2] و(حَلوَبة)[3] و(قَتوَبة)[4] و(جَلوبَة)[5] و(جَزوزة)[6] و(أكولة)[7] ، وغيرها ، وهـذا الوزن عدَّه الأضداديون من الأوزان الـتي يطرد فيها التضاد ، لانصراف ألفاظه جميعًا إلى معنى الفاعل والمفعول ، متكلّفين فى حمل ما يمكن حمله من الألفاظ علـى هذا الوزن ، ومشتقين منه ما لم يَجْرِ به الاستعـمال أو يرد به الـنص ، حتى نـقل ابن الأنبـاري عن قطرب أنـه قال : «فَعول من حرف الأضداد»[8] ، على أننا لم نجد قوله بهذه الصراحة فى كتابه، المهم أننا نـستطيع أن نلحظ في هذه الألـفاظ تعسفًا كبيراً ، ذلك أن أغـلبها من صفات النـاقة وهى (المفعول) فلا يمـكن أن يكون (الفاعل) الـذي هو الإنسان طبعًا ، مما يتصـف بصفة من صفات الناقة ، وبالـتالي يُعَدّ ذلك من الأضداد . ويبدو أن الفرّاء كـان قد تنبـه إلى هذه الـناحية ، إذ يقـول ابـن الأنبـاري : «فـ (رَعوث عـند الفرّاء وأصـحابه ليس مـن الأضداد ، وكذلك الحـروف التي عدَّدَها قطـرب (يقصد ما كان عـلى وزن فَعول) إذ كان (زَجور) تُوصف الـناقة به، ولا يُوصف به البعـير ، ووصف الرجل لا يقع مضادًا لوصـف الناقة به ، إذْ كان من غـير جنسها ، فـهذان الفرقان بين الـبابين»[9] هذه ناحيـة ، وناحية أخرى هي أن وزن (فَعـول) في العربـية ، إذا كان للفـاعل مذكرًا أو مـؤنثًا لم تلـحقه الـهاء ، فيـقال : رجل كـفور وامرأة كـفور وكذلـك غضوب وصـبور وقتول. . . إلـخ ، فهي من الصيـغ التي يستوي فـيها المذكر والمؤنـث إذا عنت (فاعِل) ، فلـيس في هذا تضـاد بين فاعل ومـفعول ، أما إذا أُريدَ بـهذا الوزن معنـى (المَفْعُول) فعند ذاك يُفَرّق بين المـذكر والمؤنث بالهـاء فيقال : ناقـة أكولة

---

(١) نفس المرجع السابق . (٢) نفس المرجع السابق . (٣) نفس المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع السابق . (٥) نفس المرجع السابق . (٦) نفس المرجع السابق .

(٧) أبو الطيب اللغوى : ص ١/ ٢٤ . (٨) ابن الأنبارى : ص ٣٥٦ .

(٩) نفس المصدر السابق : ص ٣٦٠ .

وحلويـة وجزوزة وظعونة ، إلا إذا قُصِدَ إلـى التعمية وهـي على غير الـقاعدة فحـينـئذ تُحْذَفُ الهـاء ، قال الـفرّاء : «إذا كان (فَعـول) للـفاعل لـم تدخـله الهاء. . . استوى فيه لفظ المذكر والمؤنث ، وإذا كـان للمفعول دخلته الهاء في باب التأنيث ، لِيُفَرّق بـين المفعول والفاعل . . . وربما حذفوا الـهاء من المفعول إذا أرادوا الإبهام»[1] . نفهم من ذلـك أن العرب فَرَّقوا بالهاء التـي تدخل على (فَعول) للمـؤنث ، بين المفعول والفـاعل وحذفوا هذه الهـاء إذا أرادوا بفعول معنى الفاعل لا غير للمذكر والمؤنـث ، هذه هي القاعدة كما أوضحها الفرّاء ، أما أن يكون (فَعول) بلا هاء للفاعل والمفعول فذلك مُتَعَمّد فيه الإبهام ومقصود فيه الغموض ، ولعل أمثلته فـي كتب الأضداد هي أصداء تلك المحاولات التى تكلـفها الطمـوح الأوّل لقطرب لتكـثير المادة ليـأتي الكتاب زاخـراً بالأضداد . ولكنـهم حين عرضوا لـلفظة (الأكـولَة) قرَّرُوا أن (المَفْعُول) منها هـو : الشاة يربيها الراعى ليأكلها فهي مأكولة ، ولكنهم اختلفوا في (الفاعِل) فقالوا : رجل أكولة والهاء للمبالغة . وقالوا الأكولة بمعنى الآكلين ، وقالوا : يجوز أن يكون الأكولة بمعنى المأكول[2] ، وهكذا حيث يتضح التخبط لالتماس الضدّ ، وذكروا لتأييد الـتفسير الأوّل قولهم : رجل عـروفة بالأمر ورجل لَجُوجَة[3] . والمسألة كلها مردودة بما يحمل لفظ (أكولة) وأضرابه من معنى (المَفْعُول) وحده ، يقول الأصمعـي : «الأكولة من الغنـم التى تُعْزَل للأكل ، والحـلوبة التي يحـلبون، والركوبة ما يركبون ، والعـلوفة ما يعلفون»[4] ، وإلى مثـل هذا ذهب أبو زيد

---

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١/ ٢٤ - ٢٦ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف ، مخطوطة بمكتبة المتحف العراقي ص ٢٨٥ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٢٨٤ .

أيضًا[1] . ولم يُؤْثَرْ عن السلف أنهم سَمُّوا كثير الأكْل من الرجال بـ (أكولَة) وإنما سَمُّوه (أكُولاً) و(إكِّيلاً) بتشديد الكاف ، صحيح أنه قد يُبَالَغ بالهاء إلا أنه في غير (الأكولة) .

* ألفاظ على وزن (فَعِيل) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل « (الأمين)[2] و(التّبيع)[3] و(السّميع)[4] و(الصريخ)[5] و(الغريم)[6] و(القنيص)[7] و(النّهيك)[8] و(الأكيل)[9] و(الشّريب)[10] و(النحيض)[11] و(الحليل)[12] و(الأليم)[13] و(الكَرِيّ)[14]

---

(1) أبو زيد الأنصاري : النوادر في اللغة ، تحقيق سعيد الخوري الشرتوني ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٢٤٣ .

(2) قطرب : الأضداد ص ٢٥٥ . الأصمعي : الأضداد ص ٥١ . أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ٢٠٤ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٤ . أبو الطيب اللغوي الأضداد في كلام العرب ص ١/ ٩ .

(3) قطرب : ص ٢٥٨ . ابن الأنباري : ص ٣٧٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ١٠١ .

(4) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٣ . ابن الأنباري : ص ٨٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ٣٦٦ .

(5) قطرب : ٢٧٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ٤٢٩ . ابن الأنباري : ص ٨٠ . السيوطي : المزهر : ص ١/ ٣٩٢ . أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة ، دار الطباعة العامرة ، د. ت ، ص ١٥١ .

(6) قطرب : ص ٢٥٥ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/ ٥١٦ . ابن الأنباري : ص ٢٠٣ . لطائف اللغة : ص ١٤٧ .

(7) ابن الأنباري : ص ٢٦٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/ ٦٠٣ . لطائف اللغة : ص ١٤٩ .

(8) قطرب : ص ٢٥٤ . ابن الأنباري : ص ٣٦٣ .

(9) أبو حاتم السجستاني : ص ١١٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ٣٠ .

(10) أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ٣٨٥ .

(11) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/ ٦٤٣ . الصغاني : ص ٢٤٦ .

(12) لطائف اللغة : ص ١٤٧ . (13) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٣ .

(14) قطرب : ص ٢٥٧ . ابن الأنباري : ص ١٩٩ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/ ٦٠٧ . ابن السكيت: إصلاح المنطق ، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٢٤٣ . مؤرج السدوسي : الأمثال ، تحقق رمضان عبد التواب ، وزارة الثقافة - القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٥٨ .

و(الوصي)[1] و(الربيبة)[2] وغيرها ، وربما فات كتب الأضداد شيء من هذه الألفاظ مثل (هضيم) التي ذكرها أبو حاتم في غير أضداده[3] . ويمكننا أن نلاحظ التكلف نفسه الذي لاحظناه في ألفاظ (فعول) ، ذلك أن الأمر في مثل هذه الألفاظ موكول للاستعمال وشيوعه ، ولا يجوز في هذه الحالة القياس ، فمثلا لا نعلم أن (السميع) استعملت في غير معنى الفاعل (السامع) وكذلك (الأليم) و(الوصيّ) و(الحليل) ، كما لا نعلم أن (الربيبة) استُعْمِلَتْ في غير معنى المفعول (التي تربب) وكذلك (القنيص) و(الأكيل) و(الشّرِيب) وغيرها ، فدعوى التضاد في ألفاظ هذه الفئة لا يمكن أن يدعمها إلا الاستعمال وإلاّ فهي منصرفة إلى معنى واحد لا غير ، كما أن للغة أغراض تتصل بالدلالة حين تلجأ إلى استبدال صيغة بأخري في الاستعمال ، أو استخدام وزن دون آخر ، فإذا كانت خصوصية (فعول) مثلا الدلالة على التفضيل في الطبيعة وتفيد معنى الأكثر ، وخصوصية (فاعل) الدلالة على الفاعل ، فإن (فعيل) خصوصيتها الدلالة على لزوم الوصف لزوما لا ينفك إذا سُمِّيَ به[4] . ولهذا فإن العرب أطلقوا (فَعيل) على من تلزمه الصفة لزوما لا ينفك عنه سواء أكان المُطْلَقُ عليه فاعلاً أم مفعولاً وبهذا جرى القرآن الكريم ، فكان الله : (سميعًا) (عليمًا) (خبيرًا) . . . إلخ . لأنها صفات لا تنفك عن الذات الإلهية ، وهي كذلك بالنسبة لمن يشيع اتصافه بها من البشر ، وهى فاعل فى المعنى لا غير ، وبالمقابل فإن (المفعول) إذا لزمته الصفة لزوما ثابتا صحّ أن يقال فى وصفه (فَعيل) ، فالسائل المشروب تلزمه صفة الشرب فقيل (شَريب) ، والمأكول الذى تلزمه صفة الآكل (أكيل) والحيوان (قَنيص) وهكذا ، على أن للغة - كما

(١) أبو حاتم السجستاني : ص ١١٩ . الصغاني : ص ٢٤٧ . لطائف اللغة : ص ١٥٢ .

(٢) قطرب : ص ١٢٥٧ . ابن الأنباري : ص ١٤٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ٣١٠١٦/١ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : النخل . نسخة مصورة عن المخطوط بمكتبة د. إبراهيم السامرائي ، ص ٣٤ .

(٤) عبد الله العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ، المطبعة العصرية بمصر ، د. ت ، ص ٦٨ - ٦٩ .

سبق لنا القول - أغراضا بلاغية تدفعها لاستبدال الصيغ في الاستعمال ، ومن ذلك مثلا : «فَعَال في معنى فَعيل ، نحو طَوال فهو أبلغ من معنى طَويل ، وعَراض أبلغ معنى من عَريض . . . ففَعال وإن كانت أخت فَعيل في باب الصفة فإن (فعيلاً) أخصّ بالباب من فَعال لأنه أشد انقيادًا منه»[1] .

وإذا شئنا أن نوغل قليلاً في هذه الناحية قلنا إن (فعيل) من صفات الفاعل دون المفعول ، وإنما أُطْلِقَتْ على المفعول لاكتساب الأخير صفة الأول بالمشاركة فيها ، ذلك أن الدرس اللغوي التاريخي يشير إلى أن وزنيّ (فاعِل) و(فعيل) يدلان دلالة متساوية أو قل متشابهة ، وكلاهما متطور عن وزن (فاعيل) المنقرض في العربية[2] ، وبقيت صورته في بعض اللغات السامية ، وقد قصد من هذا التطور الذي حصل في الوزن الأصلي التنويع أو التخصيص ، فكان يُقال مثلاً (آمين) على وزن فاعيل ، والمقصود منه فاعل (أمِن يأمَن) ثم قيل بعد أن أميت هذا الوزن (آمِن) على وزن فاعل ، و(أمين) على وزن فعيل ، وكلاهما بمعنى فاعل (أمِنَ يأمَن) ، ولكن بينهما فرقًا دلاليًا أحسّت به أجيال المتكلمين بالعربية ، وإذا كان من الطبيعي أن يشارك (الآمِين) من يؤتمن به فتوضع عنده الأمانة وهو المأمون ، قيل هو (الأمين) أيضًا ، فالمفعول قد اكتسب صفة الفاعل بالمشاركة بالأمانة ، ويمكن أن تُعَمَّم فكرة المشاركة هذه على وزن (فعول) أيضًا بشيء من تأويل قريب ، فكلمة (ركوب) المنصرفة إلى الفاعل والمفعول ، فيها معنى من معاني مشاركة الراكب للمركوب وعلاقته به .

* ألفاظ على وزن (فعّال) تنصرف للفاعل وللمفعول مثل : (التوّاب)[3]،

---

(١) السيوطي : الأشباه والنظائر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ، ص ١٤٥/١ .

(٢) عبد الله العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ، ص ١٦٩ ، ١٨٨ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١٣١ . الصغاني : الأضداد ص ٢٢٥ . ابن الأنباري : الأضداد ص ٤١٥ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ١١١/١ .

ولم نجد غيرها في كتب الأضداد ، منصرفة إلى معنى من يتوب وإلى من يقبل التوبة ، ولقد اعتبر علماء الأضداد أحدهما فاعلاً والآخر مفعولاً ، مستندين فى ضديتها هذه على ما ورد في معناها فى القرآن الكريم صفة لله مرة وصفة للعبد أخرى ، و(فعّال) من صيغ المبالغة في العربية ، فيصح أن يتصف بها الله عز وجل لكثرة قبوله التوبة ، وأن يتصف بها العبد إذا كان كثير التوبة ، ولعل الذي أوقع العربية في هذا اللبس الخاص بهذه اللفظة أن الفعل (تاب) هو من الفعل المشابه له صوتا ودلالة وهو (ثاب) الذي يعنى رجع وأناب ، والتوبة فيها رجوع عن الضلال وإنابة إلى الله عز وجل ، والظاهر أن (تاب) اختص بدلالته على الرجوع من الضلال إلى الهداية وبقي للفعل (ثاب) معنى الرجوع العام ، وهذا الأخير من الأفعال القديمة التى يوجد لها مثيل في اللغات السامية الأخرى فالفعل שׁוּב في العبرية والذى يلفظ (شابْ) يحمل الدلالة نفسها وهي رجع أو عاد . نريد أن نخلص إلى أن هذا المعنى العام بقيت له آثار في العربية منها هذا الذي نجده في (التَوّاب) ، فيكون التفسير الدقيق لهذه الفظة في ضوء المعنى القديم أن العبد يعود إلى طاعة الله ، والله عز وجل يعود إلى رضاه عنه .

* ألفاظ على وزن (مُفَعّل) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل (مُغَلَّب)(1) ولم نجد غيرها فى كتب الأضداد ، ولقد ذكر علماء الأضداد أن هذه الصيغة أُطلقت على جماعة من الشعراء ، فقيل شاعر مُغَلَّب أي كثير الغلبة لغيره فهو

(1) قطرب : الأضداد ص ٢٧٣ . الأصمعى: الأضداد ص ٥٣ . أبو حاتم السجستاني: الأضداد ١٤٥ . ابن السكيت : الأضداد ص ٢٠٥ . الصغاني : الأضداد ص ٢٤٠ . أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٥١٨/٢ . ابن الأنباري : الأضداد ص ١٩٩ (مادة فزع) . ابن دريد: الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م ، ص ٢٥ . السيوطي : المزهر ص ٣٩٢/١ .

غالب ، وشاعر مُغَلّب أي كثيرا ما يُغْلَب فهو مغلوب ، والحقيقة أنهم وهموا في ذلك ، فالتشديد الذي في اللفظة ليس للكثرة وإنما للتفضيل والمشاركة ، وإنما تكون المبالغة بـ (غلاّب) إذ يكفى أن تُطلق (مُغَلّب) على شاعر تغالب مرة واحدة ، وفي هذا يقول أبو الطيب اللغوي : «فمُغَلّب (مُفَعّل) من ذلك، والتشديد لتكثير الفعل . قال أبو الطيب : «وليس كذلك لأنه لو غلب مرة واحدة سُمِّيَ مغلبًا . وإنما هو من قولك : تغالب الرجلان فغلبت أحدهما»[1] .

إذن فالصفة تدل على المشاركة في الغلبة ، ويكون الحكم بعد التغالب إما للشاعر أو عليه ، ولذلك فإنني أعتقد أنهم حذفوا من الصفة ما كان متعلقا بالفعل من الحروف التي تشير إلى الغالب والمغلوب ، إذ تكون (مُغَلّب) للغالب من (غَلّب له) ، وتكون (مُغلّب) للمغلوب من (غَلّب عليه) .

* ألفاظ على وزن (مُفْتَعل) تنصرف للفاعل وللمفعول ، وهي على ضربين :

الأول : ما كانت عينه منقلبة عن واو أو ياء ، فلا يظهر في الألف الساكنة كسر العين وفتحها ، مثل «(المُباع) و(المُتّام) و(المُجتاب) و(المجتاح) و(المجتاز) و(المحتاج) و(المحتاض) و(المختال) و(المُدّان) و(المُرتاب) و(المُرْتاح) و(المُرْتاد) و(المُزْدَار) و(المُسْتَاف) و(المُستَاق) و(المُشْتَاق) و(المُطّاف) و(المُعْتَام) و(المُعْتَاص) و(المُغْتَاب) و(المُفْتَات)[2] . و(المُقْتَال)[3] و(المُقْتَاد) و(المُمْتَاح)[4] و(المختار)[5]

---

(١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٥٢١ .

(٢) انظر هذه المواد في نفس المصدر السابق : ص ٢/ ٦٩١ - ٢/ ٧٠٢ .

(٣) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ص ١٢٠ . أبو الطيب اللغوي . الأضداد في كلام العرب ص ٢/ ٧٠٢ .

(٤) أبو الطيب اللغوي : ص ٢/ ٧٠٣ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٠ . ابن الدهان ص ٩٧ .

و(المزدان) و(المُعتَاض) و(المُكتَال)[1] و(المُزدَاد)[2] .

أما الثاني : فهو ما كانت عينه مدغمة في لامه فلا تظهر فيها حركة العين أيضًا ، مثل : (المبتدّ) و(المبتزّ) و(المبتضّ) و(المحتزّ) و(المُحتَشّ) و(المُحتَطّ) و(المُختَصّ) و(المُختَطّ) و(المُضطَرّ) و(المُعتَدّ) و(المُفتَكّ) و(المُفتَنّ) و(المُقتَصّ) و(المُقتَضّ) و(المُقتَمّ) و(المُكتَنّ) و(المُلتَفّ)[3] و(المُرتَدّ)[4] وغيرها. وبالرغم من قلة ورود هذا النوع عند غير أبي الطيب اللغوي من علماء الأضداد بالنسبة لما أورده هو منها ، فإن أبا الطيب مع ذلك قـلّلَ من شأنه وأفرده في نهاية كتابه ونصّ على أنه ليس من الأضداد ، فقال : «هذا آخر الأضداد على الحقيقة . وقد أدخل علماؤنا المتقدمون فيها أشياء ليست منها ، نحن نذكرها أبوابا ، لئلا يظن ظان أنّاَ غفلنا عنها»[5] . والحقيقة أن أغلب أولئك الذين عدواُّ هذه الألفاظ من الأضداد تجاهلوا الحقائق الصرفية.، ذلك لأن دعوى التضاد في هذه الطائفة إنما هو اعتبار لدور الأصوات فقط ، وتناسي حقيقة الكلمة ومقياسها الاشتقاقي ، فلفظ (مختار) الذي أصله (مُختَيِر) بكسر الياء لا يمكن أن يقال إنه (مختار) الذي أصله (مُختَيَر) بفتح الياء ، لأن التضاد إنما يتصل بالمعاني والأصوات معا . وقد أشار إلى فكرة اختلاف الأصل هذه أبو حاتم السجستاني[6] ، وابن الأنباري[7] من القدماء عندما عرضا لهذه الألفاظ في كتابيهما ، مما يدل على أنهما كانا قد وقفا على حقيقة ذلك الأصل الذى اشتق

(١) أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٠ .

(٢) ابن الأنباري : ص ٤١٠ . ابن الدهان : ص ٩٩ . الصغاني : ص ٢٣٢ .

(٣) انظر هذه المواد عند أبي الطيب اللغوي ص ٢/٧٠٨ وما بعدها .

(٤) ابن الأنباري : ص ٤٠٩ . ابن الدهان : ص ٩٨ . الصغاني : ص ٢٣٠ .

(٥) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ص ٢/٦٨٨ .

(٦) أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٧) ابن الأنباري : الأضداد ص ٤٠٩ .

منه ، وما يولده الإدغام من اتحاد الصيغتين ، ومن الغريب بعد هذا أن نجدهما قد ضَمَّنَا كتابيهما عدداً من هذه الألفاظ فهل كانا يعتقدان أن التضاد في هذه الطائفة يقوم على أصوات اللفظة ومعناها في الوقت نفسه ، وأنه لو فرق بين الاثنين لألغيت فكرة التضاد من أساسها ؟ يبدو ذلك ، إذ أن الصرفيين حين يقررون أن (مُختار) أصلها (مُختَيِر) بكسر الياء للفاعل وبفتحها للمفعول ، ثم حُذِفَتْ الياءان وقلبتا ألفًا ، لا يقصدون إلى أن العرب نطقوا أول مرة بالياء المحركة ثم قلبوها بعد طور من أطوار لغتهم ألفًا ، لأن الحسّ اللغوي لدى المتكلمين دفعهم منذ الوهلة الأولى إلى نطقها بالألف ، وما قاله الصرفيون إنما هو افتراض لما يمكن أن تستقر عليه اللفظة لو كانت في أصلها على ذلكما البناءين ، وعلى هذا تكون الصيغتان المفترضان للفاعل والمفعول شيئًا واحدا ولا فرق صوتي بينهما في الأصل[1] ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نلحق بهذا النوع من الألفاظ معنيين متضادين ، وإنما نقول إن فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه ، فهو مرة متجه إلى الفاعل وأخرى إلى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وإنما اتجه القائل ذات مرة إلى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية إلى الذي وقع عليه الحدث .

وكذلك الأمر بالنسبة للفظة (مرتدّ) وأخواتها ، التي يقول فيها ابن الأنباري : «إذا كان للفاعل أصله (مرتدد) فاستثقلوا الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الدال الأولى وأدغموها في التي بعدها . وإذا كان للمفعول فأصله (مرتدَد) ففعلوا مثل ما فعلوا في الباب الأول ، واستوى اللفظان من أجل الإدغام»[2] . وتشبه هذه الحالة الحالة السابقة من حيث النشأة والتفسير واتحاد الأصوات ولكنها أبعد من تلك عن الإبهام أحيانًا ،

(١) انظر : مجلة اللسان العربي ٨/ ١١٥ - ١١٦ .

(٢) ابن الأنباري : الأضداد ص ٤٠٩ وما بعدها .

فمن اللهجات ما يُفَكّ بها إدغام الاسم والفعل : (حالّ وحالل) و(غضّ وغضض) وهكذا ، فربما فكّوا الإدغام في هذه الصفات فيتوضّح المعنى على أننا لم نسمع أنهم وقعوا عند استعمالهم لمرتد ومختار في حرج من غموض وإبهام، وإنما كانوا يفرقون بين المعنيين بالسياق والقرائن .

أما المجموعة الثانية من الأضداد التي تفسر باختلاف الصيغ والأبنية الصرفية فتشمل :

* أضداد بين (فَعَل) و(أفعَل) مثل (تَرِبَ وأَتْرَب)(١) و(ثَبَتُّ وأَثْبَتُّ)(٢) و(قَسَطَ وأَقْسَطَ)(٣) وَ(ثَلَلْتُ وأَثْلَلْتُ)(٤) و(خَفَيْتُ وأَخْفَيْتُ)(٥) و(رَاحَ وأَرَاحَ)(٦) و(زال وأزَال)(٧) و(شكا وأشكى)(٨) و(خَذِمَ وأَخْذَمَ)(٩) و(طَلَبَ وأَطْلَبَ)(١٠)

---

(١) قطرب : ص ٢٦٧ . ابن الأنباري : ص ٣٨٠ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ١١٥ .

(٢) أبو حاتم السجستاني : ص ١٤٨ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ١٢٤ .

(٣) قطرب : ص ٢٥٩ . الأصمعي : ص ١٩ . ابن السكيت : ص ١٧٤ . ابن الأنباري ص ٥٨ . أبو الطيب اللغوي ٢/ ٥٩٤ . ابن الدهان : ص ١٠٤ . الصغاني ص ٢٤٢ . الثعالبي : فقه اللغة ص ٥٨٠ .

(٤) قطرب : ص ٢٦٨ . ابن الأنباري ص ٣٨٧ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ١٣٧ .

(٥) قطرب ٢٥١ . الأصمعي : ٢١ . ابن الأنباري : ص ٩٦ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ٢٣٧ . ابن القوطية : الأفعال ، مطبعة بريل - ليدن ١٨٩٤ م ، ص ٣٩ .

(٦) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٤ . ابن الأنباري : ص ٢٩٠ .

(٧) ابن الأنباري : ص ٢٧٦ . الصغاني : ص ٢٣٢ .

(٨) قطرب : ص ٢٧٧ . الأصمعي : ص ٥٧ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٠٦ . ابن الأنباري : ص ٢٢١ . ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٤٦ هـ، ص ٣٣٧ - الشيخ أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة ، دار الطباعة العامرة ، د. ت ، ص ١٤٦ .

(٩) قطرب : ص ٢٥٥ . ابن الأنباري : ص ٣٧١ .

(١٠) الأصمعي : ص ٥٦ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٢ . ابن الأنباري : ص ٨٥ . ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٣٣٧ . الشيخ أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة : ص ١٤٥ .

و(فَرَط وأفرَط)[1] و(فَاد وأفَادَ)[2] و(وزَعْتُ وأوزَعْتُ)[3] و(حَمَأْتُ وأحْمَأْتُ)[4] و(قَرَأْتُ وأقرَأْتُ)[5] و(فَهِمَ وأفْهَمَ)[6] و(سَرّ وأسَرَّ)[7] و(هَمَدَ وأهْمَدَ)[8] و(عَفَى وأعْفَى)[9] و(خفَرَ وأخْفَرَ)[10] و(قَذَى وأقْذَى)[11] و(فَزَع وأفْزَعَ)[12] و(وَدَعَ وأوْدَعَ)[13] و(عَذَرَ وأعْذَرَ)[14] و(وَفَيْتُ وأوْفَيْتُ)[15] و(سَنَدْتُ وأسْنَدْتُ)[16] و(ساءَ وأسَاء)[17] و(رَجَلْتُ وأرْجَلْتُ)[18] و(بِعْتُ وأبَعْتُ)[19] وغيرها مما نصّت عليه كتب الأضداد واللغة ،وقد أغفلت أغلب هذه المصادر الفروق الدقيقة التي تكمن في دلالة الصيغتين ، حيث إن الهمزة لم تدخل على الفعل الثلاثي جزافا في كلام العرب ، وإلا لكان استعمالهم للثلاثي المجرد هو المعمول به في الضدين لو أرادوا ذلك ، فالهمزة بدخولها على الفعل لابد أن يكون لها دور كبير في تغيير المعنى ، وهذا الدور يكمن في أمرين : الأول : أن تكون

---

(١) قطرب : ص ٢٦٢ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٤١ . ابن الأنباري : ص ٧١ .

(٢) ، (٣) أبو حاتم ١٠٩ ، ١٥٠ . ابن الأنباري ص ٤١٠ ، ١٢٩ . الصغاني : ص ٢٤٧ .

(٤) قطرب : ص ٢٦٩ . ابن الأنباري : ص ٣٩٦ .

(٥) قطرب : ص ٢٦٠ . الأصمعي : ص ٥ . أبو حاتم السجستاني ص ٩٩ .

(٦) قطرب : ص ٢٦١ . الأصمعي : ص ١٥ . ابن السكيت ١٧٢ . أبو علي القالي : البارع ، تحقيق هاشم الطعان ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٢ م ص ٦٧ .

(٧) قطرب ٢٥٢ . ابن السكيت ١٧٧ . ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٣٣٧ . مجالس ثعلب : ص ١/ ٢٣١ .

(٨) قطرب : ص ٢٤٧ . الأصمعي : ص ٢٨ . أبو حاتم السجستاني ص ١١٨ . ابن السكيت : ص ١٨٣ .

(٩) ابن السكيت : ص ١٦٧ . أبو حاتم السجستاني : ص ٩٢ . الصغاني : ص ٢٣٩ .

(١٠)، (١١) ، (١٢) ، (١٣) الثعالبي : فقة اللغة : ص ٥٨٠ . ابن قتيبة : أدب الكاتب : ص ٣٣٧ .

(١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف : ص ٣١٧ ، ٣٢٤ . الشيخ أحمد بن مصطفى اللبابيدي : لطائف اللغة : ص ١٤٤ .

(١٨) قطرب : ص ٢٧٨. ابن الأنباري : ص ٤٠٨ .

(١٩) أمالي الزجاجي ، مخطوطة مصورة بمكتبة الحكيم العامة بالنجف ، ص ٦٩ ب .

للتعدية فيثبت بها المعنى لمن وقع عليه الفعل ، فيكون في ظاهر معناه مخالفًا لمعنى الفعل الثلاثي اللازم . والثاني : أن تكون للسلب[1] ، وذلك بأن تسلب معنى الفعل المجرد وتقلبه إلى المعنى المضاد ، يقول ابن جنّي : «وأَفْعَلْتُ هذه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب ، فقد تأتى أفعلت أيضًا يُراد بها السلب والنفي ، وذلك نحو أَشْكَيْتُ زيدًا ، إذا زلت له عمّا يشكوه أنشدنا أبو علي قال : أنشد أبو زيد :

تَمُدّ بالأعناقِ أو تلويها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتَشْتكي لو أننا نُشْكيها

أى لو أننا نزول لها عمّا تشكوه»[2] . وبهذا يكون الفعل بعد دخول الهمزة عليه شيئًا آخر تمامًا بل فعلاً مضادًا في المعنى للفعل الأول بسبب هذا السلب الذى أفادته الهمزة . ولهذا قال ثعلب في قوله تعالى : ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[3] : أريد أستَرها ، ومن قال أَخْفَى قال : أظهر»[4] ، فكأنه كان يرى أن الهمزة فيمن قرأ بالضم هي همزة السلب ، وقد قلبت المعنى وكانت هذه الآية هى التي جعلت الأضداديين يقولون بتضاد الفعل (أخْفى) لأن (خَفَى) مجرد لا يعني إلا الإظهار[5] ، وقد وضّح ذلك ابن جني أيضًا بقوله : «ومثله قوله عزّ

---

(١) د. إبراهيم السامرائي : الفعل زمانه وأبنيته ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٦ ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٢) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ٤٢ .

(٣) سورة طه : الآية ١٥ .

(٤) مجالس ثعلب : ص ١/ ٢٣١ .

(١) أبو زيد الأنصاري : النوادر في اللغة ، تحقيق سعيد الخوري الشرتوني ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٩ . أبو عبيدة : مجاز القرآن ، تحقيق د. سزكين ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٥٤ م - ١٩٦٢ م ، ص ٢/ ١٦ - ١٧ . الخطيب التبريزي : شرح مقصورة ابن دريد ، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - دمشق ١٩٦١ م ، ص ١٢٢ . البطليوسي : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تحقيق عبد الله البستاني ، المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠١ ، ص ٢٣٠ .

اسمه ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ تأويله والله أعلم عند أهل النظر» أكاد أظهرها .

وتلخيص حال هذه اللفظة : أى أكاد أزيل عنها خفاءها ، وخفاء كل شيء غطاؤه . . . فأخفيها في أنه (أزيل خفاءها) بمنزلة قوله : (لو أننا نُشْكيها) أي نترك لها ما تشكوه»[1] . وللعرب بعد هذا مآرب دلالية أخرى فى هذه الهمزة ، يقول الفراء «أَطْرَدْت الرجل في صيَّرْته طريدًا وطَرَدْتهُ إذا أنت قلت له : إِذهَبْ عنّا» و«أُقْهِرُ أى صار إلى حال القَهْر وإنما هو قُهِرَ»[2] ، و«العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم : أَسقيت ، فإذا سقاك الرجل لشفتك قالوا : سَقاه ولم يقولوا أسْقاه»[3] . أضف إلى هذا أن كثيرًا من استعمالات (فَعَلَ وأَفْعَلَ) إنما هو من اختلاف اللهجات ، فقبيلة تستعمل الفعل بصيغة (فَعَل) وقبيلة أخرى بصيغة (أفْعَل) ، وقد أشار غير واحد من علماء اللغة القدامى إلى ذلك ، فهذا الخليل بن أحمد يُعَلّق على بيت أبي ذؤيب :

أوْدى بنَيّ وأعقبَوني حَسْرَةً بعد الرّقاد وعبرةً ما تَقلع[4]

بقوله : «أعْقَبُونى ومخالف للألفاظ السابقة وموافق لها في المعنى . ولعلهما لغتان فمن قال : (عقَب) لا يقول «(أَعْقَب) كمن قال : بَدَأْتُ به ، لا يقول : أَبْدَأْتُ به»[5] . وإذا كان الخليل بن أحمد قال (لعلهما) فالفراء جزم

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ص ٤٣ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ص ٢/ ٣٨٩ .

(٣) نفس المصدر السابق : ص ٢/ ١٠٨ .

(٤) ديوان الهذليين : دار الكتب المصرية ، القسم الأدبي - القاهرة ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥ م ، ص ٢/١ .

(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٧ م ، ص ٢٠٣ .

بذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً﴾[1] ، فقال : «وتُقْرأ : نَصْليه ، وهما لغتان وقد قرئتا ، من صَلَيْت وأصْليت»[2] . وعرضت بعض المعجمات اللغوية إلى شيء من هذا ، ففى لسان العرب لابن منظور : «مضى الأمر ، وبنو تميم يقولون : أمضّى . وتقول قريش : حَزَنَه ، وبنو تميم : أحْزَنَه . . .»[3] .

من كل ذلك نريد أن نفضي إلى تقرير أن القول بتضاد (فَعَل وأفْعل) لا يقوم على علم بأساليب العربية فى تغيير صيغة الفعل ، وما تلعبه الهمزة من دور التعدية والسَّلْب وما اختلفت فيه اللهجات العربية في استعمالها للصيغ لهذا فإن ما كان التضاد فيه بين (فَعَل وأَفْعَلَ) من الألفاظ لا يمكن أن يعدّ من الأضداد ، ويجب ألا نغفل موقف ابن الأنبارى الصارم منها ، فقد نقد عليها وصرّح بعَدم ضديتها عنده ، يقول مثلا : «وقال قطرب : من الأضداد قولهم: قد تَرِبَ الرجل إذا افتقر ، وأَتْرَبَ إذا استغنى . وهذا عندي ليس من الأضداد، لأن (تَرِب) يخالف لفظ (أَتْرَب) فلا يكون (تَرِب) من الأضداد لأنه لا يقع إلا على معنى واحد . وكذلك (أَتْرَب) ، والعرب تقول : قد ترب إذا لصق بالتراب من شدة الفقر ، وأترب إذا استغنى فهو مترب»[4] . ومثل هذا ما قاله فى (ثَلَلْتُ وأَثْلَلْت) و(خَذَمَ وأَخْذَمَ) و(حَمَأْتُ وأَحْمَأْتُ) وسواهما . وبالرغم من إشارات غيره من علماء الأضداد كأبي الطيب اللغوي وأبي حاتم السجستاني إلى هذه الناحية إلا أنها إشارات عابرة لا يُعَوَّل عليها كقول أبي حاتم فى (ثِبْتُ وأَثْبَت) : «ولا أعرف الثاني إلا توهمًا»[5] . وعلى أن نقد هؤلاء

(١) سورة النساء : الآية ٣٠ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ص ١/ ٢٦٣ ، ١/ ٣٩٩ - ١/ ٤٦٠ ، ٢/ ٢٣٢ ، ٢/ ٣٩٤ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (مضض) و(حزن) .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣٨٠ .

(٥) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ١/ ١٢٤ .

العلماء أقرب لـلبساطة منه إلى النظرة ، فـإنه يقدر لهم التفاتهـم إلى ناحية من نواحي الفرق بين الصيغتين وإن كانت شكلية محضة .

أما أن يـكون (أَفْعَل) وحـده من الأضـداد كقـولهـم : أَطْلَبْتُ الرجـل : أعطيته ما طلب ، وأَطْلَبْتُهُ : ألجأته إلى أن يطلب[1] . فله تفسير آخر ، وهو - عند الباحث - قائم على التفريق بين همزتي الفعل ، فالأولى هي غير الثانية ، فالهمزة الـتي في (أَطْلَبْتُهُ : أعطيته ما طـلب) هي همزة السلب ، الـتي سلبت معنى الطلـب وحولته إلى معنى الإعطاء ، وهـي جواب : طلب (الموجب) . والهمزة التي في (أَطْلَبْتُهُ : ألجأته إلى أن يطلـب هي همزة التعدية التي أوقعت معنى (أطْلَبَ) الرباعى على الطالب ، فكان ملجأ بهذا الوقوع إلى أن يطلب ، وهي جـواب : لم يطـلب (السالـب) . فاجتـمعت بـهذا صيـغتان متـشابهـتا الأصوات مخـتلفتـا الهمزة فَظُنَّ فـيها التـضاد . ولست أمـيل إلى اعتبار أحد المعنيين حقيقيًا والآخر مجازيًا بدعوى أنهـما مرتبطان سببًا ومسببًا كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[2] . ذلك أن الاستعـمالين موجودان منـذ أن وجدت همزة التعدية والسلب وإن كان المثال هنا مصنوعًا ، ولا يستشعر من أحد المعنيين أنه مجازي بالنسبة للـثاني وأنه مرتبط به ارتباط السبب بالمسبب ، فالمـتكلم يستطيع أن يستعمل أحد المعنيين باستخدام الـفعل الخاص به دون أن يرتبط بذهنه المعنى الثاني بسبب ما .

---

(١) انظر : كتـب الأضداد . وانظر : الزبيدي : تاج الـعروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، مطبعـة حكومة الكويت ١٩٦٥ - ١٩٧١ م ، ص ٣/ ٢٧٥ .

(٢) حسين مـحمد : اللسان الـعربي ، ص ٨/ ١٤ - (مجلـة تصدر في المغـرب ، المجلد الثامن والـتاسع ١٩٧٢م) .

* أضدَاد بين (فَعَلَ وفَعَّل) ، مثل (بَدُنَ وبَدَّنَ)[1] . و(سَبَد وسَبَّد)[2] . و(عزرَ وعَزَّر)[3] . و(فَزِع وفَزّع)[4] . و(عَرَبَ وعرَّب)[5] ، ومن ذلك أيضًا ما كان (فَعَّل) وحده من الأضداد ، مثل (فَرَّع)[6] . و(حلَّق)[7] و(جمَّرت المرأة)[8] . و(قَرَّظت)[9] . و(وليت)[10] . و(فوَّز)[11] . و(برَّد)[12] وغيرها . وهذه الصيغة أعني صيغة (فَعَّل) بتضعيف العين ، تنصرف إلى ما تنصرف إليه صيغة (أفعل) من معنى ، إذ يستخدم هذا التضعيف للغرضين أنفسهما[13] . فإما أن يكون للتعدية وهو إيجاب ، وإما أن يكون للسلب ، وورودها في الأول هو الأكثر ، يقول ابن جني : «وقد قالوا أيضًا : عجّمت الكتاب ، فجاءت (فعلت) للسلب أيضًا كما جاءت (أفعلت) . ونظير عجّمت في النفي والسلب قولهم : مرّضت الرجل : أي داويته لزوال مرضه ، وقذّيت عينه أي أزلت عنها القذى، ومنه رجل مبطَّن إذا كان خميص البطن كأن بطنه أخذ منه، فجاءت (فَعَّلت) للسلب أيضًا ، وإن كانت في أكثر الأمر للإيجاب»[14] . ومن

---

(١) قطرب : الأضداد ص ٢٧٣ . ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٤٠٠ .

(٢) قطرب : ص ٢٧٦ . ابن الأنباري : ص ٣٠٩ . ابن الدهان : ص ٩٩ .

(٣) ابن الأنباري : ص ١٤٧ . ابن الدهان : ص ١٠٢ .

(٤) ابن الأنباري : ص ١٩٩، ٢٨٣ . ابن الدهان : ص ١٠٣ . الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ٥٥٩ .

(٥) زبو حاتم السجستاني : النخل ، مخطوط ص ٢٩ . ابن منظور : لسان العرب ص ١/ ٥٩٠ .

(٦) ابن الأنباري : الأضداد ص ٣١٥ . ابن الدهان : الأضداد ، ص ١٠٣ . الفارابي : ديوان الأدب (مخطوط مصور بمكتبة الأوقاف العامة - بغداد ، ص ق ٢٠٨ .

(٧) ، (٨) ، (٩) : ابن الأنباري : ص ٤٢٢ ، ٣٧٢ . ابن الدهان ص ٩٦ ، ١٠٥ .

(١٠) ، (١١) أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ، ص ٢/ ٢٦٦ ، ٢/ ٥٥٧ .

(١٢) ابن الأنباري : ص ٦٤. أبو الطيب اللغوي : ص ١/ ٨٦ . ابن الدهان : ص ٩٦ .

(١٣) د. إبراهيم السامرائي : الفعل زمانه وأبنيته ، ص ٨٢ - ٩٢ .

(١٤) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ص ٤٤ .

أوضح إشارات القدماء إلى مجيء بناء (فَعَّل) للسلب هي إشارة الخليل بن أحمد في تعليقه على قول أوس بن حجر يذكر الخيل :

لدى كلِّ أخْدودٍ يُغَادرن دراعًا ... يُجَرّ كما جُرّ الفصيلُ المُقَرَّعُ

فقال : «وهذا على السلب لأنه ينزع قرعه بذلك ، يقال : قَذَّيْتُ العين : نزعت قذاها ، وقرّدت البعير[1] . ولهذا فإن العارب والمعرب ليسا ضدين بدعوى أن أصل الفعل وهو مجرد يحمل معنى الإصلاح والإفساد كما ظن أبو حاتم السجستاني[2] . وغيره ، وإنما هما شيئان مختلفان لاختلاف الأصلين ، إذ الأول من (عرب) والثاني من (عرَّب) مضعفًا فاكتسب الفعل بهذا التضعيف معنى السلب ، فعرب مجردا بمعنى أفسد ، ولكن المعجمات اللغوية تقول في (عرّب) مضعفًا إنه بمعنى : «قَبَّحَ قوله وفعله ، وغيَّره عليه وردَّه عليه . . وعرب عليه : منعه[3] ، فيكون هذا المنع والردّ للفساد هو الإصلاح ، وإنما استفدنا هذا المعنى من صيغة (فعّل) التي هي للسلب .

ولكننا نجد بين علماء الأضداد من نقد هذا التضاد ملتفتًا إلى شيء من الفرق بين الصيغتين ، وإن كان في ظاهره نقدًا شكليًا يقوم على التفريق بين صورتي الفعل ، دون تعليل أو إشارة إلى معنى السّلب ، يقول ابن الأنباري: «وقال قطرب : من الأضداد قولهم : بَدُن الرجل إذا حمل اللحم والشحم ، وبدّن تبدينا إذا أسنّ وكبر وضعف ، قال أبو بكر : وليس الأمر عندي على ما ذكر قطرب ، لأن (بدَّن) لفظه يخالف لفظ (بَدُنَ) ، وما لا يقع إلا على معنى واحد لا يدخل في حروف الأضداد[4] إلا أن ابن الأنباري لم يحاول هو ولا

(١) الخليل بن أحمد : العين ، ص ١٧٧ .

(٢) أبو حاتم السجستاني : النخل (مخطوط) ، ص ٣٩ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ص ١/ ٥٩٠ .

(٤) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

غيره أن ينقد ضدية (فعَّل) وحدها ، بل ارتضاها وأدخلها في كتابه ، ونستطيع أن نوجه لمثل هذا التضاد عين الملاحظة التي وجهناها لتضاد (أفْعَل) وحدها لتضاد (أفْعَل) وحدها . أعنى أنه ربما اجتمعت في (فَعّل) صيغتان لبستا هيئة صوتية متشابهة فَطُن أن فيها تضادًا معينًا ، فمثلا قد تكون (فرّع) التي تعني أصعد هو غير فرّع التي تعنى انحدر[1] ، وذلك بأن يكون التضعيف الذي دخل عين الفعل في الأولى للتعدية ولذا قيل في معناها (أصعد) لأصعد وهو متعد بمعنى أصعد جسمه أو راحلته أو نظره أو أى شىء آخر يقع عليه الفعل ، ويكون التضعيف في الثانية للسلب ، وهو قلب المعنى وسلبه ، ولذا قيل في معناها (انحدر) وهو لازم لا متعد ، فيكون بذلك سلبًا لمعنى الفعل المجرد (صعد) الذى هو لازم أيضًا .

* أضداد بنى (فَعَل وتَفَعَّلَ) مثل : (تَأَثَّمَ)[2] و(تَحَوَّبَ)[3] و(تَصَدَّق)[4] و(تحنث)[5] و(تَظَلَّمَ)[6] و(تَهَيَّبَ)[7] و(تَوَسَّدَ)[8] و(تَهَجَّدَ)[9]

---

(١) يرى أبو زيد الأنصاري في نوادره ، ص ١٨٦ : أن (فرع) علا ، و(أفرع) انحدر . وهذا يؤكد معنى السلب في (أفعل) من الأضداد .

(٢) قطرب : ص ٢٥٨ : ابن الأنباري : ص ١٦٩ . ابن الدهان ص ٩٣ . أبو الطيب اللغوي ١/١٧ . الثعالبي : فقه اللغة ، ص ٥٥٩ .

(٣) ابن الأنباري : ص ١٦٩ .

(٤) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٥ . الصغاني : ص ٢٣٥ . ابن الأنباري : ص ١٧٩ . ابن الدهان : ص ١٠٠ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/٤٣٧ .

(٥) ابن الأنباري : ص ١٨٠ . ابن الدهان : ص ٩٦ . الصغاني : ص ٢٢٨ .

(٦) قطرب : ص ٢٦٨ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٧ . ابن الأنباري : ص ١٩١ . الأصمعي : ص ٥٣ . ابن الدهان : ص ١٠١ . أبو الطيب اللغوي : ص ١/٤٣٧ .

(٧) الأصمعي : ص ٤٩ . أبو حاتم السجستاني : ص ١٢٨ . ابن الأنباري : ص ٩٩ .

(٨) ابن الأنباري : ص ١٨٦ . ابن الدهان : ص ١٠٧ . الصغاني : ص ٢٤٧ .

(٩) الأصمعي : ص ٤٠ . ابن السكيت : ص ١٩٤ . ابن الأنباري : ص ٥٢ . أبو الطيب اللغوي : ص ٢/٦٧٨ . الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ٥٥٩ .

وَ(تَضوَّعَ)[1] و(تفطَّرَ)[2] و(تَنبَّلَ)[3] و(تَفكَّهَ)[4] و(تكأَّدَ)[5] و(تَصحَّنَ)[6] وغيرها، وهذه الصيغة هي الأخرى تستعمل لأكثر من معنى ، تمامًا كصيغتي (أَفْعَلَ) و(فَعَّلَ) فقد تأتي للسلب كما تأتي للإثبات ، يقول أن جني : «ونظير فَعَّلْتَ وأَفْعَلْتَ في السلب أيضًا (تَفَعَّلْتَ) ، قالوا تَحَوَّبت وتَأَثَّمْت ، أيْ تركت الحوب والإثم ، وإن كان (تَفَعَّلْت) في أكثر الأمر تأتي للإثبات ، نحو تقدَّمت وتأخَّرت وتعجَّلت وتأجَّلت . . .»[7] . وأشار الفرّاء إلى معنى السلب في (تَفعَّل) بمقارنتها في الاستعمال بـ (أَفْعَل) فقال في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾[8] : معناه : أعلم ربكم ، وربما قالت العرب في معنى أَفْعَلْت : تَفَعَّلْت، فهذا من ذلك والله أعلم . ومثله : أوْعدني وتَوَعَّدني ، وهو كثير»[9]. وفرَّق أبو على القالى بين معنيى علا وانحدر في مادة (فَرَع) بأن جعل (تَفرَّعَ) للعلو ، و(فَرَّعَ وأفْرع) للانحدار ، والأولى على السلب[10] . ورأى الثعالبى السبب نفسه في تضاد (فَعَل وتَفَعَّل) وعدَّد أمثلة من ذلك ، وذكر مما لم يذكر الأضداديون :

---

(١) أبو حاتم السجستاني : ص ١٣٨ . الصغاني : ص ٢٣٦ .

(٢) قطرب : ص ٢٦٠ . ابن الأنباري : ص ٢٧٣ . ابن الدهان : ص ١٠٣ . أبو الطيب اللغوي : ص ٥٦٣/٢ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : ص ٦٤٩/٢ .

(٤) قطرب : ص ٢٧٥ : الأصمعي : ص ٥١ . ابن الأنباري : ص ٦٥ . ابن الدهان : ص ١٠٣ . أبو الطيب اللغوي ص ٥٤٥/٢ .

(٥) أبو الطيب اللغوي : ص ٦٠٩/٢ ، ٤٤٧/١ .

(٦) أبو الطيب اللغوي : ص ٦٠٩/٢ ، ٤٤٧/١ .

(٧) ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ص ٤٤ .

(٨) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(٩) الفراء : معاني القرآن ، ص ٦٩/٢ .

(١٠) أبو علي القالي : الأمالي ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦ م ، ص ٥٧/١ .

«حَرِج فلان إذا وقع في الحرج ، وتحرَّج إذا تباعد عن الحرج»[1] حتى إنه أبعد في تلمّس معنى السلب في الألفاظ والصيغ ، فذكر أنه يقال : «امرأة قذُور ، أي متَصوِّنَة عن الأقذار ، واللفظ يشبه ضد ذلك»[2] .

وإلى جانب معنى الإثبات ومعنى السلب في صيغة (تفعّل) معان أُخَر تنصرف إليها بعض أمثلة هذه الصيغة ، منها (التكلّف) نحو تشجّع وتحلّم ، وما هو بشجاع ولا حليم . و(الاتخاذ) نحو تَرَدّى وتوسّد من الرداء والوسادة، وهو معنى يأتي من الأشياء المادية لا المجردات . و(التكرر في مهلة) نحو تَجرَّعَ وتفهّم[3] . ومن هذا الأخير لفظة (تصدّق) التى يقول فيها البطليوسي :

«لأن العرب تستعمل (تَفَعَّلْتُ) في الشيء الذي يؤخذ جزءاً بعد جزء ، فيقولون تَحَسَّيْتُ المرق ، وتَجَرَّعْتُ الماء ، فيكون معنى تَصَدَّقْتُ التمستُ الصدقة شيئًا بعد شيء»[4] ، وكان الأوْلى أن يقول (أعطيت الصَّدقة شيئًا بعد شيء) على الأصل ، ولا يختلف معنى الجزئية والتقطيع الذي قرره في هذه الصيغة ، لأن أبا حاتم السجستاني نقل لنا عن أبي زيد الأنصاري أنه قال «تَصَدَّق الرجل إذا أعطى صدقته ، وبعض العرب يقول : تَصَدَّق سأل ، والجيد تصدق أعطى»[5] المهم أننا أمام معانٍ كثيرة يمكن أن نُرجِع إليها الألفاظ السابقة كل واحدة منها إلى حظيرتها . إذ نفترض أن تكون الأفعال التي تعنى أشياء مكروهة يُسْتَحَبّ تجنبها واتقاؤها ، صِيغَتْ على تَفَعَّل للسلب ، ليستفيدوا

---

(١) الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، ص ٥٥٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) الرضي : شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ، د. ت .، ص ١/ ١٠٤ - ١٠٧ .

(٤) البطليوسي : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تحقيق عبد الله البستاني ، المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠١ ، ص ١١٠ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

منه معنى التجنب والاتقاء ، وهذه مثل : تأثّم ، تَحَوّب ، تحنَّث ، تظلَّم ، تهيّب ، تحرَّج ، تهجَّد وغيرها، حتى أن بعض علماء الأضداد صرّح بأن من هذه الأفعال ما لم يكن له إلا معنى واحد وهو السلب ، يقول ابن الأنباري : «كما يقال : قد تحوّب الرجل إذا تجنّب الحوب . ولا يُستعمل (تحوّب) في المعنى الآخر[1] ولما كان الهجود مما يُستَكْرَه للعابد التقى ليلاً سلبوا معنى (هَجَد) فقالوا (تهجَّد) ، يقول أبو الطيب اللغوي : «وأكثر ما يقال في النائم هاجد ، وأكثر ما يقال في المستيقظ متهجد ، وفي التنزيل ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾[2] ، قال التوزي: معناه صَلِّ به ، وقال غيره : فَتَيَقَّظ به»[3] .

ويمكن أن نرجع إلى معنى (التكلّف) من هذه الأفعال ، نحو : تَفَطَّر ، تفكَّه ، تكأَّد ، تَنَبَّلَ ، فهى تُشعر بمحاولة فاعلها أن يتكلَّف معانيها في نفسه ، وهي ليست فيه .ونرجع إلى معنى (الاتخاذ) منها : توسَّد ، تصحَّن ، وإلى معنى (التكرّر والجزئية) : تصدّق وتضوَّع . وهكذا نجد أن جميع هذه الأفعال انضوت تحت معانٍ متعددة دفعت العربي إلى استعمال هذه الصيغة ليعبّر عن واحدة من هذه المعاني ، على أن معنى السلب فيها أشيع هذه المعاني وأقوى الدوافع إلى استعمال (تفعَّل) فيما عدا معنى الإثبات والتحقيق الذي يشمل جمهرة أفعال هذه الصيغة ، ذلك أن التكلُّف بحد ذاته فيه معنى من معاني السلب ، ولكنه سلب عكسي إذا صح التعبير ، ففي السلب المعروف نبعد عنا معنى الفعل السيء تجنبًا وتعففًا ، ولكننا في التكلف نقلب المسألة فنستجلب معنى مفقودًا فنسلبه لأنفسنا بعد أن لم يكن فيها ، وهذا واضح إذا قلنا : تكرَّم، تحلَّم ، تشجَّع ، وغيرها . لهذا فلا تضاد حقيقي بين صيغتى (فَعَل

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ، ص ١٦٩ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٧٨ .

(٣) أبو الطيب اللغوي : الأضداد ، ص ٢/ ٦٨٠ . وانظر : الأصمعي : الأضداد ، ص ٤٠ .

وتَفَعَّلَ) أو في صيغة (تَفَعَّلَ) وحدها ، لاختلاف الأصل المعنوي الذي يقوم عليه بناء هذه الأفعال ، إذ لا تكفي وحدة الصوت أو الشكل لكي تفترض مثل هذه الضدية .

ولعله اتضح مما سبق دور الاشتقاق الصرفي والتباس الصيغ المختلفة في خلق تضادها والإيهام بأصالته في دلالاتها ، فإن من يطلع على قوانين الاشتقاق في العربية وسعة هذه اللغة فيما تحوي من صيغ يمكن الاستعاضة ببعضها عن البعض الآخر في الاستعمال ، كما يقف على ما يعتور الألفاظ المختلفة من عوارض تصريفية تتصل بزيادة الأصوات وحذفها لنكت لغوية تتعلق بالدلالة تارة وبالانسجام الصوتي تارة أخرى وبسهولة النطق ثالثة ، إن من يدرك ذلك تصيبه الدهشة ممن ينهمكون في تلمس التضاد في لفظة عرض لها التصريف فصرف أصواتها إلى ما يوهم بضدية دلالتها في الظاهر ، وهي في حقيقتها بعيدة عما يراد لها بالنظرة الدقيقة .

وفي خاتمة بحثنا عن الأضداد نخلص من هذا الاستعراض الشامل للظروف التاريخية اللغوية ، والعوامل البيئية الطبيعية التي رافقت اللغة العربية في مسيرتها الطويلة ابتداءً من عصورها السحيقة في القدم حتى عصر تدوينها ، بعد عرض مواد الأضداد على كل واحد منها لمعرفة ما يمكن أن يكون سببا في نشأة قسم من الأضداد ، تبيّن لنا أن الأغلب الأعم من هذه المواد كان وليد هذه الظروف ونتاج لهذه العوامل ، إذ أن العربية البدائية لم تكن لتحوي هذه الكثرة من الأضداد ، وإنما اكتسبتها بفعل التغير الحتمي في دلالاتها والذي تستدعيه الحياة المتغيرة المتبدلة فى كل آن .

إننا إذا قمنا بجمع ألفاظ الأضداد التي جاءت بها كتب الأقدمين في قائمة خالية من التكرار ، لكان لنا من ذلك ما يقرب من أربعمائة مادة . ولو رجعنا إلى المواد التى أمكن ردها إلى كل عامل من هذه العوامل المدروسة في هذا

البحث مستبعدين منها المادة المكررة ، ومضيفين إليها الأشباه التي لم نذكرها والتي اكتفينا بالإشارة إلى مظانها ، لكان لنا من ذلك أيضًا ما يقرب من هذا العدد ، وعليه يكون صحيحًا ما وصل إليه المستشرق (Giese) جيز بعد دراسته للشعر الجاهلى من أنه لم يجد أكثر من اثنين وعشرين ضداً فقط مستعينًا بنتائج علم تطور المعاني[١] . إن لغة فيها هذا العدد الضئيل من الألفاظ التي تنصرف انصرافًا مضاداً ليست بدعًا بين اللغات ، إذ لا نعدم أن نجد في أكثر لغات العالم مثل هذا العدد من الأضداد[٢] ، الذى يعبر - في العربية وغيرها - عن بقايا تاريخية قديمة تشير إلى مرحلة حوت فيها اللغة ألفاظًا معينة تتوفر فيها الضدية بسبب أو لآخر . وعلى ذلك فليس لنا أن نَدَّعِي في العربية مشكلة اسمها (الأضداد) ، وإنما هناك ألفاظ تداخلت معانيها وتغيرت أصواتها ودلالاتها فعلقت بها الضدية علاقة طارئة غير أصيلة ، وإذا كان ثمة مشكلة حقيقية فهي في ضخامة كتب الأضداد . فلا معنى أساسًا لأن يقال (هذا ضد ذاك) أو (إن هناك تضادا) أو (ضدية الشيء) أو ما أشبه ذلك ، إذا لم يكن هناك شيئان موجودان متضادان بالفعل ، سواء أكان هذان الشيئان ماديين أو معنويين ، المهم أن يكونا موجودين وجوداً موضوعيًا فى ذهن الإنسان كالمعاني والأفكار ، أو فيما يحيطه من مادة ، إذ لا يمكن منطلقا أن يكون أحد الضدين موجوداً دون الآخر ، وإلا لما عرف بأنه ضد ذلك الشيء ، فلولا البياض لما قلنا السواد ضد البياض ، ولولا الحياة لما كان الموت ضدها ، ولولا الشجاعة لما كان الجبن ضدها وهكذا . فكل ضد من هذه الأضداد هو السبب في اعتبار ضدّه ضداً ، وكل منهما علة وجود الآخر .

ومن هذا الترابط بين الضدين صحّ أن يُقَال أنهما متصلان صلة وثيقة

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٢٩٣ ، ومجلة مجمع اللغة العربي الملكي ٢/ ٢٣٧ .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٢٩٤ ، ٣٠٢ للوقوف على الأمثلة .

تجعلهما يتواجدان معًا أحيانًا فى كيان واحد ، وقد يُقَوِّي هذه الصلة أن كلا من المتضادين قد يتحول تدريجيًا بفعل عوامل معينة إلى ضده فيكونه .

المراجع العربية والأجنبية :

أولاً : المراجع العربية :

١ - د. **إبراهيم أنيس** : الأصوات اللغوية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١ م - دلالة الألفاظ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

- طرق تنمية الألفاظ في اللغة ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م - في اللهجات العربية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥ م - من أسرار اللغة ، المطبعة الفنية الحديثة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٢ - **إبراهيم خورشيد وآخرون** : نقلوا إلى العربية : دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب القاهرة د. ت .

٣ - د. **إبراهيم السامرائي** : التطور اللغوي التاريخي ، دار الراشد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٤ - **ابن أبي السرور** : القول المقتضب ، تحقيق إبراهيم سالم ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٥ - **ابن الأثير** : المرصع ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٣٩١ - ١٩٧١ م .

٦ - **ابن الأنباري (محمد بن القاسم)** : الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .

٧ - **ابن الجزري** : النشر في القراءات العشر تحقيق علي محمد الصباغ ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة د. ت .

٨ - **ابن جني (أبو الفتح عثمان)** : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .

- سر صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها ، تحقيق علي النجدي وآخرين ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٩ - **ابن حجر العسقلاني** : تهذيب التهذيب ، حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٢٥هـ ١٣٢٧ هـ .

١٠ - **ابن دريد** : الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م .

- جمهرة اللغة ، طبعة حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١ م .
- الملاحن ، تحقيق إبراهيم أطفيش الجزائري ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

١١ - **ابن الدهان** : الأضداد في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ١/ ٩٦٣ م .

١٢ - **ابن رشيق القيرواني** : العمدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .

١٣ - **ابن السراج** : الأصول في النجوم ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٤ - ابن السكيت : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ١٩١٣ م .

- الألفاظ ومعه تهذيب الخطيب التبريزى . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥ م .
- إصلاح المنطق ، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- الحروف : تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٦٩ م .

١٥ - ابن سيده : المخصص ، طبعة بالأوفست ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت د. ت .

١٦ - ابن الشجري : الأمالي الشجرية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٤٩ هـ .

١٧ ابن فارس : الاتباع والمزاوجة ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٨٤٧ م - الصاحبي ، نشر المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .

- فتيا فقيه العرب ، تحقيق د. حسين علي محفوظ ، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨ م .
- مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١ م .
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٢٢ هـ - ١٩٧٢ م .

١٨ - ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .

- أسماء الأضداد ، المنسوب للثعالبي ، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف .
- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- المسائل والأجوبة ، نشر مكتبة القدسي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- المعاني الكبير ، تحقيق سالم الكرنكوي ، حيدر أباد الدكن ١٩٤٥ - ١٩٥٠ م .

١٩ - ابن منظور : لسان العرب ، نشر دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٥ م .

٢٠ - ابن النديم : الفهرست ، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د. ت . وطبعة فلوجل . وطبعة دانشكاه طهران ، تحقيق رضان تجدد، طهران ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

٢١ - أبو بكر السجستاني : غريب القرآن ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢ - أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧٣ م .

٢٣ - أبو زيد الأنصاري : النوادر في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٤ م .

٢٤ - **أبو الطيب اللغوي** : الإبدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

- الاتباع ، تحقيق عز الدين التنوخي نشر المجتمع العلمي بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- الأضداد في كلام العرب ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ م .
- مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٢٥ - **أبو عبيد البكري** : سمط اللآلىء في شرح أمالي القالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦ م.

٢٦ - **أبو عبيد القاسم بن سلام** : الغريب المصنف ، مخطوطة بمكتبة النجف بالعراق .

٢٧ - **أبو عبيدة** : مجاز القرآن ، تحقيق د. فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ .

٢٨ - **أبو علي القالي** : الأمالي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .

- البارع ، تحقيق هاشم الطعان ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٢ م .

٢٩ - **أبو العميثل الأعرابي** : المأثور ، تحقيق فريتز كرنكو - لندن ١٩٢٥ م .

٣٠ - **د. أحمد علم الدين الجندي** : اللهجات العربية في التراث ، الدار العربي للكتاب ، طرابلس ليبيا ١٩٨٣ م .

٣١ - **أحمد بن مصطفى اللبابيدي** : لطائف اللغة ، دار الطباعة العامرة . د.ت.

٣٢ - **أحمد مكي الأنصاري** : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٣٣ - **الأخفش** : معاني القرآن ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥ م .

٣٤ - **الأزهري** : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٤ م .

٣٥ - **د. إسرائيل ولفنسون** : تاريخ اللغات السامية ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م .

٣٦ - **الإشنانداني** : معاني الشعر ، تحقيق عز الدين التنوخي ، وزارة الثقافة والسياحة ، دمشق ١٩٦٩ م .

٣٧ - **الأصمعي** : الإبل ، تحقيق د. أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٣ م .

- الأضداد ، تحقيق أوفست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .

٣٨ - **الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)** : المؤلف والمختلف ، طبعة القاهرة د. ت .

٣٩ - **أوغست هفنر** : ثلاثة كتب في الأضداد ، للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ويليها ذيل في الأضداد للصغاني دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩١٢ م .

٤٠ - **البكري** : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦ م .

٤١ - **البطليوسي (أبو محمد عبد الله السيد)** : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق عبد الله البستاني ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠١ م .

٤٢ - **ثعلب** : المجالس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٤٣ - **الثعالبي** : أسماء الأضداد ، المنسوب للثعالبي ، مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء ، النجف بالعراق .

- فقه اللغة وسر العربية ، ونشر المكتبة التجاري الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- يتيمة الدهر ، طبع بنفقة علي محمد عبد اللطيف ، مطبعة الصاوي القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .

٤٤ - **الجوهري** : الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤٥ - **حجازي (محمود فهمي)** : علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة العمرانية للأوفست ، القاهرة ١٩٩١ م .

٤٦ - **الحريري** : درة الغواص في أوهام الخواص ، طبعة بالأوفست عن طبعة لايبزك ، مكتبة المثنى بغداد د. ت .

٤٧ - **د. حسين نصار** : الأضداد ، مقالة مطبوعة بالرونيو لطلبة الدراسات العليا في القاهرة د. ت .

٤٨ - **حمزة الأصفهاني** : التنبيه على حدوث التصحيف ، تحقيق الشيخ حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٧ م .

٤٩ - **الخطيب التبريزي** : شرح مقصورة ابن دريد ، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٦١ م .

٥٠ - **الخفاجي** : شرح درة الغواص ، نشر نظارة المعارف ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

٥١ - **الخليل بن أحمد الفراهيدي** : العين ، تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٧ م .

٥٢ - **ديوان الهذليين** ، دار الكتب المصرية ، القسم الأدبي ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

٥٣ - **الرضي** : شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة د. ت .

٥٤ - **د. رمضان عبد التواب** : فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٥٥ - **الزبيدي** : تاج العروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ - ١٩٧١ م .

٥٦ - **الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)** : الأمالي ، طبعة القاهرة ، ١٣٣٤ هـ .

٥٧ - **الزمخشري** : أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، مطبعة أولاد أورثاند ، القاهرة ١٩٥٣ م .

- الكشاف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٦٥ هـ .
- المفصل في علم العربية ، دار الجيل ، بيروت ١٣٢٣ هـ .

٥٨ - **السنهوري** : شرح مثلثات قطرب ، تحقيق أوغست هفنر ولويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٤ م .

٦٠ - د. اليد يعقوب بكر : دراسات في فقه اللغة العربية ، بيروت ١٩٦٩ م .

٦١ - السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، تحقيق الزيني وخفاجي ، طبعة مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥ م .

٦٢ - السيوطي : الأشباه والنظائر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تصحيح أمين الخانجي ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٦ هـ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .
- همع الهوامع بشرح جميع الجوامع ، مصر ١٣٢٧ هـ .

٦٣ - د. شوقي ضيف : المدارس النحوية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

٦٤ - الصغاني : الأضداد ، تحقيق أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .

- التكملة والذيل والصلة ، تحقيق عبد العليم الطحاوي وجماعة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٦٥ - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، القاهرة ١٩٥٤ م .

٦٦ - د. عبد الحميد الشلقاني : رواية اللغة ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٦٧ - عبد الله العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ، المطبعة العصرية بمصر د. ت .

٦٨ - **العكبري** : التبيـان في إعراب القرآن ، تحقيـق محمد علـي البخاري ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د. ت .

٦٩ - **علي بن حمزة** : التنبيهات ، تحقيق عبد الـعزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٧ م .

٧٠ - **د. علـي عبد الواحـد وافي** : علم اللـغة ، دار نهضة مصر للـطباعة ، القاهرة د. ت .

- فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة د. ت .

٧١ - **الفخر الرازي** : التفسير الكبير ، المطبعة البهية بمصر د. ت .

٧٢ - **الفراء (أبو زكـريا بن زياد)** : معاني القرآن ، تحقيـق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النـجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ (الجزء الأول) ، والدار المصريـة للتألـيف والترجمـة ، مطبعة سـجل العرب ، الـقاهرة د. ت . (الجزء الثاني) .

٧٣ - **فندريس** : اللغة ، ترجمـة عبد الحميد الدواخلي ومحـمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ م .

٧٤ - **الفيروزابادي** : بصائر ذوي التمييز ، تحقيق مـحمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٧٥ - **قطـرب** : الأضداد ، تحقـيق هانز كـوفلر ، مجلـة إسلاميكـا ، المجلد الخامس ١٩٣١ م .

٧٦ - **كارل بروكلمان** : تاريخ الأدب العربي ، تعريب د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦١ م .

٧٧ - **المبرد** : الفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

● الكامل ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة د. ت .

● ما اتفق لفظه واختلف معناه ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٧٨ - **محمد فؤاد عبد الباقي** : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

٧٩ - **محمد المبارك** : فقه اللغة وخصائص العربية دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ م .

٨٠ - **محي الدين توفيق إبراهيم** : ابن السكيت اللغوي ، مطبعة دار الجاحظ .

٨١ - **د. مراد كامل** : دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، معهد الدراسات العربية العالي ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٨٢ - **نشوان الحميري** : شمس العلوم ، تحقيق ك. و. سترستين ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٥٣ م .

٨٣ - **هاشم الطعان** : تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٨ م .

٨٤ - **الهمذاني** : الألفاظ الكتابية ، تحقيق لويس شيخو اليسوعى ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩١٣ م .

٨٥ - **د. يحيي كمال** : التضاد في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة ، طبعة بيروت ١٩٧٢ م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

(1) **Afnans, M. A.** philosophical lexicon in Persian and Arabic Beirut 1969 .

(2) Al. **Toma. S. J.** The problem ofdiglossia. in Arabic Cambridge, Mass, 1969 .

(3) **Al. Yasin - IZZ** - al. din The Lexical relations between Ugariti-cand. Arabic New York 1952 .

(4) **Ansaldi. C. Il**, Yemennella storiae nella Leggenda. Roma 1933 .

(5) **Beeston, A. F. L.** The Arabic Language today London 1970 .

(6) **Bergstrssr. G.** Glosser des neuara maischen Dialekts von Ma'Lula. Leipzig 1921. Neudruck: 1966 .

(7) **Blooomfield. L** "Language New York 1922 London, 1934 ... 1967.

(8) **Brokelmann. C.** Arabische Grammatik. Leipzig 1969 .

(9) **Cantineau J.** La, dialectologie arab, In orbis 1955 in : Etudes de, linguistique arabe. Paris 1960 .

(10) **Ullmanns**, Principles of semantics, Oxford 1957 .

(11) **Yushmanov, N. V.** The structure of the Arabic Language T. rans by : Moshe Perlmann.. Washington, D. C. 1961 .

(12) **Younge G. D.** Concordance of , Ugaritic. Roma 1956 .

الظواهر الصوتية فى استدراكات ابن حجر
فى كتاب (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى)

د. صبحى إبراهيم الفقى
كلية الآداب – جامعة طنطا

لقد أصبح من البديهى فى مجال العلوم عامة، والعلوم النظرية خاصة، كل رأى قابلاً للقبول والرفض والتعديل والإضافة والحذف والتعليق، وهذا كله يندرج تحت ما يسمى بـ (الاستدراك) بل أصبح الاستدراك منهجاً من مناهج البحث عامة، والبحث اللغوى خاصة، وأصبح كذلك وسيلة من وسائل نمو البحث اللغوى وتطوره، فإذا تخيلنا على سبيل المثال، أن البحث توقف عند كتاب (الكتاب) لسيبويه ١٨٠هـ. لكان البحث فى حال من الجمود والعقم، لكن الاستدراك جعل من هذا المجال مجالاً خصباً، وذلك بإفرازات العقول التى تناولت هذا الكتاب بالشرح والنقد والتحليل .. الخ من طرق الاستدراك المعددة كما سنعرف .

ولأهمية منهج الاستدراك فى البحث العلمى وجد أن عدداً كبيراً من مصادر الدراسة اللغوية، إن لم تكن كلها، تفوح بهذا المنهج بصورة تدعو إلى ترسيخ هذا المنهج، ووضع أسس له فى المجال اللغوى تبدأ بتعريفه، وبيان مترادفاته، وأنواعه، وطرقه... إلى غير ذلك من وسائل ترسيخ المنهج .

واللافت للانتباه أن المكتبة اللغوية فى حاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، ليس فى مجال كتب اللغة فحسب، بل فى كتب اللغة المحضنة،

والشروح اللغوية، والتفاسير، وكتب الصحاح من الحديث... الخ .

وقد لفت نظر الباحث أن كتاب (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى) لابن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ، قد توفرت فيه مادة غزيرة من الاستدراكات التى انفرد بها ابن حجر تعقيباً على اللغويين وغيرهم، وذلك على مستويات التحليل اللغوى المتعددة : الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية .

ومن المعلوم أن الذى يتصدى لشرح نص ما؛ خاصة النص القرآنى، أو الحديث الشريف؛ كما فعل ابن حجر فى هذا السفر العظيم، لابد أن يحمل فى جعبته العديد من طرق التحليل ليس فيها شخص الناحية المتخصصة فحسب، بل فى علوم اللغة، والبلاغة . وهذا لا يعنى أن يكون الشارح للنص متخصصا فى اللغة؛ فمن الملاحظ أن كتب التفسير مليئة بالنواحى اللغوية والبلاغية، وكذا كتب شرح الحديث الشريف، ومنها الشرح الذى بين أيدينا .

فابن حجر العسقلانى ليس من علماء اللغة، وليس له إنتاج لغوى يذكر، ومع ذلك فقد تشبع شرحه بآراء عدد كبير من اللغويين الذين ذكرهم، وآراء عدد آخر لم يذكر أسماءهم، ليس هذا فحسب بل أردف ذلك بآرائه هو بصورة تدعو إلى التنقيب عن هذه الآراء على المستويات اللغوية المتعددة، تلك الآراء التى انفرد بها وحده دون آراء السابقين، وهذه الآراء قد تكون مؤيدة أو مخالفة لمن سبقه .

ولكثرة المادة اللغوية الاستدراكية فى فتح البارى، والرغبة فى تعميق هذه الدراسة، والبعد عن السطحية فى النتائج، آثر الباحث الاستدراكات التى تمثل الظواهر الصوتية، ودراسة هذه الظواهر فى ضوء

البحث اللغوى القديم من ناحية، وما توصل إليه علم الأصوات المعاصر Phonetics من ناحية أخرى .

ليس هذا فحسب، بل لوجود علاقة بين المستويات اللغوية عامة، فقد وضعت الدراسة إطاراً، طبقاً لاستدراكات ابن حجر، تناقش فيه العلاقة بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي على وجه الخصوص .

إذاً يتضح أن مادة الدراسة سوف تشتمل على :

أولاً : الظواهر الصوتية فى استدراكات ابن حجر .

ثانياً: الدراسات الصوتية لدى علمائنا القدامى .

ثالثاً: الدراسات الصوتية المعاصرة المنشورة عبر الكتب والدوريات. والأبحاث المنشورة عبر الشبكة العالمية للمعلومات المسماة (بالانترنت)(١) .

وتتجه هذه الصفحات نحو ترسيخ منهج ابن حجر الصوتى، خاصة عند عالم غير لغوى، ومع ذلك انتشرت هذه الظواهر الصوتية فى أماكن عديدة، ومن ثم نحاول فيها بيان محاور هذا المنهج، واتفاقه مع الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، واختلافه، وكذا الكشف عن معالم استدراكاته اللغوية .

ولا يخفى أن علم الأصوات يتعامل مع قضايا كثيرة، مثل الاهتمام بجهاز النطق تشريحاً، ومخارج الأصوات، وصفاتها، وعلم الأصوات الفيزيائى، وسماع الصوت، وقوة الذبذبة، والموجات الصوتية، وأنواعها، وتصنيف الأصوات... الخ . من قضايا أفاضت كتب علم اللغة عامة، وعلم الأصوات خاصة فى الحديث عنها بما لا يدع مجالاً لتكرارها هنا .

بل تركز هذه الدراسة بصورة أساسية على الجانب التطبيقى أكثر من الجانب التنظيرى .

ترجمة ابن حجر

هو أحمد بن على بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعى العسقلانى الأصل المصرى المولد .

ولد فى الثالث والعشرين من شعبان ٧٣٣هـ، وتوفى فى أواخر ذى الحجة ٨٥٢هـ .

ومؤلفاته كلها مرتبطة بالحديث الشريف والطبقات، ومنها :

١ - فتح البارى فى شرح صحيح البخارى .

٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة .

٣ - تهذيب التهذيب .

٤ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام .

٥ - مختصر تهذيب الكمال (٢) .

ويحتل شرح صحيح البخارى المسمى بـ (فتح البارى) مكانة عظيمة، إذ يعد هذا الشرح العظيم أفضل شرح وأعمه نفعاً لصحيح البخارى، والذى يعد ثانى كتاب بعد كتاب الله تعالى، وتأتى أهميته من كونه شرحاً لأصح ما ورد عن رسول الله ﷺ من حديث، وكذلك لما تضمنه من فقه وأصول ولغة بمستوياتها المتعددة .

وقد شغلت آراء ابن حجر قدراً كبيراً من شرحه للأحاديث، إذ لا يكاد يخلو شرح الحديث تقريباً من إشارات لغوية سواء لغيره أم له، أم للاثنين معاً . وكذلك كانت الاستدراكات المرتبطة بالمستوى الدلالى أكثر

الأنواع وروداً، تليها الاستدراكات على المستوى النحوى، ثم على المستوى الصوتى، ثم على المستوى المعجمى، ثم أخيراً أقل الاستدراكات على المستوى الصرفى، وكل منها فى حاجة إلى بحث مستقل يوضح منهج ابن حجر فى استدراكاته .

خطة الدراسة

تدور صفحات هذا البحث حول المحاور التالية :

الأول : حذف الأصوات .

ثانياً: زيادة الأصوات .

ثالثاً: اختلاف الضبط (الصوائت) .

رابعاً : الإظهار والإبدال .

خامساً : الصوائت القصيرة .

سادساً: الأصوات والقراءات، وتشتمل على :

١ – الصوائت والقراءات .

٢ – إحالة القراءة .

٣ – القراءة والدلالة .

سابعاً: العلاقة بين المستوى الصوتى والمستوى الدلالى .

– الخاتمة .

– هوامش البحث .

– المصادر والمراجع .

– الفهرست .

المستوى الصوتي

ليس المقصود من هذا التصنيف وضع فكر ابن حجر اللغوي تحت مجهر الدراسات اللغوية المعاصرة فيما يخص علم الأصوات وما وصل إليه من تقنيات نظرية وعملية أو غيره من المستويات فحسب؛ بل رصد الظواهر الصوتية التي أشار إليها ابن حجر في شرحه، وإثبات رؤيته اللغوية فيما يخص هذا المستوى، وإثبات أن جوانب التحليل لم تكن على مستوى دون غيره من المستويات.

لذلك تمكن الباحث من رصد عدد من الظواهر الصوتية من خلال استقراء هذا السفر العظيم فتكمن حسب ترتيب ورودها في الشرح، من رصد:

١ - حذف الأصوات.

٢ - زيادة الأصوات.

٣ - اختلاف الضبط (أو الحركة) أو اختلاف التوضيحات وتأييده بشواهد شعرية أحيانا.

٤ - أ- فك الإدغام.

ب- الإبدال.

٥ - أ- الضبط والقراءات.

ب- توثيق القراءة والإحالة إلى صاحبها.

ج- توجيه القراءة.

٦ - العلاقة بين المستوى الصوتي وغيره من المستويات [٣]

ولم يكن انفراده بهذا الاهتمام الصوتي غريبا؛ بل تاريخ الدراسات اللغوية العربية يشير إلى أن هذا الاهتمام قديم منذ الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم. وهذا طبيعي لأن الأصوات ،على حد تعبير د. كمال بشر،" هي اللبنات الأولى في البناء اللغوي وأساسه الذي يقوم عليه، ولا خير في بناء تهالكت لبناته [٤]

هذا وقد تطور البحث في علم الأصوات phonetics بصورة كبيرة في العصر الحديث ، ولعل بحثاً سريعاً على شبكة المعلومات (الإنترنت) يؤدي إلى الحصول على آلاف المواقع والمجلات والكتب والأبحاث التي تدور في فلك علم الأصوات بصفة خاصة ، وعلم اللغة بصفة عامة . وهذا يؤدي بنا إلى الإشارة إلى أهمية إضافة هذا الاتجاه إلى مصادر البحث اللغوي بصفة خاصة، إذ لم أطلب مصطلحاً من مصطلحات علم اللغة عامة، وعلم الأصوات خاصة، إلا وحصلت على كم كبير للغاية من المواقع والصفحات التي تناقش هذا المصلح قديماً وحديثاً.

أولاً:حذف الأصوات

الحذف ليس خاصا بالأصوات؛ بل هناك حذف على مكونات النص مجتمعة؛فقد يحذف صوت من كلمة نحو: حروف العلة، وحرف النون، والهمزة، والتاء، والتنوين، والحركات الضمة والكسرة والفتحة..الخ (٥) . وقد تحذف كلمة من جملة نحو: المبتدأ،والخبر، والفاعل، والمفعول به، والمضاف، والمضاف إليه، والتوابع، والمستثنى، والأفعال... الخ (٦) . وقد تحذف جملة من نص نحو: جملة الشرط، وجوابه، وجملة القسم، وجوابها، والجملة بعد أحرف الجواب، وبعد إذ... الخ (٧)، وقد تحذف أكثر من جملة من نص كذلك .بل الحذف ليس خاصا بالعربية وحدها؛ إذ يعد ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية (٨)

وهذا يوحي بأن الحذف ظاهرة طبيعية في الدرس اللغوي أو في الاستعمال اللغوي خاصة، وقد ورد في الشرح أكثر من استدراك حول حذف صوت من كلمة على النحو التالي: (٩)

مسلسل	الجزء	الصفحة
١	٥	٣٦
٢	٦	١٨٥
٣	٧	٤٣٩
٤	١١	٤٦
٥	٨	٦١٢

وقد جاء في الشرح قوله: "... وقال البيضاوي يحذف حرف الجر من "أن" تخفيفا ، والتقدير : لأن كان ، أو : بأن كان، ونحوه : (أن كَانَ ذَا مَالٍ وبَنِينَ) (١٠)، أي :لا تطعه لأجل ذلك . وحكى القرطبي تبعا لعياض أن همزةَ (أَن) ممدودة، قال : لأنه استفهام على جهة إنكار. قلت [أي ابن حجر] ولم يقع لنا في الرواية مد،لكن يجوز حذف همزة الاستفهام (١١)

فقد ورد في هذا النص شاهدان عن الحذف، أحدهما عن القرطبي عن عياض، لكن المهم هو ما ورد عن ابن حجر، وهو حذف همزة الاستفهام جوازا؛ فقد استدرك على ماسبقه بـ (لكن) حرف الاستدراك، بإضافة رأي آخر وهو رفض أن الرواية خالية من المد، أي رواية الحديث، ورواية الحديث بالفعل، كما رواها البخاري ، خالية من المد، ففي الحديث:" ... فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم....الخ" (١٢)

والواضح أنه استند هنا في جواز حذف همزة الاستفهام على أن هذه الهمزة الاستفهامية "لما كانت هي الأصل في حروف الاستفهام جاز فيها ما لم يجز في غيرها من حروف الاستفهام" (١٣)

وقد جعل د. رمضان عبد التواب سقوط الهمز هذا مندرجا تحت قانون صوتي أطلق عليه قانون السهولة والتيسير [١٤]، وقال : ومما ينطبق عليه هذا القانون ، ظاهرة "الهمز" في اللغة العربية، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منها، وعلى الأخص قبائل الحجاز ، كما تخلصت معظم اللهجات العربية الحديثة ، وصوت الهمز عسير النطق ، لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير [١٥]

وقد خضعت الهمزة إلى قوانين التحقيق في النطق من عدمه، وذلك من خلال كتب القراءات القرآنية، "فتحققها تميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وتتخلص منها معظم البيئة الحجازية" [١٦]

وقد ورد شاهد هذا في قول المتنبي :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا   والبين جار على ضعفي وما عدلا

.. والأصل أأحيا فحذفت همزة الاستفهام، وكذا قول الشاعر :

فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر   أتوني وقالوا من ربيعة أو مضر

(يريد أمن ربيعة) . وقال الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب   ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

أراد : أو ذو الشيب يلعب . ومنه قول ابن أبي ربيعة:

ثم قالوا تحبها قلت جهرا   عدد القطر والحصى والتراب

أظهر الأمرين فيه أن يكون أراد : أتحبها لأن البيت الذي قبله يدل عليه... ولهذا ونحوه نظائر [١٧]

إذن استدراك ابن حجر في حذف الهمزة كان مستنداً إلى آراء، وإن لم يذكر هذه الآراء . وقد استعمل هنا أداة الاستدراك الواضحة في معناها واستعمالها "لكن "

ومن نماذج الحذف للأصوات كذلك ماجاء في استدراك الشارح في شرحه للحديث رقم (٢٩٠٧) بقوله : " قوله كخ كخ وهي كلمة زجر للصبي عما يريد فعله... وقد نازع الكرماني في كون الألفاظ الثلاثة عجمية ، لأن الأول يجوز أن يكون من توافق اللغتين ، والثاني يجوز أن يكون أصله حسنة فحذف أوله إيجازا والثاني من أسماء الأصوات. وقد أجاب عن الأخير ابن المنير فقال : وجه مناسبته أنه صلى الله عليه وسلم خاطبه بما يفهمه مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل فهو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته، قلت وبهذا يجاب عن الباقي ويزاد بأن تجويزه حذف أول حرف من الكلمة لا يعرف ، وتشبيهه بقوله كفى بالسيف شا ، لا يتجه لأن حذف الأخير معهود في الترخيم والله أعلم [١٨]

وهذا استدراك آخر مؤداه رفضه رأي الكرماني بتجويز حذف أول صوت من الكلمة بقوله إنه (لايعرف)٠ **ويؤكد رأي ابن حجر آراء النحويين كذلك بأن الحذف في الغالب يصيب أواخر الكلم لا أوائله .** [١٩]

وفي بعض الأحيان يرجع ابن حجر سبب الحذف لا إلى علة نحوية أو صرفية أو معجمية ؛ بل إلى علة كتابية أو إملائية ، كما في الشاهد : في جنبه ، كذا للأكثر بالإفراد ولأبي ذر الجرجاني جنبيه بالتثنية وذكر عياض أن في كتابه من رواية الأصيلي جنبه بالإفراد ، لكن بياء مثناة من تحت بدل الموحدة ، قال : وهو تصحيف . قلت : لعل نقطته سقطت من القلم ، فلا ينبغي أن يعد ذلك رواية والله المستعان . (٢٠)

ومن منهجه كذلك ترجيح إحدى الروايات استناداً على التأويل النحوي ، ومثال ذلك ما ورد من قوله (إنك متى يراك الناس) في رواية الكشميهني وحده (متى مايراك الناس) بزيادة ما وهي الزائدة الكافة عن العمل ، وبحذفها كان حق الألف من (يراك) أن تحذف لأن (متى) للشرط وهي تجزم الفعل المضارع ، قال ابن مالك : يخرج ثبوت الألف على أن قوله يراك مضارع راء بتقديم الألف على الهمزة وهي لغة .. وعلى أن (متى) شبهت بـ (إذا) فلم يجزم بها ، وهو كقول عائشة الماضي في الصلاة في أبي بكر : متى يقوم مقامك أو على إجراء المعتل مجرى الصحيح ، كقول الشاعر : ولا ترضاها ولا تملق، أو على الإشباع ، كما قرئ " أنه من يتقي " ، قلت : ووقع في رواية الأصيلي : متى يرك الناس بحذف الألف وهو الوجه" (٢١)

فعلى الرغم من الأدلة التي ساقها ابن مالك لتخريج ثبوت الألف في الرواية الخاصة بالكشميهني ، فإن ابن حجر يرجح الرواية الثانية بحذف الألف ، مع ملاحظة عدم ذكره لمسوغات هذا الترجيح . وترجيح ابن حجر – فيما نرى – له ما يبرره؛ إذ كيف تكون (متى) شبيهة ب(إذا) وهي داخلة على مضارع (يراك)؛ فالراجح أن (إذا) تدخل على الماضي كما في قوله تعالى " إذا سألك عبادي عني " (٢٢)و : " إذا جاءك المنافقون ... " (٢٣)و " إذا زلزلت الأرض زلزالها " (٢٤) و : " إذا جاء نصر الله والفتح " (٢٥)

ولم يقف ابن حجر عند حد ترجيح رواية الحديث فقط ، بل تعداه إلى ترجيح قراءة قرآنية دون أخرى كما في " قوله عن ابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله قوله عن عائشة في رواية ابن جريج عن ابن أبي مليكة سمعت عائشة وسيأتي في التفسير قوله : كانت تقرأ " إذ تلقونه " أي بكسر القاف مخففاً في الخبر حيث قال: وتقول : الولق: الكذب، والولق بفتح الواو واللام بعدها قاف . وقال الخطابي : هو الإسراع في الكذب ... قلت لكن القراءة المشهورة بفتح اللام وتشديد القاف من التلقي وإحدى التاءين فيه محذوفة . (٢٦)

وأحياناً يربط رأيه الصوتي مستنداً إلى الدلالة من ناحية وسوف نفرد لهذا بحثاً خاصاً ، **وإلى الأدب في التعامل مع أهل الثقة من ناحية أخرى** ، وذلك كما ورد في الحديث المروي عن كيفية رد السلام على غير المسلمين؛ إذ يقولون السام

عليكم ، بمعنى الموت ، فاختلفت الروايات في رد المسلمين على هذا ، فاجداها تقول : " وعليكم " باثبات الواو ، والثانية " عليكم " بدون الواو ، بحذفها وفي الأولى الواو لها عدة معان منها :

١- عاطفة ، والمعنى ، وعليكم ما تقولون فينا ، فيجيب الله دعاءنا ، ولا يجيب دعاءكم فينا .

٢- استئنافية ، والمعنى ، أقول عليكم ماتريدون بنا أو ما تستحقون .

٣- زائدة ، والمعنى ، عليكم ما تدعون به علينا .

أما ابن حجر فيقول : " بل الرواية باثبات الواو ثابتة ، وهي ترجح التفسير بالموت وهو أولى من تغليط الثقة... " [٢٧] ؛إذ لو كان التفسير بالموت ، والواو ثابتة عطفاً ، فان الموت أمر مشترك بين المسلمين وغيرهم على حد سواء ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رد على المشركين حينما قالوا له : السام عليكم ، فردّ: وعليكم ، فقالت عائشة رضي الله عنها ، أو لم تسمع قولهم ؟! فقال صلى الله عليه وسلم : رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ ... [٢٨]

وهذه التأويلات وغيرها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدلالة ، وأيد ابن حجر ثبوت الواو لهذه التأويلات من ناحية ، وإلى عدم تغليط أهل الثقة من الرواة ، ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية أخرى ، ومن ثم فسقوط الواو من عدمه هنا ارتبط فيه التأويل اللغوي العطف والاستئناف و الزيادة بالدلالة.

وكثرة الاستعمال من القوانين المهمة التي تسهم في إسقاط بعض الأصوات أو تخفيفها، كما ورد في قوله تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم " حذفت ألف (اسم) لكثرة الاستعمال . وهذا القانون استند عليه ابن حجر في ترجيح رواية دون أخرى .

وشاهده ما جاء في باب (أفرأيتم اللات والعزى) [٢٩]... قوله : في قوله : اللات والعزى ، كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج سقط في قوله لغير أبي ذر ... قال الإسماعيلي : هذا التفسير على قراءة من قرأ (اللاّت) بتشديد التاء قلت : وليس ذلك بلازم ، بل يحتمل أن يكون هذا أصله وخفف لكثرة الاستعمال ، والجمهور على القراء والتخفيف ... [٣٠]؛ فالتخفيف صورة من صور "بلى الألفاظ " على حد تعبير د. رمضان عبد التواب [٣١] ،بل يعد قانوناً من القوانين الصوتية مثل المماثلة والمخالفة والنبر والتنغيم ؛إذ من الحقائق المقررة ، عند المحدثين من علماء اللغات ، أن كثرة الاستعمال ، تبلى الألفاظ ، وتجعلها عرضة لقص أطرافها .. [٣٢]وهذه الحقيقة الصوتية ليست خاصة بالمحدثين وحدهم ، بل سبق القدماء بتقرير هذه الحقيقة ؛ الأصل في (قم) (لتقم) وفي (اذهب) (لتذهب) إلا أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة تخفيفاً كما قالوا (أيش) والأصل فيه (أي شيء) وكقولهم (ويلمه) والأصل فيه (ويل أمه) فحذفوا لكثرة الاستعمال [٣٣]

ثانيا- زيادة الصوت

من المقرر أنه كما أن كلمات اللغة عرضة لحذف أصوات منها ، فإنه من المقرر كذلك أن اللغة تتعرض للزيادة في أصواتها وتراكيبها؛ فكل من التراكيب أو المفردات قد يتعرض للحذف أو الزيادة أو إعادة الترتيب أو الإحلال .. الخ (٣٤) ، وقد حفلت كتب النحو العربي بالكثير من مواضع الزيادة على بنية الكلمة المفردة أو الجملة ؛ فقد ذهب ابن هشام ، في تعليقه على وجوب مجيء الحال نكرة ، ذهب إلى أنها حينما تأتي معرفة تؤول بنكرة ، وعلق بقوله : شرط الحال أن تكون نكرة ، فإن جاءت بلفظة المعرفة وجب تأويلها بنكرة ، وذلك كقولهم : ادخلوا الأول فالأول . وأرسلها العراك . وقراءة بعضهم ليخرج الأعز منها الأذل . بفتح الياء وضم الراء ، وهذه المواضع ونحوها مخرجة على زيادة الألف واللام (٣٥) .

والزيادة في المبنى قد تؤدي إلى زيادة في المعنى ، وقد تؤدي من ناحية أخرى إلى الإيجاز ، مثل زيادة الألف والنون والياء والنون والواو والنون في التثنية والجمع ؛ فأصل التثنية العطف ، تقول : قام الزيان وذهب العمران ، والأصل فيه : قام زيد وزيد ، وذهب عمرو وعمرو ، إلا أنهم حذفوا أحدهما وزادوا على الآخر زيادة دالة على التثنية طلبا للإيجاز والاختصار ... (٣٦)

ومن أدق الزيادات الصوتية ما أشار إليه أبو البركات الأنباري وهو الغنة؛ " ففي نحو اصحب مطراً ، أدغمت الباء في الميم ، الميم فيها زيادة صوت وهي الغنة (٣٧) ، بل ذهب إلى أن التكرير الناتج عن الإدغام يعد زيادة ، فالتكرير في مثل : السّماء ، الرّاشد...الخ يعد زيادة (٣٨)

ومن مواضع الزيادة التي استدرك فيها ابن حجر على غيره قوله : " إذا أعجلت بضم الهمزة وكسر الجيم ، وفي أصل أبي ذر إذا عجلت بلا همز وقحطت ، وفي رواية غيره : اقحطت ، بوزن أعجلت ، وكذا المسلم . قال صاحب الأفعال يقال : أقحط الرجل إذا جامع ولم ينتزل ، وحكى ابن الجوزي عن ابن الخشاب أن المحدثين يقولون : قحط بفتح القاف ، وقال والصواب الضم . قلت : وروايته في أمالي أبي على القالي بالوجهين في القاف ، وبزيادة الهمزة المضمومة ... (٣٩)

فالروايات السابقة ، منها ما أثبت الهمزة ، ومنها ما أتى بدونها ، واستدراك ابن حجر استند فيه على رواية أبي على القالي بأنه يجوز الأمران الإثبات والحذف .

ومن هذه المواضع كذلك قوله : " ...ووقع في رواية الأصيلي والقابس وعبدوس (فأبوا) بغير مثناة قبل الألف . قال عياض : وهو وَهْمٌ مفسد للمعنى . قلت : والذي يظهر لي أنه فأبوا بهمزة ممدودة ،وهي بمعنى فيرجعوا ، فلا يفسد المعنى " (٤٠)

فالاستطراد هنا يوحي بالزيادة ، بزيادة همزة (٤١) **عكس الرأي السابق عليه ، بأنها بهمزة غير مثناة . مع ملاحظة أنه ربط هنا بين الزيادة الشكلية ،**

وأنها لا تؤثر على المعنى بالإفساد ، وهذا يوحي بأن هناك إدراكاً للصلة بين المستويات اللغوية عامة ، والمستوى الصوتي والدلالي خاصة (٤٢)

ثالثاً- اختلاف الضبط بالحركة (٤٣)

الفتحة والضمة والكسرة، والسكون مضافة إلى هذه الحركات ، هذه تمثل ما يسمى في علم اللغة الحديث بالفونيم الذي يعرف بأنه "اصغر وحدة صوتية في اللغة ، تستطيع أن تميز بين كلمتين" (٤٤)

والتحليل الفونيمي PHONEMIC ANALYSIS يتطلب وجود مجموعة من الكلمات التي تختلف في صوت ما من الألف بائية ، أو حركة من الحركات السابق ذكرها، وهو ما نعنيه بهذا المبحث من الدراسة؛حيث يأتي السابقون على ابن حجر بآراء تحتوي على حركة معينة ، ثم يستدرك ابن حجر باختيار هذه الحركة أو أخرى ، وأحياناً يربط بين هذا التغير في الحركة والدلالة الناتجة . وهذا يختلف تماماً عن الصور النطقية المتعددة للفونيم الواحد ، والذي يسمى بالألوفون ALLOPHONE (٤٥)مثل اللام في : بالله ، والله ، ففي الأولى مرققة ، وفي الثانية مفخمة لكن المعنى لم يتغير ، وهذا لم يتعرض له ابن حجر .

واهتمام ابن حجر باختلاف علامات الضبط هذه ، هو ما اهتم به علم اللغة المعاصر تحت مايسمى بالإحلال الصوتي REPLACEMENT ، وكذا جعلت هذه الحركات من الأصوات المتحركة VOWELS في مقابل الصامتة CONSONANTS ، وذلك لأن الفتحة والضمة والكسرة تعد بعضاً من الألف والواو والياء بالترتيب ؛ فالأولى تسمى بالصوائت القصيرة ، والثانية تسمى بالصوائت الطويلة ، وقد يقع بعضها صامتاً مثل الفرق بين : فهموا – وَعَدَ ، وكذا : الجميل وبِلِد ... وهكذا (٤٦)

والإحلال الصوتي هذا لم يكن قاصراً على الصوائت القصيرة هذه فقط ، بل تعداه إلى الصوائت الطويلة كذلك : الألف والواو والياء،بل تعداه كذلك إلى الصوامت نحو : الهمزة ، الجيم ، والدال والطاء ، والتاء ، والميم ، والنون ، واللام ...الخ ، فقد تبدل الهمزة من الألف ، أو من الواو ، أو من الياء ، أو من الهاء ، أو من العين ، وتبدل الدال من التاء والذال ، وتبدل الفاء من التاء ....الخ (٤٧)

ومن نماذج اختلاف الضبط "قوله: وفيه خرب ، قال ابن الجوزي : المعروف فيه فتح الخاء المعجمة وكسر الراء بعدها موحدة [خرب] جمع خربة ...قلت وكذا ضبط في سند أبي داود ، وحكى الخطابي أيضاً كسر أوله وفتح ثانيه [خِرَب] .... " (٤٨)

ويلاحظ أن استدراك ابن حجر هنا من قبيل استدراك تعدد الآراء الأخرى فقد ذكر آراء ابن الجوزي ، وأبي داود ، والخطابي ؛ **ومنهجه في هذا الاستدراك تأييد ضمني لرأي ابن الجوزي؛** وذلك بتأكيد هذا الرأي بآراء الآخرين مثل أبي داود وغيره .

والاختلاف في الضبط هنا في لفظ الجمع من (خَرِب) أهو : خِرَب ، مثل عِنَب وعنبة ، أم غير ذلك .

ومن الروايات التي استدرك فيها ابن حجر **محيلاً للرأي فقط** " قوله : إنما هو ، أي الكفن . قوله:للمهلة، قال عياض : روي بضم الميم وفتحها وكسرها ، قلت : جزم به الخليل" (٤٩)

واضح من الرواية استدراكه بإسناد الإحلال وجوازه بالحركات الثلاث للخليل . وهو لم يهدف من وراء هذا الاستدراك سوى إسناد رواية الإحلال أو توثيقها .

ومن الروايات التي استدرك فيها **باختيار ضبط دون غيره :** " عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام لبد رأسه بالعسل ، قال ابن عبد السلام يحتمل أنه بفتح المهملتين . ويحتمل أنه بكسر المعجمة وسكون المهملة ، وهو ما يغسل به الرأس من خطمي وغيره . قلت : ضبطناه في روايتنا في سند أبي داود بالمهملتين " (٥٠)

فنرى :

رأي ابن عبد السلام (١) ________ لبَد ، بفتح المهملتين .
(٢) ________ لِبد ، بكسر فسكون .
رأي ابن حجر ____________ لبَد ، بفتح المهملتين .

ورأي ابن حجر في ترجيحه لرواية المهملتين أولى ؛ لأن سياق الجملة ومعناها يستقيم باستعمال (لبَد) ؛ أي لصق شعره بالعسل ، "فلبَد الشيءُ بالشيء ، يلبُدُ إذا ركب بعضه بعضاً ..." (٥١)

وفي بعض الاستدراكات نجد ابن حجر **يغلط بعض الروايات السابقة عليه** ؛ قال الكرماني : قوله : في صدقة عمر ، صدقة بالتنوين ، وعمر فاعل . ....وفي بعض الروايات عمرو بالواو . قلت : هذه الأخيرة **غلط** ، وقوله صدقة بالتنوين **غلط محض** ، وصدقة عمر بالإضافة هي التي عند جميع رواة هذا الحديث في البخاري ....." (٥٢)

فرفض التنوين الصوتي ، وما يترتب عليه من إعراب كلمة (عمر) فاعلا ، بل رفض رواية (عمرو) بإضافة الواو . وهنا علاقة بين مستويي الصوت والنحو . وقد ناقش ابن حجر هذه العلاقة في باقي كلامه كما أشرنا في الهامش السابق ؛ فالعلاقة بين المستويات من الأمور البديهية التي استقرت عليها الدراسات اللغوية الحديثة ، بل استقرت عليها من قبل الدراسات اللغوية العربية القديمة .

وأحيانا أخرى يستدرك ابن حجر بنقد الرأي السابق ؛ بالاستشهاد بالشعر لتأييد رأيه ، و استخدام أداة الاستدراك " لكن " في بداية استدراكه :
"... حدثنا أبو أحمد مَرّار بن حمويه وهو بفتح الميم وتشديد الراء ، وأبوه [أي حَمّويه] بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم . قال ابن الصلاح : أهل الحديث

يقولونها بضم الميم وسكون الواو وفتح التحتانية [حمُويَه] ، وغيرهم بفتح الميم والواو وسكون التحتانية وآخرها هاء [حمَوَيْه] ومن قاله من المحدثين بالتاء الشاة الفوقانية بدل الهاء [حموية] فقد غلط . قلت : **لكن** وذ في شعر لابن دريد ما يدل على تجويز ذلك وهو قوله :

أن كان نفطوية من نسلي وهو همذاني . بفتح الميم ، ثقة مشهور ... (٥٣)

فالروايات السابقة هي :

١- حَمَوية

٢- حمُويْه

٣- حَمَويْه

٤ - حموية ، بإبدال التاء بدل الهاء .

وابن حجر لم يستدرك على الروايات الثلاث الأولى ، لكن علق على الرواية الرابعة المنسوبة إلى المحدثين ،على حد قوله ، والتي تتعلق بإبدال التاء بدل الهاء ؛ فهو يرفض من يغلط هذه الرواية ؛ لأنه كما يرى ورد في الشعر ما يثبت هذا الإبدال كما في اسم " نفطوية "

وما ورد من هذه الأسماء المركبة مزجيا أنها بالهاء ، نحو : سيبويه ، نفطويه ، خالويه ، ... إلخ . ولم يرد في الطبقات حول هذه الأسماء ما يؤكد إبدال التاء بدل الهاء (٥٤)

وما استشهد به ابن حجر لاستخدام التاء بدلاً من الهاء ، لا يقيم قاعدة بها يخطأ من قال خلافاً لها ، فهذا الاستعمال الفردي مقابل ما يربو على الألف وسبع مائة مرة في معجم واحد فقط .

وأحياناً أخرى يستدرك مؤيداً رأيه بالقراءات المشهورة ؛ كما في قوله تعالى : " فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما " (٥٥) يقول : " قوله يبطش ويبطش يعني بكسر الطاء وبضمها قال أبو عبيدة : مكسورة ومضمومة لغتان قلت الكسر القراءة المشهورة هنا . وفي قوله تعالى : " يوم نبطش البطشة الكبرى " (٥٦)والضم قراءة ابن جعفر ورويت عن الحسن أيضا " (٥٧)

فالروايات الواردة:

أبو عبيدة ----- ١- الكسر ٢- الضم ---- وهي قراءة ابن جعفر والحسن

واستدراك ابن حجر باختيار الكسر

وورد كذلك في شاهد آخر استدراكه على القراءة ؛ وذلك بالإشارة فقط إلى صاحب القراءة ، كما في قوله تعالى : " وآتينا داود زبورا " (٥٨) يقول: " وقرىء بضم أوله وهو جمع زبر قلت الضم قراءة حمزة" (٥٩)

ويستدرك ابن حجر مرة أخرى مؤيداً رأيه بالإسناد إلى رواية أخرى " قوله إنه لجاهد مجاهد ، كذا للأكثر باسم الفاعل فيها وكسر الهاء والتنوين ، والأول ... على الخبر والثاني اتباع للتأكيد ، كما قالوا : جاد مجد . ووقع لأبي ذر

عن الحموي والمستملي بفتح الهاء والدال ، وكذا ضبطه الباجي . قال عياض : والأول هو الوجه . قلت : يؤيده رواية أبي داود من وجه آخر عن سلمة : مات جاهداً مجاهداً . قال ابن دريد : رجل جاهد أي جاد في أموره . وقال ابن التين : الجاهد من يرتكب المشقة ، ومجاهد لأعداء الله تعالى " (٦٠)

فالآراء الأخرى :

١- الأكثر ------------ جَاهدٌ مجاهدٌ

٢- أبو ذر عن الحموي والمستملي ------- جاهَدَ مجاهَدَ وكذا الباجي

٣- عياض ------------ جَاهد مجاهدٌ مثل :

رأى ابن حجر من خلال الاستدراك:

جَاهدٌ مجاهدٌ

ويؤيد هذا الرأي رواية أبي داود (٦١)

ومن الاستدراكات التي نفى فيها الرأي ا **ابق عليه ، وذلك بتصدير استدراكه بالفعل " ليس "** "قوله : باب المراضع من المواليات وغيرهم ... قال ابن القيم ضبط في رواية بضم الميم ، وبفتحها في أخرى . والأول أولى لأنه اسم فاعل من والت توالي قلت : وليس كما قال بل المضبوط في معظم الروايات بالفتح وهو من الموالي . " وقال ابن بطال : كان الأولى أن يقول : الموليات جمع مولاة ، وأما المواليات فهو جمع الجمع ، جمع مولى . جمع التكسير ، ثم جمع موالي جمع السلامة بالألف والتاء فصار مواليات" (٦٢)

فثبت أن في (المواليات) روايتين هما :

١- ضم الميم

٢- فتح الميم

ورأى ابن القيم أن الضم أولى لأنها اسم فاعل

أما استدراك ابن حجر فهو أن :

الفتح أولى • **واستند في ذلك على أن : معظم الروايات بالفتح من الموالي** ،بل ازداد استدراك ابن حجر مستشهداً برأي ابن بطال ، أن الصواب ، إضافة إلى الفتح ، هو استعمال : الموليات بدلاً من المواليات ؛ وذلك لأن الثانية جمع الجمع لـ : مولى .

ومن ثم نقول إن الاستدراك اشتمل على :

١- اختيار الفتح بدلاً من الضم ، وهذا رأي صريح ظاهر لابن حجر .

٢- ذكر الأصوب في الاستعمال وهو (الموليات) .

٣- فعل النفي (ليس) وهذا يمثل وسيلة من وسائل الاستدراك ، مثل (لكن) السابق استعمالها.

وأحياناً يكتفي في استدراكه باختيار رأي من الآراء السابقة ، دون ذكر السبب . " قال البيضاوي : ذَبَحَ بصيغة الفعل الماضي ، ونصب راء الخمر (

الخمرَ) في قوله (ذبح الخمر) على أنه المفعول . قال : ويروي بسكون الموحدة [أي الباء في ذبح] على الإضافة والخمر بالكسر ، أي تطهيرها . قلت والأول هو المشهور ... " (٦٣)

فالآراء هي :

١- ذَبَحَ الخمرَ ------ بالنصب على المفعولية.

٢- ذبْحِ الخمر ------ بالجر على الإضافة .

واستدراك ابن حجر :

ذَبَحَ الخمرَ ----- بالنصب على المفعول به

فاختلاف الضبط بين الرأيين أدى إلى تحول الفعل الماضي إلى مصدر الفعل ذبح ، وتحول المفعول (الخمر) إلى مضاف إليه من إضافة المصدر إلى المفعول به .

وأحياناً أخرى لا يذكر رأيه صراحة ، بل يذكر ما يؤيد رواية معينة من الروايات السابقة ، مثل "قوله : من يرد الله به خيراً يصب منه كذا للأكثر بكسر الصاد ، والفاعل (الله) . وقال أبو عبيد الهروي معناه يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها . وقال غيره : معناه يوجه إليه البلاء فيصيبه وقال ابن الجوزي : أكثر المحدثين يرويه بكسر الصاد ، وسمعت ابن الخشاب يفتح الصاد وهو أحسن وأليق ... ووجه الطيبي الفتح بأنه أليق بالأدب بقوله تعالى : " وإذا مرضت فهو يشفين " (٦٤) قلت : ويشهد لكسر ما أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد رفعه : إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع ورواته ثقاة " (٦٥)

فهنا رأيان :

الأول : يُصيب بكسر الصاد ، وهذا للأكثر .

الثاني : يُصَب بفتح الصاد ، وهذا راي ابن الخشاب .

والتوجيه للفتح عن الطيبي بأنه أليق في الأدب مع الله ؛ إذ لا تسند إلى الله الإصابة بالآلام والأمراض للإنسان .

أما استدراك ابن حجر ، فإنه لم يصرح برأيه ، وإنما ذكره ضمنياً حينما قال : ويشهد للكسر ... الخ.

والرواية التي استشهد بها تنم عن أن الله تعالى يبتلي من أحب ؛ فالفاعل هو الله تعالى ، وقياسا على ذلك نجد أن الإصابة نوع من الابتلاء ، ومن ثم فالفاعل في الرواية الأولى في قوله " يصب به " بالكسر هو الله تعالى (٦٦)

ويستدرك ابن حجر أحياناً على القراءات مضيفاً عليها مالم يُذكر ، ومثال ذلك في رواية طويلة : " في (أف) عدة لغات ، الحركات الثلاث بغير تنوين وبالتنوين . ووقع في رواية مسلم هنا (أفّاً) وهي موافقة لبعض القراءات الشاذة ... وهذا كله مع ضم الهمزة والتشديد ، وعلى ذلك اقتصر بعض الشرح . وذكر أبو الحسن الرماني فيها لغات كثيرة فبلغها تسعاً وثلاثين ، ونقلها ابن عطية وزاد واحدة أكملها أربعين... ولخص ضبطها الشهاب السمين ولخصته منه وهي الستة

المقدمة وبالتخفيف كذلك ستة أخرى وبالسكون مشددا ومخففا وبزيادة هاء ساكنة في أخره مشدداً ومخففا و(وافى) بالإمالة ، وبين بين وبلا إمالة الثلاثة بلاتنوين، (وأفو) بضم ثم سكون و (افى) ... فذلك اثنتان وعشرون ، وهذا كله مع ضم الهمزة ، ويجوز كسرها وفتحها ، فأما بكسرها ففي إحدى عشرة ، كسر الفاء وضمها ومشدداً مع التنوين ، وعدمه أربعة ، ومخففاً بالحركات الثلاث مع التنوين وعدمه ستة ، وافي بالإمالة والتشديد ، وأفا بفتح الهمزة ففي ست بفتح الفاء وكسرها مع التنوين وعدمه أربعة وبالسكون وبألف مع التشديد ... زادها ابن عطية (أفاه) بضم أوله وزيادة ألف وهاء ساكنة . ...قلت : وبقي من الممكن في ذلك (أفى) كما مضى ، لكن بفتح الفاء وسكون الياء ، و(أفيه) بزيادة هاء ، وإذا ضممت هاتين إلى التي زادها ابن عطية، وأضفتهاإلى ما بُدئَ به ، صارت العدة خمسا وعشرين ،كلها بضم الهمزة . فإذا استعملت القياس في اللغة ، كان الذي بفتح الهمزة كذلك ، وبكسرها كذلك ، فتكمل خمسا وسبعين (٦٧)

ويتضح تماما ذلك الاختلاف الجلي في الضبط بالحركات المتعددة الفتح والضم والكسر ، بل السكون والتضعيف كذلك ، وإضافة الإمالة ، وإضافة التنوين ...إلخ. ومن ثم يتضح رأي ابن حجر بهذه الزيادة التي لم ترد في الروايات السابقة.

ونخلص من هذه الاستدراكات المتعددة لابن حجر في اختلاف الضبط بأن أبرز عناصر الاستدراك ووسائله عنده في هذا البحث هي :

أولاً: الاستدراك الضمني ، وذلك بعدم ذكر رأيه صراحة؛ بل يستند إلى رواية أخرى مرجحة لإحدى الروايات السابقة ، مثل : وكذا ضبط في سنن، بما يعني أنه يؤيد رواية ما نظرا لأنها ضبطت في سنن كذا بنفس الضبط .

ثانياً: الاستدراك بذكر رأيه صراحة ، وذلك مثل قوله: ضبطناه في روايتنا .

ثالثاً: الاستدراك بتغليط بعض الروايات السابقة ؛ وذلك مثل قوله : هذه الأخيرة غلط .

رابعاً: الاستدراك بتحليل الرأي السابق والاستشهاد عليه بالشعر لتأييد استدراكه؛ كما في قوله : لكن وقع في شعر لابن دريد ما يدل على تجويز ذلك ....

خامساً: الاستدراك بتأييد رأيه بالاستناد إلى القراءات المشهورة .

سادساً: الاستدراك بتصدير رأيه بالفعل الدال على النفي ؛ وذلك لنفي الرأي السابق ، مثل قوله : وليس كما قال أو باستعمال ما يدل على الاستدراك نحو : لكن.

سابعاً: الاكتفاء في الاستدراك بذكر الرواية المختارة دون ذكر سبب اختيارها ؛ مثل تعليقه بقوله : والأول هو المشهور . وإن كان في ذكر كلمة (المشهور) ما يوحي بذكر السبب ، وهو أنه المشهور دون غيره .

ثامناً: الاستدراك بإضافة قراءات لم تُذكر في الروايات السابقة عليه ، مثل قوله بعد ذكر لعدد كبير من القراءات الشاذة وغير الشاذة : وبقي من الممكن في ذلك (أفى) و(أفيه) قراءتان في (أف)...

****

رابعا- (فك الإدغام) (٦٨) والإبدال

الإدغام (DEPTHONG)من المصطلحات اللغوية التي لقيت اهتماما بالغا من قبل القدماء والمحدثين ؛ فالقدماء من علماء اللغة والقراءات أطلقوا على عملية تأثير الأصوات في بعضها البعض مصطلح " الإدغام " خاصة حينما تتجاور هذه الأصوات وتتشابه في المخرج أو الصفة ، وتتماثل بصورة كبيرة ، فإنه يحدث الإدغام . أما المحدثون فقد التمسوا مصطلحا آخر اشتق من طبيعة التماثل بين الصوتين المتجاورين فأطلقوا على هذه العملية " المماثلة " ASSIMILATION

وأضاف المحدثون كذلك أن هذا التأثير على نوعين :

١- رجعي REGRESSIVE حيث يتأثر الصوت الأول بالثاني .
٢- تقدمي PROGRESSIVE حيث يتأثر الصوت الثاني بالأول .

وتعد المماثلة بنوعيها من الظواهر الكلية في اللغات ؛ فهي في العربية وفي الإنجليزية وغيرها مع مراعاة أن المماثلة تختلف من لغة إلى أخرى كما أشار إلى ذلك ديفيد كريستال في موسوعته ، بل أضاف نوعا ثالثا إلى النوعين السابقين للمماثلة RECIPROCAL OR COALESCENT (٦٩) ؛ بمعنى تبادلي للكلمة الأولى ، و اتَّحدَ أو اندمجَ أو تآلفَ أو تجمعَ للمصطلح الثاني دون تحديد لنوع التأثر ، أهو رجعي أم تقدمي ، وهذا فيما يبدو في ذلك النوع من الإدغام الذي لا يظهر فيه اتجاه .

وقد جمعJANSEN WOUTER بين مصطلح ASSIMILATION ومصطلح REGRESSIVE في مصطلح عام REGRESSIVE VOICING ASSIMILATION (٧٠) واختصره إلى (R V A) بمعنى المماثلة الصوتية الرجعية

والواضح أن ظاهرة الإدغام ظاهرة كلية ، وليست خاصة باللغة العربية ؛ فقد دُرست في الألمانية ، والبوتسوانية ، والهولندية، والإنجليزية ...إلخ، وعقدت المقارنات بين اللغات الأوربية عبر هذه الظاهرة ، مثل : الهولندية ، والفرنسية ، والمجرية ، و الإسبانية ، ومقارنتها بلغة سامية مثل العبرية ، وبلغة مثل لغة البوتسوانا الأفريقية ومنها:

-AFRICANS: O/PD/AAG------------ O(<u>BD</u>)AAG
-DUTCH: A/SB/AK--------------- A(<u>ZB</u>)AK
-FREENCH: AVEC VOUS-------------- AVE(<u>GV</u>)OUS
- HUNGARIAN: SE:KBE-------------- SE:(<u>GBE</u>)
- HEBREW: XESHBON-------------- XE(<u>Z</u>)HBON

(٧١)- SPANISH: IOSGATOS------------- IO(ZG) ATOS

ولا شك في أن هذا التحول ناتج عن مجاورة حروف لبعضها البعض مثل:
(PD),(SB),(CV),(KB),(SH),(SG),
(BD),(ZD),(GV),(GB),(ZH),(ZG).

وأمثلته في العربية :
اضطرب --- أصله --- اضترب ؛ فتجاور (ضّ ت)
ادّخر --- أصله --- ازتخر ؛ فتجاور (ز ت) (٧٢)
فهذه المجاورة أدت إلى التأثر ؛ بالمخالفة أحيانا ، والمماثلة أحيانا أخرى وكذا الإدغام ، مثل:
ردد ------ ردّ
شدد ------ شدّ
مرر ------ مرّ

وهذا ما يحدث في الكلمات العربية أو في بعضها ؛ إذ يتأثر على سبيل المثال حرف العلة بحركة الحرف السابق عليه ؛ فيقلب حرف العلة إلى حرف مماثل للحركة السابقة ، مثل :
قوَل ------ قال .
بيَع ------- بَاع
فالتأثر ليس قاصرا على تأثر حرف بحرف ؛ بل تأثر حرف بحركة حرف آخر. أما ما نحن بصدده هنا فهو تأثر حرف بحرف .

ومن أمثلته ما جاء في فتح الباري : " قوله : أنا لم نردّه عليك في رواية شعيب وابن جريج ليس بنا ردٌّ عليك ... قال عياض : ضبطناه في الروايات : لم نرده بفتح الدال ، وأبى ذلك المحققون من أهل العربية وقالوا: الصواب : أنه بضم الدال ... وأجازوا أيضا الكسر وهو أضعف الأوجه قلت : ووقع في رواية الكشميهني بفك الإدغام : لم نردُدْه بضم الأولى وسكون الثانية ولا إشكال فيه" (٧٣)

والواضح من الاستدراك أنه لا يرى مانعا من الإظهار : " ولا إشكال فيه " .
والواضح كذلك أنه ذكر الآراء السابقة التي تتحدث عن الإحلال بين الحركات ؛ بين الضم والفتح والكسر ، لكنه انصرف عن هذا ليروي رأيا آخر وهو فك الإدغام . ويتضح أنه لم يعقب في قضايا الإدغام كلها إلا في هذا الموضع .

الإبــــــدال

ويرجع الجمع بين الإبدال والإدغام في مبحث واحد إلى كون كل منهما يمثل ظاهرة من ظواهر تأثير الحروف في بعضها البعض؛ فالإدغام والإظهار يمثلان قانون المماثلة **ASSIMILATION** ، والإبدال يمثل قانون المخالفة **DISSIMILATION** , ويسير كل مهما في اتجاه عكس الآخر .

وقد وردت أمثلة كثيرة لظاهرة المخالفة الصوتية عن طريق الإبدال ، فكلمة شمس أصلها في السامية الأولى شمش .. وكلمة : سنبلة أصلها سُبُلَة ، فأبدلت الباء بالنون .. وكلمة : قيراط أصلها : قِرَّاط ، ودينار أصلها : دِنَّار ... والعُنقود أصلها العُقُّود .... الخ [٧٤]

ولعل باب " الإبدال " في الأصوات العربية ، ليس بعيداً عن مائدة البحث اللغوي العربي؛ مثل إبدال الواو تاء ، وإبدال الياء تاء ، والتاء طاء ، والتاء دالاً ، ...إلخ. وفي الوقت نفسه يمثل ظاهرة شائعة بين بعض الأصوات العربية . بل الإعلال بالقلب أيضاً يمثل هذه الظاهرة مثل قلب الهمزة ألفاً أو واواً أو ياء وقلب الألف همزة أو واواً أو ياء ، وقلب الواو والياء كذلك ألفاً أو واواً أو ياء . وهذا كله تحت شروط خاصة ببنية الكلمة العربية ، كما فصلته كتب الصرف العربي [٧٥]

ومن أمثلته عند ابن حجر : " ... قوله : (ونفِهت) بكسر الفاء أي : تعبت وكلت . ووقع في رواية النسفي : (نثهت) بالمثلثة بدل الفاء ، وقد استغربها ابن التين ، فقال : لا أعرف معناها . قلت : وكأنها أبدلت من الفاء ؛ فإنها تبدل منها كثيراً ، وفي رواية الكشميهني بدلها : و (نهكت) ، أي هزلت وضعفت" [٧٦]

فالإبدال هنا بن (الفاء) و (الثاء) وكلاهما يختلف عن الآخر في المخرج؛ فالأول شفهي ، بينما الثاني أسناني . وكذلك هناك اختلاف في المخرج بين هذين الحرفين والحرف الذي يجاورهما : (الهاء) الحلقي ، من أقصى الحلق ، وكلا الحرفين (الفاء والثاء) مهموس . ومن ثم لا نعلم سبباً لهذا الإبدال ، مثل التقارب في المخرج أو التماثل في المخرج ، ومن ثم فهذا الإبدال يحتاج إلى تفسير ؛ فقد لا يكون صحيحاً ، خاصة ، بعد ما وجد أن المعجم العربي خالٍ من مادة (نثه) التي قيل إنها بدل من (نفه) . بل كتب الغريب كذلك ، حتى كتب التصحيف في الحديث خلت من هذا اللفظ . ومهما يكن من أمر فإن الشاهد هنا هو استدراك ابن حجر الصوتي المبين عن ظاهرة الإبدال ؛ (نفه أو نثه) [٧٧]

ومن الإبدال كذلك : " قوله : باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يُخوِّنهم أو يلتمس عثراتـــهم كذا بالميـــم في يُخوِّنهم وعثراتهم . وقال ابن القيم : الصواب بالنون فيهما . قلت : بل ورد في الصحيح بالميم فيهما .. وتوجيهه ظاهر " [٧٨]. وذلك الإبدال واضح بين الميم الدالة على جمع المذكر ، والنون الدالة على جمع المؤنث .

يخوفهم -------- يخوفهن

عثراتهم -------- عثراتهن

فالإبدال وقع ، دون إخلال بالمعنى . مع العلم بأن الميم والنون حرفان غير متشابهين في المخرج ؛ فالأول شفهي ، والثاني لثوي ، وكلا الحرفين اتفق في الصفات ؛ فكل منهما حرف انفجاري ، الميم ناتج عن الانحباس التام للهواء عند التقاء الشفتين ، ثم انفراجهما مرة واحدة ، والنون ناتج عن انحباس الهواء عند

النقاء طرف اللسان مع الثنايا العليا. لكن الملاحظ هو أن مرجعية الضمير في (يخوفهم) تعود على الجمع المذكر ، وحينما يحدث الإبدال بالنون (يخوفهن) تعود على الجمع المؤنث ، فهل استعمال الميم على الحمل على المعنى ؛ إذ يطلق المذكر حملاً على المؤنث ؟ .(٧٩)، أم أن الكلام فيه تغليب للمذكر على المؤنث ؛ إذ الأهل تطلق ويراد بها كل من في البيت من رجال ونساء وأطفال وغيرهم ، ومن ثم يكون استعمال الضمير صحيحاً؟

والشاهد هنا هو استدراك ابن حجر باختيار (الميم) في الكلمتين وأضاف بأن توجيه هذا ظاهر . **والاستدراك هنا فيما نرى سعياً من ابن حجر خلف الأكثر في الاستعمال** على حد تعبير ابن جنى في الإشارة إلى أن حدوث هذا الأمر وهو تذكير المؤنث هو للأكثر وهو رد للفرع إلى الأصل ؛ فالأصل كما ذهب جمهور اللغويين هو التذكير والفرع هو التأنيث . **ومن ثم آثر ابن حجر الرواية التي تشيد إلى الأكثر ، وإلى الأصل في الاستعمال ، وهذا من بين جوانب منهج ابن حجر في الاستدراك إيثار الأكثر والأصل غالباً .**

ومن أمثلة الإبدال كذلك قوله : " ... قال – أي ابن التين – " وأما تلافاه بالقاء فلا أعرف له وجهاً إلا أن يكون أصله : فتلقفه ، أي غشاه فلما اجتمع ثلاث فاءات أبدلت الأخيرة ألفاً مثل (دساها) كذا قال ، ولا يخفى تكلفة ، والذي يظهر أنه من الثلاثي ... وقد وقع في حديث سلمان مما تلافاه عندها أن غفر له ... " (٨٠)

فالاستدراك هنا اشتمل على أمرين :

الأول : الحكم على رأي ابن القيم ، وهو : ولا يخفى تكلفه .

الثاني : اختيار ابن حجر ، وهو : والذي يظهر أنه من الثلاثي .

ومن منهجه في الاستدراك القياس ، فقد قاس ثلاثية الفعل على فعل آخر قوله : والقول فيه – أي في الفعل تلافاه – كالقول في التلقي (٨١) وليس هذا المنهج بعيداً عن منهج اللغويين ، إذ من المعروف أن قواعد اللغة بنيت على أساس الرصد كظاهرة ، ثم وصفها ، ثم القياس عليها .

****

خامساً- الصوائت القصيرة SHORT VOWELS

المقصود بهذه الصوائت القصيرة ، الحركات : الفتحة والضمة والكسرة ، وهي مقابل الصوائت الطويلة ، أو حروف العلة : الألف والواو والياء ، وهذه الصوائت القصيرة تعد مشتركة بين المستويات المتعددة ، الصوتية والنحوية ، والمعجمية ، والدلالية . فهي كما أشرنا من قبل ، تعد الوجه الثاني المقابل للصوامت ، وكذلك لها مخارج تختلف عن الصوامت ، إضافة إلى تعرضها لكثير من التغيرات مثل ، الحذف ، والإحلال ، والإشباع ،....إلخ.

وكذلك من الناحية النحوية تمثل هذه الصوائت العلامة الإعرابية الأصلية ، وعليها تقوم معظم أبواب النحو العربي . ومن الناحية المعجمية يؤدي تغير هذه الصوائت إلى تغير نوع الكلمة ودلالتها .

لكن لطبيعة هذه الدراسة سوف يُركّز الضوء على الصوائت القصيرة على المستوى الصوتي فقط ، وفي المبحث الأخير على علاقتها بالدلالة .

واهتمام ابن حجر بالتعليق على الآخرين فيما يتعلق بهذه الصوائت أو الحركات لم يكن جديداً ؛ فقد اهتم اللغويون والمفسرون بهذه الحركات كثيراً ، ودار اهتمامهم حول محاور منها:

١- أن هذه الصوائت تمثل العلامات الإعرابية الأصلية .
٢- أن هناك صلة بين هذه الصوائت وتغيراتها والدلالات الناتجة .
٣- الإحلال بينها REPLACEMENT خاصة على المستوى المعجمي .
٤- أنها تتعرض للحذف أحياناً .
٥- أنها تتعرض للإشباع الذي يؤدي إلى الصائت الطويل أو حروف العلة .
٦- المناسبة بين هذه الحركات وما يليها من حروف ، فلا يجوز أن يأتي حرف الألف بعد الكسرة ، أو يأتي حرف الواو الساكن (المد) بعد كسرة ، أو يأتي حرف الياء بعد ضمة ، بل تجب المناسبة :

الضمة ________ يليها الواو
الفتحة ________ يليها الألف
الكسرة ________ يليها الياء

٧- ومن هذه المناسبة ما يسمى بالجوار .
٨- أن هذه الحركات منها الخفيفة ، والثقيلة ، والأثقل .

أما المحدثون فقد انصب اهتمامهم على محاور تكاد أن تتشابه مع اهتمامات القدماء ، ومن هذه المحاور :

١- الفرق بين الصوائت والصوامت .
٢- مكان هذه الصوائت الأمام FRONT ، والمركز CENTRAL ، والخلف BACK
٣- الصوائت المغلقة ، ونصف المغلقة ، والمفتوحة ، ونصف المفتوحة

HALF OPEN, OPEN , HALF CLOSE , CLOSE

٤- قوة الصائت ؛ المرتفع HIGH ، والمتوسط MID ، والمنخفضة LOW (٨٢)

٥- التآلف أو التناسق بين الصوائت الواقعة في كلمة واحدة HARMONY (٨٣)
٦- طول الصوائت VOWELS LENGTH (٨٤)
٧- خصائص الصوائت من حيث المخرج (٨٥)

هذا علماً بأن هناك اثنين وثلاثين ألفاً وستة مائة موقع عن الصوائت القصيرة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) بعنوان : SHORT VOWELS وكذلك يوجد خمسة عشر ألف موقع ومائتان تحت عنوان: SHORT VOWELS IN PHONETICS ، ومن أمثلة الصوائت القصيرة في الإنجليزية مثلاً :

I ------- في كلمة ----- SHIP – PIT, PET , PAT , PUTT , POT , PUT , cup
A--------------
(٨٦)

والاهتمام كذلك كان منصبا على شكل الشفتين أثناء النطق بالصائت ، فقد تكون دائرية ROUNDED كما في حرف (U) أو طويلة أفقية ... إلخ (٨٧)

ملخص الكلام أن الدراسات المعاصرة قد تطورت كثيراً بفضل استعمال الأجهزة الدقيقة في التشريح ، والأصوات ، ومخارجها ، وعلم الأصوات الفيزيائي ... إلخ. لكن المجال لا يسع للإفاضة في الحديث عن هذه التطورات .

أما استدراكات ابن حجر المتعلقة بالصوائت فتكمن في نماذج كثيرة انتشرت في ثنايا فتح الباري (٨٨) نأخذ منها ما يوضح منهجه اتجاه الصوائت القصيرة ، والقضايا التي أثارها حولها من خلال الاستدراكات .

فمن منهجه في الاستدراك **أنه يكتفي أحياناً بالإشارة إلى الروايات الموافقة للضبط الموجود** . " .. قوله (وفيه خرب) ، قال ابن الجوزي : المعروف فيه فتح الخاء المعجمة وكسر الراء بعدها موحدة .. قلت وكذا ضبط في سنن أبي داود ، وحكى الخطابي أيضاً كسر أوله وفتح ثانيه جمع خربة كعنب وعنبة ... " (٨٩)

فالرواية عن ابن الجوزي ------- خَرِب
الاستدراك عن أبي داود ---- --- خرب
والاستدراك كذلك عن الخطابي----- خِرَب

فالاستدراك هنا لم يخرج عما في الرواية المذكورة ، لكنه يؤكد هذه الرواية بالاستناد إلى مجيئها بهذا الضبط في روايات أخرى .

ولم يبعد عن ابن حجر الربط بين الإحلال الصوتي وما يترتب عليه من اختلاف في الدلالة ، مثال ذلك : " قوله – أي في نص الحديث – للمهلة ، قال عياض : روى بضم الميم وفتحها وكسرها . قلت – أي ابن حجر – جزم به الخليل . وقال ابن حبيب : هو بالكسر الصديد ، وبالفتح التمهل ، وبالضم ، عكر الزيت . والمراد هنا الصديد ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله إنما هو أي الجديد وأن يكون المراد بالمهلة على هذا التمهل ... وضبط الأصمعي هذه بالفتح " (٩٠)

فالاستدراك هنا يؤكد الرواية السابقة ، لكنه أضاف إليها الربط بين الإحلال والدلالة من خلال كلام ابن حبيب :

المِهلة ------- الصديد

المَهلة ------- التمهل

المُهلة ------- عكر الزيت

بل زاد كذلك تعدد احتمالية الدلالة ، نتيجة للإحلال . وزاد في استدراكه بذكر الضبط الذي اختاره الأصمعي .

ومن منهجه كذلك أنه قد يختار ضبطاً معيناً من الروايات التي يستدرك عليها . من ذلك : " ... عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام لبد رأسه بالعسل . قال ابن عبد السلام يحتم أنه بفتح المهملتين ، ويحتمل أنه بكسر المعجمة وسكون المهملة ، وهو ما يغسل به الرأس من خطمى أو غيره . قلت : ضبطناه في روايتنا في سنن أبي داود بالمهملتين " (٩١)

واضح أن هذا الاختيار لم يُسَبَّب من قبل ابن حجر ، وهذا أيضا من بين المحاور التي يدور حولها منهجه الاستدراكي .

ومن محاور منهجه كذلك أنه يغلط الرواية ، بل يصفها بالغلط المحض ، وذلك حينما علق على رواية نصها : " قال الكرماني قوله : في صدقة عمر ، صدقة بالتنوين ، وعمر فاعل ، قال وهو بصورة الإرسال ، لأنه يعني عمرو بن دينار ، لم يذكر عمر قال : وفي بعض الروايات بالإضافة ، أي قال عمرو بن دينار ، متى وقف عمر ذلك قال : وفي بعض الروايات بالواو قلت:هذه الأخيرةغلط وقوله:صدقة بالتنوين غلط محض.وصدقة عمر بالإضافة هي التي عند جميع رواة هذا الحديث في البخاري " (٩٢)

رأي الكرماني	استدراك ابن حجر
١- تنوين صدقة وفاعلية عمر	- غلط محض
٢- الإضافة	- عليها جميع رواة الحديث
٣- عمرو بالواو	- غلط

وقد يرفض الرواية السابقة ، بالنفي (ليس) ، والاستناد على الشائع في الروايات الأخرى ، كما في : " قوله باب المراضع من المواليات وغيرهم ... قال ابن القيم : ضبط في رواية بضم الميم ، وبفتحها في أخرى ، والأول أولى لأنه اسم فاعل من والت توالي . قلت : وليس كما قال ؛ بل المضبوط في معظم الروايات بالفتح وهو من الموالي ... . وقال ابن بطال : كان الأولى أن يقول : المولَيات جمع مولاة ، وأما المواليات فهو جمع الجمع ، جمع مولى جمع التكسير ، ثم جمع موالي جمع السلامة بالألف والتاء فصار مواليات " (٩٣)

فالاستدراك استعمل فيه **الفعل الدال على النفي (ليس) ، ثم الاستدراك على السابق بـ (بل) ، والسبب هو الشيوع الوارد في معظم الروايات .**

إذاً من منهجه القياس على الشائع في معظم الروايات التي يستند إليها بل ذكر من هذه الروايات ما يؤيد رفضه .
وكما يقيس على الشائع لدى المعظم ، كذلك يستدرك مؤيداً استدراكه بالمشهور من القراءات ، كما سيأتي في استدراكه على قراءة (يبطش) بكسر الطاء وضمها .

وأحياناً يستدرك بذكر الضبط مع عدم وجود الحديث عن الضبط أو الصوائت من نص الرواية المستدرك عليها ، بل يضيف الضبط ، وما يترتب عليه من معنى ، ومنه " قوله – في نص الرواية المستدرك عليها – ينتعلون نعال الشعر ... الذين ينتعلون الترك . وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد قال : بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر . قلت : بابك بموحدتين مفتوحتين وآخره كاف يقال له : الخُرَّمى ، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون ... إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم ... " (٩٤)
فالملاحظ عدم وضوح مرجعية كلمة (بابك) الواردة في الرواية ، لكن الاستدراك أزال هذا الغموض .

ومن منهجه كذلك اختيار القراءة المشهورة من بين القراءات الواردة في الرواية المستدرك عليها . نحو : " قوله يبطش ويبطش يعني بكسر الطاء وبضمها . قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : " فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما " بالطاء مكسورة ومضمومة لغتان . قلت : الكسر القراءة المشهورة هنا ، وفي قوله تعالى : " يوم نبطش البطشة الكبرى " والضم قراءة ابن جعفر ، ورويت عن الحسن أيضاً " (٩٥)فقد أشار إلى القراءة المشهورة من القراءتين السابقتين ، ثم أحال القراءة الثانية إلى ابن جعفر والحسن .

بل يؤكد مهجه كذلك في اختيار المشهور من الضبط بالصوائت في غير القراءات ، " قال أبو الدرداء في المري " ذبح الخمر ... قال البيضاوي : ذبح بصيغة الفعل الماضي ونصب راء الخمر على أنه المفعول . قال : ويروى بسكون الموحدة على الإضافة والخمر بالكسر أي : يطهرها . قلت : والأول هو المشهور " (٩٦)

فهناك روايتان الأولى على الماضي والمفعول ، والثانية بسكون الباء وإضافة الخمر . أما الاستدراك فيميل إلى الأول ؛ والسبب شهرة هذا الاستعمال لصائت الفتحة الدال على الفعل الماضي . وصائت الفتحة أيضا الدال على مفعولية (الخمر) .

وأحياناً يعلن تأييده لوضع الصوائت بصورة ضمنية بالاستناد إلى آراء في روايات أخرى غير الرواية المستدرك عليها . مثل : " قوله : إنه لجاهد مجاهد ... بكسر الهاء والتنوين .. كما قالوا : جادٌّ مجدٌّ . ووقع لأبي ذر عن الحموي

والمستملي : بفتح الهاء والدال ، وكذا ضبطه الباجي .قال عياض : والأول هو الوجه . قلت : يؤيده رواية أبي داود " (٩٧)

جاهِدٌ مجاهِدٌ	جاهَدَ مجاهَدَ
الرواية	أبو ذر عن الحموي والمستملي
عياض	الباجي
رواية أبي داود	

أما الاستدراك فهو بالتأييد الضمني : ويؤيده ... إلخ. ولا شك في أن تغيير الصوائت من الكسر والضم إلى الفتح، سوف يغير الصيغة من اسم الفاعل إلى الفعل ٠

وقد يؤيد استدراكه بأن أصحاب الرأي المختار ثقاة ، نحو : " قوله : من يرد الله به خيراً يُصبْ منه ، كذا للأكثر بكسر الصاد والفاعل الله .... قال ابن الجوزي : أكثر المحدثين يرويه بكسر الصاد . وسمعت ابن الخشاب بفتح الصاد وهو أحسن وأليق . كذا قال ، ولو عكس لكان أولى ... ووجه الطيبي الفتح بأنه أليق بالأدب لقوله تعالى :" وإذا مرضت فهو يشفين " . قلت : ويشهد للكسر ما أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد رفعه : إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع ، ورواته ثقاة " (٩٨)

فالاختلاف حول فتح الصاد وكسرها . **ويؤيد ابن حجر الكسر بالاستناد إلى نص حديث آخر ، والرواة ثقاة . وهذا- فيما يرى - منهج مختار ، الاستناد إلى المشهور والثقة .**

ويلاحظ هنا أن صائت الفتح يؤدي دلالة لا تتحقق بوجود صائت الكسر ، فالأول يوحي بالتأدب مع الله تعالى ، ببناء الفعل للمجهول ، لكن الثاني يبني الفعل للمعلوم فتكون الإصابة صادرة من الله صراحة دون بناء الفعل للمجهول .

وقد يضيف في منهجه كذلك رأياً في وضع الصوائت لم يكن موجوداً في الروايات السابقة ؛ ومثال ذلك ، في رواية طويلة ، ذكر فيها لغات كثيرة ، ذكر عن ابن عطية ، أن في (أف) أربعين لغة ، فمادة (أفف) لها لغات بالحركات الثلاث بغير تنوين ، وبالتنوين ، وبالسكون ، وبالتشديد ، وبالإحالة ، وبين بين ، وبلا إحالة ، والجمع بين التشديد والتنوين ... الخ . ثم يستدرك ابن حجر بقوله : " ... قلت : وبقي من الممكن في ذلك (أفى) كما مضى ، لكن بفتح الفاء وسكون الياء ، و (أفيه) بزيادة هاء . وإذا ضممت هاتين إلى التي زادها ابن عطية ، وأضفتها إلى ما بدئ به صارت العدة خمساً وعشرين ، كلها بضم الهمزة ، فإذا استعملت القياس ، - [أي بالفتح والكسر] – في اللغة كان الذي بفتح الهمزة كذلك ، وبكسرها كذلك ، فتكمل خمساً وسبعين " (٩٩)

وواضح هنا أن حركة الصوائت في الكلمة (أفّ) كثيرة جدّاً ، حتى وصل عدد التغيرات الناتجة عن حركة الصوائت ، بل أحياناً معها الصوامت ، إلى خمسة وسبعين تغييراً .

سادساً - الأصوات والقراءات

الصلة بين الأصوات والقراءات وثيقة ، خاصة حينما نعرف أن أغلب الاختلافات بين قراءة وأخرى تركز على الجانب الصوتي ، وهذا ما أفاضت فيه كتب القراءات ، حيث الحديث عن الاختلاف في الظواهر الصوتية المتعددة مثل : الإدغام والإبدال والإعلال والإخفاء والإظهار والإشمام والإحالة والإشباع والمد والتفخيم والترقيق والهمس والجهر ... الخ (١٠٠)

والأبحاث التي تدور حول القراءات تركز على عدة محاور منها .

(١) مفهوم القراءات .
(٢) أنواعها .
(٣) شروطها .
(٤) ضوابط كل نوع .
(٥) نشأتها .
(٦) علاقتها باللهجات .
(٧) المصطلحات التي تدور في فلك القراءات ،

أما ابن حجر في هذا السفر العظيم ؛ فقد اتضح أن المحاور التي ارتبطت بموقفه من القراءات والأصوات في استدراكاته هي :

١- الصوائت والقراءات .
٢- إحالة القراءة .
٣- توجيه القراءة دلاليا ؛ القراءة والدلالة .

١ - الصوائت والقراءات

سبقت معالجة ابن حجر لقضية الصوائت ، لكن استدراكه عن الصلة بين الصوائت ، وعلى وجه الخصوص (الضبط) ، لم يتعد موضعين .

أما الأول : فورد في رواية طويلة ذكر فيها آراء كثيرة ، أو قراءات كثيرة في قوله تعالى : " وقالت هيت لك " (١٠١)فجاء بقراءات ملخصها كالتالي :

١- قال عكرمة : هيت بالحورانية هلم
٢- قال ابن جبير : تعاله
٣- قال عكرمة أيضا هُيِّئت لك
٤- ابن مردويه : هيت لك يعني هلم لك
٥- عبد الرازق : معنا ها تهيأت لك
٦- قتادة : يقول بعضهم : هَلُمَّ لك
٧- أبو عمرو بن العلاء : هيت للواحد والاثنين والجمع من الذكر والأنثى سواء .
٨- أبو عمرو بن العلاء : هئت لك باطل لا يعرف هذا أحد من العرب .
٩- عن عبد الله بن مسعود : هَيْت لك
١٠- الأعمش : بالضم

ثم استدرك ابن حجر قائلاً " وقراءة ابن مسعود بكسر الهاء وبالضم وبالفتح بغير همز [١٠٢] ثم جاء بآراء كثيرة كذلك بالكسر، والهمز ، والسريانية ٠٠٠ الخ .

يتضح من هذا الاستدراك أنه لم يأت بجديد ، غير أنه ذكر القراءات الواردة عن ابن مسعود وهي : الرفع والنصب والكسر ، بما يوحي بجواز الإحلال الصوتي لهذه الصوائت في هذه القراءة .

والآراء السابقة ، التي تقرأ بالضم : أحيانا ، وبالكسر أحياناً أخرى ، وبالفتح تارة ثالثة ، وبالهمز تارة رابعة ، يربط علماء اللغة بين كل اختيار واللهجات ؛ فالبدو يختارون الحركات الأثقل ، والهمز ، والحضر يختارون الحركات الأخف ، وعدم الهمز ، وهذا تحقيقا للمناسبة بين اللهجة والقراءة والبيئة [١٠٣]

أما الموضع الثاني ففي استدراكه على قراءة (كسالى) ، ذكر قراءتين فيها ثم استدرك ، فالقراءتان اللتان ذكرهما قبل الاستدراك :

١- بفتح الكاف : كَسالى .
٢- بضم الكاف : كُسالى .

واستدراكه : " قلت : وهما قراءتان ؛ قرأ الجمهور بالضم ، وقرأ الأعرج بالفتح ، وهي لغة بني تميم ، وقرأ ابن السميفع بالفتح أيضا لكن بإسقاط الألف وسكون السين ؛ وصفهم بما يوصف به المؤنث المفرد لملاحظة معنى الجماعة ، وهو كما قرأ : وترى الناس سكرى " [١٠٤]

فالجمهور : بالضم : كُسالى .
والأعرج وتميم : بالفتح : كَسالى .
وابن السميفع : بالفتح مع إسقاط الألف وسكون السين : كَسْلى . فاختلاف القراءة هنا ناتج عن اختلاف موضع الصوائت ؛ إما صائت الفتح ، وإما صائت الضم ، بل بحذف صائت طويل وهو الألف، وحذف صائت قصير هو الفتح وإبداله بسكون ، كما قرأ ابن السميفع ٠

****

٢- إحالة القراءة

وهذا من بين محاور منهج ابن حجر الاستدراكي ؛ إذ يكتفي بإحالة القراءات الواردة ، أو بمعنى آخر بيان نسب هذه القراءات ، فهي ترد في الروايات دون ذكر نسبها ، ويتكفل ابن حجر بهذا الأمر ، وهذا المنهج ليس في القراءات فحسب ، بل في كثير من الظواهر الصوتية ، كما سبق أن أوضحنا . وهذا كثير جداً عند ابن حجر على كافة المستويات اللغوية ٠

مثال ذلك الآراء حول قوله تعالى :" وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا " [١٠٥]
"قال أبو عبيدة خلفك وخلافك سواء وهما لغتان وقرئ بهما . قلت : والقراءتان

مشهورتان ؛ فقرأ : خلفك ،الجمهور ، وقرأ:خلافك، ابن عامر " وهي رواية حفص عن عاصم . (١٠٦)

فالقراءتان لم يتم نسبهما ، لكن بالاستدراك وُجِدَ أن :

١- قراءة خَلْفَك ، تنسب إلى الجمهور .

٢- وقراءة خلافك ، تنسب إلى ابن عامر وحفص عن عاصم .

والفرق بين القراءتين صوتي ؛ اختلاف الصوائت الطويلة والقصيرة .

كما يلي :

خَلْفَك	خِلافك
- خَ : صائت الفتح القصير بالإحلال	- خِ : صائت الكسر القصير
- لْ : بحذف الصائت القصير	- لَ : بصائت الفتح القصير
- بدون المد الطويل	- بألف المد ، أي بالصائت

ومثال آخر قوله تعالى : " حمـ " (١٠٧)هناك آراء كثيرة حول المراد بها ، لكن من حيث القراءات : " عن معمر عن قتادة قال : (حمـ) اسم من أسماء القرآن ، وقال ابن القيم لعله يريد على قراءة عيسى بن عمر بفتح الحاء والميم الثانية من ميم • ويحتمل أن يكون عيسى فتح لالتقاء الساكنين قلت : والشاهد الذي أنشده يوافق قراءة عيسى ، وقال الطبري : الصواب من القراءة عندنا في جميع فواتح السور السكون لأنها حروف هجاء لا أسماء مسميات ... الخ (١٠٨)

فالاستدراك نسب القراءة بالفتح إلى عيسى ، وهذا الاستدراك أكد النسب فقط ، فقد ورد في الرواية أنها لعيسى ، غير أنه أضاف في هذا الاستدراك رأي الطبري بسكون الحرف ؛ أي بحذف الصائت ، وطالما أن الصائت القصير قد حذف فلا يبقى إلا السكون .

حَ / ميمَ (بحذف الصائت القصير الفتحة) حَ / ميمْ

ومن نماذج إحالته الاستدراكية، اختلاف القراءات حول قوله تعالى : " أفتمارونه على مايرى " (١٠٩)

جاء بقراءات متعددة منها :

١- أفتمرونه عن إبراهيم النخعي (قرأ بها إبراهيم)

٢- أفتمارونه (قرأ بها إبراهيم)

٣- وكذلك قرأ بها ابن مسعود ، وعامة قراء أهل الكوفة .

٤- أفتمارونه وقرأها الباقون وبعض الكوفيين .

أما استدراك ابن حجر فقوله : " قلت : قرأها من الكوفيين عاصم كالجمهور ، وقال الشعبي : كان شريح يقرأ : أفتمارونه ، ومسروق يقرأ : أفتمرونه .... " (١١٠)

فالرواية المستدرك عليها لم توضح القراء الكوفيين الذين آثروا قراءة (أفتمارونه) . أما الاستدراك فقد وضح ذلك بنسب هذه القراءة إلى عاصم .

ويبدو من الاستدراك أنه يكتفي بذكر صاحب القراءة ، دون تعليق على الفرق بين القراءات . والفرق واضح في التغييرات التي طرأت على الصوائت؛ فقراءة (أفتمرونه) بصائت قصير هو الفتحة ، وقراءة : أفتمارونه بصائت طويل هو الألف ، لكن الدلالة لم تختلف في القراءتين ، وهذا واضح في تعدد القراءات ، تختلف صوتيا، ونتيجة لذلك قد تختلف دلاليا، وقد لاتختلف .

ومن منهجه أحياناً أنه لا يكتفي بنسب القراءة فحسب ، بل يذكر السند كاملاً ، ومثال ذلك حين الاستدراك على الآية " كأنه جمالات صفر " (١١١)

- ابن التين : جمالات بكسر الجيم وقيال بالضم .
- ابن التين أيضا : عن الفراء الجمالات ما جمع من الحبال ، وعلى هذا يقرأ في الأصل بضم الجيم .

أما استدراك ابن حجر فهو: " قلت : هي قراءة نقلت عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وعن ابن عباس أيضا جمالة بالإفراد مضموم الأول أيضا " (١١٢)

فورد في الاستدراك عن ابن عباس قراءتان ، الأولى : جمالات بضم الجيم ، والجمع ، والصائت الطويل : ألف المد . والثانية : جمالة بضم الجيم ، والإفراد ، والصائت القصير الفتحة .

مع ملاحظة أن القراءات الواردة في الرواية المستدرك عليها غير مذكور سندها ، لكنه مذكور في الاستدراك .

وأحيانا يستدرك بالإحالة ، مع ذكر التغيرات الصوتية كما سبق في النموذج (جمالات) وكذلك في استدراكه على القراءات قي قوله تعالى " أإذا كنا عظاما نخرة " (١١٣)

- مجاهد : الناخرة والنخرة سواء مثل الطامع والطمع .
- أبو عبيدة : ناخرة ونخرة سواء .
- الفراء : مثله : هما قراءتان أجودهما (ناخرة) .
- ابن الزبير : ناخرة .

أما الاستدراك فهو : " قلت : قرأها (نخرة) بغير ألف جمهور القراء ، وبالألف الكوفيون... " (١١٤)

فإحدى القراءتين بالصوائت القصيرة (الفتحة) (نَخِرَة) والكسرة والفتحة . والثانية (ناخرة) بالصائت القصير الفتحة ، والصائت الطويل الألف ، والصائت القصير الكسرة ، ثم الصائت القصير الفتحة ، واكتفى ابن حجر بذكر زيادة الصائت الطويل الألف : وبالألف عند الكوفيين

وليست كل النماذج عبارة عن اختلاف في الصوائت القصيرة فقط ، بل ورد منها ما اختلف فيه عبر الصوامت ، وذلك حينما استدرك على الروايات الواردة في قراءة قوله تعالى : " لست عليهم بمسيطر " (١١٥)

- أبو عبيدة : لست عليهم بمسيطر .
- ابن القيم : يقرأ بالصاد والسين .

أما الاستدراك فقوله : " قلت : قراءة الجمهور بالصاد . وفي رواية عن ابن كثير بالسين ، وهي قراءة هشام " (١١٦)

فقد حدث الإبدال الصوتي بين الصاد والسين ، وهما صامتان إذ يغلق معهما مجرى الهواء جزئياً حين النطق بهما .

****

٣- توجيه القراءة دلالياً ، القراءة والدلالة

يستند ابن حجر في هذا المحور على الربط بين القراءات والدلالات الناتجة عن اختلافها ، وذلك إما بذكر آراء الآخرين في اختلاف الدلالة لاختلاف القراءة ، وإما بذكر رأيه هو في هذا الاختلاف .

وهذا المبحث يمثل جانباً من جوانب اتصال الأصوات بالدلالة إلى حد بعيد .

ومن نماذجه قوله تعالى : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح " (١١٧) "روى سعيد بن منصور بإسناد جيد عن ابن مسعود أنه قرأ القرح بالضم . قلت : وهي قراءة أهل الكوفة، وذكر أبو عبيد عن عائشة أنها قالت: أقرأها بالفتح لا بالضم ، قال الأخفش : القرح بالضم ، فالضمة لغة أهل الحجاز ، والفتح لغة غيرهم كالضَعف والضُعف ، وحكى الفراء أنه بالضم : الجرح ، وبالفتح : ألمه ، وقال الراغب : القرح بالفتح : أثر الجراحة ، وبالضم أثرها من داخل" (١١٨)

إذن توجيه هذه القراءة بالضم – في الاستدراك – أنها قراءة أهل الكوفة ، غير أن توجيهها الدلالي لم يكن من كلام ابن حجر ، إذ كان من كلام الفراء ، والراغب ؛ فالفراء يذكر أنه:

أ- بالضم ---- الجرح
ب – بالفتح ---- ألم الجرح

والراغب يذكر أنه :

أ- بالضم ----- أثر الجراحة من داخل
ب – بالفتح ---- أثر الجراحة

فاختلاف القراءة ناتج عن الإحلال الصوتي بين الضم والفتح ، ونتج عن هذا اختلاف في الدلالة ، فوجّهت قراءة الضم نحو دلالة ، وقراءة الفتح نحو دلالة أخرى .

غير أن الملاحظ أن الدلالتين تدوران في مجال دلالي واحد هو مجال (الجرح) وما يتعلق به من آلام أو آثار (١١٩)

ويلاحظ كذلك أن التوجيه الدلالي لم يكن ناتجاً عن كلام ابن حجر نفسه ، بل استند في هذا التوجيه على كلام كل من الفراء والراغب ، وهذا الاستناد في حد ذاته يشير إلى إدراك ابن حجر وجود ربط بين الصوت والدلالة .

وكذلك اعتمد في النموذج التالي ، على توجيه الدلالة لاختلاف القراءة ، على آراء الآخرين ، وذلك تعليقا على قوله تعالى : " لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون " (١٢٠) لكنه صدر آراء الآخرين برأيه موجزا .

- مجاهد قال معناها ـــــ منسيون .

- سعيد بن جبير : متروكون في النار منسيون فيها .

أما الاستدراك فقول ابن حجر : " وهذا كله على قراءة الجمهور بتخفيف الراء وفتحها ، وقرأ نافع بكسرها وهو من الإفراط ، وقرأها أبو جعفر بن القعقاع بفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة : أي مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الإساءة " (١٢١)

فالتوجيه لقراءة الجمهور الواردة في الرواية المستَدْرَك عليها ، وبهذا المعنى ، بتخفيف الراء وفتحها ، هذا كلام ابن حجر .

وأضاف مستدركا من خلال آراء الآخرين :

نافع : بالكسر ------- الإفراط

أبو جعفر : بفتح الفاء وتشديد الراء بالكسر ------ مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الإساءة .

فهناك إذن ثلاث روايات أو قراءات مختلفة ، نتج عنها أربعة معان :

١- منسيون . (مجاهد)
٢- متروكون في النار منسيون فيها (ابن جبير)
٣- الإفراط (نافع)
٤- مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الإساءة (أبو جعفر)

إذا الاستدراك في النموذج الأول استند على آراء الآخرين فقط .

والاستدراك في النموذج الثاني استند على رأيه إضافة إلى الآخرين .

واختلاف القراءات ناتج عن اختلاف حركة الصوائت القصيرة ، ونتج عنه اختلاف في الدلالة .

ويتضح منهج ابن حجر في الربط بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي من خلال المبحث التالي:

****

سابعا- العلاقة بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي

لقد أصبحت العلاقة بين المستويات اللغوية من الأمور المسلم بها في مجال البحث اللغوي المعاصر، بل كانت من المسلمات في تراثنا اللغوي ؛ فليس تعريف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) للغة بعيداً إذ يقول تحت باب (القول على اللغة وما هي) : " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [١٢٢] فقد ربط ربطا تاما بين الأصوات اللغوية ووظيفتها التعبيرية ، وما التعبير إلا دلالة مرادة من المتحدث أو الكاتب .

والمتأمل لأي استعمال لغوي منطوق أو مكتوب ، بل بالإشارة ، يجد أنه يحمل في طياته دلالة ، وإلا أصبح أصواتا خالية من مضمونها أو غير مفهومة فالصوت والدلالة ، أو الشكل والمعنى وجهان لعملة واحدة هي اللغة ، وقد تم بحث هذه القضية على مر العصور قديمها وحديثها بصورة تنأى بهذه الدراسة عن الخوض في معالمها ، ويكفي أن نشير إلى أن علماء اللغة قد نحتوا من المصطلحين :

- PHONETICS
- SEMANTICS

مصطلحا يجمع بينهما هو :

PHONOSEMANTICS

وذلك بعد دراسة المحاولات المتعددة لرصد ظواهر الربط بين هذين المستويين على وجه الخصوص ، بل عُد فرعا من علم اللغة الاجتماعي [١٢٣]

والمعنى يمثل أهم عناصر التحليل اللغوي ومستوياته ، بل يعد من أصعب المستويات اللغوية التي يصعب القول فيها بالكلمة النهائية ، غير أنه لا يمكن أن نغفل عن نتائج أصبحت الآن حقائق مرتبطة بدراسة المعنى ، منها الصلة بين المعنى وغيره من المستويات اللغوية ؛ فله علاقة بالأصوات ، والصرف ، والمعجم ، والنحو ·

أما عن استدراكات ابن حجر ، فإنها في الغالب تربط بين التغيرات الصوتية ، وما ينتج عنها من تغيرات دلالية ، وغالبا ما يكون التركيز على التغير في معنى الكلمة المفردة ، مما يكون له الأثر في فهم المعنى العام لنص الحديث أو الرواية .

من هذه النماذج : " قوله باب خروج النساء إلى البَراز ، أي الفضاء ... وهو بفتح الموحدة ثم راء وبعد الألف زاي ، قال الخطابي : أكثر الرواة يقولونه بكسر أوله وهو غلط لأن (البراز) بالكسر هو المبارزة في الحرب . قلت : بل هو موجه لأنه يطلق بالكسر على نفس الخارج ... وعلى هذا من فتح أراد الفضاء ، فإن أطلقه على الخارج فهو من إطلاق اسم المحل على الحال ... ومن كسر أراد نفس الخارج " [١٢٤]

فاختلاف دلالة الكلمة نتج عن اختلاف حركة الصائت القصير الفتحة أو الكسرة ، وقد جاء في اللسان ما يؤكد هذا الاختلاف الدلالي الناتج عن الاختلاف الصوتي ، " فالبَرازُ : بالفتح المكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع ... وقيل : الموضع الذي ليس به خَمَرٌ من شجر ولا غيره ... والبَراز بالفتح : اسم للفضاء الواسع فكنوا به عن قضاء الغائط ، كما كنوا عنه بالخلاء ... والبِراز : بالكسر وهو لفظ الجوهري كناية عن ثقل الغذاء .. " [١٢٥]وكذا في مختار الصحاح ، " البراز بالكسر: المبارزة في الحرب ٠٠ وهو كناية عن الغائط٠٠والبراز بالفتح: الفضاء الواسع٠٠ [١٢٦]

وفي نموذج آخر يوضح أثر الإبدال بين الأصوات الصامتة وأثره في تغير الدلالة " وقع في أكثر الروايات في هذا الأثر (فتابوا) من التوبة . ووقع في رواية الأصيلي والقابسي وعبدوس (فأبوا) بغير مثناة قبل الألف ، قال عياض : وهو وَهْمٌ مفسد للمعنى ، قلت : والذي يظهر لي أنه (فآبوا) بهمزة ممدودة ، وهي بمعنى (فرجعوا) فلا يفسد المعنى " [١٢٧]

فالإبدال واضح بين (تابوا) و (أبوا)

فمعنى تابوا ----- من التوبة

ومعنى آبوا ----- من الرجوع

ونرى أن هذا الإبدال بالفعل لا يفسد المعنى ، فالرجوع يعني الرجوع عن المعصية ، وهو معنى التوبة ، وكذلك التوبة هي الرجوع و الإقلاع عن المعصية ، ومن ثم يكون الشاهد عبارة عن اختلاف في اللفظ فقط واتفاق في المعنى ، فهو من باب الترادف . ونص الحديث يؤكد أن (آبوا) لا يفسد المعنى " ... فقام جرير والأشعث فقالا : بل استتبهم وكفلهم عشائرهم ، فتابوا وكفلهم عشائرهم "

فالشاهد في الاستدراك هو إدراك ابن حجر لهذا الاختلاف الصوتي ، بل اختياره الهمزة الممدودة ، وكذلك إدراكه أن ذلك الإبدال لم يفسد المعنى الوارد في نص الرواية .

وأحيانا يلجأ ابن حجر في استدراكه إلى السياق لتأكيد الدلالة من نفيها ، فالاختلاف الصوتي ؛ يؤدي إلى اختلاف في الدلالة . والسياق يكون الحكم على صحة الدلالة الناتجة من عدمها . ومثال ذلك : " قوله : أن مات بمكة ، هو بفتح الهمزة للتعليل ، وأغرب الداودي ... فقال : إن كان بالفتح ففيه دليل على أنه قيل له إنه يريد التخلف بعد الصدر ، فخشي عليه أن يدركه أجله بمكة . قلت : والمضبوط المحفوظ بالفتح ، لكن ليس فيه دلالة على أنه أقام بعد حجه ، لأن السياق يدل على أنه مات قبل الحج والله أعلم " [١٢٨]

فالرواية المختارة في الاستدراك بالفتح للدلالة على التعليل ، وأنه مات بعد الحج ، لكن السياق الذي رواه ابن حجر يدل على أنه مات قبل الحج . ومن هنا تعارض السياق مع الرواية المحفوظة أو المختارة ٠

وقد اكتفى ابن حجر بذكر هذا التناقض فقط بين الضبط الصوتي ودلالته من ناحية ، ودلالة السياق من ناحية أخرى ، ولعل في هذا إشارة ضمنية إلى أن الرواية المختارة بالفتح مرفوضة ، وأن المختار هو بالكسر لعدم تناقضه مع السياق .

وواضح أن الاختلاف الدلالي هنا ناتج عن اختلاف في الحركة ، أي في الصائت القصير ، أهو بالفتح أم بالكسر .

وأحياناً يربط بين الصوت والنحو والدلالة معاً ، ويستدرك بذكر آراء أخرى غير المذكورة في الرواية التي يستدرك عليها ؛ مثاله : " قوله – أي البخاري – راعنا من الرعونة إذا أرادوا أن يمحقوا إنساناً قالوا : راعنا. قلت – أي ابن حجر – هذا على قراءة من نون ، وهي قراءة الحسن البصري ، وأبي حيوه ، ووجهه ، أنها صفة لمصدر محذوف ، أي : لا تقولوا قولاً راعنا ، أي : قولاً ذا رعونة . وروى ابن أبي حاتم ... قال : الراعن : السخرى من القول نهاهم الله أن يسخروا من محمد ، ويحتمل أن يضمن القول التسمية ؛ أي : لا تسموا نبيكم راعناً ، الراعن الأحمق ، والأرعن مبالغة فيه ، وفي قراءة أبي بن كعب : لا تقولوا راعونا بالجمع ... وفي مصحف ابن مسعود : أرعونا . وقرأ الجمهور : راعنا ؛ بغير تنوين على أنه فعل أمر من المراعاة ، وإنما نهوا عن ذلك لأنها كلمة تقتضي المساواة .... " (١٢٩)

فالتنوين من عدمه مرتبطان بالأصوات ، والصفة للمصدر والفعل الماضي مرتبطان بالنحو . والدلالة هي ما ارتبطت بكل صورة من هاتين الصورتين ، أو من هذه الصور ، التنوين ، الأمر المفرد ، الأمر بصيغة الجمع ؛ حسب اختلاف القراءة .

ويلاحظ في الاستدراك :

١- ذكر آراء مختلفة غير مذكورة في الرواية المستدرك عليها .
٢- الاستناد في استدراكه على آراء الآخرين ، وعلى القراءات المختلفة .
٣- ذكره الدلالات الناتجة عن التغيرات الصوتية .
٤- اشتماله على الأصوات ، والنحو ، والدلالة ، والقراءات .

ولم تقف الصلة بين المستويات عند حد الأصوات والدلالة فحسب ، بل كثر في استدراكات ابن حجر الحديث عن النحو والدلالة والمعجم والدلالة كذلك .

****

الخاتمة

لعل هذه الدراسة في فكر ابن حجر اللغوي قد أسفرت عن كشف معالم منهجه الاستدراكي من ناحية ، وعن منهجه اللغوي من ناحية أخرى ، وهذا وذاك فيما يتعلق بالمستوى الصوتي • ثم وضع هذا الفكر تحت مجهر الدراسات اللغوية الحديثة• ولعل هذا البحث يفتح المجال للتنقيب عن فكر هذا الرجل فيم يخص المستويات اللغوية الأخرى؛ وذلك كي يتسنى وضع فكره اللغوي كاملاً في إطار عام•

وقد استطاع الباحث من خلال هذه الصفحات أن يصل إلى النتائج التالية :

- استدراكاته دائما ما تبدأ باستعمال الفعل الماضي (قلت) ؛ ليدل على أن ما يأتي من كلامه هو؛ فقد ورد هذا الاستعمال في (٢٨٨٩) موضعا من الكتاب • وغالبا ما يكون الاستدراك خاليا من استعمال الأدوات اللغوية الخاصة بالاستدراك • وقلما يتصدر الاستدراك بواحدة من هذه الأدوات ؛ مثل(لكن) و(ليس) •

- استناده في الاستدراك إلى أصول لغوية صحيحة اعتمدها اللغويون قديما وحديثا عند وضع قاعدة لغوية معينة ؛ من هذه الأصول التي اعتمد عليها ابن حجر:

١- استناده إلى الأكثر في الاستعمال •
٢- استناده إلى المشهور في الاستعمال•
٣- استناده إلى الرواة الثقاة دون غيرهم ؛ إذ يصرح هو بأنهم كذلك•
٤- استناده إلى الشواهد الشعرية متى لزم الأمر •
٥- توثيق الآراء التي يرجع إليها ؛ وذلك بذكر السند الكامل للرواية اللغوية ، أو بذكر صاحب الرواية فقط •
٦- ذكر روايات متعددة لتأكيد الرأي الذي يذهب إليه من خلال الاستدراك•
٧- استناده إلى الأصل في الاستعمال كسبب في ترجيحه رواية دون أخرى ، أو رأي دون آخر •
٨- استعمال مبدأ القياس على الأمثلة الأخرى ؛ وذلك للترجيح أيضا •

- إدراكه الصلة بين المستويات اللغوية المتعددة ؛ وفيما يخص البحث الذي بين أيدينا إدراكه العلاقة بين:

أ- الأصوات والدلالة•
ب-الأصوات والنحو والدلالة•

إذ يشير إلى أن كل تغير في الصوت يؤدي إلى تغير في الدلالة•

- إدراكه أهمية السياق في توجيه الدلالة•
- كما أن هناك استدراكاً صريحا،وهو الأغلب، فإن هناك كذلك استركا يمكن أن نسميه ب(الاستدراك الضمني)؛ بعدم ذكر رأيه صراحة؛ بل بذكر روايات تتفق مع رأي ما ، يوحي بذلك إلى أخذه بهذا الرأي•

- إدراكه معظم الظواهر الصوتية التي تناولها علم الأصوات الحديث؛ مثل: حذف الأصوات ، وزيادة الأصوات؛ حتى أدرك أدق أنواع الزيادة مثل زيادة الغنة· وكذا اختلاف الصوائت ، وصلة هذا بالدلالة · والإظهار، والإبدال، والصوائت القصيرة·

- يمكننا إضافة ما يمكن أن نسميه ب(الاستدراك التحليلي) ؛ وذلك بأن ابن حجر كان يناقش الآراء السابقة، ويحللها ، وينقدها ، بل يضيف إليها ، ويرفض بعضها ؛ فقد أضاف – على سبيل المثال- عدداً من الاحتمالات الضبطية لكلمة(أف) ، بما يمكن إدراجه تحت الإحلال الصوتي ؛ طبقا للدراسات اللغوية الحديثة· وكذا يشمل الاستدراك التحليلي القياس والنقد والاستشهاد بالشعر ···إلخ · بل يستند في تحليله أحيانا إلى العلل الكتابية في رفض رأي أو تأييده·

- وهناك أيضا ما يمكن أن نسميه ب(الاستدراك الوصفي) ؛ إذ يكتفي بوصف ما حدث في بنية الكلمة من الناحية الصوتية دون إضافة أو حذف أونقد أو تعليق···إلخ·

- ومع هذا التحليل اللغوي ، والمنهج الاستدراكي، فإن الباحث يلاحظ عدة جوانب غير موافقة لمنهج الاستدراك اللغوي ؛ منها:

أ- استدراكه أحيانا باختيار رأي ما من الآراء السابقة دون ذكر مسوغات لهذا الاختيار ·

ب- اشتمال الاستدراك على تغليط لبعض الآراء بالتصريح ببعض الألفاظ الدالة على هذا التغليط ؛ مثل قوله: وهذا غلط محض·

ج- قد يفوته أحيانا القياس على الأكثر ؛ فيقيس على الأقل ·

- الإحالات عند ابن حجر متنوعة ؛ فقد تكون بالتوثيق الكامل للرواية اللغوية ، وقد تكون بذكر صاحب الرواية فقط ، وقد يخلو الاستدراك تماما من ذكر صاحب الرواية·

الهوامش

(1) لقد أفدت كثيراً من الأبحاث المنشورة على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) ؛ إذ تشتمل على كمٍّ هائل من الأبحاث المتعلقة بعلم اللغة عامة، وعلم الأصوات خاصة.

(2) انظر التفصيل: ١- الضوء اللامع ، للسخاوي ٣٦/٢- ٤٠ . ٢- الأعلام ، للزركلي، ١٧٨/١. ٣- أعظم عظماء المسلمين من كل قرن، لمؤلفه: أحمد معمور لاحق ، ٤٣٠- ٤٣٤

(3) سوف نفرد مبحثاً خاصاً للعلاقة بين المستوى الصوتي والدلالي وفق وجهة نظر ابن حجر آخر البحث.

(4) د. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص٢٦
وانظر اهتمام القدماء بالدرس الصوتي:
أ- د.محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، مصر ١٩٩٢، ص٩٣: ص٩٦.
ب- د. كمال بشر: علم الأصوات، ص٤٢٢ وما بعدها.
ج - د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، كمكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٩٥.
د- د. عبيد الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية.

(5) وقد تحذف الحركات أيضاً من الكلمة نحو قوله: فاليوم أشرح غير مستعب، وقوله: إذا اعوججن قلت صاحب..الخ، ابن جنى، الخصائص، ٣١٧/٢
انظر د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص١٥٦ وما بعدها.

(6) السابق، ص١٧٧- ٢٢٨

(7) السابق، ص٢٥٣-٢٦٢

(8) السابق، ص٩ وما بعدها

(9) هذا وقد ورد الحديث عن ظاهرة الحذف في هذا الشرح على المستويات المتعددة في أربعة مائة وثلاثة وثلاثين موضعاً حسب الإحصاءات التي قمت بالحصول عليها.

(10) سورة القلم، آية ١٤

(11) فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، ج٥ ، ص٣٦ . ونص رواية الحديث كاملاً ارجع إلى : صحيح البخاري ، لمحمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، باب سكر الأنهار ، ٨٣٢/٢ ، حديث رقم ٢٢٣١

(12) السابق .

(13) الأنباري (ت ٥٧٧): الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ، (د.ت) ، ٦١٧/٢ ، وانظر: ابن هشام (ت ٧٦١): مغنى اللبيب، دار الفكر، دمشق، ط١٩٨٥،٦، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، ٢٠/١ وانظر د. طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص٢٤٣ حيث يذكر الهمزة بتخصيص من بين سائر أدوات الاستفهام بجواز حذفها.
وانظر د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧١، ص٢٥-٢٦.

(14) د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ص٧٥ وما بعدها.

(15) السابق، ص٧٦.

(16) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٩٥، ص٧٦ وما بعدها.

(17) ابن جنى(٣٩٢هـ) الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ،عالم الكتب ، بيروت ، د.ت ٢٨١/٢ وخصص هذا الباب كله تحت عنوان (باب في زيادة الحروف وحذفها).

(18) فتح الباري ، ١٨٥/٦ . وانظر الحديث رقم ٢٩٠٧ في صحيح البخاري ، ١١١٨/٣.

(19) ويجوز أن يكون حذف الحرف في أول السطر كما أثبت هذا ابن هشام بقوله : "ويجوز حذف الحرف نحو: يوسف أعرض عن هذا" وسنفرغ لكم أيها الثقلان . و" أن أدوا إليَّ عباد الله " إلا في ثماني مسائل ... انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) دار الجيل ، بيروت ، ط٥، ١٩٧٩ ، ١١/٤ .

ومن الحذف أواخر الكلمة " فلْ وفلة.. وإنما ذلك بمعنى فلان وفلانة... ،أنه حذف الألف والنون... السابق ٤٣/٤. والحذف آخر المنادي ترخيماً ٥٥/٤. ومن أمثلة الحذف أواخر الكلم "ومن فوقهم غواش" و " والفجر وليال عشر "

السابق ١١٧/٤ · وثبت كذلك في الخصائص : " وأما قراءة من قرأ وكذلك نُجّي المؤمنين" ، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ونصب المفعول الصريح لأنه عندنا في قول الله سبحانه : " تذكّرون " أي تتذكرون .. انظر ابن جنى : الخصائص ٣٩٨/١، وانظر حذف الحرف ، المصدر نفسه ١١٠/٢، ٢١١ ، ٢٢٣، ٢٣٣ .

وباب كامل تحت عنوان " باب في زيادة الحروف وحذفها " ٢٧٣/٢ .

(٢٠) فتح الباري ، ٣٤٢/٦

(٢١) السابق ، ٢٨٤/٧

(٢٢) سورة البقرة، آية ١٨٦

(٢٣)

(٢٤) سورة الزلزلة، آية ١ .

(٢٥) سورة النصر، آية ١ .

(٢٦) فتح الباري ، ٤٣٩/٧

(٢٧) فتح الباري ، ٤٦/١١

(٢٨) السابق ٤٥/١١ . ونص الحديث " عن جابر قال : سلم ناس من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم . قال : وعليكم ، قالت عائشة وغضبت : ألم تسمع ماقالوا؟! قال: بلى قد رددت عليهم فنجاب عليهم ولا يجابون فينا" أخرجه مسلم والبخاري .. السابق ٤٥/١١

(٢٩) سورة

(٣٠) فتح الباري ، ٦١٢/٨

(٣١) د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧ ، ص١٣٥ وما بعدها .

وانظر أمثلة التخفيف كذلك ، ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ط١ ، ٧٧/١ .

(٣٢) السابق ، ص١٣٥

(٣٣) انظر أ- أبو البركات الأنباري : أسرار العربية ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ٢٨٠/١-٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

ب- السيوطي : همع الهوامع ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ، مصر ، ٤٥/١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٢١/٢ ، ٥١٧/٣ ، ٥٢١ ، وليست الأمور قاصرة على التخفيف لكثرة الاستعمال فقط ، بل قد تكون الإمالة لكثرة الاستعمال ، وقد يكون الحذف لكثرة الاستعمال وهكذا .

وقد جعل د. حمودة كثرة الاستعمال أول سبب من أسباب الحذف ، انظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص٢٩ وما بعدها .

(٣٤) انظر - DAVIED CRYSTAL,THE CAMBREDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS,NEW YOURK, 1987,P.95. وانظر: د. عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر · وانظر ابن جنى : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، حيث خصص باباً في شجاعة العربية تناول فيه قضايا الحذف والزيادة وإعادة الترتيب والحمل على المعنى ..الخ ٣٦٠/٢ ومابعدها .

وقد أفرد ابن عصفور الإشبيلي (٥٩٧-٦٦٩هـ) جزءاً كبيراً من كتابه الممتع في التصريف للحديث عن الزيادات المتعلقة بالأبنية الصرفية ، فجعل القسم الأول من التصريف باب تبيين الحروف الزوائد ٣٩/١ ومابعدها ، ثم حروف الزيادة ومواضعها ٢١١/١ ومابعدها ثم أحكام حروف العلة الزوائد ٥٩٧/٢-٦١٢ ... وهكذا .

ابن عصفور الإشبيلي : الممتع في التصريف ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م

(٣٥) ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النشر ، القاهرة ، ط١١ ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٩٣م ، ص٢٢٥-٢٢٦ . ت/٢- وانظر : مغنى اللبيب ، تحقيق مازن المبارك ، ومحمد على حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط٦، ١٩٨٥ ، ١٢٥/١ ، حيث الإشارة إلى زيادة (أ ل) . والحديث عن زيادة الفاء في خبر المبتدأ ١٣٢/١ ، وزيادة الباء ١٣٩/١ ، ١٤٥ ، وزيادة الواو ١٧٤/١ ، واللام ٢٠٦/١ ، وانظر ١٥٩ ص٢٣٨ حيث ذهب إلى أن زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة . وانظر ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، تحقيق

د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ط١ ، ١٩٨٥ ، حيث تناول زيادة الحروف كلها بالترتيب : الهمزة ١٠٧/١ ، الباء ١٢٢/١ ، التاء ١٥٧ ، والفاء ٢٦٨/١ ، والكاف ٢٩١/١ ، واللام ٣٢٢ ، والنون ٣٢٤ ، ٤٤٤/٢ ، ٤٤٦ ، والهاء ٥٦٣/٢ ، والواو والياء ٥٦٦/٢ ، والألف ٦٨٧/٢ .

(٣٦) أبو البركات الأنباري : أسرار العربية ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ط١ ، ص٦٣ . وكذلك تحدث عن زيادة الحروف ، مثل زيادة حروف المد واللين : الواو والياء والألف ، وزيادة الهمزة لأنها تقوم مقام الألف . ص١٢٠-١٢١

(٣٧) السابق ص ٣٦٣

(٣٨) السابق نفسه بتصرف

(٣٩) فتح الباري ، ٢٨٤/١

(٤٠) السابق ٤٧٠/٤

(٤١) انظر في زيادة الهمزة : سر صناعة الإعراب لابن جني ، ١٠٧/١-١١٨

(٤٢) تناقش هذه القضية في المبحث الخاص بالعلاقة بين الصوت والدلالة .

(٤٣) وردت المواضع التي استدرك فيها ابن حجر على غيره باختيار حركة ضبط قد تكون مخالفة أو مؤيدة لغيره كثيراً منها : ٥٢٦/١ ، ٣٧٧/٢ ، ٢٥٤/٣-٤٠٠ ، ٤٩١/٤ ، ٣٢٧/٥ ، ٤/٦ ، ٤٢٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٧/٧ ، ٥١٦/٩ ، ٦١٧ ، ١٠٨/١٠ ، ٢٨١ ، ٤٦٠ ، ٦٨/١١ ، ١٢٦/١٢ .

(٤٤) انظر : J.Richards, J.Plattand H. Weber, Longman Dictionary of applied Linguistics, Longman Group UK Limited,England, 1987,p.214

- David Crystal, Adictionary of linguistics and phonetics, Oxford,UK,1987,pp.228-229

ويعرف كريستال في موسوعته الفونيم بأنه "أصغر وحدة مقارنة في النظام الصوتي للغة" pp,160,427

(٤٥) David Crystal, Ibid,p,9

(٤٦) للتفصيل انظر د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص١٥ وما بعدها .

(٤٧) ابن عصفور الإشبيلي (٦٦٩هـ) الممتع في التصريف ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ٣١٧/١ : ٤١٤

(٤٨) فتح الباري ٥٢٦/١

(٤٩) السابق ٢٥٤/٣ . وقد أورد رأيا لابن حبيب رابطا فيه بين اختلاف الضبط واختلاف الدلالة : " وقال ابن حبيب : هو بالكسر الصديد ، وبالفتح التمهل ، وبالضم عكر الزيت ..." السابق ٢٥٤/٣

أي : المِهل ____ الصديد

و : المَهل ____ التمهل

و : المُهل ____ عكر الزيت

(٥٠) فتح الباري ، ٤٠٠/٣

(٥١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة لبَد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ . وقد جاء ابن منظور بروايات ضبطية أخرى للكلمة لم يتحدث عنها ابن حجر .

ويلاحظ هنا إصرار ابن حجر على إثبات الروايات التي فيها صلة بين المستويين الصوتي والدلالي ، حيث ذكر في بقية الرواية ارتباط الإحلال الصوتي بالدلالة .

(٥٢) فتح الباري ، ٤٩١/٤ . وذكر في استدراكه تأويلات نحوية للإضافة أو التنوين وناقشها

(٥٣) فتح الباري ، ٣٢٧/٥

(٥٤) ورد في لسان العرب لفظ (سيبويه) ١٥٢٥ مرة بالهاء ولم يرد بالتاء . وورد (نفطويه) سبع مرات كذلك بالهاء فقط دون التاء . وورد اسم (خالويه) مسبوقاً بـ (ابن) ١٧٥ مرة بالهاء دون التاء .

(٥٥) سورة القصص ، آية ١٩

(٥٦) سورة الدخان ، آية ١٦

(٥٧) فتح الباري ٤٢٥/٦ .

(٥٨) سورة الإسراء ، آية ٥٥

(٥٩) فتح الباري ٦/٤٥٤ .

(٦٠) فتح الباري ، ٧/٤٦٧

(٦١) وقد أردف الكلام بتعليق لابن القيم رابطا بين الاشتقاق والدلالة :
جاهد ------- على وزن فاعل -------- معناه يرتكب المشقة .
مجاهد ------ على وزن مفاعل ------- معناه مجاهد لأعداء الله .

(٦٢) فتح الباري ، ٩/٥١٦ .

(٦٣) فتح الباري ، ٩/٦١٧

(٦٤) سورة الشعراء،آية ٨٠

(٦٥) فتح الباري ، ١٠/١٠٨

(٦٦) وتلاحظ كذلك الصلة بين الإحلال الصوتي ، والدلالة النحوية ، والمعنى ؛ فبالكسر يكون الفاعل مباشرة هو الله تعالى ، وبالفتح يُبنى الفعل للمجهول وذلك تنزيها عن نسبة الإصابة إلى الله ، وكذا بالفتح يكون الأدب مع الله تعالى

(٦٧) فتح الباري ، ١٠/٤٦٠ وانظر شاهداً آخر على اختلاف الضبط ١١/٦٨ .

(٦٨) تحدث عن الإدغام وفك الإدغام في عدة مواضع من " الفتح " لكنها كانت مجرد روايات عن الآخرين دون استدراك ، وهذا كثير في الظواهر – موضوع البحث – كلها ، روايات لهذه الظواهر دون ذكر رأيه أو دون استدراك ومن أمثلة فك الإدغام مثلاً : " قوله : فقال : اللهم أحبَّه ، بفتح أوله ، بلفظ الدعاء وفي رواية الكشميهني : "أحببه " بفك الإدغام . زاد مسلم : عن ابن أبي عمر : فقال : اللهم أني أحبه فأحبَّه " فتح الباري ، ٤/٣٤٢ . حيث ذكر الظاهرة – فك الإدغام – وذكر الآراء أو الروايات المختلفة فيها ، دون استدراك برأيه .
والباحث يعد هذا نوعاً من الاستدراك؛ وذلك بأنه لم يكتف برواية واحدة ، بل يأتي بروايات أخرى ، إما مؤيدة ، أو رافضة ، وهذا كثير جداً في فتح الباري وانظر المواضع الأخرى التي تحدث فيها عن الإدغام : ١/٤٠٤ ، ٥/١٤٩ ، ٩/٣٦٨ ، ١٠/٣٧٦ ، ١١/٥١٩ ، ١٢/٢٦٩ . وكذلك : ٢/١٦ ، ٢٩٩ ، ٢٨٩ ، ٨/٤٠٨ ، ٤٢٨ ، ٦١٨ . ولم يستدرك بذكر رأيه مستقلاً إلا في موضع واحد : ٤/ ٣٣

(٦٩) - DAVIED CRYSTAL,THE CAMBREDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE,P164

- ADICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS,P.25

- J. RICHARDS , J.PLATT, H.WEBER, LONGMAN DICTIONARY OF APPLIED LINGUISTICS, P.19

- د. ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص ٧٠ وما بعدها
- د. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص ١٢٦

(٧٠) Wouter Jansen: Dutch regressive voicing assimilation as a symmetric coarticulation process: a coustic evidence , university of Groningen, November,5,2002. مقال من الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ،وعنوان الموقع: WWW.letLidenuniv.nl/ulcl/faculty/vdweljer/dvoice/Jansen.pdf.

(٧١) Daan Wissing and Justus Roux: voic assimilation in Tswana Afrikaans: a phonetic solution for a phonological problem. مقال من الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ، وعنوان الموقع : WWW.UMD.AC.ZA/UMD/LING/ ARCHIVE/WISS-01.HTML وتاريخ العودة إلى الموقع : ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٤

(٧٢) ويبين الزجاج هذا بقوله تعليقاً على قوله تعالى : " وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم " آل عمران /٤٩ . بقوله : " وإنما قيل : تدّخرون ، وأصله : تذتخرون ، أي : تفتعلون من الذّخر ، لأن الدال حرف مجهور والتاء مهموسة ، فابدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها ، وهو الدال ، فصار : تذدخرون ، ثم أدغمت الذال في الدال ، وهذا أصل الإدغام ، أن تدغم الأول في الثاني . انظر : الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل شلبي ، بيرون ، ١٩٧٣ ، ٤١٩/١ . وانظر تفاصيل التأثر المقبل والمدبر : د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي ، ٢٩-٤٨ ، والمخالفة ، بوصفها نوعاً من التأثر ص ٥٧-٧٥

إذن أصل : ادّخر هو :

اذتخر ---- ثم ---- اذدخر ---- ثم --- اددخر --- ثم ---- ادّخر

(٧٣) فتح الباري ، ٣٣/٤

(٧٤) انظر : د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٥٧ وما بعدها. إذ نقل أمثلة كثيرة لتأثر الحروف ببعضها عن طريق المخالفة بالإبدال .

(٧٥) انظر تفاصيل الحديث عن الإبدال بأنواعه وتفاصيله ، الأبواب التالية من : سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، (د.ت) .

- ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت)
- ابن جني : سر صناعة الإعراب ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٥ ، تحقيق د. حسن هنداوي .

أبوابه عند سيبويه

١- باب حروف البدل
٢- باب ما تقلب فيه الواو ياء وذلك إذا سكنت وقبلها كسرة
٣- باب ما تقلب الواو فيه ياء لا لياء قبلها ساكنة لكن لسكونها وبعدها ياء
٤- باب ما تقلب فيه الياء واواً
٥- باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة
٦- باب ما تقلب فيه الياء واواً
٧- باب ما تقلب فيه الياء واواً ليفصل بين الصفة والاسم
٨- باب ما إذا التقت فيه الهمزة والياء قلبت الهمزة ياء والياء ألفاً ٣٩٠/٤
٩- باب ما يلزم الواو فيه بدل الياء ٣٩٣/٤ وما بعدها
١٠- باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد ٤٢٤/٤ وما بعدها
١١- باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه ٤٧٧/٤ وما بعدها .
١٢- باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات ٤٧٩/٤ وما بعدها

بل ذكر الإبدال في غير العربية

- باب اطراد الإبدال في الفارسية

أبوابه عند ابن جني في الخصائص

١- باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه ٨٢/٢
٢- باب في حذف الهمزة وإبدالها ١٥٢/٣ (الإبدال مثل بليس وبنس) قال أبدل الهمزة ياء .

أبوابه في سر صناعة الإعراب لابن جني

(١) إبدال الهاء من الهمزة
(٢) إبدال الهاء من الألف
(٣) إبدال الهاء من الياء
(٤) إبدال الهاء من الواو
(٥) إبدال الهاء من التاء
(٦) إبدال الواو من الألف
(٧) إبدال الواو من الياء
(٨) إبدال الألف عن الهمزة والياء والواو والنون

إبدال الياء من الواو والهمزة والهاء والسين والياء والراء والنون واللام والصاد والضاد والميم والدال والعين والكاف والتاء والثاء والجيم .

(٧٦) ابن حجر : فتح الباري ، ٢٢٥/٤. وقد وردت مادة (نفه) ومشتقاتها في لسان العرب بمعنى : الكالّ المعيي من الإبل وغيرها. انظر :مادة (نفه). غير أن الجذر المعجمي بعد الإبدال (نثه) غير موجود باللسان . وقد ورد الإبدال الثاني (نهك) باللسان بمعنى : الإجهاد والغلبة . انظر مادة (نهك) . لسان العرب لابن منظور ، دار صادر

، بيروت ، الطبعة الأولى، (د.ت)، مادتا : نفه ، ونهك . وقد وردت مادة (نفه) في النهاية في غريب الحديث بمعنى الإعياء والكلّ، ٩٥/٥ . ولم نعثر على الجذر (نثه) فيه . ولا في الغريب لابن قتيبة ، ولا الغريب لابن سلام . ولا الغريب للخطابي . بل ورد (نفه) بالمعنى السابق في الغريب لابن سلام ، ٢١/١ .

(٧٧) هذا إضافة إلى أن الإبدال في الغالب لا يغير المعنى ، لكن الإبدال هنا غير المعنى ، أو أخفى المعنى ، فـ (نفه) ذات معنى ، بينما (نثه) لم نجد لها معنى . ومن ثم لا نؤمن بوقوع الإبدال في مثل هذا الشاهد لأن كل الأسباب تحول دون وقوعه .

(٧٨) فتح الباري : ٣٤٠/٩

(٧٩) إذ ذكر صاحب الخصائص أن هذا الباب غور من العربية بحق ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني ... فمن تذكير المؤنث قوله :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

ومنه قوله عز وجل : " فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي " وكذلك " فمن جاءه موعظة من ربه " لأن الموعظة والوعظ واحد . وكذلك قالوا في قوله سبحانه" إن رحمة الله قريب من المحسنين " إنه أراد بالرحمة هنا المطر ويجوز أن يكون التذكير هنا إنما هو لأجل فعيل على قوله :

(بأعين أعداء وهن صديق) وقوله (ولا عفراء منك قريب) ...

انظر خصائص ابن جنى ، ٤١١/٢-٤١٢ وما بعدها . ويقول : " وتذكير المؤنث واسع جداً لأنه رد فرع إلى أصل ، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب " السابق ، ٤١٥/٢ .

ونرى أن الإبدال هنا جائز من وجه آخر ، وهو أن كلمة (الأهل) تطلق ويراد بها كل من في البيت من ذكور وإناث ، ولذا حينما يكون اللفظ بالميم فهو للتغليب . وقد ذكر صاحب مختار الصحاح أن (الأهل) : " أهل الرجل وأهل الدار " مختار الصحاح ، مادة أهل ، ١٣/١ . انظر : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، تحقيق محمود خاطر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ص١٣

(٨٠) فتح الباري ، ٦/ ٥٢٣ . وهناك مواضع أخرى ذكر فيها الإبدال ، لكن دون استدراك منه ، انظر على سبيل المثال : ٣٩٤/٦ ، ٥٢٣ ، ٦٠٩ ، ٢٨٤/٧ ، ٣٩/٨ ، ٣٤٢ ، ٢٧٣/٩ ، ٢٨٨/١٣ .

(٨١) نفسه

(٨٢) Longman Dictionary of applied Linguistics , p. 309

(٨٣) Ibid,p.310

(٨٤) Ibid

(٨٥) Ibid

(٨٦) من الشبكة العالمية للمعلومات ؛ تحت عنوان : Cambridge Dictionaries online, Cambridge University press، 2002 وعنوان الموقع : http://dictionary.cambridge.org/help/phonetics.htm وتاريخ العودة إليه: ٢٠٠٥/١/١٥

(٨٧) (A) Peter Roach, A little Encyclopedia of phonetics, University of reading, UK,2002 . موقع على الشبكة العالمية للمعلومات، وعنوانه http://www.personal.reading.ac.uk/~11sroach/peter/: وتاريخ العودة إليه ٢٠٠٥/١/١٥

(٨٨) من هذه المواضع :

٥٢٦/١، ٢٥٤/٣، ٤٠٠، ٤٩١/٤، ١٠٤/٦ ، ٤٢٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٧/٧ ، ٥١٦/٩ ، ٦١٧ ، ١٠٨/١٠ ، ٤٦٠ ، ٦٨/١١ . بل يستعمل كذلك للاستدراك تعبير (ضبطناه) باختيار ضبط معين حسب ما يرى هو ، وجاء ذلك في واحد وثلاثين موضعاً منها : ١٤١/١ ، ٣٩٨، ١٦٥، ١٧٦، ٥١٨، ١٣٦/٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٩٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ، ١١٧/٣ ، ٤٠٠ ، ٩/٤ ، ٣٣ ، ٣٩/٥ ، ٥٠٢/٦ ، ٣٧/٨ ، ١٤٧، ١٧٢/٩ ، ٢٩٧/١٠ ، ٥٠٥ ، ٥١٩ ، ٥٤/١١ ، ٣٤٥ ، ٣٩٣ ، ٤٥٧ ، ٣٥٠/١٢ ، ٢٥/١٣ ، ٤٧ .

(٨٩) فتح الباري ، ٥٢٦/١ .

(٩٠) فتح الباري ، ٢٥٤/٣ . وانظر في معنى الإحلال REPLACE MENT:
DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS , P.236
مادة : REPLACIVE
(٩١) فتح الباري ، ٤٠٠/٣ . وفي مختار الصحاح : " ... والتلبيد أن يجعل المحرم في رأسه شيئاً من صمغ ليتلبد شعره لقيا عليه لئلا يشعث في الإحرام " مادة : ل ب د .
(٩٢) فتح الباري ، ٤٩١/٤
(٩٣) فتح الباري ، ٥١٦/٩
(٩٤) السابق ، ١٠٤/٦ . وقد ورد ذكر (بابكَ الخُرَّمي) في اللسان بنص : " والبَذُّ : موضع ، أراه أعجميا ... واسم كُورَةٍ من كُوَر بابكَ الخرمي " لسان العرب ، مادة بَذَّ .

(٩٥) فتح الباري ، ٤٢٥/٦ . وشاهد آخر على إحالة القراءة : ٤٥٤/٦ .

(٩٦) فتح الباري ، ٦١٧/٩ . وانظر : ٦٨/١١ ، حيث استند إلى رواية (وسَط) بفتح السين ، لا بسكونها ، لأنه ورد في الرواية المستدرك عليها : " والذي في اللغة المشهورة بفتحها " أي فتح السين . واستدرك قائلاً : " وهذا مما يرجح الرواية بالتحريك ولا يمنع السكون " فالراجح أولاً : التحريك ، ثم إمكانية السكون في المرتبة الثانية .

(٩٧) السابق ، ٤٦٧/٧ .
(٩٨) فتح الباري ، ١٠٨/١٠

(٩٩) فتح الباري ، ٤٦٠/١٠
(١٠٠) انظر للتفصيل على سبيل المثال :
- المحتسب لابن جنى
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري
- الخصائص لابن جنى
- اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي

(١٠١) سورة يوسف ، آية
(١٠٢) فتح الباري ، ٣٦٤/٨

(١٠٣) انظرفي ذلك :
أ- د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط٩، ١٩٩٥،ص ٦٠-٨٠ .
ب- د. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٩٨ ، ص ٩٧ ــ ١٢٥ .

(١٠٤) فتح الباري ، ١٧٨/١١ .

(١٠٥) سورة : الإسراء ،آية : ٧٦

(١٠٦) فتح الباري ، ٣٩٣/٨

(١٠٧) سورة :غافر،آية : ١

(١٠٨) فتح الباري ، ٥٥٤/٨ .

(١٠٩) سورة : النجم،آية : ١٢

(١١٠) فتح الباري ، ٦٠٥/٨ .

(١١١) سورة :المرسلات ،آية :٣٣

(١١٢) فتح الباري ، ٦٨٦/٨ .
(١١٣) سورة : النازعات، آية : ١١

(١١٤) فتح الباري ، ٦٩٠/٨ . وهناك مواضع : أخرى استدرك فيها ابن حجر مكتفياً بالإحالة أو النسب للقراءة فقط ، منها ، ٦٩٥/٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣٨ ، ٨٠/٩ ، ٢١٦/١٣ .
(١١٥) سورة : الغاشية،آية : ٢٢

(١١٦) فتح الباري ، ٧٠١/٨

(١١٧) سورة :آل عمران،آية : ١٧٢

(١١٨) فتح الباري ، ٢٢٨/٨

(١١٩) فقد وردت في مختار الصحاح هاتان اللغتان ، الفتح والضم ، في (القرح) ، بالفتح ، الجراح ، وبالضم ألم الجراح ، وقرحه : أي جرحه ، انظر مختار الصحاح ، مادة : قَرَحَ ، ٢٢٠/١ ، وانظر نموذجاً مماثلاً لهذا النموذج في فتح الباري . توجيه القراءات الواردة حول قوله تعالى :" ما ننسخ من آية أو ننسها " ١٦٧/٨ ، ٨٦/٩

(١٢٠) سورة : النحل، آية : ٦٢

(١٢١) فتح الباري ، ٨/ ٣٨٥.

(١٢٢) ابن جني : الخصائص ، ٣٣/١

(١٢٣) انظر قضايا هذا المصطلح وتاريخ نشأته : - MARGARET MAGNUS ,OVERVIEW OF THE PHONOSEMANTICS LITERATURE, UNIVERSITY OF TRONDHEIM.
وموقعه على شبكة المعلومات :HTTP://WWW.CONKNET.COM
وتاريخ العودة إليه : ٢٠٠٥/١/٢٣م. HTTP://WWW.TRISMEGISTOS.COM
وانظر قضية الصلة بين اللفظ والمعنى :
أ- د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨، ص١٣
ب- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ ، ص٢٢وما بعدها .
ج- د. فايز الداية : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢، ١٩٩٦ ، ص٣٠ .
إضافة إلى اسهام علماء الأصول والبلاغة والفلسفة وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم ، وذلك لأن الصوت والدلالة ، يمثلان قاسماً مشتركاً بين هذه العلوم .
وانظر كتب علم اللغة الحديث التي تمثل مقدمات لدراسة علم اللغة من خلال المستويات اللغوية منها :
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ،دار المعارف، مصر ،الطبعة الأولى،١٩٦٢
- مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود حجازي ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،مصر، ١٩٩١
- المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي،القاهرة،الطبعة الثانية،١٩٨٥ .
وغيرهم .
وهناك أبحاث خاصة تناولت الصلة بين مستويين فقط مثل :
- النحو والدلالة ، د. محمد حماسة عبد اللطيف .
- بحث بعنوان : مقومات الدلالة النحوية ، قراءة في بعض الخصائص ، د. رشيد بلحبيب ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الإمارات العربية المتحدة ، على شبكة المعلومات (الانترنت) وعنوان الموقع :
HTTP://WWW.FACULTY.UAEU.AC.AE/RACHID/RESEARCH/MAKAWIMAT .HTM
بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤م.
- وأبحاث تطبيقية للعلاقة بين المستويات مثل :
- أسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط١، ١٩٩٧.

وانظر : - محمد عابد الجابري : اللفظ والمعنى في البيان العربي ، مجلة فصول ، ١٩٨٥/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ص٢١-٥٥

- د. سعيد بحيري : ملاحظات حول مسألة العلاقة بين الكم والنبر في الشعر العربي ، فصول ، ١٩٨٦/٣ ، الهيئة المصرية العالمة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ص١٩٦ ، حيث الحديث عن التغيرات الصوتية الناتجة عن الزحافات العروضية في الشعر ، وصلة ذلك بالدلالة الناتجة ، وذلك من خلال الصلة بين المبدع والمتلقي .

- د. سعد مصلوح : المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي ، فصول ، ١٩٨٧/٣ ، ص١٨٠ وما بعدها ، إذ يناقش الصلة بين الإيقاع الصوتي والدلالة .

- د. تمام حسان : المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة ، فصول ،٣، ١٩٨٧/٤ . ص٣٤ ، إذ يناقش علاقة التنعيم INTONATION بالدلالة .

(١٢٤) فتح الباري ، ٢٤٩/١

(١٢٥) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : (بَرَزَ) ، ٣٠٩/٥

(١٢٦) مختار الصحاح ، مادة : (بَرَزَ) .

(١٢٧) فتح الباري ، ٤٧٠/٤

(١٢٨) فتح الباري ، ٢٧٠/٧ . وانظر الرواية الكاملة الدالة على السياق في : صحيح البخاري ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : الله أمضي لأصحابي هجرتهم ومرثيته لمن مات بمكة . ١٤٣١/٣ .

محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧م.

(١٢٩) فتح الباري ، ١٦٢/٨ – ١٦٣ . وانظر كذلك اختلاف الدلالة لاختلاف الأصوات ، ٥٧٩/١٠ ، ١١٠/١٣ ، ١٦٦ ، ٢٥٥ ، وأحياناً يترك الأمر للمتلقي بقوله : " قلت إما أن يكون من القسط بالكسر ، وإما أن يكون من القسط بالفتح الذي هو بمعنى الجور " ٥٤٠/١٣ .

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع والمصادر العربية:

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: **فتح الباري** ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب .

- أحمد مختار عمر: **أسماء الله الحسنى** ، دراسة في البنية والدلالة ، ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط١، ١٩٩٧.

- أحمد مختار عمر : **علم الدلالة** ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨ .

- أحمد معمور العسيري: **أعظم عظماء المسلمين من كل قرن؛ من القرن الأول الهجري إلى الخامس عشر الهجري**، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ .

- الأنباري (ت ٥٧٧): **الإنصاف في مسائل الخلاف**، دار الفكر، دمشق، تحقيق د. أحمد محي الدين عبد الحميد، (د.ت).

- الأنباري : **أسرار العربية** ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ ، تحقيق د. فخر الدين قباوة.

- إبراهيم أنيس: **في اللهجات العربية**، كمكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩،

- إبراهيم أنيس: **في اللهجات العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٩٥ .

- تمام حسان : **المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة** ، فصول ١٩٨٧/٣،٤،

-ابن الجزري: **النشر في القراءات العشر** ،

- ابن الجزري: **النهاية في غريب الحديث و الأثر**، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩- ١٩٧٩ .

- ابن جنى : **سر صناعة الإعراب** ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ط١ .

- ابن جنى(٣٩٢هـ) :**الخصائص** ، عالم الكتب ، بيروت ، تحقيق محمد علي النجار ، د.ت .

- الخطابي: **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ .

- رشيد بلحبيب: **مقومات الدلالة النحوية** ، قراءة في بعض الخصائص ، ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الإمارات العربية المتحدة ، على شبكة المعلومات (الانترنت) وعنوان الموقع :
HTTP://WWW.FACULTY.UAEU.AC.AE/RACHID/RESEARCH/MAKAWI MAT .HTM . بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤م.

- رمضان عبد التواب: **المدخل إلى علم اللغة** ، ،مكتبة الخانجي،القاهرة،الطبعة الثانية،١٩٨٥ .

- رمضان عبد التواب: **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧ .

- الزجاج : **معاني القرآن وإعرابه** ، تحقيق عبد الجليل شلبي ، بيرون ، ١٩٧٣

- الزركلي: **الأعلام**، الشيخ خير الدين الزركلى، طبعة دار العلم للملايين، بيروت.

- ابن سلام: **غريب الحديث**، تحقيق:د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ .

- ستيفن أولمان : **دور الكلمة في اللغة** ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ .

- السخاوي: **الضوء اللامع**،

- سعد مصلوح : **المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي** ، فصول ، ١٩٨٧/٣ .

- سعيد بحيري : **ملاحظات حول مسألة العلاقة بين الكم والنبر في الشعر العربي** ، فصول ، ١٩٨٦/٣ ، الهيئة المصرية العالمة للكتاب ، القاهرة ، مصر .

- سيبويه : **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت ، ط١، (د.ت)

- السيوطي : **همع الهوامع** ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، (د.ت) ٠

- طاهر سليمان حمودة: **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٢٠

- عبده الراجحي : **النحو العربي والدرس الحديث** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ٠

- عبده الراجحي: **اللهجات العربية في القراءات القرآنية** ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

- ابن عصفور الإشبيلي : **الممتع في التصريف** ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ٠

- فايز الداية : **علم الدلالة العربي** ، النظرية والتطبيق ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢، ١٩٩٦ ٠

-ابن قتيبة: **غريب الحديث**، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ٠

- كمال بشر : **دراسات في علم اللغة**، القسم الثاني، دار المعارف، مصر ، القاهرة، ١٩٧١ ٠

- كمال بشر: **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣

- محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: **صحيح البخاري** ، ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ٠

- محمد حماسة عبد اللطيف: **النحو والدلالة** ،

- محمد عابد الجابري : **اللفظ والمعنى في البيان العربي** ، مجلة فصول ، ١٩٨٥/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

- محمود حجازي: **مدخل إلى علم اللغة** ، ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،مصر ، ١٩٩١.

- محمود السعران: **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار الفكر العربي، مصر ١٩٩٢ ١٩٩٥.

- ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة لَبَد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،(د.ت) .

- ابن هشام (ت ٧٦١): **مغنى اللبيب**، دار الفكر، دمشق، ط١٩٨٥،٦، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله.

- ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل ، بيروت ، ط٥، ١٩٧٩ .

- ابن هشام : **شرح قطر الندى وبل الصدى** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار النشر ، القاهرة ، ط١١ ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٩٣م .

ثانياً: المراجع الأجنبية

- **Cambridge Dictionaries online**, Cambridge University press http:// dictionary.cambridge.org/help/phonetics.htm : ، 2002
وتاريخ العودة إليه: ٢٠٠٥/١/١٥

- Daan Wissing and Justus Roux: **voic assimilation in Tswana Afrikaans: a phonetic solution for a phonological problem**.
من الشبكة العالمية للمعلومات، وتاريخ العودة إليه : ٢٠٠٥/١/٢٣م، وموقعه:
HTTP://WWW.TRISMEGISTOS.COM
HTTP://WWW.CONKNET.COM:

- David Crystal, **Adictionary of linguistics and phonetics**, Oxford,UK,1987

- DAVIED CRYSTAL,**THE CAMBREDGE ENCYCLOPEDIA OF LANGUAGE,** CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS,NEW YOURK, 1987.

-J.Richards, J.Plattand H. Weber, **Longman Dictionary of applied Linguistics**, Longman Group UK Limited,England, 1987 .

- MARGARET MAGNUS ,**OVERVIEW OF THE PHONOSEMANTICS LITERATURE**, UNIVERSITY OF TRONDHEIM.

-Peter Roach, **A little Encyclopedia of phonetics**, University of reading, UK,2002 موقع على الشبكة العالمية للمعلومات ، وعنوانه http://www.personal.reading.ac.uk/~11sroach/peter/: وتاريخ العودة إليه١٥/١/٢٠٠٥

- Wouter Jansen: **Dutch regressive voicing assimilation as a symmetric coarticulation process: a coustic evidence** , .university of Groningen, November,5,2002 مقال من الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)
idenuniv.nl/ulcl/faculty/vdweljer/dvoice/Jansen.pdf.
WWW.let

اسم الفاعل
دراسة نظرية تطبيقية
في البنية الصرفيّة والاستعمال النحوي

د. فكري محمد سليمان
قسم اللغة العربية - كلية الألسن
جامعة عين شمس

* مقدّمة *

موضوع هذا البحث هو: اسم الفاعل دراسة نظرية تطبيقية في البنية الصرفية والاستعمال النحوي. وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ويتناول دراسة نظرية لاسم الفاعل في البنية الصرفية والاستعمال النحوي.

القسم الثاني: ويضم مبحثين:

أ- دراسة تطبيقية لبنية اسم الفاعل، واستعماله النحوي في سورة البقرة.

ب- اسم الفاعل والظواهر النحوية.

القسم الأول: وتتناول الدراسة فيه النقاط التالية:

* تعريف اسم الفاعل عند النحويين.
* البنية الصرفية لاسم الفاعل:
  - طريقة صوغه من الفعل الثلاثي من: «فعَل، وفعِل، وفعُل.
  - وروده على أوزان أخرى غير وزن فاعِل.
  - طريقة صوغه من غير الثلاثي.
  - تحويل صيغة فاعل إلى أبنية للمبالغة والتكثير.
* تبادل الصيغ.
* أهمية الجانب الدلالي في التفريق بين الصيغ.
* اسم الفاعل في الفكر النحوي ويشتمل على النقاط التالية:

■ عمل اسم الفاعل:

- التأثير والتأثّر بين اسم الفاعل والفعل المضارع.

- صورتا إعمال اسم الفاعل:

أ- وروده مجردًا من أل، وشروط عمله وآراء النحويين في هذه الشروط، ومناقشة هذه الآراء.

- جواز نصب وجر الاسم التالي لاسم الفاعل المجرد من أل.

- ارتباط العمل بالجانب الدلالي .

ب- وروده مقترنًا بأل، وآراء النحويين في عمله، وترجيح الراجح منها.

■ عمل اسم الفاعل المثنى والمجموع .

■ الأوجه الإعرابية لتابع مجرور اسم الفاعل، وذكر آراء النحويين في ذلك، ومناقشة هذه الآراء، واختيار الراجح منها، وسبب ذلك.

■ عمل أبنية المبالغة، وارتباط ذلك بالكثرة والقلة، وذكر الخلاف بين النحويين في عملها، ومناقشة هذه الآراء، واختيار الراجح منها .

القسم الثاني: المبحث الأول، دراسة تطبيقية لبنية اسم الفاعل واستعماله النحوي في سورة البقرة: وقد تم اختيار هذه السورة؛ لأنها أطول سورة في القرآن الكريم؛ إذ يبلغ عدد آياتها (٢٨٦) مائتين وست وثمانين آية. ويتناول هذا المبحث النقاط التالية:

- اسم الفاعل من الثلاثي من «فَعَل» و«فَعِل» ، و«فَعُل» .

- من غير الثلاثي: ويشمل ما يلي:

أ- الرباعي المجرد «فعْلَل».

ب- الثلاثي المزيد بحرف «أَفْعَل، وفاعَل، وفَعَّل».

جـ- الثلاثي المزيد بحرفين: «افتعل»، و«تفاعل» و«تفعّل».

د- الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف، «استفعل».

وقد روعي في ترتيب الآيات التي ورد فيها اسم الفاعل، الترتيب الألفبائي للأفعال التي اشتقت منها أسماء الفاعلين، وقد تم ذكر الوظيفة الإعرابية التي يشغلها اسم الفاعل هنا أمام الآية منعًا للتكرار عند الحديث عن الحالات

الإعرابية لاسم الفاعل، والوظائف النحوية التي يشغلها داخل هذه الحالات.

- دراسة اسم الفاعل من ناحية النوع والعدد، وسبب مجيء اسم الفاعل في صيغة جمع المذكر أكثر من غيرها من الصيغ.

الأحرف التي وقعت في نهاية فواصل سورة البقرة، ومجيء اسم الفاعل المجموع جمع تصحيح في نهاية الفواصل في (٨٦) ست وثمانين آية وعلة ذلك.

* الحالات الإعرابية لاسم الفاعل، والوظائف النحوية التي شغلها في كل حالة. وذكر الحالات الأكثر ورودًا من غيرها، والنسبة المئوية للوظيفة النحوية الأكثر استعمالاً.

- اسم الفاعل العامل، وشروط عمله في سورة البقرة .

- عمل الرفع .　　　　　　　　- عمل النصب .

- اسم الفاعل المضاف في سورة البقرة: المضاف إلى اسم ظاهر، والمضاف إلى ضمير.

المبحث الثاني: اسم الفاعل والظواهر النحوية:

- ارتباط اسم الفاعل ببعض الظواهر النحوية وهي: أ- التنكير والتعريف .

ب- العامل وارتباط العمل بظاهرة الأصل والفرع، وارتباط الأصل والفرع بالقوة والضعف.　　　　　　جـ- التقديم والتأخير .

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة أبنية اسم الفاعل واستعماله النحوي في سورة البقرة، ومدى مطابقة ذلك مع ما قاله النحويون، وقد اعتمدت الدراسة هنا على بعض المصادر والمراجع في علوم مختلفة، ومن هذه المصادر والمراجع:

١ - القرآن الكريم .　　　　　　٢- تفسير القرآن .

٣- القراءات .　　　　　　　　٤ - إعراب القرآن .

٥- معاني القرآن وإعرابه .　　　　٦- النحو والصرف .

٧- الخلاف والأصول .　　　　　٨- فقه اللغة .

٩- علم اللغة «الأصوات» .　　　١٠ - الدلالة النحوية .

- وفي نهاية البحث تقع خاتمته وتضم أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

اسم الفاعل من الأسماء المشتقة، والاسم المشتق هو ما أخذ[1] من غيره، ودلّ على ذات ومعنى.

تعريفه: يقول رضي الدين: اسم الفاعل ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث[2]. ويقول ابن هشام: اسم الفاعل هو ما دل على الحدث والحدوث وفاعله. فخرج بالحدوث نحو: «أفضل» و«حسن» فإنّهما إنّما يدلان على الثبوت، وخرج بذكر فاعله نحو: «مضروب» و«قام»[3].

فقد ذكر هنا ابن هشام الفعل وهو «قام» لأنه لا يدل بوضعه على الفاعل. وقد ذكر السيوطي كلمة «صاحبه» بدلاً من فاعله عند ابن هشام، فقال: اسم الفاعل هو ما دلّ على حدث وصاحبه، وما دلّ على حدث يخرج الجامد والصفة المشبهة وأفعل التفضيل، وصاحبه يخرج المصدر واسم المفعول[4].

ولأن اسم الفاعل صفة في المعنى وكذلك يقع في الوظيفة الإعرابية أُطلق عليه مصطلح «الوصف» وكذلك الصفة، والصفة هنا تدل على موصوف بما تحمله من معنى الحدث.

---

(١) اختلف النحويون في أصل المشتقات على أربعة مذاهب هي:
- ذهب البصريون إلى أن المصدر هو أصل المشتقات .
- ذهب الكوفيون إلى أن الفعل هو أصل المشتقات .
- زعم بعض البصريين كالفارسي، واختاره عبد القاهر إلى أن المصدر أصل الفعل، والفعل أصل للوصف، فيكون فرع الفرع.
- زعم ابن طلحة أن الفعل والمصدر أصلان، وليس أحدهما مشتقًا من الآخر.

ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ١/ ٣٢٥.

وقد ذكر ابن الأنباري الخلاف بين البصريين والكوفيين في أصل الاشتقاق وأوضح علل كل فريق، والجواب عن أقوال الكوفيين.

ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٢٣٥-٢٤٥ المسألة ٢٨ .

(٢) رضي الدين، شرح الكافية في النّحو ٢/ ١٩٨ .

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ١٩٤ .

(٤) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٥ .

قال الزمخشري: الصفة هي الاسم الدال على أحوال الذات، وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وقائم وقاعد»[1] .

ويقول السيوطي: «جملة ما يوصف به ثمانية أشياء، اسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبّهة، وهذه الثلاثة هي أصل الصفات؛ لأنّها تدخل في حدّ الصفة؛ لأنّها تدل على ذات باعتبار معنى هو المقصود[2] »

وقد زاد بعض النحويين في التعريف شروط عمل اسم الفاعل، فقال ابن مالك: «هو الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي»[3] .

وقال ابن هشام: هو الوصف الدال على الفاعل الجاري على حركات المضارع وسكناته»[4] .

مما تقدّم من تعريفات لاسم الفاعل يتضح أنه اسم مشتق يدل على ما قام بالفعل أو وقع منه على جهة التجدّد والحدوث.

*** البنية الصرفية لاسم الفاعل:**

صوغه: يصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي وغير الثلاثي على النحو الآتي:

أولاً : من الثلاثي : يأتي اسم الفاعل من الفعل الثلاثي قياسًا على وزن فاعِل، وقد يأتي في السماع على غير فاعل، وذلك على النّحو التالي:

أ- «فَعَلَ» يأتي اسم الفاعل من «فَعَلَ» مفتوح العين على مثال «فاعِل» متعديًا كان أو لازمًا[5]، فمن الأوّل: ضَارِب من ضَرَبَ، وكاتِب من كَتَبَ، ونَاصِر من نَصَر، ومن الثاني: قَاعِد من قَعدَ، وجَالِس من جَلَس، وذاهِب من ذَهَب، وغاذٍ من غذا بمعنى[6] : سال، يقال: غذا الماء إذا سال، وغذا العرق[7] إذا سال.

(١) الزمخشري، شرح المفصّل لابن يعش ٣/ ٤٦ .

(٢) ينظر: السيوطي، الأشباه والنظائر في النّحو ٢/ ٢٢٤ .

(٣) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص ١٣٦ .

(٤) ابن هشام، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى ص ٣٧٩ . (٥) ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٣٤ .

(٦) ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢١٨ .

(٧) ينظر: خالد الأزهري شرح التصريح على التوضيح ٢/ ٧٧ .

ب- «فَعِل»: بكسر العين، يأتي اسم فاعله على وزن فاعل قياسًا إذا كان متعديًا، نحو: عالم من علِم، وفاهم من فهِم، وراكِب من ركِب، وشارِب من شرِب. وإذا كان لازمًا، فيأتي على وزن فَاعِل سماعًا وهو قليل[1]، نحو: آمِنٌ من أمِنَ، وسالِم من سلِمَ، وعاقِر من عقِرت المرأة، وضاحِك من ضحِك، ولاعِبٌ من لَعِب.

ويأتي على غير فاعِل، وذلك على النّحو التالي:

١- «فعِلٌ» بفتح فكسر، نحو: نَضِرٌ من نَضِرَ، وبَطِرٌ من بَطِر، وأشِرٌ من أشِرَ، وفَرِح من فَرِح، وتَعِبٌ من تَعِب، وأسِفٌ من أسِف، قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦].

٢- «أَفْعَل» بفتح فسكون ففتح، في الألوان[2] والخلق، نحو: أخضر من خَضِر، وأسود من سَوِد، وأعور من عَوِر، وأجهر من جَهِر، وأعشى من عَشِي، وأعرج من عَرِج.

٣- «فَعْلان» بفتح فسكون، فيما دل على الامتلاء، نحو: عطشان من عَطِش، وشبعان من شَبِع، وصديان من صَدِى، وريّان من رَوِى. وهي أفعال لازمة.

٤- «فَعيل» بفتح فكسر ممدود، نحو: حزين من حَزِن، وغَنِيّ من غَنِي. وهما فعلان لازمان.

والمعتل إذا كان على وزن «فَعَل» أو «فَعِل» يأتي على النحو التالي:

- إذا كان الفعل معتل الوسط «أجوف» قلبت عينه همزة إذا أعلّت في الماضي، مثل: قائل من قال، وخائف من خاف، وبائع من باع، والأصل قاول وخاوف وبايع «فهمزوا هذه الواو والياء إذ كانتا معتلّتين، وكانتا بعد الألفات، كما أبدلوا الهمزة من ياء قضاء وسقاء حيث كانتا معتلّتين، وكانتا بعد الألف، وذلك قولهم: خائف وبائع»[3].

---

(١) ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٣٥ .

(٢) ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢١٨ .

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/ ٣٤٨ .

وإذا كان الفعل الأجوف مهموز اللام، جرى مجرى قال وباع وخاف في همز عينه، إلا أنه تُحوَل فيه «اللام ياءً إذا همزت العين وذلك قولك: جاءٍ من جاء»[1] ، وناءٍ من ناء.

فإن لم تُعل العين في الماضي، بقيت كما هي في اسم الفاعل دون أن تقلب همزة نحو: عاوِر من عوِر، وحاوِر من حوِر.

- وإن كان الفعل معتل الآخر «منقوصًا» حذفت لامه، مثل: داع من دعا، ورامٍ من رمى، ولاقٍ من لَقِي.

وقد استغنى[2] عن وزن فَاعِل من «فَعَل» بأوزان أخرى سماعية، وهي قليلة: «فيتركون القياس المطرد ويستعملون غيره»[3] وهذه الأوزان هي:

١- فَعْل: بفتح فسكون، نحو: شيخ من شاخ. وهو فعل لازم.

٢- أفْعل: نحو: أشيب من شاب. وهو فعل لازم.

٣- فَيْعِل: بفتح فسكون فكسر، نحو: طيِّب من طاب، وميِّت من مات وهما فعلان لازمان، ونحو: سيِّد[4] من ساد، وهو فعل متعدٍّ.

٤- فَعِيل، بفتح فكسر ممدود نحو: عفيف من عَفّ، وخفيف[5] من خَفَّ، ولم يقل: عافّ وخافّ بالتشديد. وهما فعلان لازمان.

٥- فَعَال[6] ، بفتح ففتح ممدود، نحو: جَوَاد من جاد. وهو فعل لازم.

ويلاحظ هنا أن الأوزان المستغنى بها عن فاعل جاءت أغلبها من أفعال لازمة هي: شاخ وشاب وطاب ومات وعفّ، وخفّ وجاد، وجاءت من فعل متعدٍّ هو ساد.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٣٤٨. أصل جاء: جائئ، الهمزة الأولى منقلبة عن عين الفعل، والثانية لام الكلمة، فقلبت الثانية ياء لتطرفها إثر كسرة، ثمّ أعلّت إعلال قاض.

(٢) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٣٦، وابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢١٩.

(٣) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٨.

(٤،٥) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ١٦٩.

(٦) المرجع السابق نفسه.

جـ- (فَعُلَ): وهو لازم دائمًا، ويأتي اسم الفاعل من «فَعُل» بفتح فضم قليلاً نحو: حامِض من حمُض، وفارِه من فرُه[1] بمعنى حذق[2] فهو حاذق.

ويأتي قياسًا على أوزان أخرى غير «فاعل» وذلك على النحو التالي:

١- فَعِيل، بفتح فكسر ممدود، نحو: شَرِيف من شرُف، وظَرِيف من ظرُف، وجميل من جمُل.

٢- فَعْل: بفتح فسكون، نحو: ضَخْم من ضَخُم، وشَهْم من شَهُم، وسَهْل من سَهُل، وصَعْبٌ من صَعُب.

٣- أَفْعَل: بفتح فسكون ففتح، وهو قليل، نحو: أخطب من خَطُب.

٤- فَعَل، بفتح ففتح، نحو: حَسَنٌ من حَسُن، وبَطَل من بَطُل.

٥- فَعَال، بفتح ففتح ممدود، نحو: جَبَان من جَبُنَ، وحَصَان من حَصُن.

٦- فُعَال، بضم ففتح ممدود، نحو: شُجَاع من شَجُع، وفُرات من فَرُت.

٧- فُعُل، بضم فضم، نحو: جُنُب من جَنُب.

٨- فِعْل، بكسر فسكون، نحو: مِلْح من مَلُح، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وعِفْر من عَفُر، وهو الشجاع الماكر[3].

٩- فُعْل، بضم فسكون نحو: صُلْب من صَلُب.

وجميع الصفات التي ذكرت فيما تقدّم تدخل في دائرة الصفة المشبّهة، لدلالتها على الثبوت والدوام، فإن دلت على التجدّد والحدوث كانت أسماءً للفاعلين. وما جاء منها صريحًا على وزن فاعل، مثل: كاتب، وضارِب، وقائم، فهو اسم فاعل إلاّ إذا أضيف إلى مرفوعه، ودلّ على الثبوت فإنه يعد صفة مشبّهة، مثل: طاهرُ القلب[4]، وشاحِطُ الدارِ أي: بعيدها. «والأصل طاهرٌ قلبُه، وشاحطةٌ دارُه»[5]، ومثل: «ضامِر

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٧٢.

(٢) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق نفسه.

(٤) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٢٠.

(٥) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٨.

الكشح، وساهم الوجه، وخامل الذكر، وحائل اللون، وظاهر الفاقة»[1] ويقول السيوطي: «ولقائل أن يقول: إنّ هذه الصيغ ونحوها أسماء فاعلين قُصد بها الثبوت، فعوملت معاملة الصفة المشبّهة، لا أنّها صفات مشبّهة»[2].

والحقيقة أن الصرفيين فرّقوا بين اسم الفاعل والصفة المشبهة بدلالة الأول على التجدّد والحدوث، وعلى الثانية بالثبوت والدوام.

من هنا يتبيّن مدى أهمية الجانب الدلالي في تحديد الصيغة، فإن دلّت على الثبوت والدوام فهي صفة مشبّهة، وإن دلّت على التجدّد والحدوث فهي اسم الفاعل، فالسياق الذي تقع فيه الصيغة يساعد على تحديد هذا الجانب الدلالي.

كما تقوم القرينة اللفظية أيضًا بتحديد الصيغة، فطاهرٌ قلبُه تحوّلت إلى طاهرُ القلبِ بإضافة وزن فاعل إلى فاعله، واسم الفاعل لا يُضاف إلى فاعله، لذلك يحكم هنا على صيغة «فاعل» بأنّها صفة مشبهة، وليست اسم فاعل. فوزن «فاعل» ليس دليلاً على أن ما جاء عليه اسم فاعل، بل يجب أن يدل على التجدّد والحدوث.

ثانيًا: من غير الثلاثي:

يأتي اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي بزنة مضارعه، مع إبدال حرف المضارعة بميم مضمومة وكسر[3] ما قبل الآخر مطلقًا، سواء كان مكسورًا في المضارع كمنطلِق ومستخرِج، أو مفتوحًا كمتعلِّم ومتدحرج[4].

ويكون كسر ما قبل الآخر ظاهرًا، نحو: مُنكَسِر من انكسر، ومُقْتَطِع من اقتطع، ويكون مقدرًا نحو: مختار من اختار، ومنقاد من انقاد. والأصل: مُخْتَيِر ومُنقَوِد. كما تقدّر الكسرة أيضًا بسبب إدغام المتماثلين، نحو: مُمتدّ من امتدّ، ومستعدّ من استعدّ، والأصل: ممتدِد، ومستعدِد.

وإذا كان الفعل غير الثلاثي منقوصًا حذفت لامه نحو: منادٍ من نادى، ومتلقٍ من

---

(١) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ١٦٩.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) تشبيهًا باسم الفاعل من الثلاثي، ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٩.

(٤) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ١٩٩، وابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٢٠، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٣٧، والأشموني، شرح الأشمونى ١/ ٥٧٤.

التقى، ومرتوٍ من ارتوى، ومستعلٍ من استعلى، فقد أعلت هذه الكلمات إعلال قاضٍ.

وقد استغنى عن[1] مُفعِل بفاعل نحو: عاشب من أعشب، ووارس من أورس، ويافع من أيفع، وماحل من أمحل.

كما استغنى عن[2] مُفْعِل بكسر العين، وهو القياس من الرباعي، بمُفْعَل، بفتح العين، أي فتح ما قبل الآخر، وذلك في السماع، نحو: مُسْهَب من أسهب، ومُحْصَن من أحصن، ومُفلَج من ألفج، أي أفلس ومُلْقَح[3] من ألقح.

وسُمِع «فعيل» بدلاً من مُفاعِل من الرباعي، مثل: حليف من حالف، وخليط من خالط، ورفيق من رافَق، ونديم من نادَم، وعنيد من عاندَ، وجليس منْ جَالَس[4].

وقد أدى حرص بعض العرب على مراعاة أثر الجوار وإحداث المحاذاة بين أحرف بنية الكلمة إلى الخروج عن القياس نحو: منتن من أنتن، فقد روي «مُنْتُن»[5] بوزن «مُفْعُل» بضم فسكون فضم، فقد ضمت التاء هنا لتوافق ضمة الميم، فالتأثير هنا تأثير تقدّمي، لتأثر التاء بحركة الميم. وروي «مِنْتِن»[6] بوزن «مِفْعِل» بكسر فسكون فكسر، فقد أثّرت حركة التاء في حركة الميم، فكسِرت الميم تبعًا لكسرة التاء، فالتأثير هنا تأثير رجعيّ.

والقياس من أنتن هو مُنْتِن بوزن مُفْعِل، إلا أنه خُولف مراعاة لأثر الجوار، والاهتمام بالتناسب الصوتي بين أحرف الكلمة، ويلاحظ أن النون في مُنْتِن حرف ساكن، والساكن لا يعتد به، فهو حرف غير حصين[7] يقول الأخفش: «وقالوا في بعض الكلام في «المُنْتِن: مِنْتِنٌ» وإنما هي من «أنتن» فهو «مُنْتِن» مثل: أكرم فهو مُكْرِم «فكسروا الميم لكسرة التاء، وقد ضمّ بعضهم «التاء» فقال: «مُنْتُن» لضمّة الميم»[8].

(١، ٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية في النّحو ٢/ ١٩٩ .

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٩ .

(٤) ينظر: د. السيد محمد عبد المقصود، الأسماء العربية في التصريف ص ١٧٣ .

(٥، ٦) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ١٩٩ .

(٧) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل ٤/ ٩٥ .

(٨) الأخفش، كتاب معاني القرآن ١/ ٤ .

وبسبب مراعاة قرب الجوار، ولحدوث تناسب حركي بين أحرف الكلمة كسرت ميم اسم الفاعل في بعض الكلمات الرباعيّة إتباعًا لحركة ما بعدها، لذلك حُكم عليها بالشذوذ؛ لخروجها عن القياس نحو: «مِعِين من أعان، ومِغِير من أغار، ومِبِين من أبان»(١).

وقد تدل صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي على الثبوت والدوام، فتدخل في دائرة الصفة المشبهة نحو: منطلق اللسان، ومنبسط(٢) الوجه، ومطمئِن القلب، ومستقيم الرأي(٣)، ومعتدل القامة».

*** تحويل صيغة فاعل إلى أبنية المبالغة:**

تحوّل(٤) صيغة فاعل إلى أبنية تفيد المبالغة والتكثير، لذلك سميت أبْنية المبالغة، وأشهرها خمسة أوزان:

١ - فعَّال، مثل: ضرّاب، أكّال، شرّاب، قتّال، همّاز، ظلاّم، فهّام، تواب(٥)، ضحّاك.

٢ - فعُول، مثل: صبور، غفور، ضروب، شكور، فخور، جسور.

٣ - مفْعال، مثل: منحار، معطاء، مقدام، معوان.

٤ - فعِيل، مثل: سميع، عليم، حكيم، لطيف، قدير، خبير، نصير، شهيد، فصيح، كريم، لئيم.

٥ - فَعِل، مثل: فَطِن، حَذِر، يقِظ، حذِق، فَكِه.

والصيغ الثلاثة الأُول أكثر قياسًا واستعمالاً من الصيغتين الأخيرتين. لذلك نجد ابن

---

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٩.

(٢) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ١٦٩.

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٩.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٦٧.

(٥) ذكر بعض العلماء أن صفات الله تعالى التي هي على صيغة المبالغة مجاز؛ لأن المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك. وفي الكشاف: المبالغة في التوّاب على كثرة من يتوب عليه. ينظر: الصبّان، حاشية الصبان ٢/ ٢٩٧.

فـارس عند حديثـه عن باب البناء الدال على الكثـرة لا يذكـر إلا الصيغ الثـلاثة الأول. يقول: «البناء الدال على الكثرة، فعـول وفعّال، نحو: ضروب وضرّاب، وكذلك مفعال إذا كان عادة نحو: معطار، وامرأة مذكار، إذا كانت تلد الذكـور، وكذلك "مئناث" في الإناث»(١).

وأبنية المبالغة تدل على من قام بالفعل مثل اسم الفاعل، ففي قولنا: ضارب لا تدل الصيغة هنا بلفظها على القلة أو الكثرة، فإذا أردنا التكثير والمبالغة حوّلنا صيغة ضارب إلى ضرّاب، لتفيد الكثرة والمبالغة في حدث الضرب، لذلك فهي تلحق(٢) باسم الفاعل.

ولأن وزن «فاعل» لا يشتق إلا من الفعل الثلاثي، لذلك فأمثلة المبالغة لحملها على وزن فاعل، لا تشتق إلا من الفعل الثلاثي المجرّد لتقوية المعنى والمبالغة فيه.

وقد خـرجت بعض أوزان لصيغ المبالـغة عن القيـاس، فصيغـت من الثلاثي المزيد بحـرف الهمـزة «أفعل» لذلك وصـفت بالندرة(٣) والشذوذ(٤) مـثل: درّاك مـن أدرك، وسآر(٥) من أسأر، ومعطاء من أعطى، ومهوان من أهان، ونذير من أنذر، وسميع من أسمع، وأليم من آلم، وزهوق من أزهق.

* تبادل الصيغ:

أ- تأتي صيغة فاعل بمعنى صيغ أخرى، وذلك على النّحو التالي:

١ - تأتي فاعل(٦) بمعنى مفعول: مثل: سرّ كاتم، أي: مكتوم.

وقوله تعالى: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣] أي: لا معصوم.

و ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفـوق. و ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي: مرضيّ بها. و ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] أي: مأمونًا فيه.

---

(١) ابن فارس، الصاحبي ص ٣٧٣.

(٢) يرى بعض البـاحثين أن أمثلة المبالغـة يجب فصلهـا عن اسم الفاعل لدلالتـها على المبـالغة والكـثرة في الحدث. ينظر: د. السيد محمد عبد المقصود، الأسماء العربية في التصريف ص ١٦٣.

(٣) الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٦٠.

(٤) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ١٦٩.

(٥) إذا أبقى في الكأس بقية.

(٦) ابن فارس، الصاحبي ص ٣٦٦-٣٦٧.

وقول الشاعر:

إنّ البغيض لمن يُملّ حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق

أي: الموموق.

٢- تأتي «فاعل» بمعنى مُفعِل، نحو: هالك[١] بمعنى مُهلِك، قال العجّاج: «ومَهْمَهٍ هالك من تعرّجا».

يقول ابن جني في القول السابق للعجّاج: «وفيه قولان: أحدهما أن " هالكا" بمعنى مُهلِك، أي: مُهلِك من تعرّج فيه...»[٢].

٣- يأتي فاعل بمعنى المصدر، مثل قولهم: الفاضلة بمعنى الفضل والإفضال، والعافية بمعنى المعافاة، والعاقبة بمعنى العُقْبُ، والعاقبة في كل شيء آخره، والعُقْب: آخر كل شيء[٣]، وخاتمته، قال النبي ﷺ: «أنا العاقب»، أي: آخر الأنبياء. والكاذبة من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] بمعنى الكذب. ونحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨]، أي: بقاء[٤]. ومن ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذي عالم عَلِيمٌ﴾[٥]. يقول ابن جني[٦] تحتمل هذه القراءة ثلاثة أوجه منها: «أن يكون "عالم" مصدراً كالفالج والباطل، فكأنه قال: وفوق كل ذي علم عليم» ويؤيد ما ذهب إليه ابن جني أنه قراءة الجمهور.

ويرى ابن جني أنه يجوز أن يبقى اسم الفاعل في التراكيب السابقة دون تأويل بالمصدر، ويكون اسم الفاعل صفة لموصوف محذوف، والتقدير في قوله تعالى: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[٧]، لا تسمع فيها كلمةً لاغيةً.

---

(١) ينظر: المبرِّد، المقتضب ٤/ ١٨٠.

(٢) ابن جنيّ، الخصائص ٢/ ٢١٠-٢١١.

(٣) المعجم الوسيط، مادة «عقب».

(٤) ينظر: ابن جني، المحتسب ١/ ٢٨٧، وابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٥٢.

(٥) سورة يوسف/ ٧٦.

(٦) ابن جني، المحتسب ١/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٧) المرجع السابق ١/ ٢٨٧.

ويرى رضي الدين(1) رأي ابن جني ففي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ يقول: يجوز أن يكون بمعنى نفس باقية، أو شيء باقٍ، وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يقول: يجوز أن يكون بمعنى نفس كاذبة: أي تكون النفوس في ذلك الوقت مؤمنة صادقة .

فاسم الفاعل هنا يأتي بمعنى المصدر، وهذا من تبادل الصيغ، إلا أن هناك من ذهب إلى القول بحذف موصوف، وأن صيغة فاعل المذكورة صفة له.

والقول بمجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر يغنينا عن القول بحذف عنصر ربما لا يحتاجه السياق، وعدم التقدير أولى من التقدير والحذف، لذا يرى ابن جنيّ أن القول بالمصدر هنا «أعذب(2) وأعلى» أي أعلى لغةً وأعذب دلالة.

ب- يأتي المصدر بمعنى اسم الفاعل : مثل: رجل عدْل، أي: عادل، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] أي: غائرًا، كما يأتي اسم الفاعل بمعنى المصدر، مثل: قم قائمًا، فالمعنى: قم(3) قيامًا، وقول الشاعر:

على حلفةٍ لا أشتمُ الدَّهْرَ مُسْلمًا ... ولا خارجًا من فِيَّ زورُ كلامِ

فأراد: ولا خروجًا، فوضَع «خارجًا» في موضع المصدر «خروج» وهذا قول عامة النحويين(4) .

جـ- تأتي صيغة اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل: قال ابن السكّيت ومنه «عيش مغبون» أي: غابن غير صاحبه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١] أي: آتيا(5) . ويقول الرضي: والأوْلى أنه من أتيت الأمر، أي: فعلته، فالمعنى إنه كان وعده مفعولاً(6) . أي أن الصيغة هنا باقية على معنى اسم المفعول.

د- فعيل بمعنى «مُفْعل»: تأتي صيغة المبالغة «فعيل» بمعنى اسم الفاعل «مُفْعِل» كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠].

---

(1) رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول، ١/ ١٧٦ .
(2) ابن جني، المحتسب، ١/ ٢٨٧ .
(٣،٤) ينظر: المبرِّد، المقتضب ٣/ ٢٦٩ .
(5) ابن فارس، الصاحبي ص ٣٦٧ .
(6) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ١٩٩ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

فـ «أليم» في الآية الأولى بمعنى «مؤلم» لأنه من قولك: آلم فهو مؤلم وجمعه أُلماء وإلام»(١) . وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون بصير بمعنى مُبْصر، كالسميع بمعنى المُسْمع(٢) .

هـ- فعيلة بمعنى فاعل، كخليفة في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فـ «خليفة» بمعنى خالف «أي يخلف غيره، وزيدت الهاء للمبالغة»(٣) .

* أهميّة الجانب الدلالي في الفرق بين الصيغ:

يساعد الجانب الدلالي في السياق في التفريق بين الصيغ عند حدوث لبس بين صفتين أو أكثر، فدلالة الانقطاع والتجدّد، وكذلك الدوام والثبوت، والمبالغة، لها دور بارز في تحديد الصيغة، ففي مثل: خالد مستقيم الرأي، نجد أن دلالة الثبوت والاستمرار تساعد على جعل صيغة مستقيم صفة مشبّهة، وليست اسم فاعل. فإذا أضفنا عنصراً جديدًا إلى التركيب، وقلنا: خالد مستقيم الرأي الآن، تحوّلت الصيغة هنا إلى اسم الفاعل، لدلالتها على الحدوث الذي أفاده الظرف.

فالصفة المشبّهة إن قصد بها الحدوث والتجدّد رُدّت إلى(٤) اسم الفاعل، فنقول في حَسَنٌ. خالدٌ حسنٌ الآن أو غدًا، قال الله تعالى في ضيّق، لما قصد به الحدوث ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١١].

ويرى رضي الدين «أن الصفة المشبهة كما أنّها ليست موضوعة للحدوث في زمان، ليست أيضًا موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة؛ لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة، ولا دليل فيها عليهما، فليس معنى «حسن» في الوضع إلا ذو حسن... وكان الظاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قرينة تخصّصه ببعضها، كما

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٢٧ .

(٢) أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٥٦٠ .

(٣) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٧ .

(٤) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ١٩٨.

تقـول: كان هذا حسنًا فقـبح أو سيـصيـر حسنًا، أو هو الآن حـسن فقط، فظهـوره في الاستمرار ليس وضعيًا»[١].

فـدلالة السيـاق تساعـد على تحديد الصيـغة بجانب الـقرائن اللفظيـة الدالة على الحدوث والتجـدّد. فدلالة الثبوت والدوام تحـدّد صيغة الصـفة المشبّهـة، ودلالة التجدّد والحدوث ترتبط باسم الفاعل.

«فالصفة المشبّهة تشبه في مبناها صيغة الفاعل كطاهر، والمفعول موجود " صفة من صفات الله" أو المبالغة كوقِح أو التفضيل كأبرص وأشدق، فالمعنى يفرّق بين كل واحدة من هذه الصفات وبين الأخريات إذا اتفقت الصيغة في أي اثنتين منها»[٢].

فالجـانب الدلالي له دور مهم في تعـيين الصيغـة وتحديدها حـال حدوث لبس مع غيـرها من الصيغ، فـقد تشـترك صـيغـة الصفة المـشبّهـة مع كل من صيغ اسم الـفاعل والمفعول وأمثلة المبالغة واسم التفضيل، ثم يقوم المعنى بالتفريق بين هذه الصيغ، وتحديد كل وصف على حدة.

كمـا أن هناك بعض القرائن اللفظيـة التي تساعـد على هذا التحـديد مثل: ظروف الزمان أو الإضافة، عـن طريق إضافة الصيغة إلى فـاعلها نحو: طاهرُ القلب، والأصل: طاهر قلبُه، وهنا تدخل الصيغة في دائرة الصفة المشبّهة لإضافتها إلى فاعلها.

*** الاستعمال النحوي لاسم الفاعل:**

المقصود من الاستعمال النحوي هنا، الوظائف التي يؤدّيها اسم الفاعل حال دخوله في التراكيب اللغوية، كالعمل، والإسناد، والإضافة، والإتباع إلخ.

عمل اسم الفاعل: اسم الفاعل من الأسماء[٣] التي تعمل عمل الـفعل، وهو يعمل

(١) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٥.

(٢) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٠٠.

(٣) الأسمـاء التي تعمل عـمل الفعل «سبعـة» هي: المصدر، واسم الفـاعل، وأمثلة المبـالغة، واسم المفـعول، والصفة المشبّهة، واسم التفضيل. ينظر: ابن هشام، قطر النّدى ص ٣٥٩-٣٩٤، وقد زاد عليها ابن هشام في كتـابه «شذور الذهب» ثلاثة أسمـاء، وهي: الظرف والمجرور المعتمـدان على نفي أو استفـهام، واسم المصدر، فأوصلها إلى «عشرة». ينظر: شرح شذور الذهـب ص ٣٥٧ - ٣٨٧.

عمل[1] الفعل المضارع لجريانه عليه في اللفظ والمعنى «أما اللفظ فلأنه جارٍ عليه في حركاته وسكناته، ويطرد فيه ذلك نحو: ضارب ومكرم ومنطلق ومستخرج، كله جارٍ على فعله الذي هو: يضرب ويكرم وينطلق ويستخرج، فإذا أريد به ما أنت فيه وهو الحال أو الاستقبال صار مثله من جهة اللفظ والمعنى فجرى مجراه»[2] .

وليس المقصود هنا في الموافقة اللفظية بين اسم الفاعل والفعل المضارع هو نوع الحركة، بل المقصود هو الحركة على إطلاقها.

وقد عبّر المبرِّد عن الحال والاستقبال بقوله: «فإن جعلت اسم الفاعل في معنى ما أنت فيه ولم ينقطع، أو ما تفعله بَعْدُ ولم يقع جرى مجرى الفعل في عمله وتقديره»[3].

فاسم الفاعل يعمل عمل الفعل المضارع لجريانه عليه في اللفظ والمعنى نحو: «هذا ضاربٌ زيداً غدا، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيداً غدا... وهذا ضارب عبدَالله الساعة، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيداً الساعة»[4] .

فاسم الفاعل أُعمل حملاً على الفعل، كما أن الفعل المضارع أعرب لمضارعته الاسم وهنا يبدو - عند النحويين- جانب التأثير والتأثّر بين اسم الفاعل والفعل المضارع.

فالفعل المضارع أعرب لمضارعته الاسم[5] عند البصريين، إذ كان أصل الإعراب للأسماء، واسم الفاعل أعمل بمضارعته الفعل إذ كان أصل الإعمال[6] للأفعال، «فكل واحد منهما داخل على صاحبه... لأنه إنما شُبِّه بما ضارعَه من الفعل، كما شُبِّه به في الإعراب»[7] .

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ١٦٤ .

(٢) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٦٨ .

(٣) المبرِّد، المقتضب ٤/ ١٤٩ .

(٤) سيبويه، الكتاب ١/ ١٦٤ .

(٥) وذلك لثلاثة أوجه: أحدها: التخصيص بعد الشيوع. الثاني: أنه تدخل عليه لام الابتداء كما تدخل على اسم الفاعل نحو: إن زيداً ليقوم، كما يقال: إن زيداً لقائم. الثالث: أنه يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه نحو: يضرب فإنه على وزن ضارب في حركته وسكونه. ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٥٤٩-٥٥٠ المسألة ٧٣ .

(٦) ينظر: ابن السراج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٣ .

(٧) سيبويه، الكتاب ١/ ١٧١ .

- ولاسم الفاعل في العمل صورتان هما:

الأولى: أن يكون مجردًا من «ألْ». الثانية: أن يكون مقترنًا بـ «ألْ».

الصورة الأولى: مجيء اسم الفاعل مجرّدًا من «ألْ».

يعمل اسم الفاعل المجرّد من «أل» بشرطين وجوديين[١]، وبشرطين عدميين. فالشرطان الوجوديان هما:

١ - أن يكون اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال؛ لأنه محمول على لفظ المضارع، والمضارع يدل بصيغته على الحال أو الاستقبال إذ كان جاريًا على[٢] المضارع في حركاته وسكناته وعدد حروفه، كما أنّه في معناه، فلما اجتمع له الشبه اللفظي والمعنوي عمل عمل الفعل المضارع.

فتحقق وظيفة اسم الفاعل هنا يعتمد على شرط[٣] دلالي هو أن يكون دالاً على الحال أو الاستقبال، كما هو الحال فيما حُمل عليه.

٢ - أن يعتمد على نفي أو استفهام أو مخبر عنه أو موصوف؛ لأن هذا الاعتماد يقرّبه من الفعلية[٤]. فمثال الاسم المخبر عنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣].

والاسم الموصوف المعتمد عليه قد يكون مذكورًا أو مقدّرًا، مثال الأول: مررت برجل ضاربٍ زيدًا، ومثال الثاني قول الشاعر:

كناطحٍ صخرةً يومًا لِيُوهِنَها فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرنَهُ الوَعِلُ

أي كَوَعِلٍ ناطح[٥]. وقولهم: يا طالعًا جبلاً، أي: يا رجلاً[٦] طالعًا.

وقد عدَّ ابن مالك المثال الأخير من الاعتماد على حرف النداء «يا». وقد اعترض على ذلك خالد الأزهري فقال: إن ذلك سهو من ابن مالك «لأن المعتمد عليه يقرِّب

(١) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٥. (٢) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٦.
(٣) ينظر: د. محمد حماسة، النّحو والدلالة ص ١٣٠. (٤) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٣.
(٥) ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب ص٣٦٤-٣٦٥. وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٠٩.
(٦) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ١٩٧.

الوصف من الفعل، وحرف النداء لا يصلح لذلك؛ لأنه مختص بالاسم، لكونه من علاماته، فكيف يكون مُقرّبًا من الفعل»[١] .

فإن فُقد الشرط الأول بأن كان اسم الفاعل دالاً على المضي، فإنه لا يعمل، بل يضاف إلى ما بعده، وتكون إضافته[٢] معنويّة، فلا يقال: خالدٌ ضاربٌ عمرا أمسِ، بل يقال: خالدٌ ضاربُ زيدٍ أمسِ. لأن اسم الفاعل فقد المضارعة اللفظية بينه وبين الماضي، فاسم الفاعل ضارب «ليس على عدد ضرب ولا مثله في حركاته وسكناته»[٣] .

فضرَب في معنى ضارِب، فالمضارعة بينهما متحقّقَة في المعنى فقط، واسم الفاعل لا يعمل عمل الفعل إلا إذا وافقه في المعنى واللفظ، وقد فقد الماضي شرط المضارعة اللفظية، كما أنه فقد أيضًا شرط الدلالة الزمنية، وهي الحال أو الاستقبال.

فإذا كان اسم الفاعل بمعنى الماضي، لم يجز فيه التنوين ولا العمل فيما بعده، بل يجب إضافته، مثل: هذا ضاربُ زيدٍ أمسِ، «لأنّه اسم بمنزلة قولك: غلام زيدٍ، وأخو عبدالله، ألا ترى أنّك لو قلت: هذا غلامٌ زيدًا كان محالاً، فكذلك اسم الفاعل إذا كان ماضيًا لا تنوّنه؛ لأنه اسم، وليست فيه مضارعة الفعل، ولا يجوز أن تدخل عليه الألف واللام وتضيفه، كما لم يجز ذلك في الغلام»[٤] .

ويرى الكسائي[٥] وتبعه هشام الضرير[٦] وابن مضاء، وأبو جعفر[٧] وجماعة جواز إعمال اسم الفاعل إن كان بمعنى الماضي. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف:١٨] ووجه الاستدلال أن اسم الفاعل «باسط» جاء بمعنى الماضي وعمل النّصب في «ذراعيه» اعتبارًا بالشبه معنًى وإن زال الشبه[٨] لفظًا، وردّ

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٦-٦٧ .

(٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٠ .

(٣) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٦ .

(٤) المبرِّد، المقتضب ٤/ ٨.

(٥) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٠، وابن يعيش، شرح المفصل ٦/ ٧٧، وابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ١٩٥، والأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٤، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٠٦ .

(٦) ابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٢ .

(٧) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٦ .

(٨) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٥ .

المانعون بأنّه على حكاية الحال[1] الماضية، والمعنى يبسط ذراعيه، فيصح وقوع المضارع موقعه والدليل[2] على ذلك ما يلي:

- أن الواو في «وكلبهم» واو الحال.

- أن الخالق سبحانه وتعالى قال: ﴿ونقلّبهم﴾ بلفظ المضارع الدال على الحال، ولم يقل سبحانه: «وقلّبناهم».

وقال بعض النحويين: لا حاجة إلى تكلف الحكاية؛ لأن حال أهل الكهف مستمر إلى الآن، فيجوز أن يلاحظ في باسط الحال، فيكون عاملاً[3].

واستدل الكسائي على إعمال الماضي أيضًا ببعْض الأمور ومنها:

١- قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجاعل اللَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٦]. في قراءة[4] ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

٢- قول العرب: هذا مارٌ بزيدٍ أمسِ. ٣- وقولهم: الضاربُ زيدًا أمسِ.

وقد أجيب عما جاء به الكسائي على النّحو التالي:

- أما عن الآية الكريمة فمن أوجه تأويلها أنّها جاءت على حكاية الحال الماضية، كما هو في «باسط ذراعيه» فجاعل على هذا التأويل «عامل لكونه بمعنى جعل»[5].

- وأما عن المثال الثاني وهو: هذا مارٌ بزيدٍ أمس. فإنما أعمل في الجار والمجرور، ولم يعمل في مفعول «والجار والمجرور يجري مجرى الظروف، والظروف يعمل فيها روائح الأفعال»[6].

---

(١) حكاية الحال الماضية هي التعبير عن الماضي والآتي كالتعبير عن الشيء الحاضر قصدًا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار. ابن هشام مغني اللبيب ٢/ ٧٩٧. ويقول الأندلسي: معني حكاية الحال أن تقدِّر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان، أو تقدِّر ذلك الزمان كأنه موجود الآن. رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠١. وينظر: الصبان، حاشية الصبّان ٢/ ٢٩٣.

(٢) ينظر: ابن هشام، شرح قطر الندى ص ٣١٨، وخالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٦.

(٣) الصبان، حاشية الصبّان ٢/ ٢٩٣.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وجاعل الليل سكنًا) بألف. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (وجعل الليل سكنًا) بغير ألف. ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ٢٦٣.

(٥) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٠. (٦) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٧.

- وأما المثال الثالث وهو: «هذا الضارب زيداً أمسِ، «فإنّما عمل لأن الألف واللام فيه بمعنى الذي، واسم الفاعل المتّصل بها بمعنى الفعل»[1]، ولأن اسم الفاعل المقترن بأل لا يشترط في عمله دلالته على زمان بعينه فهو يعمل في كل الأزمنة.

والخلاف السابق بين جمهور النحويين، والكسائي ومن تبعه في عمل اسم الفاعل المجرد من أل إن كان بمعنى الماضي يخص حالة النصب فقط وهي نصب المفعول به، أما عمل اسم الفاعل الرفع فقد اختلف فيه على أقوال[2] هي:

١- ذهب بعض النحويين أنه لا يرفع الظاهر وبه قال ابن جني والشلوبين.

٢- ذهب قوم إلى أنه يرفعه وهو ظاهر كلام سيبويه واختاره ابن عصفور.

٣- أما رفعه المضمر فقد اختلف فيه، فحكى ابن عصفور الاتفاق أنه يرفعه، وحكى غيره عن ابن طاهر وابن خروف المنع.

وإن فُقد الشرط الثاني وهو اعتماد اسم الفاعل، وجاء غير معتمد على ما ذكر من قبل لم يجز[3] عمله، وأجاز عملَه غير معتمد الكوفيون[4] والأخفش، نحو: ضاربٌ زيداً عندنا. واستدل الأخفش على عمله دون اعتماد بالمستوى الشعري، كقول الشاعر:

خبيرٌ بنُو لِهْبٍ فلا تك مُلْغيًا ... مقالةَ لِهْبيٍّ إذا الطيرُ مَرَّت

و«خبير» هنا على وزن فعيل وهي صيغة مبالغة، إلا أنها محولة عن وزن فاعل، لذا صحّ الاستدلال بها، فهي تعمل بنفس شروط اسم الفاعل. فالأخفش يرى أن «بنو لهب» فاعل بخبير، مع أن خبيراً لم يعتمد على شيء.

وأجيب بأن الكلام على التقديم والتأخير، فـ «خبير» خبر مقدم و«بنو لهب» مبتدأ مؤخّر، وصيغة «فعيل» تستعمل للمفرد[5] والجمع، قال تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٧ . (٢) الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٤ .
(٣) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٦-١٣٧، وابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٠ .
(٤) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٥ .
(٥) ينظر: ابن هشام، شرح قطرى الندى ص ٣٨٢-٣٨٤ .

فجمهور النحويين يشترط لعمل اسم الفاعل المجرّد من «أل» الاعتماد، والدلالة الزمنية على الحال أو الاستقبال وهما شرطان وجوديان.

أما الشرطان العدميّان فهما يرتبطان بالتصغير والوصف، بمعنى أن لا يصغرّ اسم الفاعل وأن لا يوصف، فإن صُغّر أو وُصف لم يعمل[1] عند الجمهور؛ لأن التصغير والوصف يخرجانه عن تأويله[2] بالفعل، «فكما لا يصغّر الفعل لا يصغّر مشبّهه»[3].

وفي جواز عمله هنا ثلاثة آراء هي:

١ - ذهب الكسائي[4] إلى جواز عمله مصغّرًا وموصوفًا، واحتج بقول بعضهم أظنني مرتحلاً وسويرًا فرسخا. ولا حجة له في ذلك «لأن فرسخا ظرف يكتفي برائحة الفعل»[5].

٢- يرى الكوفيون عدا الفراء ووافقهم النحّاس أنه يجوز إعمال اسم الفاعل المصغّر بناء على مذهب الكوفيين أن المعتبر شبه اسم الفاعل للفعل في المعنى لا في اللفظ، أما النحّاس فقد قاسه على جمع التكسير[6].

٣- ذهب بعض[7] المتأخرين أنه يجوز إعمال المصغّر الملازم للتصغير الذي لم يلفظ به مكبّرًا، كقول الشاعر: «مضرّس بن ربعي»

فما طَعْمُ رَاحٍ في الزُّجاجِ مُدَامَةٌ ... ترَقْرَقُ في الأيدي كُميتٍ عَصِيرُها

في رواية جر «كميت»[8].

ولحمل اسم الفاعل في العمل على الفعل في اللفظ والمعنى، مُنع من العمل عند جمهور النحويين إذا اقترب من صفة لا يختص بها الفعل، فلا يعمل مصغرًا أو

---

(١) ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب ص ٣٦٠ .
(٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣ .
(٣) رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول ١/ ٢٩٢ .
(٤) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص ١٣٦ . وخالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٥ .
(٥) الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٤ .
(٦) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٥ .
(٧) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٤-٥٥٥ .
(٨) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٥ .

موصوفًا؛ لأن الفعل لا يكون كذلك، ولأن هاتين الصفتين تدخلانه في دائـرة الاسمية، وتبعدانه عن دائرة الفعلية التي هي مناط عمله. فالعمل هنا أساسه الحمل على الفعل في اللفظ والمعنى، فإن فقد شرط الاتفاق في اللفظ بأن كان اسم الفاعل بمعنى الماضي وجب إضافته إلى ما بعده.

والحقيقة أنه لا فرق في المعنى بين المثالين التاليين:

خالدٌ ضاربُ زيدٍ أمسِ. وخالدٌ ضاربٌ زيدًا أمسِ.

فالتركيب في المثال الأول صحيح نحويًا عند الجمهور؛ لأن اسم الفاعل جاء بمعنى الماضي، وقد فقد شرط المضارعة اللفظية بينه وبين فعله الذي حمل عليه، فعدُل عن نصب ما بعده إلى جرّه بالإضافة التي هي أخص خصائص الأسماء.

أما المثال الثاني فهو غير صحيح نحويًا، ولا يجوز استعماله عند الجمهور؛ لأن اسم الفاعل فيه نصب ما بعده مع مخالفته للفعل في اللفظ، وكذلك في الدلالة الزمنية. مع أن صيغ المبالغة تعمل عمل الفعل عندهم مع مخالفتها له في اللفظ.

فالنظرة هنا لم تراع المعنى المراد، بل اهتمت بالأمور الشكلية اللفظية، وهي ضرورة أن يجري اسم الفاعل المجرد من أل مجرى فعله في الحركات والسكنات.

*** جواز النصب والجر:**

يجوز في الاسم الفضلة التالي لاسم الفاعل العامل، أي الدال على الحال أو الاستقبال أن ينصب به، أو يُجر بإضافته إليه وذلك للتخفيف، وقد قرئ في السبع بالوجهين[1] النصب والجر، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ [الطلاق: ٣]، و ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ [الزمر: ٣٨]، النصب على المفعولية، والجر بالإضافة.

فالآية الأولى: قرأها عاصم بالجر، وقرأها الباقون بالنصب[2] والآية الثانية قرأها أبو عمرو وعاصم بالنّصب، وقرأها الباقون[3] بالجرّ. وقد قرئ بالجر، أي بإضافة اسم

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٩، والأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٦٢ .
(٢) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ٦٣٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٥٦٢ .

الفاعـــل إلى تاليه، قوله تـــعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] و ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩].

وقد اختلف في حالتي النصب والجر هنا على قولين[1] :

١- قال أبو حيان وهو ظاهر كلام سيبويه أن النصب أولى من الجر.

٢- قال الكسائي هما سواء.

وقد اختار السـيوطي حالة الجر «لأن الأصل في الأسماء إذا تعلّـق أحدهما بالآخر الإضافة، والعمل إنّما هو بجهة الشبه للمضارع، فكان على الأصل أولى»[2] .

والراجح هنا هو حالة الجر لإفادتها التخفيف، ولأن عمل اسم الفاعل النصب يأتي حمـلاً على الفعـل، وليس النصب أصلاً في الأسـماء بل الأسـماء محـمولة كلّـها في النصب على أفعالها، أما الجر بالإضافة فهو أخص خصائص الاسم، وهو أصل فيه.

أما ما عدا التالي[3] فيجب نصـبه نحو «خليفـة». من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. لأن الجـار والمجـرور «في الأرض» فـصـل بين العـامل «جاعل» والمعمول «خليفة» فاستحالت الإضافة.

فالغرض من إضافة اسم الفاعل العامل إلى ما بعده، هو طلب الخفة، يقول سيبويه: «واعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين والنون، ولا يتغيّر من المعنى شيء، وينجر المفـعـول لكفّ التنوين من الاسم، فـصـار عملـه فيـه الجـر، ودخل في الاسم مـعـاقبًا للتنوين... وليس يغـيّر كفّ الـتنوين إذا حذفـته مسـتـخفًـا شيـئًا من المعنى، ولا تجـعله معرفة»[4] . مثال حذف التنوين قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ٨٥- والأنبياء: ٣٥- والعنكبوت: ٥٧]، ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

أمثلة حذف النون قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ [القمر: ٢٧]. و﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١].

(١،٢) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٦ .

(٣) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٧ .

(٤) سيبويه، الكتاب ١/ ١٦٥ .

وقد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين، كقول أبي الأسود الدؤلي:

فألفَيْتُه غيــرَ مُستَعْتِبٍ ... ولا ذاكــرِ اللهَ إلا قليلاً

«لم يحذف النون استخفافًا ليعاقب المجرور، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين كما قال: رَمَى القومُ وهذا اضطرار»(١).

* اسم الفاعل المتعدّي لمفعولين:

إذا كان اسم الفاعل غير العامل يتعدى لمفعولين حَمْلاً على فعله تعين إضافته إلى الذي يليه(٢)، ووجب نصب الثاني نحو: هذا معطي زيدٍ أمسِ درهما، وقد اختلف في عامل النّصب في الاسم الثاني على قولين:

١ - يرى أكثر النحويين(٣) أنه منصوب بفعل مضمر.

٢ - أجاز السيرافي(٤) النصب باسم الفاعل؛ لأنه اكتسب بالإضافة إلى الأول شبها بمصحوب الألف واللام والمنوّن.

وقد اختار ابن يعيش القول الثاني، وعلّل ذلك بقوله: «فلو كان الثاني ينتصب بإضمار فعل لكنت في الأول مقتصرًا على مفعول واحد وهو ما أضيف إليه اسم الفاعل، وذلك لا يجوز، والجيد أن يكون منصوبًا بهذا الاسم»(٥).

والراجح هو الرأي الأول، وإن كان يلجأ إلى التقدير؛ لأن اسم الفاعل هنا غير عامل، وحتى في حال عمله فهو فرع على الفعل، الذي هو أصل العمل.

* ارتباط العمل بالمعنى:

للمعنى دور مهم في عمل بعض العناصر التي يتشكل منها التركيب اللغوي، فاسم الفاعل يضاف إلى المفعول به، ولا يضاف إلى فاعله؛ لأن الاسم لا يُضاف إلى نفسه.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ١٦٩ .
(٢) ينظر: ابن عصفور، المقرّب ١/ ١٢٤ .
(٣) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٧ .
(٤) الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٦٢ .
(٥) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٧ .

واسم الفاعل هو ما دل على الحدث وصاحبه، فلا يصح دلاليًا أن يضاف إلى مرفوعه، بل يستتر فيه فاعله وينصب مفعوله أو يجرّه بالإضافة.

فإذا جاء اسم الفاعل لازمًا، ودل على الثبوت والدوام، وافق بهاتين الصفتين الصفة المشبّهة من هنا يُحمل عليها، فيجوز إضافته إلى مرفوعه فالعامل الدلالي هنا هو سبب اكتساب الوصف «اسم الفاعل» حالة الجر إلى الفاعل؛ لأنه انتقل بهذه السمة الدلالية إلى دائرة الصفة المشبّهة. فيعامل معاملتها «في رفع السببي ونصبه على التشبيه بالمفعول به إن كان معرفة، وعلى التمييز إن كان نكرة وجرّه بالإضافة»(١) . مثل: خالد قائم الأب أو طاهر القلب. برفع الأب والقلب، ونصبهما وجرّهما.

هذا إذا كان اسم الفاعل مشتقًا من فعل لازم، أما إذا كان متعديًا لأكثر من مفعول لم يجز إلحاقه(٢) بالصفة المشبهة، واختلف في اسم الفاعل المتعدي لواحد على(٣) النحو التالي: أ- قال الأخفش بالجواز مطلقًا.

ب- ذهب جمهور النحويين إلى المنع مطلقًا.

جـ- يرى ابن عصفور وابن أبي الربيع أنه إذا حذف مفعوله جاز، وإلا امتنع.

ويرى خالد الأزهري أن ما ذهب إليه كل من ابن عصفور وابن أبي الربيع هو الصحيح الذي يشهد به القياس والاستعمال(٤).

قال الشاعر:

ما الرّاحمُ القلبِ ظلاّمًا وإنْ ظُلِما ... ولا الكريمُ بمنّاعٍ وإنْ حُرِمَا(٥)

فالخلاف هنا لا يمس الجانب الدلالي؛ لأن اسم الفاعل لا يعامل(٦) معاملة الصفة المشبهة إلا إذا دل على ما تدل عليه، وهو الثبوت والدوام، أما الخلاف فيدور حول نوع الفعل من التعديّ واللزوم، فإن كان متعديًا لأكثر من مفعول، فهو بعيد جدًا عن طبيعة

---

(١) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٠.

(٢) ينظر: الأشموني، حاشية الصبّان ٢/ ٣٠٣.

(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧١، والأشموني، شرح الأشموني١/ ٥٦٥.

(٤) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧١.

(٥) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧١، والأشموني، شرح الأشموني١/ ٥٦٥.

(٦) قد يأتي اسم فاعل دالاً على الثبوت والدوام بصيغته مثل: خالد، ومستمر.

الصفة المشبهة التي لا تصاغ إلا من الفعل اللازم، وإن كان متعديًا لواحد اختلف فيه أيضًا؛ لأن التعدي يبعده عن الصفة المشبّهة، وأجازه بعض النحويين كابن عصفور وابن أبي الربيع بشرط حذف المفعول اقتصاراً حتى يقترب الفعل المتعدي بذلك من الفعل اللازم.

*** الصورة الثانية: أن يكون اسم الفاعل مقترنًا بأل:**

إذا جاء اسم الفاعل مقترنًا بأل عمل بدون شروط، فيعمل مطلقًا في جميع الأزمنة ماضيًا وحالاً ومستقبلاً، كما أنه يعمل دون حاجة إلى الاعتماد على شيء، مثل: جاء الضاربُ خالداً أمسِ أو الآنَ أو غداً. وذلك لأن «أل» فيه موصولة، واسم الفاعل ضارب وقع موقع الفعل، لأن الصلة تكون جملة فضارب «حالّ محلّ ضرب إذا أردت الماضي أو يضرب إن أردت غيره، والفعل يعمل في جميع الحالات، فكذلك ما حلّ محلّه» (1).

وقد اختلف النُّحاة في عمل اسم الفاعل المقترن بـ «أل» على أربعة أقوال هي:

١ - ذهب جمهور النحويين أنه يعمل مطلقًا ماضيًا أو حالاً أو مستقبلاً وهو الرأي السابق ذكره.

٢ - ذهب الأخفش(2) أنه يأتي بمعنى الماضي، وأن «أل» فيه معرِّفة، وليست موصولة، كهي في الرجل، وانتصاب الاسم بعده على التشبيه بالمفعول به، كما هي في: زيد الحسن الوجه. ويرى رضي الدين أن رأي الأخفش رأي ضعيف(3).

٣- ذهب قوم إلى أنه لا يعمل، وأن انتصاب ما بعده بفعل مقدّر، ونقل هذا الرأي عن المازني(4)؛ لأن اللام عنده في اسم الفاعل ليس بموصول وليس ذو اللام في الحقيقة فعلا؛ لأنه ليس صلةً لموصول.

---

(1) ابن هشام، شرح قطر الندى ص ٣٧٩، وينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٥.

(2) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٧، وابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٧، ورضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠١، والسيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٦، والأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٦.

(3) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية في النّحو ٢/ ٢٠١.

(4) المرجع السابق نفسه.

٤ - ذهب جماعة من النحويين منهم الرمّاني[(١)] والمازني[(٢)] أنه لا يعمل إلا إذا كان ماضيًا، فشرط العمل هنا فيما بعده أن يدل على الزمان الماضي، ولا يعمل حالاً أو مستقبلاً.

فللمازني هنا رأيان: الأول أن اسم الفاعل المقترن بـ «أل» لا يعمل، وأن ما بعده منصوب بفعل مقدّر. الثاني: أنه يعمل إذا كان ماضيًا، مثلما ذهب الرمّاني.

والرأي الرابع الذي يشترط عمل اسم الفاعل المقترن بـ «أل» إذا كان ماضيًا، يردّه ما جاء عاملاً بمعنى الحال، كقوله تعالى: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعمل اسم الفاعل المقترن بـ«أل» أولى[(٣)] إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال من عمله إذا كان ماضيًا؛ لأنه في المنوّن لا يعمل ماضيًا.

والراجح من الأقوال السابقة هو عمل اسم الفاعل المقترن بـ «أل» مطلقًا دون التقيّد بزمن بعينه وهو رأي جمهور النحويين، وهو المشهور[(٤)] ؛ لأن «أل» في اسم الفاعل هنا تدل على معنى الذي، فهي اسم موصول، واسم الفاعل معها يقع موقع يجب تأويله بالفعل؛ لأن جملة الصلة تكون جملة فعلية، ويصلح الفعل هنا أن يقدّر بحسب الزمن الذي يدل عليه الحدث، فقد يدل على الماضي أو الحال أو الاستقبال، فيعمل عمل الفعل الذي هو بمعناه ومثال الماضي قولك: هذا الضارب زيدًا، يقول سيبويه: «فصار في معنى هذا الذي ضرب زيدًا، وعَمِلَ عَمَلَه»[(٥)] .

❊ عمل المثنى والمجموع:

يعمل اسم الفاعل المثنى والمجموع جمع تصحيح أو تكسير عمل المفرد منه بالشروط السابقة. وقد اهتم النحويون هنا أيضًا بالناحية الشكلية بين اسم الفاعل وبين

---

(١) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٧، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١١٠، والسيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٦ .

(٢) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٦ .

(٣) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٦ .

(٤) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١١٠، والأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٥٦.

(٥) سيبويه، الكتاب ١/ ١٨١-١٨٢ .

فعله الذي حمل عليه، فذهبوا إلى أن أولى الجموع بالعمل هو جمع التصحيح «السالم» «لأنه يسلم فيه لفظ واحده، فتكون طريقته طريقة الواحد، والواحد جارٍ مجرى الفعل، وزيادة التثنية والجمع تجري مجرى الزيادتين اللاحقتين للفعل، فتقول: هذان ضاربان زيداً، كما تقول: يضربان زيداً، وهم ضاربون زيداً، كما تقول: يضربون زيداً... ثم أجروا الجمع المكسّر مجرى الجمع السالم إذ كانا جميعًا جمعين»[1].

فمازالت النظرة إلى الاهتمام بالجانب الشكلي هنا هي المسيطرة على فكر النحويين، فقد حالوا اختلاق المحاذاة اللفظية بين اسم الفاعل المثنى والمجموع والفعل الذي حملا عليه، مع أن الفعل لا يدخل في دائرة التثنية والجمع؛ لأنّهما من خصائص الأسماء، فقالوا: إن ضاربان توازي يضربان

وضاربون توازي يضربون

فالألف والنون في المثنى كما هما في الفعل المضارع، والواو والنون في جمع التصحيح كما هما في الفعل المضارع.

وعندما لم يجدوا المحاذاة الشكلية محقّقة في الجمع المكسَّر حملوه على جمع التصحيح. فكلاهما جمع. وكأن العمل لا يتم ولا يتحقق إلا عند تصيّد المحاذاة الشكلية بين العامل والفعل الذي حمل عليه في العمل، أي بين اسم الفاعل مفردًا كان أو مثنى أو جمعًا وبين الفعل المضارع، وهذه المحاذاة في التثنية والجمع لا تتحقق إلا في بنية الجملة الاسمية.

* **أمثلة عمل اسم الفاعل المثنى والجمع:**

= من القرآن الكريم[2] :

أ- جمع التصحيح: قوله تعالى:

- ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٥].
- ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [النساء: ١٦٢].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٤.

(٢) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٢، وسيبويه، الكتاب ١/ ١٨٣.

- ﴿هلْ هُنَّ كاشفاتٌ ضُرَّه﴾ [الزمر: ٣٨]. في قراءة [١] أبي عمرو وعاصم بتنوين «كاشفات»

ب- جمع التكسير: قوله تعالى ﴿خُشَّعًا أبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾ [القمر: ٧]. فـ «خُشَّعًا»، بضم الخاء وتشديد الشين، جمع تكسير لـ «خاشع» في قراءة ابن كثير ونافع وعاصم، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي «خاشعًا» بألف[٢].

= من الشعر:

أ- المثنى: قول الشاعر:

الشّاتمِيْ عِرْضِي ولَمْ أَشْتُمْهُمَا ... والنَّاذِرَيْنِ إذا لَمَ القهُمَا دَمِي[٣]

ب- جمع التصحيح: قول امرئ القيس:

القائلين الملك الحلاحلا ... خيرَ مَعَدّ حسبًا ونائلا[٤]

جـ- جمع التكسير، ومنه جمع فواعل أجروه مُجرى فاعله، حيث كانوا جمعوه وكسروه عليه[٥]، كقول أبي كبير الهذلي:

مّما حَمَلْنَ بِه وَهُنَّ عَواقِدٌ ... حُبُكَ النِّطَاقِ فعاش غيرَ مُهَبَّلِ

صرف عواقد ضرورة، ونصب به حُبك، وعواقد جمع عاقدة[٦].

وقال العجّاج: أوالفًا مكّة مِنْ وُرْقِ الحَمِي

صرف أوالفا ضرورة وأوالف جمع آلفة[٧].

= من النثر:

أ- المثنى: هذان الضاربان زيدًا.

ب- جمع التصحيح: هؤلاء الضاربون خالدًا.

---

(١) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ٥٦٢.
(٢) المرجع السابق ص ٦١٧-٦١٨.
(٣) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٢.
(٤) ينظر: ابن هشام، قطر النّدى ص ٣٧٩.
(٥) سيبويه، الكتاب ١/ ١٠٩-١١٠.
(٦،٧) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٤-٧٥.

جـ- جمع التكسير: قولهم: الهندات ضواربُ عمراً.

وقولهم: «هل هنّ حَوَاجُّ بيتَ الله»[١].

فـ «حواجّ» جمع حاجة «وفيه نيّة التنوين، وإنّما سقط؛ لأنه لا ينصرف، فكان ما فيه من أسباب منع الصرف بمنزلة التنوين، فلذلك نصب ما بعدها»[٢].

وتحذف نون المثنى والجمع عند الإضافة، كقول الشاعر:

الفارجو بابِ الأمير المبهم[٣].

يقول سيبويه: «فإن كففت النون جررت وصار الاسم داخلاً في الجار، وبدلاً من النون؛ لأن النون لا تعاقب الألف واللام... وذلك قولك: هما الضاربا زيدٍ، والضاربو عمرٍو»[٤].

وقد تحذف النون ويبقى نصب ما بعدها، كقول الشاعر:

الحافظو عـورةَ العشيـرةِ لا ... يأتيهـمُ من ورائنـا نَطَـفُ

«فلم تحذف النون هنا للإضافة، ولا ليعاقب الاسم النون، ولكن حذفوها كما حذفوها من اللَّذَيْنِ والّذينَ حيث طال الكلام، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر، قال الأخطل:

أبني كُلَيْـبٍ إنَّ عَمَّيَ اللَّذَا ... سلبا الملـوك وفككـا الأغلالا

لأن معناه معنى الذين فعلوا»[٥].

فإطالة التركيب اللغوي عن طريق التعدية ساعدت على حذف النون، لأن اسم الفاعل «مع المفعول به بمنزلة اسم مفرد، كما أن الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم»[٦].

فالنون في المثنى والجمع لا تعاقب الألف واللام، وإنما تعاقب الإضافة «ولذلك

---

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٠٩.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٥.

(٣) ينظر: ابن معطي، الفصول الخمسون ص ١٢٩.

(٤) سيبويه، الكتاب ١/ ١٨٤.

(٥،٦) سيبويه، الكتاب ١/ ١٨٦.

جازت الإضافة فيما تدخله النون مع الألف واللام نحو قولك: هما الضاربا زيد؛ لأن النون تعاقب الإضافة، فكما تثبت النون مع الألف واللام، كذلك تثبت الإضافة مع الألف واللام»[(١)].

تقول: هذا الضارب الرجل أمس، تضيف الوصف وهو مقترن بالألف واللام إلى ما فيه الألف واللام، تشبيهًا بالحسن الوجه، لذلك لا يجوز أن نقول: هذا الضاربُ زيد أمس؛ لأنه فَقَد المضارعة مع الصفة المشبّهة، فيجب إضافته إلى ما فيه الألف واللام، أوَ إلى ما أضيف إلى ما فيه الألف واللام، مثل: الضاربُ رأسِ الجاني[(٢)].

*** التابع لمجرور اسم الفاعل:**

إذا اتبع المجرور باسم الفاعل بأحد التوابع، فإما أن يكون اسم الفاعل عاملاً أو غير عامل:

أ- فإن كان اسم الفاعل عاملاً، جاز في المعطوف «التابع» وجهان[(٣)] من الإعراب هما: ١- الجر على اللفظ. ٢- النصب بإضمار فعلٍ يناسب المعنى.

مثال العطف قولك: هذا ضاربُ زيدٍ وعمرٍو وعمرًا.

فالجر على لفظ «زيد» المجرور بالإضافة، والنصب بتقدير فعل اتفاقًا، أي: ويضرب عمرا أو بإضمار[(٤)] وصف منوّن. ويلاحظ هنا أن المعطوف لم يفصل بينه وبين المجرور بفاصل. ويرى سيبويه أن الجر هنا أقوى[(٥)] فالحمل على اللفظ أولى[(٦)] من النصب بتقدير فعل وهو الوجه[(٧)].

أما إذا فصل بين التابع والاسم المجرور بفاصل مثل: هذا ضاربُ زيدٍ فيها وعمرا.

---

(١) ابن السرّاج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٩.

(٢) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٨٤.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٧٤، ورضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣.

(٤) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٧٤.

(٦) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣.

(٧) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٠.

فالنصب هنا عند سيبويه أقوى للفصل وإطالة الكلام، فكلما طال الكلام كان النصب أقوى، و«ذلك أنك لا تفصل بين الجار وبين ما يعمل فيه، فكذلك صار هذا أقوى»(١) .

فالبعد الموقعي بين الجار والمجرور يؤدي إلى ضعف حالة الجر ويقوّي حالة النصب، و«لأن الناصب ينصب ما تباعد منه والجار ليس كذلك»(٢) .

ففي حالة الفصل بين التابع والاسم المجرور باسم الفاعل يكون نصب المعطوف أولى من جرّه، فالبنية السطحية Surface Structure «المنطوقة» هنا في المثال السابق هي: «وعمرا» والبنية العميقة Deep Structure المفسِّرة لها بحسب دلالة السياق هي: ويضرب عمرًا. لذلك يقول تشومسكي: «البنية العميقة تعبِّر عن المحتوى الدلالي، بينما تحدّد البنية السطحية الشكل الصوتي»(٣) .

ويجوز هنا عند بعض النحويين «وهم الكوفيون وطائفة من البصريين» النصب على المحل، فيكون للنصب وجهان: الأول: على تقدير فعل أو بإضمار وصف منوّن، والثاني بالعطف على محل(٤) المجرور؛ لأنه معمول لاسم الفاعل العامل الذي يجوز فيه وجهان النصب، والجر بالإضافة، فقد أضيف هنا اسم الفاعل لذلك يحتفظ المجرور به بحالة النصب.

أما سيبويه فيرى أن نصب المعطوف يكون بفعل مُقدّر يناسب المعنى، ويرى رضي الدين أن تقدير اسم الفاعل المنوّن في حالة النصب «أولى من تقدير الفعل ليوافق المقدَّر الظاهر»(٥) .

فرضي الدين يرى أن التوافق اللفظي بين العنصر المذكور والمقدَّر أولى من الاختلاف، لذا يرى تقدير اسم فاعل يناسب لفظ المذكور، في حالة نصب المعطوف.

وربما تكون نظرة سيبويه في تقدير فعل ترجع إلى أن الفعل هو الأصل في العمل،

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ١٧٤ .

(٢) ابن السراج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٧-١٢٨ .

(٣) Chomsky, N. : Aspects of the Theory of Syntax, Cambridge. 1965, P.143.

(٤) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٧ .

(٥) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣ .

واسم الفاعل محمول عليه فهو فرع له، والأصل أقوى من الفرع، لذلك لم يهتم سيبويه بالتناسب الشكلي بين العامل الظاهر والمقدَّر.

ومثال ما روي بالوجهين في العطف قول الشاعر:

الواهبُ المائةَ الهجانِ وعبدَها   عُوذًا تُزجّى بينها أطفالها[1]

بنصب كلمة «عبد» وجرّها. وقول الآخر:

هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتِنا   أو عبدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بن مِخْرَاقِ[2]

وكلمة «عبد» في البيت الثاني رويت بالوجهين أيضًا النصب والجر، فالنصب على تقدير فعل، أو اسم فاعل موافق للمذكور في اللفظ. والتقدير: أو تبعث عبدَ ربٍّ، أو باعثٌ عبدَ ربٍّ، والجر على اللفظ، ويجوز أن يكون النّصب عطفًا على محل[3] «دينار»؛ لأن اسم الفاعل «باعث» يعمل لدلالته على الاستقبال، فالشاعر يستفهم المخاطب عما سيقع.

ويرى المبرّد في البيت السابق أن المعطوف منصوب بفعل مقدّر، ومع هذا عند التقدير قدّر اسم فاعل موافق للمذكور، فقال: «ونصب الثاني لأنه أعمل فيه الفعل، كأنه قال: أو باعثٌ عبدَ ربٍّ»[4] وربما يرجع ذلك إلى أن اسم الفاعل يساوي الفعل في المعنى والعمل.

والنصب في البيتين السابقين أقوى من الجر، لوجود فاصل بين الاسم المجرور «المعطوف عليه» والمعطوف، و«كلّما تباعد الثاني من الأول قوى النصب واختير»[5]. وهذا هو مذهب سيبويه، لذلك روى البيت في كتابه[6] بالنصب.

---

(١) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١١٩ .

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٧١، والمبرِّد، المقتضب ٤/ ١٥١، ورضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣، وابن السّراج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٧، وابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٢٠ .

(٣) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢/ ١٢٠ .

(٤) المبرِّد، المقتضب ٤/ ١٥١ .

(٥) المرجع السابق نفسه .

(٦) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٧١ .

هذا إن كان اسم الفاعل مضافًا إلى اسم ظاهر فيجوز كما تقدّم النصب والجر، أما إذا أضيف اسم الفاعل العامل إلى ضمير، حُمل[1] المعطوف على الفعل نحو «هذا ضاربك وزيدًا غدا. يقول ابن السراج: «لما لم يجز أن تعطف الظاهر على المضمر حملته على الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] ولم تعطف على الكاف المجرورة»[2].

فعطفُ الاسم الظاهر على الضمير المجرور باسم الفاعل العامل، لا يجوز فيه الجر، إلا إذا أعيد ذكر الجار «المضاف» مع المعطوف. فإذا لم يذكر الجار قبل المعطوف لم يبق إلا النّصب بإضمار فعل مناسب أو اسم فاعل يوافق المذكور.

ب- وإذا كان اسم الفاعل غير عامل، أي كان بمعنى الماضي جاز فيما بعده وجهان من الإعراب:

١- الجر وهو المختار[3].

٢- النصب بتقدير فعل من لفظ اسم الفاعل. نحو: «هذا ضاربُ عبدِ الله وزيدًا»، يقول سيبويه: «وإنما جاز هذا الإضمار؛ لأن معنى الحديث في قولك: هذا ضاربُ زيدٍ، هذا ضرب زيدًا، وإن كان لا يعمل عمله فحمل على المعنى»[4].

فاسم الفاعل هنا وإن كان غير عامل إلا أنّه حمل على معنى الماضي فجاز تقدير فعل من لفظه. ويرى المبرِّد أن النّصب هنا يكون على المعنى، ولبعد المعطوف عن الجار، يقول في نحو: هذا معطي زيد الدراهمَ أمسِ وعمرو «جاز لك أن تنصب عمرا على المعنى لبعده عن الجار. فكأنك قلت: وأعطى عمرا»[5].

---

(١) يضاف اسم الفاعل المجرد العامل إلى المفعول به جوازًا، إن كان ظاهرًا متصلاً ووجوبًا إن كان ضميرًا متصلاً. ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد ص ١٣٧.

(٢) ابن السّراج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٨.

(٣) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣.

(٤) سيبويه، الكتاب ١/ ١٧٢.

(٥) المبرِّد، المقتضب ٤/ ١٥٤. ومثال المقتضب: هذا مُعطى الدراهمَ أمس وعمرو. فاسم الفاعل فيه غير مضاف، وصحته ما ذُكر هنا. وينظر ابن السّراج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٨.

ويتعيّن[1] هنا في حالة النصب إضمار فعل من لفظ اسم الفاعل، ولا يجوز إضمار اسم فاعل من لفظ المذكور؛ لأنه غير عامل، كما لا يجوز العطف بالنصب على المحل لنفس السبب، وهو عدم صلاحية اسم الفاعل للعمل، لعدم جريانه على الفعل الماضي في اللفظ، ولعدم دلالته على الحال أو الاستقبال.

ولا يكون الفعل المقدّر هنا إلا ماضيًا، ليوافق اسم الفاعل المذكور في الحدث والدلالة الزمانية «إلا إن كان هناك ما يدل على خلافه، نحو: هذا ضاربُ زيدٍ أمس، وعمرًا غدًا»[2].

ومثال المعطوف على مجرور الوصف غير العامل قوله تعالى: «فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا والشمسَ والقمر» [الأنعام: ٩٦]. فكلمة «الشمس» في الآية السابقة منصوبة بفعل يناسب المعنى، يقدّر من لفظ اسم الفاعل المذكور، وهو «جعل»[3] ولا يجوز نصبها «بإضمار وصف منوّن ولا بالعطف على المحل؛ لأن الوصف المذكور غير عامل لكونه بمعنى الماضي»[4].

هذا إذا لم يُرد باسم الفاعل «جاعل» حكايةِ الحال، فإن كان على حكاية الحال الماضية مثل «باسط» في قوله تعالى ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨] فهنا يجوز النصب بالعطف على محل[5] المجرور؛ لأن اسم الفاعل يكون حينئذ عاملاً.

ويرى رضي الدين أن نصب الاسم بالعطف على محل مجرور اسم الفاعل غير العامل فيه ضعف[6]، والمختار هو جر المعطوف حملاً على اللفظ؛ لأن اسم الفاعل هنا غير عامل.

فسيبويه يرى أن الاسم المنصوب المعطوف على مجرور الوصف غير العامل يشغل

---

(١) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٧، وخالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٠، والأشموني شرح الأشموني ١/ ٥٦٣ .

(٢) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣ .

(٣) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ٢٠٧، والأشموني، شرح الأشموني ١/ ٥٦٤.

(٤) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٧٠ .

(٥) الصبّان، حاشية الصبان ٢/ ٣٠١ .

(٦) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٣ .

وظيفة المفعول به، ويقدِّر له عاملاً من لفظ اسم الفاعل المذكور ففي نحو: هذا ضاربُ عَبْدِ الله وعمراً، يكون التقدير: وضربَ عمراً(١) .

فالتقدير هنا جاء لسدّ حاجة المعمول إلى عامل؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك معمول بغير عامل. ويصف «رويشل» "Reuschel" منهج كل من الخليل وسيبويه في التقدير، فيقول: «إنهما لا يريدان أن يصفا ما يتكلمه المرء، بل ما يجب أن ينطق به»(٢) .

ويقول ڤايل "Weil" في وصف ظاهرة التقدير: «التقدير هو الاستعمال الشديد للقياس لمطابقة النص الخارج على القواعد، وليس لشرح النصوص المنقولة»(٣) .

فالتقدير كما يرى كل من رويشل وڤايل، لا يصف الواقع المنطوق وإنما الغرض منه المحافظة على القواعد المقرّرة من قبل النحاة.

*** عمل أبنية المبالغة:**

أبنية المبالغة ضرب من أسماء الفاعلين، وهي محوّلة عن «فاعل» لقصد المبالغة والتكثير، فاسم الفاعل أصل لأمثلة المبالغة، وهي تعمل عمل اسم الفاعل سواء كانت مفردة أو مثنّاة أو مجموعة بشروطه، وأشهرها خمسة أوزان هي: فعّال وفعول ومفعال وفعيل وفَعِل.

يقول ابن يعيش: «وقد أجروا ضربًا من أسماء الفاعلين ممّا فيه معنى المبالغة مجرى الفعل الذي فيه معنى المبالغة في العمل، وإن لم يكن جاريًا عليه في اللفظ فقالوا: زيدٌ ضرَّابٌ عبيدَه وقتّال أعداءَه، كما قالوا: زيد يضرب عبيدَه، ويقتل أعداءَه»(٤) .

فابن يعيش يشترط في صيغة المبالغة أن يكون فعلها مما يقبل معنى المبالغة والتكثير، مثل: ضرب، وقتل، فيقال: ضرَّاب وقتَّال، فلا تستعمل صيغة المبالغة إلا حيث يمكن الكثرة والمبالغة في الحدث، «فلا يقال موّات، ولا قتّال زيد، بخلاف قتّال النّاس»(٥) .

---

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٧٢ .

(٢) Reuschel, w. Al Ḫalīl Ibn Aḥmad der Lehrer Sībawaihs als Grammatiker, Berlin 1959, S. 63 .

(٣) Weil, G. Abu'l - Barkāt Ibn Al- anbārī, Die Grammatischen Streitfragen der Basrer und Kufer, Leiden 1913, S. 27 .

(٤) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٠ .

(٥) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٧ .

وترد الصيغ الثلاثة الأول وهي: فعّال وفعول ومِفْعال بكثرة، أما الصيغتان الأخيرتان فتأتيان بقلة[١].

وقد اختلف في عمل صيغ المبالغة على ثلاثة آراء هي:

الأول: ويرتبط بعمل الصيغ الثلاثة الأول، فقد ذهب[٢] البصريون إلى جواز إعمالها لكثرة ورودها في السماع، مثال[٣] ذلك قول الشاعر:

أخا الحرْبِ لَبّاسًا إليها جِلالَها   ولَيْس بِولاَّجِ الخَوَالِفِ أعْقَلاَ

وقول الآخر:

ضروبٌ بِنَصْلِ السّيفِ سُوَق سِمانِها   إذا عَدِمُوا زادًا فإنّكَ عَاقِرُ

وحكى سيبويه: «إنَّه لَمِنْحَارٌ بوائكها»[٤].

الثاني: ويتعلق بإعمال الصيغتين الأخيرتين وهما فعيل وفعِل، وقد اختلف فيهما على النّحو التالي:

١- لم يجز بعض البصريين[٥] إعمالهما، ويقول السيوطي: أنكر أكثر[٦] البصريين إعمالهما.

٢- أجاز الجرمي إعمال فَعِل دون فعيل؛ لأنه على وزن الفعل كعَلِم وفَهِم وفَطِن»[٧]. ويروي السيوطي عنه عكس ذلك يقول: «وأنكر الجرمي فَعِل دون فعيل؛ لأنه أقل ورودًا حتى إنه لم يسمع إعماله في نثر»[٨].

٣- يرى أبو عمرو جواز عمل «فَعِل» بضعف[٩].

٤- أجاز أبو حيّان إعمالهما، لكن لا يتعدى فيهما السماع[١٠]، بل يقتصر عليه.

(١) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ١٩٧، وابن عصفور، المقرّب ١/ ١٢٨.
(٢) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية في النّحو، ٢/ ٢٠٢، وخالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨.
(٣) ينظر: سيبويه الكتاب ١/ ١١١، ابن هشام، أوضح المسالك ٣/ ١٩٧-١٩٩.
(٤) سيبويه، الكتاب ١/ ١١٢.
(٥) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨.
(٦) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٧.
(٧) خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨.
(٨) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٧.
(٩، ١٠) المرجع السابق نفسه.

٥- يرى سيبويه جواز إعمالهما، وهو بهذا يخالف أكثر النحويين، واستشهد على ذلك بما جاء في الشعر، كقول ساعدة بن جؤيّة:

حتّى شآها كَليلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ ... باتتْ طِرابًا وباتَ الليلَ لَمْ يَنَمِ[١]

وقول آخر:

حذِرٌ أُموراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ ... ما لَيسَ مُنْجِيَه منَ الأَقْدَارِ[٢]

فأما المعترضون «فقد قالوا[٣] إن فَعِلا وفعيلا موضوعان للذات والهيئة التي يكون الإنسان عليها، لا أن يجريا مجرى الفعل فهما كقولك: رجل كريم وظريف وعَجِل وأجابوا عن البيتين اللذين ذكرهما فقالوا: إن البيت الأول جاءت فيه كلمة «موهنا» ظرف زمان، «والظرف يكفيه رائحة الفعل»[٤]. أما البيت الثاني فهو مصنوع من اللاحقي عندما طلب منه سيبويه شاهدا في تعدّي «فَعِل».

ويرى ابن يعيش[٥] أنّ ما ذهب إليه سيبويه هو الصحيح، وهو القياس على صيغة فعيل، كقولك: رحيم من راحم، وعليم من عالم، ويجوز عنده: زيد رحيم عمرا. وعن البيت الأول يرى أن كليل بمعنى مُكِلّ، وإنّما غيّر للتكثير وفعيل بمعنى مفعل كثير مثل عذاب أليم بمعنى مؤلم، وعن البيت الثاني ذكر أن سيبويه رواه عن بعض العرب، وهو ثقة لا سبيل إلى ردّ ما رواه.

الثالث: ذهب الكوفيون[٦] إلى عدم جواز إعمال صيغ المبالغة، وذلك لمخالفتها الفعل المضارع في اللفظ والمعنى. فصيغ المبالغة تدل على التكثير والمبالغة، والفعل لا يدل على ذلك، وحملوا الاسم المنصوب بعد صيغ المبالغة على تقدير فعل.

فسبب عدم الإعمال عند الكوفيين يرجع إلى فوات الشبه اللفظي بين صيغ المبالغة والفعل المضارع، ويرى البصريون أن المبالغة تجبر[٧] هذا النقص الشكلي.

(١، ٢) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١١٣، ١١٤.

(٣) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٣. ورضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢.

(٤) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢. (٥) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٣.

(٦) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢، وخالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨، والسيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٧.

(٧) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢.

ممّا تقدم من خلاف بين النحويين في عمل صيغ المبالغة يتبيّن الآتي:

١- أن الاهتمام بالشكل بين العامل «صيغ المبالغة» وبين ما حملت عليه وهو الفعل المضارع، ساعد على حدوث هذا الجدل البعيد كل البعد عن الواقع اللغوي. فقد رفض الكوفيون- وهم الذين يتسم منهجهم بالسماع- عمل صيغ المبالغة رغم ورودها في الشعر، بناء على عدم توافر المحاذاة الشكلية بين أبنية المبالغة والفعل المضارع.

وما يراه البصريون من أن معنى المبالغة يغني عن فوات الشبه اللفظي بين صيغ المبالغة والفعل، شيء بعيد عن طبيعة اللغة ولا يصف الواقع اللغوي المنطوق، كما رفض أيضًا بعض البصريين إعمال صيغتي فعيل وفَعِل لقلة ورود السماع بهما، ولم يحدّدوا عدد الشواهد المسموح القياس عليها.

والحقيقة أن صيغتي فعيل وفَعِل يدلان على الذات والهيئة التي يكون عليها الإنسان، فهما أقرب إلى الصفة المشبّهة، لذلك يكتفى فيهما بالسماع، وخصوصًا أن الشواهد التي وردت في إعمالهما- كما قيل- قليلة.

٢- هناك تناقض واضح بين ما رواه العالمان خالد الأزهري والسيوطي في أمرين هما: أ- ذكر الشيخ خالد الأزهري أن الجرمي أجاز إعمال فَعِل دون فعيل؛ لأنه على وزن الفعل كعَلِم وفَهِم[(١)] وفَطِن. بينما ذكر السيوطي أن الجرمي أنكر فَعِل دون فعيل؛ لأنه أقل ورودًا حتى إنه لم يسمع[(٢)] إعماله في نثر.

ب- ذكر الشيخ خالد الأزهري في عمل صيغتي فعيل وفَعِل، أن بعض البصريين[(٣)] لم يجز إعمالهما، وذكر السيوطي، أن أكثر البصريين[(٤)] يرون ذلك.

ولم يذكر كل منهما المصادر والمراجع التي أخذوا منها هذه الآراء حتى يستطيع الباحث متابعة الآراء المنسوبة إلى بعض النحويين.

---

(١) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨.
(٢) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٧ .
(٣) ينظر: خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨.
(٤) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٧ .

* **القسم الثاني:**

المبحث الأول: دراسة تطبيقية لبنية اسم الفاعل وعمله في سورة البقرة.

وتتناول الدراسة مايلي:

١- اسم الفاعل من الثلاثي وغير الثلاثي، وتُذكر الآيات هنا حسب الترتيب الألفبائي للأفعال التي صيغ منها اسم الفاعل.

٢- الحالات الإعرابية لاسم الفاعل، والوظائف النحوية التي شغلها في هذه الحالات.

٣- صور إعمال اسم الفاعل وشروط عمله، ومدى اتفاق ذلك مع ما قاله النّحاة.

١- اسم الفاعل من الثلاثي:

أ- من «فَعَلَ» بفتح العين.

الآيـــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل[1]
﴿ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾	٢٦٧	جار ومجرور خبر «ليس»
﴿من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر[2]﴾	٨	صفة لمجرور
﴿وبالآخرة[3] هم يوقنون﴾	٤	مجرور بالحرف متعلق بالفعل
﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾	٥٤	مجرور بالحرف متعلق بالفعل

(١) تمّ ذكر وظيفة اسم الفاعل هنا منعًا لتكرار الآيات عند الحديث عن الحالات الإعرابية والوظائف النحوية التي شغلها اسم الفاعل في هذه الحالات.

(٢،٣) كلمة الآخر مؤنثها الآخرة، جاءتا على وزن فاعل وهما مشتقان من مادة «أخر» وليس لهما فعل يدل على الحدث والزمن، وكذلك اسم الفاعل منهما، والآخر بعد الأول وهو صفة، والآخِرة: دار البقاء، وهي صفة غالبة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «أخر».

وكلمة «الآخر» وردت سبع مرات وجاءت فيها كلّها نعتًا مجرورًا لكلمة «اليوم» والآيات هي: (٨،٦٢،١٢٦،١٧٧،٢٢٨،٢٣٢،٢٦٤).

أما كلمة «الآخرة» فقد وردت عشر مرات وذلك على النحو التالي:

- سبع مرات مجرورة بالحرف (٤،٨٦،١٠٢،١١٤،١٣٠،٢٠٠،٢٠١).
- مرتين معطوفة على مجرور (٢١٧،٢٢٠).
- مرة واحدة صفة لمرفوع (٩٤).

الآيـــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾	٥٤	مضاف إليه
﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾	٤٢	جار ومجرور متعلق بالفعل
﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾	١٨٨	جار ومجرور متعلّق بالفعل
﴿فمن اضطر غير باغٍ﴾	١٧٣	مضاف إليه
﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾	٣٠	خبر «إنّ»
﴿قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾	١٢٤	خبر «إنّ»
﴿ذلك لمن لم يكن أهلُه حاضري المسجد﴾	١٩٦	خبر «كان»
﴿إلا أن تكون تجارةً حاضرةً﴾	٢٨٢	صفة لمنصوب
﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾	١٨٨	مجرور بالحرف متعلّق بالفعل
﴿وما هم بخارجين من النار﴾	١٦٧	مجرور بالحرف خبر «ما»
﴿فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين[1]﴾	٦٥	صفة لمنصوب
﴿وإنّها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾	٤٥	مجرور بالحرف متعلّق بالمصدر
﴿وهم فيها خالدون﴾	٢٥	خبر مبتدأ
﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	٣٩، ٢٥٧	خبر مبتدأ
﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾	٨٢	خبر مبتدأ
﴿خالدين فيها لا يخفّف عنهم العذاب﴾	١٦٢	حال
﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	٢١٧	خبر مبتدأ
﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	٢٧٥	خبر مبتدأ
﴿ لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً﴾	٩٤	حال
﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية﴾	٢٥٩	خبر مبتدأ
﴿وبثّ فيها من كل دابّة﴾	١٦٤	مضاف إليه

(١) خَسَأ، إذا ذَلَّ، فهو فعل لازم مطاوع خسأته، فاللازم منه والمتعدي بلفظ واحد مثل: زاد الشيءُ وزدته، وغاض الماء وغضته. ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٣٧ .

الآيـــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿فإني قريب أجيب دعوة الدَّاعِ﴾	١٨٦	مضاف إليه.
﴿وأنّهم إليه راجعون﴾	٤٦	خبر «أنّ».
﴿قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾	١٥٦	خبر «إنّ».
﴿واركعوا مع الراكعين﴾	٤٣	مضاف إليه.
﴿والمساكين وابن السبيل والسائلين﴾	١٧٧	معطوف على منصوب
﴿والعاكفين والركّع السجود﴾	١٢٥	صفة لمجرور
﴿فإن الله شاكر عليم﴾	١٥٨	خبر «إنّ»
﴿والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾	٦٢	معطوف على منصوب
﴿إنّ الله مع الصابرين﴾	١٥٣	مضاف إليه
﴿وبشِّر الصابرين﴾	١٥٥	مفعول به.
﴿والصابرين في البأساء والضرّاء﴾	١٧٧	مفعول به.
﴿والله مع الصابرين﴾	٢٤٩	مضاف إليه .
﴿إن كنتم صادقين﴾	٢٣، ٣١، ٩٤، ١١١	خبر «كان» .
﴿وما هم بضارّين به من أحد﴾	١٠٢	خبر «ما» الحجازية .
﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين[1]﴾	١٩٨	مجرور بالحرف، خبر كان.
﴿أن طهّرا بيتي للطائفين﴾	١٢٥	مجرور بالحرف، متعلق بالفعل.
﴿فتكونا من الظالمين﴾	٣٥	مجرور بالحرف، خبر كان.
﴿وأنتم ظالمون﴾	٥١، ٩٢	خبر مبتدأ
﴿والله عليم بالظالمين﴾	٩٥	مجرور بالحرف متعلّق بالوصف
﴿لا ينال عهدي الظالمين[2]﴾	١٢٤	مفعول به

(١) ضلَل، بالفتح لغة نجد، وهي اللغة الفصحى، وبنو تميم وأهل الحجاز وأهل العالية ينطقونها بالكسر ضَلِلْتُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة: «ضلل» .

(٢) قرئت بالرفع «الظالمون» قرأها عبد الله. ينظر: الفراء، معاني القرآن ١/ ٧٦. والمعنى في الرفع والنصب واحد؛ لأن النيل مشتمل على العهد وعلى الظالمين إلا أنه منفي عنهم. والقراءة الجيدة هي على نصب الظالمين؛ لأن المصحف هكذا فيه. ينظر: الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٠٠ .

الآيــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿إنك إذًا لمن الظالمين﴾	١٤٥	مجرور بالحرف، خبر إنّ
﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾	١٩٣	مجرور بالحرف متعلق بالمصدر
﴿فأولئك هم الظالمون﴾	٢٢٩	خبر مبتدأ
﴿والله عليم بالظالمين﴾	٢٤٦	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿والكافرون هم الظالمون﴾	٢٥٤	خبر مبتدأ
﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾	٢٥٨	صفة لمنصوب.
﴿وما للظالمين من أنصار﴾	٢٧٠	مجرور بالحرف، خبر مقدم .
﴿ونحن له عابدون﴾	١٣٨	خبر مبتدأ.
﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾	١٧٣	معطوف على مجرور.
﴿أن طهّرا بَيْتي للطائفين والعاكفين﴾	١٢٥	معطوف على مجرور.
﴿ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد﴾	١٨٧	خبر مبتدأ.
﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾	٧٤،٨٥،١٤٠،١٤٩	مجرور بالحرف خبر «ما».
﴿وما الله[1] بغافل عمّا يعملون﴾	١٤٤	مجرور بالحرف، خبر «ما».
﴿وما يضلّ به إلا الفاسقين﴾	٢٦	مفعول به .
﴿وما يكفر به إلا الفاسقون[2]﴾	٩٩	فاعل.
﴿إنّها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونُها﴾	٦٩	صفة لمرفوع.

(١) بغافل في موضع نصب على أن تكون «ما» حجازية، ويجوز أن تكون في موضع رفع، على أن تكون «ما» تميمية، ودخلت الباء في خبر المبتدأ، وسوّغ ذلك النفي. أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٤٣١.

(٢) يرى الزجاج أن «الفاسقين» منصوب على الاستثناء، والمعنى : وما يَضِلُّ به أحدٌ إلا الفاسقين. ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٥. ويرى العكبري أن «الفاسقينَ» منصوب على المفعولية، فهو مفعول به لـ «يضلّ» وليس بمنصوب على الاستثناء؛ لأن «يضل» لم يستوف مفعوله قبل إلا. ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص٤٤ .

ويقول أبو حيان: ما ذهب إليه العكبري ليس بممتنع، ويجوز في «الفاسقين» وجهان: النصب على المفعولية وعلى الاستثناء ويكون معمول يضل قد حذف لفهم المعنى. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٢٠٣،٢٠٤ .

والأرجح إعراب الفاسقين مفعولاً به لحاجة الفعل «يضل» إلى مفعول، وللبعد عن القول بالحذف والتقدير .

الآيـــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾	١٢٧	مفعول به
﴿كلّ له قانتون﴾	١١٦	خبر مبتدأ
﴿وقوموا لله قانتين﴾	٢٣٨	حال
﴿بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب﴾	٢٨٢	فاعل
﴿ولا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾	٢٨٢	نائب فاعل أو فاعل
﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا[1]﴾	٢٨٣	مفعول به
﴿والله محيط بالكافرين﴾	١٩	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿أعدّت للكافرين﴾	٢٤	مجرور بالحرف متعلق بالفعل
﴿ إلا إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين﴾	٣٤	مجرور بالحرف خبر كان
﴿ولا تكونوا أول كافر به[2]﴾	٤١	مضاف إليه
﴿فلعنة الله على الكافرين﴾	٨٩	مجرور بالحرف، خبر
﴿وللكافرين عذاب مهين﴾	٩٠	مجرور بالحرف خبر مقدّم
﴿فإن الله عدوّ للكافرين﴾	٩٨	مجرور بالحرف صفة
﴿وللكافرين عذاب أليم﴾	١٠٤	مجرور بالحرف خبر مقدّم
﴿لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارًا﴾	١٠٩	حال
﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾	١٦١	خبر مبتدأ
﴿كذلك جزاء الكافرين﴾	١٩١	مضاف إليه
﴿ فيمت وهو كافر﴾	٢١٧	خبر مبتدأ
﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾	٢٥٠	صفة لمجرور

(١) قرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحّاك وأبو العالية (ولم تجدوا كتـابًا)، وروى عن ابن عباس (ولم تجدوا كُتَّابًا) . قال أبو جعفر: هذه القراءة شاذة والعامة على خلافها، ونسق الكلام يدل على كاتب. قال تعالى قبل هذا «وليكتب بينكم كاتب بالعدل» وكتّاب يقضي جماعة.

ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ١/ ٣٤٨.

(٢) يجوز أن تكون كلمة «كافر» صفة لموصوف محذوف، والتقدير: أول فريق كافر.

ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٢٣. والعكبري، التبيان في إعرابِ القرآن، القسم الأول ص٥٨.

الآيـــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿والكافرون هم الظالمون﴾	٢٥٤	مبتدأ
﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾	٢٦٤	صفة لمنصوب.
﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾	٢٨٦	صفة لمجرور.
﴿تلك عشرةٌ كاملةٌ﴾	١٩٦	صفة لمرفوع.
﴿ يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾	٢٣٣	صفة لمنصوب.
﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾	١٥٩	فاعل.
﴿تسر الناظرين﴾	٦٩	مفعول به.
﴿فأصابه[1] وابل فتركه صلداً﴾	٢٦٤	فاعل.
﴿كمثل جنّة بربوة أصابها وابل﴾	٢٦٥	فاعل.
﴿لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً﴾	٨٣	مجرور بالحرف متعلّق بالمصدر
﴿إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين﴾	١٨٠	مجرور بالحرف خبر.
﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين﴾	٢١٥	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾	٢٣٣	مبتدأ
﴿لا تضار[2] والدة بولدها﴾	٢٣٣	نائب فاعل.

ب- من «فعِل» بكسر العين:

﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾	٢٨٣	خبر إنّ
﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمنًا﴾	١٢٦	مفعول ثان أو حال
﴿وما أنت بتابعٍ قبلتهم، وما بعضهم بتابعٍ﴾	١٤٥	مجرور بالحرف خبر «ما».
﴿قل أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾	٦٧	مجرور بالحرف خبر «كان».

---

(١) كلمة وابل بزنة فاعل، اسم للمطر.

(٢) قرئت على ضربين: برفع الراء مشدّدة، وبفتح الراء مشدّدة. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣١٣.
فقد قرأ بالرفع ابن كثير وأبو عمرو، ويعقوب، وأبان عن عاصم، وقرأها باقي السبعة بفتح الراء جعلوها نهيًا، وفي حالة تشديد الراء مرفوعة أو مفتوحة أو مكسورة، يحتمل أن يكون الفعل مبنيًا للفاعل، ويحتمل أن يكون مبنيًا للمفعول. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢/ ٥٠٢.

الآيــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿ويحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾	٢٧٣	فاعل
﴿أولئك هم الخاسرون[1]﴾	٢٧	خبر مبتدأ
﴿ لكنتم من الخاسرين﴾	٦٤	مجرور بالحرف خبر كان
﴿فأولئك هم الخاسرون﴾	١٢١	خبر مبتدأ
﴿ ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾	١١٤	حال
﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	٢٥٧،٨١	خبر مبتدأ
﴿أولئك أصحاب الجنة﴾	٨٢	خبر مبتدأ
﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾	١١٩	مجرور بالحرف متعلّق بالفعل
﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	٢١٧	خبر مبتدأ
﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾	٢٧٥	خبر مبتدأ
﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾	١٩	مجرور بالحرف متعلّق بالفعل
﴿فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾	٥٥	فاعل
﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾	٢٣٣	مجرور بالحرف، خبر مقدّم
﴿إن الله واسع عليم﴾	١١٥	خبر إنَّ
﴿والله واسع عليم﴾	٢٤٧، ٢١٦، ٢٦٨	خبر مبتدأ

جـ- من «فعُل» بضم العين:

﴿وبشّر الذين أمنوا وعملوا الصالحات﴾	٢٥	مفعول به
﴿وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربّهم﴾	٦٢	مفعول به أو صفة لمحذوف
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٨٢	مفعول به
﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾	١٣٠	مجرور بالحرف، خبر إنّ
﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٢٧٧	مفعول به.

(١) الخاسرون، خبر لـ «أولئك» و«هم» ضمير فصل أو خبر لـ «هم» باعتباره مبتدأ ثانيًا. ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٥ .

الآيــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿إنها بقرةٌ لا فارضٌ[1] ولا بكر﴾	٦٨	صفة لمرفوع
﴿إلهًا واحدًا[2] ونحن له مسلمون﴾	٣٣	صفة لمنصوب
﴿وإلهكم إلهٌ واحدٌ[3]﴾	١٦٣	صفة لمرفوع
﴿كان النّاس أمةً واحدةً﴾	٢١٣	صفة لمنصوب

٢- اسم الفاعل من غير الثلاثي

أ- من الرباعي «فعلل»

- ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب﴾	٩٦	مجرور بالحرف، خبر «ما»

ب- من الثلاثي المزيد: ١- المزيد بحرف:

* «أفعل»

﴿وما هم بمؤمنين﴾	٨	مجرور بالحرف، خبر «ما»
﴿إن كنتم مؤمنين﴾	٩٣،٩١	خبر «كان»
﴿وهدًى وبشرى للمؤمنين﴾	٩٧	مجرور بالحرف متعلّق بالمصدر
﴿ولأمةٌ مؤمنةٌ خير من مشركة﴾	٢٢١	صفة لمرفوع
﴿ولعبدٌ مؤمنٌ خير من مشرك﴾	٢٢١	صفة لمرفوع
﴿وبشّر المؤمنين﴾	٢٢٣	مفعول به
﴿إن كنتم مؤمنين﴾	٢٤٨ ، ٢٧٨	خبر كان
﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾	٢٨٥	معطوف على مرفوع
﴿إنّه لكم عدوٌ مبينٌ﴾	١٦٨ ، ٢٠٨	صفة لمرفوع

(١) يرى الزجاج أن كلمة «فارض» خبر لمبتدأ تقديره «هي». الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٥٠ ويعترض أبو حيان على إعرابها خبرًا؛ لأن الأصل عدم الحذف، ويرى أنها صفة لبقرة، والصفة وإن كانت منفية بـ «لا» وجب تكرارها. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٤٠٦.
ويرى العكبري جواز الوجهين، يقول: «لا فارض» صفة لبقرة «ولا» لا تمنع ذلك، لأنّها دخلت لمعنى النفي، فهو كقولك: مررت برجل لا طويل ولا قصير، وإن شئت جعلته خبر مبتدأ، أي: لا هي فارض» العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٧٤ .

(٣،٢) واحد هنا بزنة فاعل، وهي صفة مشبهة للخالق عزّ وجل.

الآيـــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿وسنزيد المحسنين﴾	٥٨	مفعول به
﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو مُحْسِن﴾	١١٢	خبر مبتدأ
﴿إنّ الله يحبّ المحسنين﴾	١٩٥	مفعول به
﴿متاعًا بالمعروف حقًا على المحسنين﴾	٢٣٦	مجرور بالحرف متعلق بالمصدر
﴿والله محيطٌ بالكافرين﴾	١٩	خبر مبتدأ
﴿والله مُخْرِجٌ ما كنتم تكتمون﴾	٧٢	خبر مبتدأ
﴿ونحن له مخلصون﴾	١٣٩	خبر مبتدأ
﴿واجعلنا مُسْلمين لك﴾	١٢٨	مفعول ثان
﴿ومن ذريتنا أُمّة مُسْلمةً لك﴾	١٢٨	صفة لمنصوب
﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾	١٣٢	خبر مبتدأ
﴿ونحن له مسلمون﴾	١٣٣، ١٣٦	خبر مبتدأ
﴿مِنْ أهل الكتاب ولا المشركين﴾	١٠٥	معطوف على مجرور
﴿وما كان من المشركين﴾	١٣٥	مجرور بالحرف، خبر كان
﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ﴾	٢٢١	مفعول به
﴿ولأمةٌ مؤمنةٌ خير من مشركةٍ﴾	٢٢١	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾	٢٢١	مفعول به
﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾	٢٢١	مجرور بالحرف متعلق بالوصف
﴿قالوا إنّما نحن مصلحون﴾	١١	خبر مبتدأ
﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾	٢٢٠	مجرور بالحرف متعلّق بالفعل
﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾	١٥٦	فاعل
﴿ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾	٨٣	خبر مبتدأ
﴿ألا إنّهم[(١)] هم المفسدون﴾	١٢	خبر إن، أو خبر مبتدأ

(١) يجوز هنا في «هم» ثلاثة أوجه إعرابية:
١- أن يكون مبتدأ ثانيًا والمفسدون خبره.
٢- أن يكون توكيدًا للهاء والميم «اسم إنّ» فيكون في موضع نصب.
٣- أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، والكوفيون يقولون: عماد.
ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن القسم الأول ص٢٩، وأبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ١/ ١٨٩-١٩٠.

الآيـــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾	٦٠	حال
﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾	٢٢٠	مفعول به
﴿وأولئك هم المفلحون﴾	٥	خبر مبتدأ
﴿ وعلى المقتر قدره﴾	٢٣٦	مجرور بالحرف خبر
﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾	٢١٣	معطوف على منصوب
﴿وللكافرين عذاب مهين﴾	٩٠	صفة لمرفوع
﴿ومتّعوهن على الموسع قدره﴾	٢٣٦	مجرور بالحرف خبر
﴿فمن خاف من موصٍ(١) جنفًا﴾	١٨٢	مجرور بالحرف متعلِّق بالفعل
﴿والموفون(٢) بعهدهم إذا عاهدوا﴾	١٧٧	خبر مبتدأ محذوف
* فاعَل:		
﴿الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربّهم﴾	٤٦	خبر «أنّ»
﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾	٢٢٣	خبر «أنّ»
﴿قال الذين يظنون أنهم مُلاقوا الله﴾	٢٤٩	خبر «أنّ»
* «فعّل» بتضعيف العين:		
﴿فبعث الله النبيين مبشّرين﴾	٢١٣	حال
﴿وآمنوا بما أنزلتُ مصدِّقًا لما معكم﴾	٤١	حال

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر «من مُوصٍ» بتسكين الواو وتخفيف الصاد، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي «من موَصٍّ» بفتح الواو وتشديد الصاد.

ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص ١٧٦.

(٢) في رفع «الموفون» ثلاثة أوجه(*) إعرابية هي:

١- أن يكون معطوفًا على مَنْ آمن. ينظر: الفراء، معاني القرآن ١/ ١٠٥، والزمخشري، الكشاف ١/ ٢٢٠.

٢- أن يكون خبرًا لمبتدأ، والتقدير: هم الموفون. ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط ٢/ ١٣٩.

٣- أن يعطف على الضمير في الفعل «آمَنَ».

* ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص١٤٤،١٤٥.

ويرى الزجاج أن أجود الآراء هو الرأي الثاني، وهو رفعه على المدح؛ لأن النعت إذا طال رُفع بعضه ونُصب على المدح، والمعنى: هم الموفون بعهدهم. ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤٧.

الآيــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
﴿ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّقٌ﴾	٨٩	صفة لمرفوع
﴿هو الحق مصدّقًا لما معهم﴾	٩١	حال
﴿بإذن الله مصدّقًا لما بين يديه﴾	٩٧	حال
﴿رسولٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم﴾	١٠١	صفة لمرفوع
﴿ولكلٍّ وِجْهة هو مُولِّيها﴾	١٤٨	خبر مبتدأ

٢- ثلاثي مزيد بحرفين:

* «افتعل»

﴿قال إن الله مبتليكم بنهر﴾	٢٤٩	خبر إن
﴿إنّ الله لا يحبّ المعتدين﴾	١٩٠	مفعول به
﴿فلا تكوننّ من الممترين﴾	١٤٧	مجرور بالحرف خبر تكون
﴿وما كانوا مهتدين﴾	١٦	خبر كان
﴿وإنّا إن شاء الله لمهتدون﴾	٧٠	خبر إنّ
﴿وأولئك هم المهتدون﴾	١٥٧	خبر مبتدأ
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتقين﴾	٢	صفة لمرفوع
﴿وموعظةً للمتقين﴾	٦٦	مجرور بالحرف صفة
﴿وأولئك هم المتقون﴾	١٧٧	خبر مبتدأ
﴿حقًا على المتقين﴾	١٨٠،٢٤١	مجرور بالحرف متعلق بالمصدر
﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾	١٩٤	مضاف إليه، خبر أنّ

* «تفاعل»

﴿وأتوا به متشابهًا ولهم فيها أزواج مطهّرة﴾	٢٥	حال

(١) يرى أبو حيان أن كلمة «مصدّق» صفة ثانية، وقدّمت الأولى عليها؛ لأن الوصف بكينونته من عند الله آكد، ووصفه بالتصديق ناشئ عن كونه من عند الله. أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٤٨٦ .
وقد قرئت شذوذًا بالنصب على الحال. ينظر: الكعبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٩٠، والزمخشري، الكشاف، ١/ ١٦٤ .

الآيـــــــــــة	رقمها	وظيفة اسم الفاعل
* «تفعّل»		
﴿إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾	٢٢٢	مفعول به
٣- ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف:		
* «استفعل»		
﴿قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزءون﴾	١٤	خبر مبتدأ

مما تقدم من عرض لاسم الفاعل في سورة البقرة يتبين أنه ورد (٢٢٠) مائتين وعشرين مرة، موزعة على النحو التالي:

- اشتق من الثلاثي (١٥٠) مرة بنسبة ٦٨,٢٪ تقريبًا موزّعة كالتالي:

من «فعَل» بفتح العين (١١٨) مرة.

من «فَعِل» بكسر العين (٢٣) مرة.

من «فَعُل» بضم العين (٩) مرات .

- واشتق من غير الثلاثي (٧٠) مرة بنسبة ٣١,٨٪ تقريبًا موزعة كالآتي:

من الرباعي المجرد «فَعْلَل» مرة واحدة.

من «أفعل» (٤٤) مرة.

من «فَاعَل» (٣) مرات .

من «فعّل» (٧) مرات .

من «افتعل» (١٢) مرة.

من كل من: «تفاعل»، و«تفعّل»، و«استفعل» مرة واحدة.

أكثر الأوزان التي اشتق منها اسم الفاعل من الثلاثي هو وزن «فَعَل» بفتح العين فقد ورد اسم الفاعل منه (١١٨) مرة بنسبة ٧٨,٧٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي للفعل الثلاثي البالغ عدده (١٥٠) مرة. وأكثر الأوزان من غير الثلاثي هو وزن «أفعل» فقد ورد (٤٤)مرة بنسبة ٦٢,٨٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لغير الثلاثي البالغ عدده (٧٠) مرة.

ونتناول هنا اسم الفاعل في سورة البقرة من حيث العدد والنوع، فقد ورد اسم الفاعل من حيث الإفراد والتثنية والجمع، وكذلك المذكّر والمؤنّث على النحو التالي:

١- ورد اسم الفاعل مفردًا (٨٩) مرة موزّعة على النحو التالي:

أ- المفرد المذكر: جاء مفردًا مذكرًا (٦٦) مرة، في الآيات الآتية:

{٨،١٦٢،١٢٦،١٧٧،٢٢٨،٢٣٢،٢٦٤،(٥٤ مرتين)، ٤٢،١٨٨،١٧٣،٣٠، ١٢٤، ١٨٦،١٥٨،١٧٣،٧٤،٨٥،١٤٠،١٤٩،١٤٤،٦٩،(٢٨٢ ثلاث مرات)، ٤١، ٢١٧، ٢٦٤،٢٦٥،(٢٨٣ مرتين)، ١٢٦، (١٤٥ مرتين)، ٢٧٣، ٢٣٣، ١١٥،٢٤٧، ٢٦١، ٢٦٨ ٦٢، ٣٣،١٦٣،٩٦، (٢٢١ مرتين)، ١٦٨،٢٠٨،١١٢،١٩،٧٢،(٢٢٠ مرتين)، (٢٣٦ مرتين)، ٩٠، ١٨٢،٤١،٨٩،٩١،٩٧،١٠١،١٤٨،٢٤٩،٢٥ }.

ب- المفرد المؤنث (٢٣) مرة في الآيات التالية:

{٤،٨٦،١٠٢،١١٤،١٣٠،٢٠٠،٢٠١، ٢١٧، ٢٢٠،٢٨٢، (٩٤ مرتين) ، ٢٥٩، ١٦٤،٥٥، ٢٣٣،١٩٦،٦٨،٢١٣،(٢٢١ مرتين)، ١٢٨،١٥٦ }.

٢- المثنى المذكر: (٥) مرات في الآيات التالية: {٢٣٣،٨٣،١٨٠،٢١٥،١٢٨}.

٣- ورد اسم الفاعل جمعًا (١٢٦ مرة)، موزعة على النحو التالي:

أ- جمع المذكر السالم (١٠٩) مرات، في الآيات التالية:

{٢٦٧،١٩٦،١٦٧،٦٥،٤٥،٢٥،٣٩،٨٢،١٦٢،٢١٧،٢٥٧،٢٧٥،٤٦،١٥٦،٤٣، ١٧٧،٦٢،١٥٣،١٥٥،١٧٧،٢٤٩،٢٣،٣١،٩٤،١١١، ١٠٢، ١٩٨، ١٢٥، ٣٥، ٥١، ٩٢،٩٥،١٢٤،١٤٥،١٩٣،٢٢٩،٢٤٦،٢٥٤،٢٥٨،٢٧٠،١٣٨،١٢٥،١٨٧،٢٦، ٩٩، ١١٦،٢٣٨،١٩،٢٤،٣٤،٨٩،٩٠،٩٨،١٠٤،١٩١،٢٥٠،٢٥٤،٢٦٤،٢٨٦،١٥٩، ٦٩، ٦٧،٢٧،٦٤،١٢١،١١٤،١٣٠،٩٨،٩١،٩٣،٩٧،٢٢٣،٢٤٨،٢٧٨، ٢٨٥، ٥٨، ١٩٥، ٢٣٦،١٣٩،١٣٢،١٣٣،١٣٦،١٠٥،١٣٥،٢٢١،١١،٨٣،١٢،٦٠،٥،٢١٣،١٧٧،٤٦، ٢٢٣،٢٤٩،٢١٣،١٩٠،١٤٧،١٦،٧٠،١٥٧،٢،٦٦،١٧٧،١٨٠،١٩٤،٢٤١،٢٢٢،١٤

ب- جمع المؤنث (٥) مرات {٢٣٣،٢٥،٨٢،٢٧٧،٢٢١}.

جـ- جمع التكسير (١٢) مرة {١٨٨،١٢٥،١٢٧،١٠٩،١٦١،٨١،٢٥٧،٨٢، ١١٩،٢١٧،٢٧٥،١٩}.

مما تقدّم يتبين أن اسم الفاعل المجموع جمع تصحيح للمذكر هو أكثر الحالات ورودا من حيث العدد. ويرجع ذلك إلى ضرورة التناسب الصوتي في نهاية فواصل الآيات في سورة البقرة، فقد جاء حرف النون في نهاية فواصل سورة البقرة في {١٩٥} مائة وخمس وتسعين آية، منها {٩٦} ست وتسعون آية شغلت فواصلها الأفعال الخمسة المرفوعة بثبوت النون و{٨٦} ست وثمانون آية شغل فواصلها اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم ولا يناسب ذلك إلا أن يأتي اسم الفاعل في صيغة الجمع، حتى يتم التوافق الصوتي بين فواصل الآيات .

ويبلغ عدد آيات سورة البقرة {٢٨٦} مائتين وست وثمانين آية، يشغل فواصل هذه الآيات سبعة أحرف(١) هي: «الباء، والدال، والراء، والقاف، واللام، والميم ، والنون».

وحرف النون هو أكثر الحروف ورودًا في نهاية الفواصل، فقد ورد (١٩٥) مرة بنسبة ٦٨,٢٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لعدد آيات السورة وهو (٢٨٦) آية.

يليه حرف الميم، فقد ورد {٥٤} مرة بنسبة ١٨,٩٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لعدد آيات السورة وهو (٢٨٦) آية، ويرجع ذلك إلى أنّهما حرفان متقاربان في المخرج، ومتفقان في الصفة، فكلاهما حرف أنفي(٢) مجهور، بمعنى أن الهواء المحبوس يخرج عن طريق الأنف، ويتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بهما، إلا أن الميم تنطق عن طريق انطباق الشفتين انطباقًا تامًا، فينحبس الهواء، أما النون فتنطق عن طريق اعتماد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة فينحبس الهواء.

---

(١) وردت الأحرف الستة الأول على النحو التالي:

- الباء (٩) مرات {٢٠٢،٢١٢،١٦٦،١٦٥،١٩٦،٢١١،٢١٤،١٩٧،٢٦٩}
- الدال (٧) مرات {٢٥٣،١٧٦،٢٦٧،١٢٥،٢٠٧،٢٠٥،٢٠٦}
- الراء (١٩) مرة {٢١٠،١١٠،٢٣٣،٢٣٧،٢٦٥،٢٠،١٠٦،١٠٩،١٤٨،٢٥٩،٢٨٤،١٢٦،٢٨٥،٢٧٠، ١٠٧،١٢٠،١٦٧،١٧٥،٢٠١}.
- القاف مرة واحدة {٢٠٠} . - اللام مرة واحدة {١٠٨} .
- الميم (٥٤) مرة {١،٢٧٦،١٠٤،١٧٤،١٧٨،١١٩،٣٢،١٢٩،٢٠٩،٢٢٠،٢٢٥،٢٢٨،٢٤٠،٢٦٠،٢٣٥، ٢٦٣،٢٠٤،٣٧،٥٤،١٢٨،١٤٣،١٦٠،١٦٣،١٧٣،١٨٢،١٩٢،١٩٩،٢١٨،٢٢٦،٧،٤٩،١٠٥،١١٤، ٢٥٥،٢٩،١١٥،١٢٧،١٣٧،١٥٨،١٨١،٢١٥،٢٢٤،٢٢٧،٢٣١،٢٤٤،٢٤٧،٢٥٦،٢٦١،٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٢،٢٨٣،١٤٢،٢١٣}.

(٢) د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٧٣م، ص١٣٠ .

- الأفعال الخمسة المرفوعة بثبوت النون (٩٦) مرة، وآياتها هي:

{٣، ٤، ٦، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، (٨٤-٨٨)، ٩٦، (١٠٠-١٠٣)، ١١٢، ١١٣، ١١٨، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٩، (١٨٣-١٨٩)، ٢٠٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١}.

- اسم الفاعل المجموع جمع تصحيح للمذكر (٨٦) مرة، وآياته هي:

{٢، ٥، ٨، ١١، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٨، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٩، (٩١-٩٥)، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١١١، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، (١٣٠-١٣٣)، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٦}.

فقد ورد اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم (١٠٩) مرة في سورة البقرة بنسبة ٤٩,٥٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لعدد ورود اسم الفاعل وهو (٢٢٠) مرة منها (٨٦) مرة، جاءت في فواصل الآيات، ويرجع ذلك إلى كثرة مجيء حرف النون في فواصل الآيات، ولا يناسب ذلك إلا ورود اسم الفاعل في صيغة الجمع المذكر ليؤدّى مع غيره من الكلمات النّونية إلى حدوث التناسب والتنغيم الصوتي في فواصل الآيات.

ثانيًا: الحالات الإعرابية لاسم الفاعل في سورة البقرة، والوظائف النحوية التي شغلها في هذه الحالات.

وقع اسم الفاعل في الحالات الإعرابية الثلاث، الرفع والنصب والجر، وذلك على النحو التالي:

أ- حالة الرفع {٧٩} مرة .

شغل اسم الفاعل بعض الوظائف النحوية التي تخص حالة الرفع وهي:

١- المبتدأ، ورد مرتين {٢٥٤ ، ٢٣٣} .

٢- خبر المبتدأ (٤٢) مرة {٢٥،٣٩،٨٢،٢١٧،٢٥٧،٢٧٥،٢٥٩،٥١،٩٢،٢٢٩، ٢٥٤، ١٣٨، ١٨٧، ١١٦، ١٦١، ٢١٧، ٢٧، ١٢١، ٨١، ٢٥٧، ٨٢، ٢١٧، ٢٧٥، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٦٨، ١١٢، ١٩، ٧٢، ١٣٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١١، ٨٣، ١٢، ٥، ١٧٧، ١٤٨، ١٥٧، ١٧٧، ١٤}.

٣- الفاعل (٨) مرات {٩٩،٢٨٢،١٥٩،٢٦٤،٢٦٥،٢٧٣،٥٥،١٥٦}.

٤- نائب الفاعل ورد مرتين {٢٨٢ ، ٢٣٣ }.

٥- خبر حرف ناسخ «إنَّ» (١٢) مرة {١٢٤،٣٠،٤٦،١٥٦،١٥٨،٢٨٣،١١٥، ٤٦، ٢٢٣، (٢٤٩مرتين)، ٧٠}.

٦- صفة لمرفوع (١٣) مرة {٦٩،١٩٦،٦٨،١٦٣، (٢٢١مرتين)، ١٦٨،٢٠٨، ٩٠، ٨٩،١٠١،٢،٩٤}.

٧- معطوف على مرفوع ورد مرة واحدة {٢٨٥}.

ب- حالة النصب (٥٣) مرة .

شغل اسم الفاعل بعض الوظائف النحوية التي تدخل في دائرة النصب وهي:

١- خبر «كان» (١٠) مرات {١٩٦،٢٣،٣١،٩٤،١١١،٩١،٩٣،٢٤٨،٢٧٨،١٦}

٢- المفعول به (٢١) مرة {١٥٥،١٧٧،١٢٤،٢٦،١٢٧،٦٩،٢٨٣،١٢٦،٢٥،٦٢، ٨٢،٢٧٧،٢٢٣،٥٨،١٩٥،١٢٨، (٢٢١ مرتين)، ٢٢٠،١٩٠،٢٢٢}.

٣- الحال (١١) مرة {١٦٢،٩٤،٢٣٨،١٠٩،١١٤،٢١٣،٦٠،٤١،٩١،٩٧،٢٥}.

٤- صفة لمنصوب (٨) مرات {٢٨٢،٦٥،٢٥٨،٢٦٤،٢٣٣،٣٣،٢١٣،١٢٨}.

٥- معطوف على منصوب (٣) مرات {١٧٧، ٦٢ ، ٢١٣} .

جـ- حالة الجر (٨٨) مرة .

١ - الجر بالحرف وينقسم إلى قسمين:

أ- متعلق بمحذوف ويشغل وظيفة إعرابية:

- متعلق بمحذوف[1] خبر لمبتدأ (٩) مرات {٢٧٠،٨٩،٩٠،١٠٤،١٨٠،٢٣٣، (٢٣٦مرتين) ، ١٠٢}.

- متعلّق بمحذوف خبر فعل[2] ناسخ «كان» (٨) مرات {٢٦٧،١٩٨،٣٥،٣٤،٦٧، ١٤٧،١٣٥،٦٤} .

- متعلّق بمحذوف خبر حرف[3] ناسخ «إنّ» ورد مرتين {١٣٠،١٤٥}.

- متعلق بمحذوف صفة (٣) مرات {١٦٧،٩٨،٦٦}.

ب- متعلّق بمذكور في الجملة، وهو ثلاثة أنواع هي:

- متعلق بالفعل (١٦) مرة {٤،٨٦،٢٠١،٢١٧،٢٢٠،٥٤،٤٢، (١٨٨ مرتين)، ٤٣، ١٢٥،٢٤،١١٩،١٩،١٨٢،٢٢٠}.

- متعلّق بالمصدر (٩) مرات {١١٤،٢٠٠،٤٥،١٩٣،٨٣،٩٧،٢٣٦،١٨٠،٢٤١}.

- متعلّق بالوصف (٨) مرات {١٣٠،٩٥،٢٤٦،١٩،٢١٥،(٢٢١مرتين)، ٢٢٠}.

٢- الجـر بـالإضـافـة (١٠) مـرات {١٧٣،١٦٤،١٨٦،١٥٣،٢٤٩،٥٤،٤٣،٤١، ١٩١،١٩٤}.

٣- صفة لمجـرور (١٠) مرات {٨،٦٢،١٢٦،١٧٧،٢٢٨،٣٣٢،٢٦٤،١٢٥،٢٥٠، ٢٨٦}.

٤ - مجرور بالحـرف خبر «ما»[4] الحـجازية (١٠) مـرات {١٠٢،٧٤،٨٥ ، ١٤٠، ١٤٩،١٤٤،١٤٥،٩٦،٨،١٦٧}.

٥- معطوف على مجرور (٣) مرات {١٢٥، ١٠٥، ١٧٣} .

---

(١) تعد هذه الحالة من حالات الرفع .

(٢) تعد هذه الحالة من حالات النصب .

(٣) تعد هذه الحالة من حالات الرفع .

(٤) تعد هذه الحالة من حالات النصب .

مما تقدّم من عرض للحالات الإعرابية، والوظائف النحوية التي شغلها اسم الفاعل في هذه الحالات يتبين أن اسم الفاعل ورد مرفوعًا (٧٩) مرة، وكانت أكثر الوظائف النحوية استعمالاً في حالة الرفع هي وظيفة الخبر، فقد وردت (٥٤) مرة موزعة كالتالي:

- خبر مبتدأ (٤٢) مرة . - خبر حرف ناسخ «إنّ» (١٢) مرة .

بنسبة ٦٨,٤٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لحالة الرفع .

كما جاء اسم الفاعل منصوبًا (٥٣) مرة وكانت أكثر الوظائف ورودًا في حالة النصب هي وظيفة المفعول به، فقد وردت (٢١) إحدى وعشرين مرة بنسبة ٣٩,٦٪ تقريبًا، يليها وظيفة الحال فقد وردت (١١) إحدى عشرة مرة بنسبة ٢٠,٨٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لحالة النصب.

أما حالة الجر، فقد ورد اسم الفاعل مجرورًا (٨٨) مرة منها (٧٥) خمس وسبعون مرة جُرّ فيها بالحرف بنسبة ٨٥,٢٪، وجاء مجرورًا بالإضافة (١٠) مرات، بنسبة ١١,٣٪ إلى المجموع الكلي لحالة الجر .

ثالثًا: اسم الفاعل العامل في سورة البقرة:

جاء اسم الفاعل عاملاً في سورة البقرة، وتنوع العمل بين الرفع والنّصب وذلك على النّحو التالي:

أ- عمل الرفع:

رفع اسم الفاعل، الاسم الواقع بعده على الفاعلية في موضعين هما:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣](١) .

---

(١) قرئت الآية بنصب كلمة «قلبَه» واختلف في إعرابها على ثلاثة أوجه هي:

١- أنّها منصوبة على التمييز، وهو وجه ضعيف لأنها معرفة.

٢- أنّها منصوبة على التشبيه بالمفعول به.

٣- أنّها بدل من اسم إنّ «الضمير» بدل بعض من كل، ولا يمنع ذلك الفصل بين البدل والمبدل منه بالخبر «آثم». أبو حيان، البحر المحيط ٢/ ٧٤٦ .

- وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩].

فاسم الفاعل في الآيتين السابقتين، جاء منونا، فرفع ما بعده على الفاعلية[١]، وهو كلمة «قلبُه» في الآية الأولى، و«لونها» في الآية الثانية، وقد اعتمد اسم الفاعل في الآية الأولى على مخبر عنه «اسم إنّ» كما اعتمد في الآية الثانية على موصوف هو "بقرة"، وهذا يؤيّد ما ذهب إليه النحويون من ضرورة أن يعتمد اسم الفاعل على شيء إذا جاء مجردًا من «أل» ودلّ على الحال أو الاستقبال.

ب- عمل النّصب:

جاء اسم الفاعل عاملاً النصب، وهو مجرد من «أل» في عشرة مواضع:

١ - قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

فاسم الفاعل «جاعل» في الآية السابقة يراد به الاستقبال، لذلك عَمِل، فقد نصب خليفة على المفعولية، ويرتبط تأثيره الإعرابي هنا بالمعنى الذي يدل عليه في السياق، فإن كان «جاعل» بمعنى خالق، تعدّى إلى مفعول به واحد هو «خليفة»، أما إن كان بمعنى «مُصيِّر، فيتعدى إلى مفعولين، الأول «خليفة»، والثاني هو الجار والمجرور[٢] «في الأرض».

ويرى أبو حيان أن المعنى الأول وهو الخلق أرجح، لدلالة السياق عليه، فقد قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فظاهر هذا أنه مقابل ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فلو كان الجعل الأول على معنى التصيير لذكره ثانيًا فكان: أيجعل فيها خليفة من يفسد فيها[٣].

---

(١) لـ «آثم» وجهان آخران من الإعراب:

أ- يجوز عند الزمخشري أن يكون «آثم» خبرًا مقدمًا، و«قلبُه» مبتدأ مؤخرًا، والجملة خبر إنّ. ينظر: الزمخشري، الكشاف ١/ ٣٢٩.

ب- يرى ابن عطية أن «آثم» مبتدأ، وقلبُه، فاعل سدّ مسدّ الخبر، وهذا لا يجوز عند البصريين لعدم اعتماده على أداة نفي أو أداة استفهام. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢/ ٧٤٦.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص ٤٧.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٢٢٦.

وهنا يتضح مدى أهمية الجانب الدلالي في تحديد معمول العامل «الصيغة» ومدى تأثيره الإعرابي في عناصر الجملة، فاسم الفاعل «جاعل» في الآية السابقة ينصب مفعولاً به واحدًا، هو كلمة «خليفة» لدلالته على الخلق.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١].

٣- قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

٤- قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [البقرة: ٩٧].

٥- قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]

٦- قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠١].

فكلمة «مصدِّق» في الآيات الخمس السابقة اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف العين «فعّل» وقد جاء منونًا دالاً على الاستقبال، وقد عمل النصب في محل اسم الموصول «ما» المجرور بحرف الجر «اللام» التي تفيد التقوية[١] ، وقد اعتمد اسم الفاعل المنصوب «مصدِّقًا» في الآيات من (٢-٤) على صاحب الحال وهو الضمير، سواء كان ظاهرًا، أو مستترًا كما في الآية الأولى، واعتمد اسم الفاعل المرفوع «مصدِّق» في الآيتين الأخيرتين (٥-٦) على المخبر عنه «كتابٌ» و«رسولٌ»، وهذا يؤيّد ما قاله النّحاة من ضرورة اعتماد اسم الفاعل المجرد من «أل» على شيء يقربه من الفعلية.

٧- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

فاسم الفاعل «مخرج» في الآية السابقة، وإن كان من حيث المعنى ماضيًا، إلا أنه على حكاية الحال، فقد حكى ما كان مستقبلاً وقت[٢] التدارؤ، ويرى الزجاج[٣] أنه يدل على الحال أو الاستقبال. فنصب اسم الموصول «ما» ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، ويكون المصدر بمعنى المفعول، أي: يخرج كتمكم، أي: مكتومكم[٤] .

---

(١) ينظر: محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الثاني، الجزء الثالث ص٣٢٩.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٤١٩ .

(٣) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٥٤ .

(٤) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص٧٨ .

فاسم الفاعل «مخرج» جاء منونًا، ويدل على الحال أو الاستقبال، وقد اعتمد على المخبر عنه وهو هنا «لفظ الجلالة» لذلك عمل النّصب في الاسم الواقع بعده وهو «ما».

٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

فاسم الفاعل «جاعل» جاء منونًا دالاً على الحال أو الاستقبال، وقد اعتمد على المخبر عنه وهو «اسم إنّ»، وقد تعدّى - مثل فعله- إلى مفعولين الأول الضمير «الكاف» وقد أضيف إليها، والثاني الاسم الظاهر وهو «إمامًا».

٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥].

جاء في الآية السابقة اسم الفاعل «تابع» مرتين، وهو اسم منوّن يدل على الحال أو الاستقبال، وقد اعتمد على المخبر عنه وهو «أنت» و«بعضهم» ، ولذلك عمل النصب في الاسم الواقع بعده وهو «قبلة» على المفعولية.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

فاسم الفاعل في الآية السابقة «مُوَلٍّ» مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف العين «ولّى»، وهو يتعدى لمفعولين، الأول هو الضمير «ها» والثاني[١] محذوف يدل عليه سياق الكلام، والتقدير: مُولِّيها وجْهَه[٢] أو نفسَه.

ويلاحظ أن اسم الفاعل العامل في سورة البقرة لم يأت إلا على صورة واحدة هي كونه مجردًا من «أل» فلم يأت مقترنًا بأل.

* وقد جاء اسم الفاعل مضافًا في بعض المواضع، وذلك على النّحو التالي:

أ- إضافته إلى الاسم الظاهر:

أضيف اسم الفاعل إلى الاسم الظاهر في ثلاثة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

فاسم الفاعل في الآية السابقة جاء نكرة، وقد أضيف إلى الاسم الظاهر «ربّهم»،

---

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص١٢٧ .

(٢) ينظر: أبو جعفر النّحاس، إعراب القرآن ١/ ٢٧١ .

«ولم يقع[1] الفعل». واسم الفاعل المنون يجوز فيه وجهان النصب والجر، وقد جاء هنا على الوجه الثاني.

وأصله «ملاقون» وحذفت النون للتخفيف[2]، وهو بمعنى الحال أو الاستقبال وإضافته إضافة لفظية «غير محضة»[3]، فالنون حذفت هنا منعًا للثقل وطلبًا للخفة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ [القمر: ٢٧]. وهذا قبل الإرسال، ولكن حذفت النون استثقالاً»[4].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فقد أضيف اسم الفاعل «ملاق» في الآية السابقة إلى لفظ الجلالة واسم الفاعل هنا يدل على الاستقبال، وقد أضيف إلى معموله، وهذا جائز، وقد حذفت النون للإضافة.

٣- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فاسم الفاعل الجمع «حاضري» في الآية السابقة جاء خبرًا لكان وقد أضيف إلى اسم ظاهر، وحذفت نونه بسبب الإضافة.

ب- إضافته إلى ضمير:

أضيف اسم الفاعل في سورة البقرة للضمير في أربعة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

فقد جاء هنا اسم الفاعل «بارئ» مجرورًا مرتين، وأضيف إلى معموله «الضمير»، وهنا تتعين إضافته لأن ما بعده جاء ضميرًا.

٢- قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فقد جاء في الآية السابقة، اسم الفاعل «ملاق» نكرة وهو يدل على الاستقبال، وقد أضيف إلى معموله «ضمير لفظ الجلالة» وحذفت النون للإضافة.

---

(١) ينظر: الأخفش، معاني القرآن ١/ ٨٩.
(٢) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٢٧.
(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٣٠٠، ٣٠١.
(٤) الأخفش، معاني القرآن ١/ ٨٩.

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

فاسم الفاعل في الآية السابقة «آخذ» جاء نكرة دالاً على الاستقبال، وقد أضيف إلى ضمير الغائب المذكر «الهاء».

٤- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم [1] بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فقد أضيف هنا اسم الفاعل «مبتل» إلى ضمير المخاطب الجمع، فاسم الفاعل في المواضع الأربعة السابقة جاء مضافًا إلى ضمير وهنا تتعين إضافته لوقوع الضمير بعده.

* ■ *

القسم الثاني:

المبحث الثاني: اسم الفاعل والظواهر النحوية:

يرتبط اسم الفاعل ببعض الظواهر النحوية حال دخوله في التراكيب اللغوية، وهي: ١- ظاهرة التنكير والتعريف.

٢- ظاهر العامل.

٣- ظاهرة التقديم والتأخير.

١- **ظاهرة التنكير والتعريف:** لاسم الفاعل صورتان:

أ- أن يكون مجردًا من «أل» وحينئذ يكون منونًا.

ب- أن يقترن بـ «أل».

ويكون في الصورة الأولى نكرة لتنوينه، ويكون في الصورة الثانية معرّفًا بأل التي تدل على اسم الموصول «الذي»، نحو: الضارب والكاتب إلخ.

وإذا أضيف الاسم على إطلاقه إلى اسم محلى بأل، أو إلى ضمير اكتسب عن طريق هذه الإضافة التعريف مما أضيف إليه، مثل: غلامُ خالدٍ، وكتابُ عليٍّ، وغلامُه،

(١) قرأ الجمهور: بنهَر، بفتح الهاء، وقرأ مجاهد، وحميد الأعرج وأبو السمّاك وغيرهم بإسكان الهاء في جميع القرآن. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢/ ٥٨٦.

وكتابُه؛ لأن الإضافة هنا إضافة محضة «معنوية» تفيد معنى التعريف، ولو أضيف إلى نكرة اكتسب معنى التخصيص، نحو: غلام رجلٍ.

أما اسم الفاعل فإذا أضيف إلى ما بعده، حذف التنوين طلبًا للخفة، ولا يتغيّر من المعنى شيء، يقول سيبويه: «وليس يغيّر كفّ التنوين إذا حذفته مستخفًا شيئًا من المعنى ولا تجعله معرفة»[1].

فإضافة اسم الفاعل إلى ما بعده إضافة لفظية، الغرض منها غرض لفظي وهو التخفيف من ثقل التنوين، فهي إضافة غير محضة ولا يكتسب اسم الفاعل منها التعريف أو التخصيص، بل يبقى نكرة كما كان قبل دخوله في التركيب الإضافي. وأمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

فقد أضيف اسم الفاعل «بالغ» إلى اسم معرَّف بالألف واللام هو «الكعبة» وحذف التنوين استخفافًا، ومع هذا لم يكتسب اسم الفاعل من المضاف إليه التعريف، وبقي على تنكيره، فالإضافة هنا إضافة لفظية غير محضة؛ لأنها على نية الانفصال.

فاسم الفاعل «بالغ» هنا لازال نكرة، وهو على إرادة التنوين، فلو لم يكن على إرادة التنوين «لم يكن صفة لهدي، وهو نكرة»[2].

- وقوله تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

فقد جاء اسم الفاعل «مُمْطِر» مضافًا إلى الضمير «نا»، ومع هذا لم يكتسب التعريف، وبقي على تنكيره، والدليل على ذلك أنه وقع صفة للخبر النكرة «عارضٌ»، فلو لم يكن على التنوين ما جاز أن يكون صفة للنكرة، فالإضافة هنا إضافة لفظية، الغرض منها التخفيف من ثقل التنوين.

- وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧، والأنبياء: ٣٥].

فقد أضيف اسم الفاعل المؤنث «ذائقة» إلى كلمة معرّفة بالألف واللام هي

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ١٦٥.

(٢) المبرِّد، المقتضب ٤/ ١٤٩، وابن السراج، الأصول في النّحو ١/ ١٢٦-١٢٧، وابن يعيش، شرح المفصل ٦/ ٦٨.

«الموت»، ولم يكتسب التعريف؛ لأنه جاء صفة للنكرة قبله «نفس»، فاسم الفاعل هنا «يحكم عليه من حيث دلالته بأنه نكرة، ويترتب على ذلك أن يعامل معاملة النكرة في الجملة،ومن هنا يتحكم العنصر الدّلالي في العنصر الصوتي المنطوق، ويفرض نفسه عليه»(١) .

فاسم الفاعل المضاف هنا إلى معرفة، لم يكتسب التعريف ممّا بعده وبقي نكرة، ودليل ذلك وقوعه صفة للنكرة. وهناك أدلة أخرى على تنكيره رغم إضافته إلى معرفة، ومنها:

أ- وقوعه حالاً في بعض التراكيب رغم إضافته إلى مضاف إلى معرفة، كقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩] فكلمة «ثاني» تشغل وظيفة الحال، وهي مع إضافتها إلا أنّها تعدّ نكرة، «لأن الحال لا تكون إلا نكرة»(٢) فالأصل في الحال التنكير .

ب- دخول رُبّ عليه ، كقول جرير:

يا رُبَّ غابِطنا لو كان يَطْلُبُكم ... لاقَى مُباعدةً مِنكُمْ وحِرْمَانَا

و«رُبَّ» حرف لا يجرّ إلا النكرات، واسم الفاعل «غابط» هنا أضيف في البنية المنطوقة إلى ضمير معرفة، إلا أنه يعدّ نكرة في البنية العميقة «المقدَّرة»، بدليل وقوعه بعدما يختص بالنكرات، وقد حذف الشاعر التنوين استخفافًا، و«وهو يريد رُبَّ غابط لنا»(٣) .

جـ- دخول «أل» عليه رغم إضافته نحو: الضارب الرجل، والضاربا زيد، ولا تقول الغلام الرجل، ولا الغلاما زيد، فاسم الفاعل هنا نكرة؛ لأنه على إرادة التنوين(٤) والانفصال.

وقد يتعرّف اسم الفاعل إذا حلّ محل اسم معرفة، فالجانب الدلالي له دور مهم في

---

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدلالة ص١٥٠ .

(٣،٢) المبرِّد ، المقتضب ٤/ ١٥٠.

(٤) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٦٨ .

تحديد حالته من التنكير والتعريف، يقول سيبويه: «وزعم يونس والخليل أن هذه الصفات المضافة إلى المعرفة، التي صارت صفة للنكرة قد يجوز فيهنّ كلّهن أن يكنّ معرفة، وذلك معروف في كلام العرب. يدلّك على ذلك أنه يجوز لك أن تقول: مررت بعبد الله ضاربك، فجعلت ضاربك بمنزلة صاحبك»(١) .

فالاهتمام بالجانب الدلالي لاسم الفاعل، والحمل على البديل في المعنى، الذي هو معرفة عن طريق الإضافة، ساعد على دخول اسم الفاعل المضاف إلى معرفة في دائرة التعريف.

٢- ظاهرة العامل:

يعمل اسم الفاعل حملاً على الفعل المضارع الذي هو بمعناه، والحمل هنا يعتمد على الجانب اللفظي والجانب الدلالي، ويعمل اسم الفاعل عمل فعله في التعديّ واللزوم، فاسم الفاعل محمول في العمل على الفعل.

والأصل في العمل عند النحويين للأفعال، ومن هنا اكتسبت الأفعال قوة في العمل، لأصالتها في ذلك، وحمل عليها الأوصاف «المشتقات» في العمل، لذلك فالوصف فرع في العمل على الفعل، والفرع ينحط عن درجة الأصل «فلما كانت أسماء الفاعلين فروعًا على الأفعال كانت أضعف منها في العمل»(٢) .

وهناك دليلان على ضعف اسم الفاعل في العمل، عند النحويين وهما:

أ- أنه يتعدى أحيانًا إلى المعمول بحرف جر هو اللام، وذلك لضعفه، نحو:

خالدٌ ضاربٌ لعمرو، ولا يجوز ذلك في الفعل، فلا يقال: ضربت لزيد «قال تعالى: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا ﴾ [الشعراء: ٢٠]، فعدّى الفعل بنفسه، وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، فعدّى الاسم باللام»(٣) .

وقد تعدّى اسم الفاعل بحرف الجر اللام في سورة البقرة في الآيات الآتية:

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٤٢٨ .

(٢) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه

- ﴿مصدِّقًا لما معكم﴾ [البقرة: ٤١]. - ﴿مصدِّق لما معهم﴾ [البقرة: ٨٩، ١٠١].

- ﴿مصدِّقًا لما بين أيديهم﴾ [البقرة: ٩٧]. - ﴿مصدِّقًا لما معهم﴾ [البقرة: ٩١].

واختصاص اللام هنا بتعدي اسم الفاعل إلى المفعول به من بين حروف الجر يرجع إلى إفادتها التخصيص(١) المناسب بين العامل والمعمول.

ب- ضرورة اعتماده على مخبر عنه أو موصوف أو صاحب حال، أو نفي أو استفهام «وهذه الأماكن للأفعال، والأسماء فيها في تقدير الأفعال، ألا ترى أن الخبر في الحقيقة إنما يكون بالفعل... وكذلك الصفة والحال لأنك إنما تحكيه بفعل أو ما يرجع إلى فعل، وأما الاستفهام فهو في موضع الأفعال... وكذلك النّفي، فاسم الفاعل لضعفه في العمل لا يعمل أو يعتمد، والفعل في قوّته لا يفتقر إلى ذلك»(٢).

فاسم الفاعل ضعيف في العمل لفرعيته، لذلك يحتاج إلى ما يقوّيه وذلك عن طريق اللام التي تساعده على الوصول إلى المعمول، أو عن طريق الاعتماد الذي يقرّبه من الفعل.

وقوّة الفعل في العمل ترتبط بموقعه في الجملة، فوقوعه في صدارة الجملة يكسبه قوّة أو بمعنى آخر يحافظ على قوّته التأثيرية في غيره أما إذا تزحزح عن الصدارة، بأن أصبح غير متقدّم على معموله، فإن ذلك قد يضعف من قوته في العمل، ولذلك قد يحتاج حينئذ إلى اللام لتقويته عند تقدّم معموله عليه، يقول رضي الدين: «يجوز أن يعمد الفعل باللام إذا تقدّم عليه المنصوب، كقوله تعالى: ﴿للرؤيا تعبرون﴾(٣)، وقولك: لزيد ضربت»(٤).

وما ذهب إليه رضي الدين يعدّ نادرًا، فقد جاء المعمول «المنصوب» متقدِّمًا على العامل «الفعل»، ولم يعمد الفعل باللام، قال تعالى: ﴿ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون﴾ [البقرة: ٧٨]، ونقول: زيدًا ضربتُ، والكتاب قرأتُ، وهو الكثير في الاستعمال.

---

(١) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢.
(٢) ابن يعيش، شرح المفصّل ٦/ ٧٨-٧٩.
(٣) يوسف/ ٤٣.
(٤) رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠١-٢٠٢.

فالعمل هنا ارتبط بظاهرة الأصل والفرع، وهي بدورها ارتبطت بظاهرة القوة والضعف، وارتبط الفرع بالانحطاط والضعف، وهي أمور لا تتناسب مع الواقع اللغوي المنطوق؛ لأنها أمور تعليلية خارجة عن طبيعة اللغة.

أما عن تعدي اسم الفاعل بحرف اللام إلى معموله، فهو يشبه بعض الأفعال في ذلك، فهناك أفعال تتعدّى بنفسها كما تتعدى باللام، مثل: شكر، ونصح، ووزن، نحو: شكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له، ووزنته ووزنت له. والأكثر في الاستعمال هو مجيء الفعل هنا بحرف الجر اللام.

فقد جاء الفعل «شكر» في القرآن الكريم متعديًا باللام في كل المواضع إلا موضعًا واحدًا تعدّى فيه بنفسه، فمن أمثلة تعدّيه[1] باللام قوله تعالى:

- ﴿أن اشكر لله﴾ [لقمان:١٢].
- ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ [لقمان: ١٤].
- ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة:١٥٢].
- ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ [النمل: ٤٠].

ومثال تعدّيه بنفسه قوله تعالى: ﴿واشكروا نعمةَ اللّه﴾ [النحل: ١١٤].

ويلاحظ أن المشكور إن لم يكن ذاتًا فإن الفعل شكر يتعدى إليه بنفسه وإن كان ذاتًا تعدّى إليه بحرف الجر اللام.

ولكثرة ورود الفعلين «شكر ونصح» بحرف الجر اللام، يقول[2] الفراء: «العربُ لا تكاد تقول: شكرتُك، إنما تقول: شكرتُ لك، ونصحتُ لك ولا يقولون: نصحتُك، وربّما قيلتا، قال بعض الشعراء:

هُمُ جمعوا بُؤْسَى ونُعْمَى عليكم فهلاّ شكرت القومَ إذ لم تقاتلِ

وقال النّابغة:

نصحتُ بني عوفٍ فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلِي»

---

(١) وكذلك البقرة / ١٧٢، والعنكبوت/ ١٧، وسبأ/ ١٥.

(٢) الفراء، معاني القرآن ١/ ٩٢.

فتعدّى الفعل بنفسه أو بحرف جرّ، ظاهرة لغوية، يمكن حمل اسم الفاعل على الفعل فيها، فيكون اسم الفاعل متعدّيًا بنفسه في مواضع، ومتعدّيًا بحرف الجر اللام في مواضع أخرى، وخصوصًا أنه جاء متعدّيًا باللام في القرآن الكريم.

ويكون تفسير قولهم في اتصال اللام باسم الفاعل لتقويته مرتبطًا بالحدث وتأكيده، وليس مرتبطًا بالعمل وضعفه، فكما يتعدّى الفعل مرّة بنفسه ومرة بالحرف، فكذلك الوصف «اسم الفاعل».

٣- ظاهرة التقديم والتأخير:

يعمل اسم الفاعل عمل الفعل المضارع إذا كان مجردًا من «أل» فيعمل مقدّمًا ومؤخرًا[١] ومظهرًا ومضمرًا، ويجوز - كما يجوز في الفعل- تقديم معموله عليه، نحو: هذا زيدًا ضاربٌ، وزيدًا هذا ضاربٌ، فضاربٌ هنا في معنى «يضرب[٢]» فقد تقدّم المعمول على اسم الفاعل في المثال الأول، وتقدّم في المثال الثاني على المبتدأ الذي أخبر عنه باسم الفاعل.

أما إذا جاء اسم الفاعل مقترنًا بأل نحو: زيدٌ الضاربُ عمرًا، فلا يجوز تقديم معموله عليه، فلا يقال: عمرًا زيدٌ الضارب؛ لأن معناه: زيد الذي ضرب عمرًا، ولا يجوز تقديم «عمرًا» «لأنه بعض الاسم إذ كان من صلته»[٣] . فأل في اسم الفاعل اسم موصول بمعنى الذي، ولا يجوز تقديم الصلة أو بعضها على الموصول[٤] ؛ لأن «الصلة والموصول كاسم واحد لا يتقدم بعضه بعضًا»[٥] .

وإذا جاء اسم الفاعل مجرورًا بحرف جر أصلي أو بالإضافة، فلا يجوز تقديم معموله عليه ففي نحو: هذا غلامُ قاتل زيدًا، ومررت بضارب زيدًا، لا يقال: هذا زيدًا غلام قاتل، ولا مررت زيدًا بضارب.

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١٠٨ .
(٢) ينظر: المبرِّد، المقتضب ٣/ ١٩٧.
(٣) المبرِّد، المقتضب ٤/ ١٦٥ .
(٤) هناك أنماط تركيبية يشترط فيها الترتيب فلا يجوز فيها تقديم الثاني على الأول نحو: الموصوف والصفة، والجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه، والمعطوف عليه، والمعطوف إلخ.
(٥) المبرِّد، المقتضب ٣/ ١٩٧ .

أما إذا جُرّ بحرف جرّ زائد، فيجوز عند قوم تقديمه نحو: ليس زيد عمراً بضارب[1] . فالباء هنا زائدة في خبر «ليس»، وربما يرجع ذلك إلى أن الزائد يمكن الاستغناء عنه، فكأنه لا وجود له في التركيب، عكس حرف الجر غير الزائد.

وإذا جاء اسم الفاعل هو ومعطوف عليه خبراً عن مثنى أو وصفًا له، امتنع تقديم معموله عليه نحو: هذان ضاربٌ زيداً ومُكرمه، وجاء رجلان ضاربٌ زيداً ومُكرمه»[2].

فاسم الفاعل يجوز تقديم معموله عليه إلا في حالات ثلاث هي:

١- إذا كان مقترنًا بأل.

٢- إذا جُرّ بحرف جر غير زائد أو بالإضافة.

٣- إذا وقع هو ومعطوفه خبراً عن مثنى أو وصفًا له.

ولأن أبنية المبالغة محوّلة عن اسم الفاعل، ويجوز في معمولها التقديم كما يجوز في اسم الفاعل، ذكر سيبويه[3] أنه سَمِع من يقول: أما العسلَ فأنا شرّاب. بتقديم معمول صيغة المبالغة «فعّال» ، و«منع التقديم الفراء[4] لضعفها في العمل»[5] .

وتقديم عنصر من عناصر الكلام أو تأخيره لا يرتبط فقط بالجانب التقعيدي، أي بما تمليه القواعد من ضرورة ترتيب عناصر الكلام، وإنما يرتبط أيضًا بالجانب الدلالي المقصود من سياق الكلام، فالعرب تقدّم ما هم به أعنى وأحرص، فمن الثابت «أن التقدّم يفيد معنى مغايراً لما يفيده التأخّر»[6] .

* ■ *

(١) ينظر: السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٩٦ .

(٢) الصبان، حاشية الصبان ٢/ ٢٩٢ .

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ١١١ .

(٤) رُوي عن الكوفيين أنهم لا يجيزون عمل صيغ المبالغة. خالد الأزهري، شرح التصريح ٢/ ٦٨ . ورأي الفراء هنا دليل على أنه يرى جواز العمل.

(٥) ينظر: رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢ .

(٦) د. علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النّحو العربي، الجزء الأول، القسم الثاني ص٣١٣ .

* خاتمة البحث *

ممّا تقدم من دراسة نظرية لاسم الفاعل في الفكر الصرفي والنحوي ودراسة تطبيقية لحالات اشتقاقه وصور إعماله في سورة البقرة، يمكن رصد بعض النتائج ومنها:

١ - اهتمام النحويين في العمل بالجانب الشكلي بين اسم الفاعل وما حُمل عليه، وهو الفعل المضارع، ويتمثل هذا الجانب الشكلي في أمرين:

أ- ضرورة الاتفاق اللفظي في الحركات والسكنات بين اسم الفاعل والفعل المضارع.

ب- ضرورة اعتماد اسم الفاعل على مخبر عنه أو موصوف أو صاحب حال أو نفي أو استفهام، حتى يقترب بذلك من دائرة الفعلية.

وهذه النظرة الشكلية، كانت الدافع عند الكوفيين إلى رفض عمل أبنية المبالغة؛ لأنّها - عندهم- لا تتفق مع الفعل في الجانب اللفظي أي في الحركات والسكنات، وبناء على ذلك رفضوا الشواهد التي جاءت دليلاً على عمل صيغ المبالغة .

٢- ارتباط عمل صيغ المبالغة بقانون الكثرة والقلة، فذهب بعض البصريين إلى إعمال الصيغ الثلاثة الأول «فعال، مفعال، فعول» لكثرة ورودها: ورفض بعضهم إعمال صيغتي «فعِيل وفَعِل» لقلتهما في الاستعمال، ولم يحدّدوا العدد المسموح القياس عليه.

٣- استخدم النحاة بعض المصطلحات المرتبطة بظاهرة العامل، والبعيدة عن طبيعة اللغة، مثل الأصل والفرع، والقوة والضعف، والانحطاط وهي مصطلحات لا يجوز وجودها في مجال التقعيد اللغوي؛ لأنّها بعيدة عن المنهج الوصفي للّغة المنطوقة.

٤ - تناقض بعض الآراء المنسوبة للجَرْمي في عمل صيغة «فَعِل» من أبنية المبالغة، فقد ذكر الشيخ خالد الأزهري في [شرح التصريح ٢/٦٨] أن الجَرْمي أجاز إعمال «فَعِل» دون فعيل؛ لأنه على وزن الفعل كعَلِم وفَهِم وفطِن، بينما ذكر

السيوطي في [همع الهوامع ٢/ ٩٧]، أن الجرمي أنكر «فَعِل» دون فعيل؛ لأنه أقل ورودًا، حتى إنه لم يسمع إعماله في نثر .

٥- يرى الفراء جواز إعمال صيغ المبالغة، وهو هنا يخالف الكوفيين، فقد ذكر أن معمول صيغة «فعّال» لا يجوز أن يتقدّم عليها لضعف الصيغة في العمل [رضي الدين، شرح الكافية ٢/ ٢٠٢]، وهذا دليل على أنه يقول بعملها.

٦- ورد اسم الفاعل في سورة البقرة (٢٢٠) مرة، منها (١٥٠) مرة اشتق فيها اسم الفاعل من الفعل الثلاثي بنسبة ٦٨,٢٪ تقريبًا، والباقي وهو (٧٠) مرة، اشتق فيها من الفعل غير الثلاثي بنسبة ٣١,٨٪ تقريبًا.

وأكثر الأوزان التي اشتق منها اسم الفاعل من الثلاثي هو وزن «فعَل» بفتح العين، فقد جاء منه اسم الفاعل (١١٨) مرة بنسبة ٨٧,٧٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي للفعل الثلاثي البالغ عدده (١٥٠) مرة وأكثر الأوزان من غير الثلاثي، هو وزن «أفعل»، فقد ورد (٤٤) مرة بنسبة ٦٢,٨٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لغير الثلاثي البالغ (٧٠) مرة.

٧- اشتق اسم الفاعل من بعض أوزان الأفعال مرة واحدة وهي:

- الرباعي المجرّد «فعلل» (آية ٩٦) .
- الثلاثي المزيد بحرفين «تَفاعل» (آية ٢٥)، و«تفعّل» (آية ٢٢٢).
- الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف «استفعل» (آية ١٤).

٨- من ناحية النوع والعدد، جاء اسم الفاعل مفردًا (٨٩) مرة، وورد مثنّى في (٥) مرات، وورد مجموعًا (١٢٦) مرة موزعة كالتالي:

- جمع المذكر (١٠٩) مرة.
- جمع المؤنث (٥) مرات .
- جمع التكسير (١٢) مرة .

فاسم الفاعل المجموع جمع تصحيح للمذكر هو أكثر حالات اسم الفاعل ورودًا في سورة البقرة، ويرجع ذلك إلى أنه جاء (٨٦) مرة في فواصل الآيات، وأكثر أحرف فواصل السورة هو حرف النون، فقد ورد (١٩٥) مرة منها (٩٦) مرة للأفعال الخمسة

المرفوعة بثبوت النون، و(٨٦) مرة لاسم الفاعل المجموع جمع مذكر، ومن هنا أتى اسم الفاعل في صورة جمع التصحيح، حتى يتم التناسب الصوتي والتنغيم الموسيقي بين فواصل الآيات .

٩- ورد اسم الفاعل مرفوعًا (٧٩) مرة، وكانت أكثر الوظائف النحوية ورودًا في حالة الرفع هي وظيفة الخبر، فقد ورد (٥٤) مرة بنسبة ٦٨,٣٪ تقريبًا موزعة على النحو التالي:

- خبر مبتدأ (٤٢) مرة .
- خبر حرف ناسخ «إنّ» (١٢) مرة .

وجاء منصوبًا (٥٣) مرة، وكانت أكثر الوظائف ورودًا في حالة النصب هي وظيفة المفعول به، فقد ورد (٢١) مرة بنسبة ٣٩,٦٪ تقريبًا. وورد مجرورًا (٨٨) مرة، منها (٧٥) مرة جرّ فيها بالحرف بنسبة ٨٥,٢ تقريبًا، وجاء مجرورًا بالإضافة (١٠) مرات بنسبة ١١,٣٪ تقريبًا إلى المجموع الكلي لحالة الجر.

١٠- جاء اسم الفاعل عاملاً في سورة البقرة في (١٢) اثنى عشر موضعًا، منها موضعان جاء فيهما رافعًا لما بعده، وعشرة مواضع عمل فيها النصب، وقد استعمل في هذه المواضع مجردًا من أل، فلم يأت عاملاً مقترنًا بأل.

١١- ورد اسم الفاعل مضافًا إلى ما بعده في (٧) سبعة مواضع منها ثلاثة مواضع أضيف فيها إلى الاسم الظاهر، وأربعة مواضع أضيف إلى الضمير فيها.

١٢- ارتبط اسم الفاعل ببعض الظواهر النحوية وهي:

أ- ظاهرة التنكير والتعريف .

ب- ظاهرة العامل .

جـ- ظاهرة التقديم والتأخير.

* ■ *

* المصادر والمراجع *

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- **القرآن الكريم .**
- **الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة)**: كتاب معاني القرآن، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- **الأشموني (أبو الحسن علي نور الدين بن محمد)**: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د.ت.
- **ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)**: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
- **د. تمام حسّان** اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .
- **ابن جني (أبو الفتح عثمان) .**

  * الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

  * المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- **أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)** :البحر المحيط في التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **خالد الأزهري**: شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة. د. ت .
- **رضي الدين (محمد بن الحسن الاستراباذي)**:

  * شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

  * شرح الكافية في النّحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- **الزجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري)**: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- **الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)**: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكاتب العربي، بيروت، د. ت.
- **ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل)**: الأصول في النّحو، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)**: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- **د. السيد محمد عبد المقصود**: الأسماء العربية في التصريف، مطبعة الأمانة بالقاهرة، ط. الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)**،
* الأشباه والنظائر في النحو، الجزء الثاني، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت .
* همع الهوامع شرح جمع الجوامع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- **الصبان (محمد بن علي)**: حاشية الصبّان على شرح الأشموني، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د. ت .
- **ابن عصفور (علي بن مؤمن)**: المقرّب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني- بغداد، ط. الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- **ابن عقيل (أبو عبد الرحمن عبد الله بهاء الدين بن عبد الرحمن)**: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث بالقاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- **العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)**: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

- د. علي أبو المكارم: المدخل إلى دراسة النحو العربي، دار الوفاء للطباعة بالقاهرة، ١٩٨٠م، الجزء الأول، القسم الثاني .
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد): الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، د. ت.
- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد): معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠م.
- د. كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم الثاني الأصوات، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.
- ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله): تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي بالقاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- المبرِّد (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٨هـ .
- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط الثانية ١٤٠٠هـ .
- د. محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، مطبعة دار السلام، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث بالقاهرة، د.ت، القسم الثاني، الجزء الثالث.
- ابن معطي (زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي): الفصول الخمسون، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عيسى البابلي الحلبي وشركاه بمصر ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- النّحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل): إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٩-١٩٨٨م .

– ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد).

* أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

* شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

* شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، الكويت، د. ت .

* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي)

شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، د. ت .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Chomsky, N.

- Aspects of the Theory of Syntax, Cambridge 1985 .

2- Reuschel, W.

- Al Ḫalīl Ibn Aḥmad - Der Lehrer Sībawaihs, als Grammatiker Berlin 1959.

3- Weil, G.

- Abul- Barkāt Ibn Al- Anbārī. - Die grammatischen Streitfragen der Basrer und Kufer, Laiden 1913.

* ■ *

الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر

د. محمد نافع المصطفي
أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب ـ جامعة الشارقة

من المسلمات عندنا نحن المسلمين أن القرآن الكريم والسنة المطهرة آيتا الرسالة، وحجة الله على الخلق، ومرجع الأمة المسلمة فى أمورها كلها. ولا تقام الأحكام فى الأنشطة البشرية على استحسان الناس واستقباحهم. وإنما تقوم على دليل من القرآن والسنة.

والسنة ـ كما هو معلوم ـ: كل ما صدر عن النبى ﷺ غير القرآن، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً. ولما كان القرآن هو كلية الشريعة، وعمدة الملة. وكانت السنة راجعة فى معناها إليه، تفصل مجمله، وتبين مشكلة، وتبسط موجزه، كان لابد من الرجوع إليهما معاً؛ (فلا ينبغى فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه، دون النظر فى شرحه وبيان، وهو السنة)[1]. والأمر إن صحت نسبته إلى الرسولﷺ فهو كالقرآن من حيث التشريع. روى الإمام الأوزاعى، عن حسان بن عطية، قال: «كان الوحى ينزل على الرسول ﷺ، ويحضره جبريل بالسنة التى تفسر ذلك»[2].

وما نسيت هذا وأنا أكتب عن موف (القرآن من الشعر) فى بحث مستقل، إذ كان فهم الآيات، ومعرفة مرادها فى ضوء الأحاديث المتصلة بها. وخاصة الآيات المركزية فى هذه القضية (والشعراء، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلما، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)[3]. قلنا: الاستثناء فى الآية، كان لنفر من

الشعراء، لهم خصائصهم وسماتهم. وأساس تلك الصفات الإيمان الذى وقر فى القلب، وانطبع أثره على حصاد الجوارح وكسبها. إذ لا يمكن أن يبقى ذاك الإيمان مقررات نظرية فى الشعور بل يتبع الاعتقاد القلبى السلوك العملى فى عمل صالح. وهذا فيصل بين الشاعر الذى يحرص الإسلام على فنه، ويشجعه ويستزيده منه. وغيره من الشعراء الذين هجر الإيمان قلوبهم، وكان حظهم فى الحياة إجادة فى صناعة القول، والفشل فى ساحة العمل. بل تخذل أفعالهم أقوالهم. مع غفلتهم عن ذكر الله عز وجل، الذى يقوم الألسنة والأعمال والنوايا ويرعاها، ويحوطها حفاظاً من مكائد أعدائه، شياطين الجن والإنس، فقد روى الحارث الأشعرى، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى إثره سراعاً، حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله...»(٤).

وزلت أقلام كثير من الباحثين وهى تعالج قضية القرآن والشعر، وما ذاك إلا نتيجة طبيعية لتحكيم أفهامهم فى النصوص القرآنية، وعدم استنطاقهم الأحاديث النبوية التى تكشف عن معناها، وتبين المراد منها، وتوضح سبب نزولها ـ (والخطاب الذى جاء بسبب لا يمكن فى بعض الحالات فهمه، ولا إدراك معناه، إلا من معرفة الواقعة، أو السؤال الذى تسبب فى وروده؛ ففائدة معرفة السبب الذى ورد عليه الخطاب تعين على فهم المراد)(٥). وفى كل ذلك رد الأمر إلى الله ورسوله، واستجابة لأمر الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً»(٦). قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول إذ كان حياً. فلما قبضه الله، فالرد إلى سنته»(٧). وهذا ما كان عليه رجال خير القرون. فهذا كعب بن مالك

رضى الله عنه لما نزلت الآيات الأخيرة من سورة الشعراء أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل فى الشعر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»(٨).

وهذا ما فات كثيراً من الباحثين، ومنهم أستاذنا الدكتور شكرى فيصل ـ رحمه الله تعالى ـ، وتابعه جلة من جاء بعده من الدارسين. ولولا خشية الخروج عما نحن بصدده لأوردت أقوالهم كلها. يقول: (فإذا نحن تجاوزنا القرآن الكريم إلى أحاديث الرسول صلوات الله عليه، بدا لنا الموقف من معارضة الشعر واضحاً كذلك، والحديث الذى ترويه كتب السنة «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً» ليفصح عن هذه المعارضة، ويحسن تصويرها، ويمثل الزراية والحط من قدره)(٩). ولو جاد بنظرة إلى كتب الصحاح، فى أبواب التفسير، لوجد فيها ما وقاه من مداحض الزلل. ولتغير حكمه، ونحا فيه نحواً آخر. لأنه سيجد جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الذى سلف ذكره. والحديث الذى أثبته الإمام البخارى فى صحيحه عقب الآيات الأخيرة من سورة الشعراء (إن من الشعر حكمة)(١٠) وللأسف انتشرت تلك الأقوال المدخولة، وفشت وتناقلها الباحثون على تجنيها. وإن دققت فيها لم تكد ترى إلا باطلاً فيه شوب من الحق. وهو التعصب على الشعر. وتعثر هؤلاء مرة أخرى، وهم يقررون موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر، عبر أحاديث وأخبار لم يكن نصيبها من الصحة مرضياً. أو التمسوا أحاديث صحيحة تؤيد رغبتهم فى موقف مسبق ولد نتيجة النظرة العجلى لها. أو لى أعناقها لتصحب آراءهم، فضلاً عن التغاضى عن كتلة من الأحاديث الصحيحة، التى تثنى على الشعراء المؤمنين، الذين استثنتهم الآيات تلك. مع أنه (لاتضاد بين آيات القرآن الكريم، ولا بين الأحاديث النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع واحد،

ومنتظم إلي معنى واحد)[١١] . ولم يزهدوا بالآثار الواهية الباطلة، إذ كان لها نصيب وافر من أدلتهم التى ساقوها، نقلاً عن كتب الأخبار والأدب من غير تمحيص، ولا غوص على أدلة صحيحة مكينة فى مصادر الصحيح من الأخبار. فهذا الدكتور محمد مصطفى هدارة ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: (وهذا الحديث ـ لأن يمتلئ جوف أحدكم... ـ إن كان صحيحاً ينبغى أن يوجه، بحيث لا يعم الشعر كله، بوصفه فناً لذاته...)[١٢] .

ألا يجدر به ـ إنصافاً للعمل وإجلالاً للحق ـ أن يتحقق من صحة هذا الحديث ـ وهو صحيح ـ كى يكون على بينة فيما يذهب إليه. ولا يتجنى على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو الذى ساق الحديث الصحيح كذلك، بصيغة التمريض والتضعيف، إذ يقول: (وقد حاول بعض الباحثين أن ينسب إلي الرسول صلى الله عليه وسلم شعراً، كقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب حين كان ينقل التراب...)[١٣] . وسترد معنا هذه الأحاديث، ونرى كيف وجهتها إن شاء الله تعالى. فلذا كانوا فى كثير مما ذهبوا إليه فى هذه القضية مجافين للصواب. والغريب فى الأمر أنه رحمه الله تعالى، ينقل كلاماً للشيخ أحمد شاكر، ورد فى تحقيقه لكتاب الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تعليقاً على خبر باطل، نسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار» أو «معه لواء الشعراء فى النار» وقد استدل به المؤلف وقال: (اتضح لنا مدلول حديث الرسول حين ذكر امرأ القيس...) وهو حديث منكر[١٤] ـ يقول الشيخ شاكر: (وكم من حديث وخبر مشهور عند الأدباء والإخباريين، ولكنه غير معروف، ولا موثق عند علماء الحديث، وهم الحجة فيما ينسب لرسول الله من الأخبار)[١٥] . ولن ينقضى عجب المتابع لهم إذا قرأ ما انتهى إليه الدكتور هدارة: (لقد صدرت أحاديث كثيرة، تعبر عن موقف الرسول من الشعر، ولكنها اختلفت فى نصرة الشعر، أو الغض منه..)[١٦] هكذا وطرف الحق

كسير.. ولو نسب الاختلاف إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وإنما حمدت العلماء بالتثبت من حججها، لتصح أقوالها وأحكامها. ولم ينقذهم من تلك العثرات ما ساقوه من آثار صحيحة، لأنها جاءت على أيديهم جاءت ممزقة مهشمة، بعد أن انتزعت من جسد الحديث النبوى، وجهلت أسباب قولها. ولن يحكم أمر مع التضييع.

وقبل أن نشرع بالحديث عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر. يجمل بنا أن نقدم الحديث عن موقف الشعر من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته، وفى ضوئه تتكشف لنا حقيقة الموقف النبوى من هذا الفن القولى.

(إن تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين فى جميع حركات التاريخ الكبرى، ولا تسمح لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلغيه. ويستطيع الفرد أن يستغنى عنه فى علاقته بتلك الجماعة، أو فيما بينه وبين سريرته المطوية عما حوله. ولو كان من أقرب الناس إليه... وهذه القوة ـ للدين ـ لا تضارعها قوة العصبية، ولا الوطنية، ولا قوة العرف، ولا قوة الشرائع والقوانين، إذ كانت هذه القوة إنما ترتبط بالعلاقة بين المرء ووطنه، أو العلاقة بينه وبين مجتمعه، أو العلاقة بينه وبين نوعه على تعدد الأوطان والأقوام. أما الدين فمرجعه إلى العلاقة بين المرء وبين الوجود بأسره، وميدانه يتسع لكل ما فى الوجود من ظاهر وباطن، ومن علانية وسر، ومن ماضٍ أو مصير إلى غير نهاية بين آزال لا تحصى فى القدم، وآباد لا تحصى فيما ينكشف عنه عالم الغيوب. وهذا على الأقل هو ميدان العقيدة الدينية فى مثلها الأعلى، وغايتها القصوى... وإنما تفضل الديانة سواها بمقدار شمولها لمطالب الروح، وارتقاء عقائدها وشعائرها فى آفاق العقل والضمير. وكذلك الديانة الإسلامية لا تفضلها ملة فى شمول حقائقها، وخلوص

عباداتها وشعائرها من شوائب الملل الغابرة... وإن بعض العقائد ليصيب النفس بما يشبه داء الفصام، لأنه يقسم الشخصية الإنسانية على نفسها، ويمزق الضمير الحائر بين نوازع الجسد ونوازع الروح، وبين سلطان الأرض وسلطان السماء. وبين فرائض السعى وفرائض العبادة. وشمول العقيدة الإسلامية هو الذى يعصم ضمير المسلم من هذا الفصام الروحانى...)[١٧]. وهكذا كان أمر عقيدتنا كان العرب الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدينون بركام من العقائد المظلمة. فمن عبادتهم لأصنام وغيرها من الجن والملائكة، إلى إنكار اليوم الآخر، إلى عبادة أهوائهم وشهواتهم؛ فاستطابوا الخبيث، واستمرأوا الوخيم. فأسنت الحياة فى حمأة الجاهلية الظالمة. وطغت الأرجاس والأدواء الخلقية. التى كانت فى الوقت ذات من مفاخرهم فى أشعارهم، ومن مفاخراتهم فى أسواقهم... من الخمر إلى القمار، إلى الثارات القبلية التى استولت على اهتماماتهم. وغدت الشجاعة فتكاً ونهباً، والكرم إسرافاً ورياءً، والأنفة حمية جاهلية... وهذا ما ولدته تلك العقائد التى عشعشت فى عقولهم.

ومنّ الله عز وجل عليهم ـ وعلى أهل الأرض ـ بالهبة العظمى، (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كان من قبل لفى ضلال مبين)[١٨]. مَنّ عليهم بهذا الدين الذى نقلهم من عبادة القبيلة ونُظمها وأعرافها إلى عبادة الله وحده. وطهر أرواحهم من دنس الشرك، وظلام الجاهلية، ورفعهم من المستنقع الآسن الوبىء، إلى معارج السعادة، حيث هدى السماء؛ ونقل أرواحهم وقلوبهم ـ بعد أن أشربت مشاعرهم عقيدة التوحيد ـ من الظلمات إلى النور. فكانت هذه الدعوة ثورة على الجاهلية وعقائدها وعوائدها وأعرافها وأخلاقها. فانقلبت حياة الناس، بتبدل المعتقدات والقيم، وتغير المقاييس.

وكان الشعر في خيام الجاهلية، وتحت رواقها، تعبيراً عن حياة العرب ومعتقداتهم وأعرافهم وقيمهم ـ وإن كانت تلك الرؤى طافية في صدورهم ـ إذ لا سلطان لها على قلوبهم وسلوكهم إلا ما أشرب من أهوائهم ونزواتهم. وهذا شأن من يصنع قوانينه لنفسه، ويُقَعِّد لسلوكه وقيمه، صادراً عن رؤى متقلبة، وأعراف مضطربة. وخوف من أهل السطوة، زعماء وكهنة وفرسان وشعراء. خلافاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه عقيدة وشريعة ونظم حياة. فما أن استقرت العقيدة في قلوب الأتباع، حتى شرع يصوغ الحياة والناس صياغة جديدة، ويصبغ الحياة بصبغة الواحد المهيمن. فتجسدت تلك العقيدة والشريعة في الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، الذين مثلوا العينات السامية لتلك التربية. إذ لم يسعهم بعد أن دخلوا في دين الله، إلا أن تتكيف أعمالهم وأقوالهم وأنشطتهم مع مراد هذا الدين، باتباع الكتاب الكريم والسنة المطهرة. وما تخلف العمل ظاهراً ـ مع عدم المانع ـ عن القول إلا لوهن ودخن اعترى ما بالفؤاد، لأن نقصه في العمل دليل نقصه في الإيمان، وقوته دليل قوته. وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول.

وكان كفار مكة يعاينون تزلزل الكيان النفسي لمن اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم. إذ كانت عملية البناء يسبقها هدم للجاهلية في النفوس والواقع، كي يقوم البناء على مكين الأركان، وقويم البنيان، متفرد الصياغة. وكان هناك في الساحة شعر وشعراء، بل (كان الشعر عند العرب في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون)(١٩) فكان تعبيراً عن حياتهم، وحامل مضامين فكرهم، تلوح في ألفاظه ومعانيه وصوره قيمهم ومآثرهم، والمثالب التي أنشبوا أظفارهم بأهلها، فكان يمثل رموز حياته، وكما كان يمثل عصارة الطاقات الفنية لديهم، إذ يختار له الأفصح من اللفظ، والأروع من البيان. فهو عصارة الجاهلية وقيمها ورؤاها. جمع أشباح ماضيهم وخيالاته وشعور أبنائه

وعصيبتهم. فترى فيه تعظيم الأصنام والطواغيت والسحرة والكهنة والشعراء، وتمجيد الظلم والعدوان وسفك الدماء، والإشادة بالأعراف الظالمة، والمحامد الزائفة، والقيم البائسة. كحمية الكبر والبطر والفخر، التى دفعتهم لنصرة كل ظالم. وما ظنك إذا غاب الوازع الحقيقى الذى يدفع إلى التبصر والاستقامة، وصحوة الضمير، والإنصاف للخير والفضيلة وأهلها. وما كان الشاعر الجاهلى إلا نصيراً لأخيه ظالماً أو مظلوماً، مع أنه يمثل ريادة معنوية لأبناء قبيلته، ويحتل مكاناً مرقوقاً فى مجتمعه. بل كان القوم يحسبون أن قدر القبيلة رهن بالشاعر وقدرته الفنية، إذ كان داعيتهم وهجاءهم وكاهنهم. وحملاته تفل سيوف الأعداء، وتكفل الغلبة لقبيلته (فقد أنزلته العرب منزلة النبى، فينقادون لحكمه، ويصدقون كهانته)[٢٠].

لقد حدد العرب فى ذلك الزمن للشعر مهمته، وهى التعبير عن الجماعة (كما حُدِّد للشاعر مكانه، حين وكل إليه القيادة المعنوية لقومه، وبمقدارما كان لهذه المهمة من جلال وخطر، كانت القبيلة تحتفل بنبوغ شاعر فيها، وتقبل التهنئة فيه، وتعده ذخيرة عزة وقوة لها. كان الشعر إذ ذاك سلاحاً من أمضى الأسلحة فى حياة لا مكان فيها إلا للقوى الغالب)[٢١].

وقد تتلفت الآن مشفقاً على الشعراء وفنهم، أن يفقد هؤلاء زعامتهم، وأن يدفع الشعر عن موقعه. وهل سيصبر هؤلاء على هذه الدعوة، التى سَفَّهَت ما هم عليه؟ يدابرون وديان الضلال التى كانوا يهيمون فيها، ويتركون جهالة أبى جهل، أم يثورون لهباً فى وجه هذه الدعوة مع أبى لهب؟! أم سيهجرون تلك المخادع، وقد أظلهم ربيع الحق، فيصدحون على أفنان الدعوة، ويحدون لركبها، ويحلقون مع سربها؟!! وفتنة البيان غلابة.

إن الإجابة عما سبق، والانتهاء بها إلى رأى سديد، يتطلب معرفة بالمعطيات الجديدة، التى شهدت ولادة هذه القضية. التى هى أعمق من حكم سريع نصدره، أو تعليل نزوره. فقد تجمعت أمشاج هذه القضية من مواقف عديدة ومتنوعة. كانت نتاج النقلة العظيمة من الشرك وتعدد الأرباب، والتقرب إليها. إلى الصورة الباهرة التى جاء بها الإسلام، من توحيد وعقيدة وعبادة. ومن الطبقية الباغية، حيث السيادة والزعامة. إلى المساواة بين العباد، والتفاضل بالتقوى. ومن الأخلاق الفاسدة السائدة إلى الأخلاق السامية التى ينشرها الإسلام.

كانت هذه النقلة وحدها كافية لنشوب صراع مرير بين هذا الدين وزعماء الكفر. ناهيك عن الاعتبارات الاجتماعية والنفسية والنفعية والتعسفية والفنية. وإن كان بحثنا يضيق بالحديث عن اعتبارات كثيرة، فلن يضيق بالاعتبارات الفنية. وأقصد الفن الشعرى.

لما عرف سدنة الضلال أن هذا الدين ليس حبيس مشاعر فى الصدر، ولا أشباح عبادات، بل حياة جديدة، وإنسان جديد، وقيم جديدة. يرتفع أناس، ويوضع آخرون. حياة يصوغها القرآن وتوجهيات الرسول الأمين. فقد أوضحا سبيل هذه الحياة، وأنهجا معالم الحق... فالتقى القرآن حركة عقدية فى سربال أدبى مؤثر مع النفس المتلقية له، حيث يلقى على أهل الفصاحة والبيان، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة منظورة ملموسة تعلقت بها المشاعر، مع ما لحديثه من آثار عميقة فى القلوب. وفى النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من الكلام الصادق الرضى الندى، إذ كان يأخذ طريقه إليها فيحرك المشاعر، ويوقظ المدارك. وينهد للاستجابة فكان القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أداة حية فاعلة، تعمل عملها فى أفئدة السامعين، وتصرف الناس إلى هذا الدين.

فكانت معارضة المشركين شديدة لهذا الدين بالنكر، وتغيير وجه صوابه بالإفك. فنسبوا للقرآن الكريم ولرسول الإسلام كل محال، ورموهما بأنواع البهتان. وفى الواقع لم ينكروا إلا ما توقعوا به زوال سلطانهم؛ فنصبوا له حرب العداوة، حيث لم يصبروا إلا على آلهتهم. وخذلتهم مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع إغراءاتهم له بالمال والملك والجاه، وثبات أتباعه على دينهم،برغم القهر والعذاب والاضطهاد.. ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا الصراع، ولا غائباً. فمن الأيام الأولى لصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته على الملأ، وإسماعهم بعضاً من كلام الله تعالى. وقف القوم حياله فى دهشة وحيرة، وهم الذين يعتدون بما هم عليه من فصاحة وبلاغة. بل كانوا يعتقدون أن البيان فى صورته المثلى لا يتمثل إلا فى الشعر؛ فأرادوا طمس حقيقته، وصرف الناس عنه بترهات الشعراء. (فكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوة. وكان قد قدم من الحيرة، وتعلم أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسبنديار. فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً، فذكر فيه بالله... خلفه فى مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلى، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه)[٢٢]. وكان النضر يقرأ عليهم من أشعار الأقدمين. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال حدثنى حجا، عن ابن جريح، قال: (أساطير الأولين أشعارهم وكهانتهم)[٢٣]. ولا غرابة بعد ذلك أن أيقظت تلك الفرى فى نفوس المشركين نسبة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشعر، ووصفه بالشاعر. وقارب بين موضوع الشعر والقرآن وصيغتهما؛ حتى انعطفت بالأذهان على ظن أن القرآن نوع من الشعر جديد، يشبه فى طريقته ذلك الشعر القديم «وذهب الدكتور البهبيتى إلى أن النضر بن الحارث (كان يقرأ عليهم قصيدة (جلجا ميش) بكامل صورتها، معترضاً بما فيها على القصص القرآنى)[٢٤]. وفى قناعتى أن الذى حرك

الشعراء لدخول هذه الخصومة، وأغراهم بالتصدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والنيل منه، ليست إغراءات سدنة الشرك من زعماء مكة، ولا تحريضم فحسب، على الرغم من أنهم استنزلوهم كما استنزلوا سفاءهم إلى ساحة الصراع، ومناصبة العداء لهذا الدين. وقد صرح ابن الزبعرى بذلك، بعد أن أقصر عن باطله، وثاب إلى رشده. ودخل فى دين الله تعالى. فقال:

إنى لمعتذر إليك من الذى ... أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تأمرنى بأغوى خطة ... سهم، وتأمرنى بها مخزوم

وأمد أسباب الردى ويقودنى ... أمر الغواة، وأمرهم مشؤوم

وإنما أراد هؤلاء الشعراء أن يحافظوا على مكانتهم التى رفعهم إليها نتاجهم الشعرى، ووهبهم تلك الامتيازات، التى أضحت مهددة إذا لحقتهم الهزيمة أمام ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من معجز الآيات، ورائع البيان، الذى أسر قلوب الناس، واستمالهم. مما يعنى أن بضاعة هؤلاء الشعراء ستلقى كساداً وبواراً، كما ستلقى قياداتهم صرعاً، فالتقت مصالح الملأ ـ شعراء وزعماء وكهان وتجار ـ على مناوأة الدعوة ومحاربتها فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نزل عليه من وحى، وإلى جانبه أحاديث، وتصرفه فى أساليب القول، وامتلاكه أزمة البيان.

وقف كفار مكة صفاً متلاحماً، يدفعون عن سلطانهم وعزهم القائم، بعد أن شعروا أن هذه الدعوة تدفعهم إلى ما كانوا يرونه هاوية من التسوية بينهم وبين الناس جميعاً. هذه المصالح المتشابكة بين شيوخ قريش وشعرائها، دفعتهم إلى ساحة المجابهة المريرة مع هذا الدين. ولا ينكر ما لأشعار هؤلاء الشعراء من أثر فى تعويق هذه الدعوة، بل والصد عن سبيلها؛ عبر النيل مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والقدح به، إذ

لقيت من تسفيههم وعسفهم الكثير. والركبان تتناقل مع أزوادها تلك الأشعار؛ مما روج انتشارها بين القبائل، مخلفة جفوة بينها وبين هذا الدين. وأية فتنة عن دين الله أعظم من هذه الفتنة. بل هى اعتداء صريح على الأقدس فى حياة البشر. وأشد من قتل النفوس، وإزهاق الأرواح. ويستوى فى ذلك أن تكون الفتنة بالقول، أو الاضطهاد، أو التزييف، أو بحراسة أوضاع مضلة، تزين الضلال والإعراض عن الحق.

هذه الخصومة العنيفة أصلت الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ألواناً من العذاب والأذى، وتركت آثار ليست بالقليلة فى نفوس أبناء قبائل الجزيرة العربية، وخاصة تلك التى كانت تجول حول مكة المكرمة والمدينة المنورة. إذ أضرمت فى حناياهم أحاسيس الكراهة والمقت. لقد أراد الزعماء والشعراء ومن تبعهم من الغواة أن يغتالوا الدعوة بأشعارهم، وحاولوا وأدها فى مهدها.. وإن كانت قلوبهم وجلة من اتساع رقعتها. وذو البغى منخوب الفؤاد.. ذاك هو موقف الشعر من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته.

إنه استثار النخوة الجاهلية، وأجج جذوة العصبية الطاغية، وحاول أن يجند قوى الشر لترمى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوس واحدة.

إذا كان الدين الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه، هو النظام الذى ارتضاه للحياة البشرية بجملتها، والمنهج الذى يحدد مسيرة النشاط البشرى برمته. ولا يند عن هيمنته واحد منها، فإن الشعر نشاط أدبى من الأنشطة الإنسانية، يحمل عقائد الشعراء وتصوراتهم وقيمهم. فلابد أن يحظى بنصيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تبياناً لمكانته، وتحديداً لساحته، ومباركة لوظيفته، خاصةً أنه كان من الأسلحة المشهرة فى وجهه صلى الله عليه وسلم، ووجه دعوته وأتباعه. شأنه شأن أسنة الباطل، وفرسان الضلال، وسيوف الجاهلية.

وبعد جمع الأحاديث والأخبار من كتب الصحاح والسنن وغيرها من كتب الحديث الشريف، ودراستها رواية ودراية، مستأنساً بآراء أهل الذكر فى هذا العلم. معرضاً عن كتلة ليست قليلة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ـ إذ فى الصحيحة غنية عنها ـ ومتابعاً أقوال العلماء فى بيان معانيها وتوجيهها. ألفيت فى تلك الأحاديث سبيلاً للدارسين للانتهاء إلى تكوين تصور دقيق، عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الفن. فلا تدع فى النفس شيئاً مما ارتاب فيه دارسون. ولا حيرة واضطراباً مماوقع فيه متعجلون، حيث خلطوا بين الصحيح والموضوع منها، فانتهى بهم خلطهم إلى أحكام جائرة، تميل ذات اليمين وذات الشمال. وكان الحق بينهما. وإن كان وراء بعضهم فيما ذهبوا إليه ورع بارد، جفاءً للشعر، وغضاً من مكانته. وما درى هؤلاء أن خير ما يأتيه العبد ويستحسنه هو الحلال، وكل تنزه عنه ـ كما يزعمون ـ إنما هو طعن برسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: صنع النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً، فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم، فخطب، فحمد الله، ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه، فوالله إنى لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»(٢٦). فلا تقوى إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والوقوف حيث وقف.

وقضية خطيرة كهذه لا يسلم دارسها من الزلل، ما لم ينظر إليها من موقعها الحقيقى، ضمن المنظومة العقدية والتعبدية، التى يمارسها الإنسان إيماناً وسلوكاً. وكل خلل فيما يتوصل إليه ناتج عن اختلال التصورّ الصحيح لهذه القضية.

فالإنسان بأصغريه قلبه ولسانه. وإذا كان القلب مكمن العقيدة التى يملها صاحبه، فإن اللسان هو المعبر عما فى القلب، إذ يتبع مكنوناته وتحولاته، فاستقامته مرهونة باستقامة القلب. ولذا كان مدار صلاح

الإنسان على صلاح القلب، وبه تبدأ عملية التغير (وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهى القلب)[٢٧]. وبما أن اللسان ترجمانه، وخليفته فى ظاهر البدن. كان الإيمان الحقيقى ما تواطأ عليه القلب واللسان. وكان الإسلام (إسلام القلب لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من اللسان واليد)[٢٨]. ومن ملك لسانه ملك أمره. ولذا حظى اللسان بالذكر فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فضبطه وكفه ـ إلا عن ذكر الله وما والاه ـ هو أصل الخير كله، (لأن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه)[٢٩] بل أكثر ما يدخل الناس به النار حصاد الألسنة، فلا عجب أن كان تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ اللسان فى وصيته لمعاذ بن جبل رضى الله عنه. [فقال: احفظ لسانك، ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم][٣٠]. فرب متكلم بكلمة، غير عابئ بها، توبق دنياه وآخرته، كما بين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة)[٣١]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بأساً، يهوى بها سبعين خريفا)[٣٢].

ومتى آثر الإنسان صوت داعية الهدى على وساوس الهوى، حكم إيمانه على قلبه ولسانه، الذى إذا أصبح صاحبه (فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت واعوججنا). فنجاة المرء مرهونة بحفظ اللسان. وحسبه مكانة أن يدخل الإنسان الإسلام بكلمة منه، ويعصم دمه وماله بذكرها ـ وإن كان لا ينجو من عذاب الله إلا بتحقيقها بالقلب واللسان والجوارح ـ وما اكتسبت الأمة المسلمة هذه الخيرية إلا بالإحسان فى استعمال اللسان ـ بعد الإيمان بالله ـ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وهى مهمة البيان

والبلاغ. وإن كانت الاستجابة متعذرة إلا إذا تحقق البيان بالقول والفعل المطابق له. وهو الغاية في البيان. مع ما يتطلع الإنسان إليه من أجر عند خالقه يوم يوفيه حسابه. وقد عظم أجر تلك الكلمة الطيبة، إذ دلت الآخرين على سبيل الخير والصلاح. فشاركهم في أجرهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، وهي صدقة جارية، لا ينقطع أجرها. فعن أنس ابن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من رجل ينعش لسانه حقاً، يعمل به بعده، إلا جرى عليه أجره إلى يوم القيامة، ثم وفاه الله ثوابه يوم القيامة)(٣٤).

وملاك أمر هذا اللسان خطامه عن الباطل وما يدور في فلكه، إن لم يتمكن صاحبه من قياده في سبيل الحق. فعن أبي شريح العدوي. قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت)(٣٥). وإن كان لا يفهم من الحديث ما ذهب إليه أصحاب الورع البارد، أن سمت المؤمن وشعاره الصمت، والنجاة فيه، مظاهرين مذهبهم بحديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صمت نجا)(٣٦). والذي يفهم من مجموع الأحاديث أن الصمت خير للمرء من الخوض في الباطل. بل الساكت عن الحق ــ مع القدرة على إنعاشه ــ مأزور، لأن الأمر النبوي متحقق بقول كلمة الحق، أو الإمساك عن الباطل. والأصل أن يقوم المسلم بحق البيان والنصح. فقد روى إياد بن لقيط، عن ليلى امرأة بشير، أن زوجها سأل الرسول الله صلى عليه وسلم: أصوم يوم الجمعة ولا أكلم ذلك اليوم أحداً؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصم يوم الجمعة إلا في أيام هو أحدها، أو في شهر. وأما أن لا تكلم أحداً، فلعمري لأن تكلم

بمعروف، وتنهى عن منكر خير من أن تسكت»[٣٧] وكيف يسكت وقد تقيه تلك الكلمة الطيبة النار «فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[٣٨]. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس ثلاثة أنواع: فسالم وغانم وشاحب، فالسالم: الساكت، والغانم: الذى يأمر بالخير وينهى عن المنكر، والشاحب: الناطق بالخنا، والمعين على الظلم»[٣٩].

وهل مفتاح كل خير إلا الكلمة الطيبة، فتستبين عبرها الآيات، وتتفتح الرؤى، فتغير أفكار الناس وسلوكهم، إذ تملك القدرة على السيطرة والتأثير.

وقد تأكد ذلك فى الرسالة الخاتمة، التى اتخذت من الكلمة القرآنية، والبيان النبوى وسيلة أساسية لها فى التمكين للحق، ونشره فى العالمين، إذ كانت الكلمة الطيبة تتهادى إلى قلوب الناس، وتحملهم إلى رحاب الدين. مما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت آيته الكلمة الخالدة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ، فأرجو أنى أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[٤٠]. فكانت هذه المعجزة آية تقدير لمكانة البيان وأهميته. وكانت فصاحته وبيانه مما استهوى السامعين، وأسرهم. (فالله عز وجل لما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه، ونصب منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ليباشر فى لباسه مشاهد التبليغ، وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف، ثم أمده بجوامع الكلم التى جمعها ردءاً لنبوته، وعلماً لرسالته، لينتظم فى القليل منها علم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه، ولا يؤدهم حمله)[٤١].

فلا عجب أنه قال: «بعثت بجوامع الكلم...»[٤٢]. فجمع الله تعالى له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع عدم التكلف، وطلاوة المنطق، وشدة التأثير في قلوب الرجال وغلبتها. وفي رواية عن أبي موسى (أعطيت فواتح الكلام وجوامعه وخواتمه)[٤٣].

هذه حال الكلمة الطيبة، فكيف إذا أديت بلغة الشعر؟ حيث التعبير في الصور الحية الجميلة الموحية المؤثرة، والشعر ـ كما هو معلوم ـ نشاط تخييلي يتجلى على مستوى التشكيل، وعلى مستوى التأثير. (والتخييل الشعري عملية تأثير تفضي إلى تحسين أو تقبيح، وكل تحسين أو تقبيح، يفضي ـ بدوره ـ إلى اتخاذ المتلقي وقفة سلوكية... وهذا ما بينه حازم القرطاجني، إذ قال: (والمقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء، أو طلبه، أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده، بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح، أو جلالة أو خسة)[٤٤]. فالشعر الحق يبسط النفوس إلى المراد ويقبضها عما لا يراد. وكمال الشعر مرتبط بكمال الحياة، والغاية منه أن يعين على تحقيق الغاية من الحياة، فلم ينزل الرسول الشعر منزلة الترف أو الألْهِية. وإنما اتجه به ليكون وسيلة من وسائله في نشر الدين والترغيب فيه، والذود عن عقائده وقيمه ورجالاته، وتوجيه الناس للفضائل، آمراً وناهياً، بل عَدّه الرسول لوناً من ألوان الجهاد، أداته اللسان. مثله مثل الجهاد بالنفس والمال. فعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (جاهدوا المشركين بألسنتكم وأنفسكم وأموالكم وأيديكم)[٤٥] وإن كان الجهاد باللسان هنا على إطلاق، ولكن في الحديث الآخر خص الشعر دون غيره من ألوان جهاد اللسان. ألم يكن جواب الرسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك، لما نزلت آيات سورة الشعراء قوله: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)[٤٦]. وكعب بن مالك نفسه رضي الله عنه يروى عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (اهجوا

بالشعر، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذى نفس محمد بيده كأنما تنضحهم بالنبل)[٤٧].

لقد أنزل الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر إلى ساحة المعركة المحتدمة بينه وبين مشركى العرب، بعد أن أشهر هؤلاء الشعر فى وجهه صلى الله عليه وسلم ووجه دعوته. وكانت حركة استنفار الشعراء لخوض المعركة، ومنازلة الخصوم، انتصاراً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ودعوته، وشفاءً لصدره ولصدور المؤمنين. فكان الجهاد باللسان والبيان حتى يخلى بين الحق وبين الناس. فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: اهج قريشاً، فإنه أشد عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: اهجهم، فهجاهم فلم يرْض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذى بعثك بالحق، لأفرينهم بلسانى فرى الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم أهل قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسباً، حتى يلخص لك نسبى). فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يارسول الله، قد لخص لى نسبك، والذى بعثك بالحق، لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان: (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسول الله) وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (هجاهم حسان فشفى واستشفى) قال حسان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء[٤٨]

بل ذكرت السيدة عائشة رضى الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان منبراً فى المسجد، ينافح عنه فى الشعر)[٤٩].

فأسند الرسول صلى الله عليه وسلم للشعراء مهمة عظيمة، وحدد دورهم بالمنافحة بكل طاقاتهم عن دينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم.

وبالرد على الكائدين والمتربصين بهم، وبالتبشير بهذا الدين وقيمه وغاياته؛ حتى يستقيم فى الصدور، ويتغلغل فى القلوب. والقيام بأعباء هذه المهمة رباط وجهاد.. ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يساندهم بدعواته، وهى تحريض لهم كى يبدعوا فى استخدام هذا السلاح فى المعركة العقدية. فعن البراء بن عازب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى، فقيل: يا رسول الله، إن أبا سفيان يهجو الحارث بن عبدالمطلب، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله، آيذن لى فيه، فقال: (أنت الذى تقول: فثبت الله...)؟ قال: نعم، فقلت يا رسول الله:

فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى، ونصراً مثل مانصروا

قال: (وأنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك). قال: ثم وثب كعب، فقال: يارسول الله: ايذن لى فيه. قال: (أنت الذى تقول: همت...؟). قال: نعم، قلت يارسول الله:

همت سخينة أن تغالب ربها فليغلبن مغالب الغـــلاب

قال: (أما إن الله لم ينس لك ذلك..) قال: ثم قام حسان، فقال: يارسول الله! ايذن لى فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يارسول الله، ايذن لى إن شئت أفريت به المزاد، فقال: اذهب إلى أبى بكر، ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم اهْجُهم وجبريل معك)(٥٠).

وإن لم يكن هذا اللون من الشعر جهاداً، فأنى لروح القدس أن يؤيد شاعر الرسول فى حملته على شعراء المشركين، دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته؟! ولو كان شعره من اللهو أو الباطل لتفردت به الشياطين، (ومن يعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين)(٥١). وروى عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة). قالوا وإياك يارسول الله، قال: (وإياى، ولكن الله عز وجل أعاننى، فلا يأمرنى إلا بخير)(٥٢). فلا تلتقى مظاهرة الملك ووسوسة الشياطين، الذى

يقذف فى قلوب أتباعه من الشعراء بالباطل، فالشاعر يتبع هواتف النفس، فإن كانت فى الخير فهى من الجهاد، وإلا فسبيل الباطل وأهله. ومن هنا كان الشعر الذى يظاهر الباطل مذموماً. والشعر يكون تارة من وحى الشياطين، وتارة من النفس إذا كان حقاً. وكل يمده قرينه.. وهذا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عبد الله بن الشخير، قال: أنت سيد قريش، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: (السيد الله). قال: أنت أفضلها فيها قولاً، وأعظمها فيها طولاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان)[٥٣]. وقوله هنا: إنما المراد به الكلام الطيب، المجافى للشرك والرذائل والنقائص. ويتضح معناه بذكر الحديث الذى رواه خالد بن ذكوان، قال: قالت الرَبَيِع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبى صلى الله عليه وسلم يدخل حين بُنِىَ علىَّ، فجلس على فراشى كمجلسك منى، فجعلت جوَيْرِيات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائى يوم أحد، إذ قالت إحداهن:

وفينا نبى يعلم ما فى غد

فقال: (دعى هذه، وقولى بالذى تقولين)[٥٤]. أى اتركى ما يتعلق بمدحى الذى فيه من الإطراء المنهى عنه ـ لأنه استجرار للشيطان فى القائل ـ لأنه لا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يمكن للشيطان أن يهدى إلى الطيب من القول.. فكان الاستحسان والاستهجان تبعاً لموافقة الشعر للحق الذى نحمله.

وهل معنى روح القدس، إلا طهارته ونزاهته عن العيوب، وهما اللذين ينشدهما الشاعر المسلم، ويطمح إلى الاتصاف بهما. وسيكون التأييد الذى سيحف بحسان وشعراء الإسلام، إنما يكون بإلهامهم طيب القول، وإرشادهم لما هو الصواب والحق، وذلك متحقق فى الدفاع عن نبى الإسلام، والذياد عن حياض الإيمان، والكبت لأعداء الله ورسوله..

وأى جهاد أكبر من فلّ سلاح خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم وإسقاطه. والدفاع عن البناء العقدى الذى نهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بنائه فى نفوس الناس، ومدافعة هؤلاء الذين يبغون الحياة عوجاً، بصدهم عن سبيل الله، وإيذائهم لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوارص الهجاء. وهل شُرِّع الجهاد إلا لدفع كل فتنة تحول بين الناس ودعوة الحق. فلم يزهد فى هذا السلاح،ويعطل أو يبعد عن ساحة الصراع بين الحق والباطل. ولا يخفى أثر الفن الشعرى فى النفوس، ونفاذه إلى أعماقها، خاصة فى أبناء العربية.. فكيف يغفل الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا السلاح؟ ويسعى إلى حرمان أهل البيان من هذا المتنفس الأدبى؟! لقد جدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم فى تسخير هذه الأداة الفنية، وتوظيفها فى خدمة هذا الدين، دفاعاً ونصرة وتبشيراً. فاستثار الشعراء لنصرته والمنافحة عنه، وحرضهم على هجاء الخصوم، والرد عليهم. ولذا نرى أن ما جاء فى الأحاديث السابقة ـ وهى قليل من كثير كثير ـ من قول عن الشعر والشعراء كان مرتبطاً بالمعركة الهجائية المضطرمة، بين شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وشعراء المشركين. فكانت دفعاً للشعراء أن يقوموا بدورهم فى هذه المعركة، بالإغلاظ عليه، لأن فى الإغلاظ بياناً لحقيقتهم، وانتصاراً منهم لهجائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوة لهم للإنفاق من أشعارهم ـ وهم أرباب البيان ـ، وإثارة للهمم، وتحريكاً للقلوب. وهو الإنفاق من طيبات كسب الشاعر، لأن فيه إسعافاً للمسلمين، وشداً من ساعدهم، ومرابطة على ثغورهم... واستثماراً للشعراء فى خدمة هذا الدين، والتمكين له، والذود عنه. وهذا ما يتبدى جلياً فى مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم من توجيه هذه الأداة الفعالة إلى ما يخدم رسالته، وينصر دعوته، وهو بذلك يعيد الشعر إلى أداء الدور الحقيقى له ـ مؤكداً على قيمته الفنية ـ بالحث على كل خصلة طيبة، ومأثرة كريمة..

أليس هو القائل صلوات الله وسلامه عليه: (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة)[٥٥]. والبيان المقصود هنا: (بيان بلاغة وحذق، وهو ما دخلته الصنعة بالتحبير له، والتحسين لألفاظه، حتى يروق السامعين، ويستميل قلوبهم، فهو الذى يشبه بالسحر إذا خلب العقول، وغلب على النفوس،... والممدوح منه ما صرف إلى الصدق، ونصرة الحق، وأما الضرب المذموم، فهو أن يقصد به الباطل، وأن يلحد به إلى اللبس والتورية، حتى يوهمك القبيح حسناً، والمنكر معروفاً. وهذا هو المذموم المشبه بالأمر المذموم، وهو السحر)[٥٦]. وعلق ابن الأثير رحمه الله تعالى على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الشعر لحكمة) بقوله: [إن من الشعر كلاماً نافعاً، يمنع الجهل والسفه، وينهى عنهما][٥٧]. وقال ابن حجر العسقلانى: [أى قولاً صادقاً مطابقاً للحق. وقيل: أصل الحكمة المنع، فالمعنى أن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من السفه... قال الطبرى: (وفى هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقاً)[٥٨]. فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم، وجعل من الشعر سحراً، لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته، وحيلة صاحبه، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل، والباطل بصورة الحق، لرقة معناه، ولطف موقفه. وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة، قال رؤبة:

لقد خشيت أن تكون ساحراً　　　راوية مـراً، ومـراً شاعراً[٥٩]

وهل البيان إلا استحسان المنطق، وإيراد الحجة الدامغة. حتى يكون بمنزلة السحر فى استمالة القلوب له، أو فى العجز عن الإتيان بمثله.

أليس فى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم للشعر بالحكمة، وللبيان بالسحر، رفع لمكانتهما وأثرهما فى النفوس. وقد جاء النعت فى معرض الثناء والمدح. فهل يمكن أن نذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه

وسلم قد حط من قدر الشعر، وأزرى بالشعراء؟! وهو صلوات ربى وسلامه عليه يهش للكلمة الطيبة، والشعر الحسن، ويثنى على قائله خيراً.. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد(٦٠):

ألا كل شىء ما خلا الله باطل ...

وهو القائل صلوات الله عليه: إن أخاً لكم لا يقول الرفث ـ يعنى عبد الله بن رواحة ـ قال(٦١):

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات إن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

بل ذكر البخارى وغيره، عن الشريد، قال: أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت؟»، قلت: نعم، فأنشدته بيتاً، فقال: «إنه كاد يسلم»(٦٢). فاستنشاده الشعراء إقرار بمكانة هذا الفن فى الحياة، ودوره فى تحريك المشاعر. وإثارة النفوس.. مع ما كان يتمثل به من الأشعار، فعن عائشة رضى الله عنها قال: قيل لها: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشىء من الشعر؟ قالت: «كان يتمثل بشعر ابن رواحة، ويتمثل (بقول طرفة)(٦٣):

ويأتيك بالأخبار من لم تزود».

وعن جندب بن سفيان البجلى، قال: أصاب حجر إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدميت، فقال يرتجز بكلمات ابن رواحة(٦٤):

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفى سبيل الله ما لقيت

وروى الإمام أحمد فى مسنده، عن سماك، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وكان طويل الصمت، قليل الضحك. وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر، وأشياء

من أمورهم، وربما تبسم(٦٥). فهذا السماع والاستنشاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس دليلاً على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر الذى يسمو إلى معالى الأمور، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، وفاضل الخصال، ورائع الحكم؟! أليس هو صلوات الله عليه الذى دخل مكة فى عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة يمشى بين يديه، وهو يقول(٦٦):

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله

فقال له عمر: يابن رواحة، بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى حرم الله عز وجل تقول الشعر. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «خل عنه، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل».

وعن عروة بن الزبير، قال: (.... ثم بناه مسجداً ـ مربد التمر لسهيل وسهل ـ وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه، يقول ـ وهو ينقل اللبن ـ:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين، لم يُسمَّ لى)(٦٧).

وعن البراء بن عازب، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، وهو ينقل التراب، حتى وارى شعر صدره ـ وكان رجلاً كثير الشعر ـ وهو يرتجز برجز عبدالله:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأعدا قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته(٦٨).

وروى أنس، أن الأنصار كانت تقول يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا

فأجابهم النبى صلى الله عليه وسلم، فقال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة(٦٩)

وقد يقول قائل: إن تلك الأشعار لم تكن سوى الرجز. وهل الرجز إلا لون من ألوان الشعر كما قال. فحكمه حكم الشعر كما قال ابن بطال: [ما كان فى الرجز والشعر ذكر الله تعالى، تعظيم له، ووحدانيته وإيثار طاعته، والاستسلام له، فهو حسن مرغب فيه، وهو المراد فى الحديث بأنه حكمة. وما كان كذباً وفحشاً فهو مذموم. قال الطبرى: وفى هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقاً.... وأما ما أخرجه الخطيب البغدادى فى التاريخ، عن عائشة، فهو شىء لا يصح](٧٠). ويقول ابن كثير: سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى عن هذا الحديث المنسوب إلى عائشة: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط، إلا بيتاً واحداً:

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشىء كان إلا تحققا

فقال: هو منكر، وثبت فى الصحيحين خلافه، وسمعت من شيخنا الألبانى عن كسر بعض أبيات الشعر، بدعوى أن الشعر لم يجر على لسانه صلى الله عليه وسلم، مما لا أصل له، وإن كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً. فالذى لا يجوز بحق الرسول صلى الله عليه وسلم إنشاء الشعر لا إنشاده. وحجة الباحثين قدماء ومحدثين فيما ذهبوا إليه، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص على تجنب إنتاج آية صياغة شعرية، وحرصه عند أداء آية صياغة شعرية لشاعر على تغيير نظامها أو الاستشهاد بجزء منها، هو هذا الحديث المنكر. وما يتحصل من كلام أهل العلم فى تلك الأحاديث، [أن حدَّ الشعر الجائز، أنه إذا لم يكثر منه فى المسجد، وخلا عن هجو، وعن الإغراق فى المدح،

والكذب المحض، والتغزل بمعين لا يحل. وقد نقل ابن عبدالبر الإجماع على جوازه إذا كان كذلك... وقال: ما أنشد بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم أو استنشده لم ينكره. وأخرج الطبرى من طريق ابن جريج، قال: سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء، فقال: لا بأس به إن لم يكن فاحشاً](٧١). وكيف يفقد الشعر مكانته وسحره فى قوم معجزة نبيهم بيانية باهرة. [ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فهم من آية الشعراء مثل ما فهمه أولئك النقاد الذين اتخذوه شاهداً على أن القرآن قد ناصب الشعر العداء، لكان إصغاؤه صلى الله عليه وسلم إلى الشعراء، وتشجيعه لهم، وندبه إياهم لنصرة الدعوة، غير مفهوم من نبى مبعوث بدين يقف من الشعر موقف العداوة، ولكان مسلكه عليه الصلاة والسلام حيال حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وغيرهم، ممن خاضوا المعركة إلى جانبه بألسنتهم، مناقضاً لموقف دعوته من الشعر](٧٢) ولكن الأحاديث السابقة وغيرها تدل على اعتناء الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعر، إذا تضمن المعانى المستحسنة، شرعاً وطبعاً، ولم ينكر الحسن من الشعر، وهكذا كان أهل العلم، وأولو النهى، وليس أحد من كبار الصحابة، وموضع القدوة والفضل إلا قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه، ما لم يكن فيه فحش ولا خنى، ولا لمسلم أذى... وحسب الشعر مكانة، أن اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم سلاحاً من أسلحة العقيدة، نازل به المشركين وأخملهم، كى تبقى الساحة وقفاً على كلمة الحق والصدق، كما أنه آثر الشعراء بقربه، واتخذهم مِجَناً له من سهام شعراء الشرك والضلال.. وسهماً مردياً لأبواق الجاهلية وظلامها. وما استبيح دم كعب بن الأشرف إلا لشعره الهجائى، الذى نال به من مقام سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، وترك شعره صدى فى صدور الناس، يحول بينهم وبين سماع كلمة الحق، التى حبست عنهم بأباطيله وافتراءاته. ولا تدخل الكلمات القلوب بغير استئذان إذا لم تصدر عمن تجله القلوب وتكبره... ولذا أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دم كعب بن الأشرف، وانتدب محمد بن مسلمة لقتله. فعن جابر رضى

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»(٧٣).

وفى رواية الإمام أحمد، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن عمه، أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم، فأمر سعد بن معاذ أن يبعث إليه خمسة من النفر، فأتوه، وهو فى مجلس قومه فى العوالى... فلما أصبح اليهود، غدوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يهجوه فى أشعاره، وكان يؤذيه)(٧٤). فلم يكن قتله إلا بسبب شعره الذى يصد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وفى ذلك بيان أن الشعراء ـ كما بينت آيات سورة الشعراء، إما أن يكونوا سادرين فى أودية الضلال، وألسنتهم إلى جوار الأسنة التى تحارب الله ورسوله، فهؤلاء ممن يجب إسكاتهم، والحجر على ملكاتهم، بعد أن تمكن إلفه منهم، والأخذ على أيديهم واجب يمليه الدين والعقل والحزم؛ حفاظاً على استقامة المجتمع وسلامته. فشعرهم مذموم مهجوم، ليس لأنه شعر، بل لمدابرته الحق ومناهضته له، وسيره فى ركاب الظالمين. يسعى فى الأرض مفسداً، وفاتحاً لأبواب الفتنة، والفتنة أكبر من القتل، ومنه ذلك الشعر الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم نفث الشيطان. فى حديث رواه نافع بن جبير ابن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت رسول النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى التطوع: الله أكبر كبيراً ـ ثلاث مرات ـ والحمد لله كثيراً ـ ثلاث مرات ـ وسبحان الله بكره وأصيلاً ـ ثلاث مرات ـ » اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفحه «قلت: يارسول الله ! ما همزه ونفحه ونفثه؟ قال: «أما همزه فالموتة التى تأخذ ابن آدم، وأما نفحه الكبر، ونفثه الشعر»(٧٥). ويلحق به الخبر الذى رواه أبو نوفل، قال: سألت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامح عنده الشعراء؟ قالت: (قد كان أبغض الحديث إليه)(٧٦). وإن لم يحمل على تلك الأشعار التى يوحى بها الشياطين لإخوانهم من الشعراء، وينفثها القرين

على لسان قرينه. فعلى أى شعر تحمل؟! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أحب الحديث إلىَّ أصدقه»(٧٧). والحديث قد يكون شعراً، وقد يكون نثراً.. فكيف يكون الشعر الصادق بغيضاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو الذى كان يستمع إلى الشعر، ويهش للشعراء، الذين كانوا لا ينطقون بالخنا، والرفث ولا الكذب، وإنما يشيعون بين الناس قيم العقيدة ورؤاها. ويجلون ظلام الزوابع الكاذبة التى كان يثيرها شعراء الضلال حول نبى الإسلام، مع احتفاله صلى الله عليه وسلم بالشعر، لما يتركه فى النفوس. بل قد ترك فى صدره أثراً بالغاً، ورق لقائله بعد أن أهدر دمه. وما قصة كعب بن زهير عنا بغائبة، وإن زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سربله بردته. ولكن منَّ عليه بعد أن سمع قصيدته الشهيرة:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

فضلاً عما رواه أبو جرول زهير بن صرد الجشمى، قال: لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ـ يوم هوازن ـ وذهب يفرق الشبان والسبى، أنشدته هذا الشعر:

امنن علينا رسول الله فى كرم   فإنك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر   مفرقاً شملها فى دهرها غير

....

امنن على نسوة قد كنت ترضعها   وإذ يزينك ما تأتى وما تذر

فلما سمع هذا الشعر، قال: (ما كان لى ولبنى عبدالمطلب، فهو لكم. وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ورسوله وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله). وقد كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يطمح أن يتحيز الشعر لمعسكره، فيحتضن ما لاءم دعوته، وانقضَّ على خصومه.

وقبل أن ننتقل إلى الأحاديث التى لويت أعناقها على أيدى الذين لا يجدون فى الشعر غناء، ولا يليق بدعاة الإسلام وأهل الفضل والصلاح.

ونضع هذا الحديث فاصلاً بين الموقفين. فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشعر بمنزلة الكلام، فحَسَنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام)[٨٠]. وقال الذهبى: (وكذلك الشعر هو كلام كالكلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح. والتوسع فيه مباح، إلا التوسع فى حفظ مثل شعر أبى نواس، وابن الحجاج، وابن الفارض، فإنه حرام، قال فى مثله نبيك محمد صلى الله عليه وسلم: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً)[٨١].

وفى رواية عند الإمام مسلم،عن أبى سعيد الخدرى قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج، إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير من أن يمتلئ شعراً)[٨٢].

فقول صلى الله عليه وسلم: خذوا الشيطان: هو الذى استدل به من يقول بكراهية الشعر مطلقاً، حيث سمى النبى صلى الله عليه وسلم الشاعر شيطانا، وأجاب العلماء عن التسمية، بأنه لعله كان كافراً، أو كان شعره مذموماً. فلا يلزم أن يكون كل شاعر شيطاناً.. وسبق أن ذكرنا من يستجره الشيطان إلى الفاحش والسيىء من القول.. أما تتمة الحديث فما فيها ذم للشعر مطلقاً، وإنما دعوة إلى الإكثار منه.

وقال النووى: هذا الحديث محمول على التجرد للشعر، بحيث يغلب عليه، فيشغله عن القرآن والذكر. وقال القرطبى: من غلب عليه الشعر، لزمه بحكم العادة الأدبية الأوصاف المذمومة وعليه يحمل الحديث... وما ذكر من النهى هو الذى ترجم به البخارى فى صحيحه للحديث، فقال: باب من يكره الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله. وزاد هؤلاء المتحاملون على الشعراء، فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة (هجيت به)[٨٣]، فترددوا فى ضلال أعمق وبهتان أكبر، ـ وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً ـ فقولهم: هجيت به: يعطى أن القليل من الشعر الذى فيه هجاؤه صلى الله عليه وسلم جائز، وهذا باطل، وما لزم

منه باطل، فهو باطل. وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، بعد أن ذكر قول البعض المشار إليه: (والذى عندى فى هذا الحديث غير هذا القول، لأن الذى هجى به النبى صلى الله عليه وسلم لو كان شطر بيت، لكان كفراً. فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه، أنه قد رخص فى القليل منه. ولكن وجهه عندى: أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه، فيشغله عن القرآن، وعن ذكر الله، فيكون الغالب عليه. فأما إذا كان القرآن والعلم غالبين عليه، فليس جوفه ممتلئا)(٨٤). أما ابن رشيق فقد فهم من الحديث ما قاله: (إنما قصد من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه، حتى شغله عن دينه، وإقامة فرائضه، ومنعه من ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدباً وفكاهة، وإقامة مروءة، فلا جناح عليه)(٨٥).

وإلى مثل هذا ذهب قدامة بن جعفر فى معنى الدحيث، فقال: (فإن المعقول من معنى الامتلاء أن يشغل المالئ للشيء جميع أجزائه، حتى لا يكون فيها فضلة لغيره... وإن كان هذا هكذا، فإنما أراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا القول: من امتلاء جوفه من الشعر حتى لا يكون فيه موضع للذكر، ولا لحفظ القرآن، ولا لعلم الشرائع ولا الأحكام، والسنة فى الحلال والحرام)(٨٦).

فلا متعلق لهؤلاء فى هذه الأحاديث الشريفة، ولا تأذن لهم باتهامها بالنيل من هذا الفن أو ازدرائه، والحط من قدره... فهو فى قمة البيان الإنسانى، فى ثناياه يكمن هذا السحر الذى تنقاد له الفنوس، وتستجيب له... إنه واحد من أسلحة الحق فى صراعه مع الباطل وأعوانه.. ولا يمكن أن يفصل المرء بين قيمة الشعر ومهمته فى الحياة، وفرق ما بين لونى الشعر ـ الشعر الذى احتضنه الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر الذى جفاه وأقصاه ـ هو تباين التوجيه واختلاف الهدف. فالأول يجاهد القوى المحتشدة فى طريق الدعوة، مع موافقة الحق، والآخر رغاء كرغاء البعير، مع منابذته للحق، فلا خير فيه.

لقد فرق الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعر وشعر، وبين شعراء وشعراء ـ كما فرق القرآن الكريم من قبل ـ فليسوا سواء فى نظره، وإن استويا فى القيمة الفنية. ولكن لا قيمة فى الرذائل ولو سربلها بعضهم أثواباً جميلة موشاة.. فالشعر وثيق الصلة بتوجهات النفس وتطلعات الضمير، وليست مجرد عبارات منمقة.

لقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر موقفه من الإرث الجاهلى، إذ أعلن الحرب والنكير على كل من يعارض العقيدة ومتطلباتها، فأسقطها وأصحابها. وشذب تلك النتوءات الممتدة فى الحقل الجاهلى من بعض ذلك الإرث، إن كان فى أصله منسجماً مع مقتضيات الإيمان، ملتئماً مع الطوابع الإسلامية. فهجر من ساحته الأشعار التى تدفقت من قلوب ذابت أسس الإيمان فيها، وانهارت دعائم الأخلاق. حتى لهت عن كل وطر طيب من أوطار الحياة، وعن كل مهمة من مهمات الدين. وركب قائلوها مطايا الخصومة والعداء لموكب الإيمان، وهم يصورون فى شعرهم أشباح عقائدهم الفاسدة، ويضمنونه أفكارهم وحياتهم وحياة من حولهم، وهم فى ذلك كله يعملون على ترسيخ تلك العقائد والقيم، حيث يرون فى الفاحشة والرذيلة مآثر وفضائل، وفى الطهر والعفاف والاستقامة نقائص ومثالب.. والإبقاء على هذا اللون من الشعر فى حياة الناس خذلان لكلمة الله تعالى، ودعوة رسوله صلى الله عليه وسلم، واستحياء لكلمة الذين كفروا. فلم يهش الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الشعراء ولا لنتاجهم، بعد أن كذبوه، وسعوا فى الصد عنه وعن رسالته.

لقد أدار الرسول ظهره لكل شاعر ينعب على أطلال الجاهلية، وشركها الدارس. وما حوته فى صورها من مخاز ومثالب، وعدوان وانحراف، وتيه وهدم، لأن البيان الشعرى أسمى من أن يرتهن لخدمة الضلال. فهو مرآة كلامية للحياة البشرية. فلا يليق أن يظهر فى تلك المرآة مواقف الكنود والشرود، ولا ما يشوه جمال الإنسان والإيمان. ويمسخ الفطرة التى خلقت فى أحسن تقويم، إذ باتت الأغراض الشعرية

وتوجهاتها على أيديهم تمثل نشازاً فنياً وشعورياً، واستغواءً للناس بالأساطير والأكاذيب وتأليباً لهم على مناصبة هذا الدين العداء، مؤثرين الدنيا ومتاعها. فأقاموا شعرهم على تلك الاعتبارات، فبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبوا حممهم على المسلمين، محاربين الله ورسوله. فالشعر رسالة فى الحياة، تنير الطريق كى يدرك السائرون الغاية المثلى التى سلكها القرآن فى عقد آياته، وركنها الرسول صلى الله عليه وسلم فى سننه.. فالشعراء الذين شاركوا فى صياغة الحياة وسكبها فى قوالب الإيمان، وإسالتها فى مقاصد الشرع، وهو (إخراج المكلف من اتباع هواه، حتى يكون عبداً لله)[٨٧].

وارتحلوا من ساحة المنافحة عنشرف القبيلة، وإذاعة مآثرها، وسلق خصومها بألسنة حداد، مقيدين مخازيهم مع تضخيمها، وأبوا أن يكون فنهم مستودعاً لتلك الأغراض البائسة. وكان الأجدر به، وهو مجتلى القدائح، ومتنفس العواطف أن يكون شعرهم دعوة ووسيلة بيان للحق، وعوناً لتمكينه فى القلوب، وتحقيقه فى الوجود..

فكانت قاعدة عمل الشعراء فى نظر الرسول صلى الله عليه وسلم، هى البلاغ لتعبيد الناس لله وحده، وهذه المهمة تتطلب بلاغاً وأداءً، بلاغ البيان، وأداء العمل.. كى لا تجد العناصر الجائرة مكاناً لنشر فسادها وفجورها، فتعوق حركة الهدى.. فالشاعر المسلم مطالب بالقيام بدوره فى بناء الأمة، والتصدى لأعداء النور، والحداء لمواكب الفجر، حتى تكمل السير فى رحلتها الميمونة. من غير نسيان لحظ أشواقه وعواطفه، ولا ينكر ما للتمكن من الإبداع الشعرى من دور حيوى فى التوجيه والمنافحة والتصدى. بل هو ردء ذلك كله.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الفن الشعرى، ليعدل به عن سبيل الجاهلية ومتاهاتها، ويطوى ماضيه فى ثنايا النسيان أولاً، ثم يصبغه بالصبغة الإيمانية، ويفتح له صفحة جديدة نقية، تتسق مع الهدى الذى جاء به، ويعمل على تحقيق الانسجام بين مضمونه وقيم

العقيدة ورؤاها.. فأضحى النظر فى الشعر ـ من مشكاة النبوة ـ من حيث الدوافع (البواعث)، ومن حيث الغايات... فاكتسب قيمته من شريف الدوافع، وسامى الأهداف. ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبش لهذا الفن، وهو يحقق غايتين اثنتين: ما يحققه من أهداف فى صدور الخصوم، وإنعاش لكلمة الحق بداية، ثم ما يبعثه فى النفس من إعجاب ومتعة. ولذا كان من أقرب وسائل التأثير فى النفوس، وهو ينقل ما فى الوجدان إلى الآخرين فى صورة بديعة، حيث العبارة المؤثرة، والعرض الآسر.. فتسمع صدى العقيدة يضبح من ثنايا الأبيات وأعطاف القصائد، بعد أن أطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم من إسار الجاهلية إلى رحاب الهدى.. ولو جرد الشعر من ذلك فلن يبقى سوى عبارات خاوية.. بل لا يمكن أن يتصور عاقل العشر نبتاً سابحاً فى الهواء، حيث لا جذور ولا أرض.. بل هو نبتة جذرها فى صدر الشاعر، وغذاؤها تصوراته وقيمه، وثمرتها الكلمة الطيبة الواعية الداعية. فمهمة الشعراء عند الرسول صلى الله عليه وسلم، هى وظيفة تركيز القواعد العقدية فى النفوس. ومحاربة الخوالج الشيطانية، التى تبعث على السقوط. والإغراء بالقيم الإيمانية، والتعبير عن الأشواق السامية، والعواطف النبيلة. أما توهم المدابرة والمقت للشعر من الرسول صلى الله عليه وسلم أو تخيلها، فضرب من الاستخفاف بالنص النبوى والعقل والمنطق. ولا أدرى كيف يستبيح بعضهم أن يقول: (فلا تلتقى الشاعرية القوية مع إيمان قوى... فلا يجتمعان ولا يتفقان... فإذا اشتعلت جذوة الإيمان وتهاوت جذوة الشاعرية. أو بدأت تتهاوى)(٨٨). ولعله خدع بظاهر تلك الكلمة، وهى أن الشعر بابه الشر، إذا دخل باب الخير لان. وغفل عن قول ابن سلام (أشعرهم حسان بن ثابت، وهو كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاضهت قريش واستتبت، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تنقى)(٨٩).

أنى يكون هذا والإبداع فى الصنعة الشعرية ـ وغيرها ـ واحد من مطالب الإيمان، إذ يأمر أهله أن يتقنوا صناعتهم ويجودوا أعمالهم.

ويزينوها باللمسات الجمالية الماتعة. التى نالت حظها فى صنع الله تعالى فى الوجود.. تناسقاً وجمالاً وكمالاً، واتقان الصنعة من كمال الوظيفة.

فالحميمية بين الشعر والعقيدة لا تخفى. إذا تواشجا مضموناً وتشكيلا فنياً، فالمضمون مترع بثوابت العقيدة، التى ينهل منها الشاعر لفنه، إذ هى قائمة فى وجدانه، مهيمنة على شعوره، وفنياً بالبناء الفنى إجادة واتقاناً.. فتجد فى الشعر ذوب العقيدة وجمال الصياغة. والمهارة الشعرية فى حسن الصنعة، وجمال التصوير.

وإن تعجب فعجب قول هؤلاء بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حط من قدرِ الشعرِ، وازدراه فجفاه. وإن لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم شاعراً ولا قرض شعراً، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه كان مجيداً لفهمه، متذوقاً لمحاسنه، يجرى إنشاده على لسانه، يتمثل بالأبيات منه. يعرف المحلق والمؤثر. وما قوله صلى الله عليه وسلم فى حسان بن ثابت، دون كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة (فشفى واستشفى) سوى دليل على درايته بالشعر وتأثيره.

وبكلمة أخيرة: إن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر هو موقف القرآن نفسه، وزاد عليه بالتفصيل والإيضاح، قولاً وعملاً وإقراراً، إذ سمعه واستنشده، وتمثل به، وأمر أصحاب الموهبة الشعرية من أصحابه أن يجاهدوا به خصومه، وأغراهم بالأجر العظيم، والذكر الجميل، ومظاهرة جبريل عليه السلام إن بذلوه نصرة لله ولرسوله. أما إذا سار الشعر فى ركاب الباطل، كان نقصاً وسفاهة وزوراً. وهذا استثناء، وذاك أصل. فالاستقامة هى الأصل، والشذوذ حالة استثنائية عارضة.

وكل ما ورد فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو تحديد الطريق للشعر، وإبانة لوظيفته ودوره، وإطلاق للمواهب أن تبدع تحت راية الجهاد. وليس حجراً على الشعراء، ولا كبتاً لانفعالاتهم، ولا وأداً لتنفسهم الفنى، ولا جفاء لمقدرتهم الشعرية، وإنما أراد الرسول أن يميل بهم عقلاً ونظراً وتدبراً إلى هذه المنحة العظيمة، فلا ترتهن فى ساحة

الباطل والخيال الكاذب. وتكون أشعارهم من الأوزار الثقيلة المردية.. وإنما تكون سلاحاً يجاهدون به لإعلاء كلمة الله عز وجل. والجهاد سنام الإسلام وعموده. والوسائل تشرف بغاياتها.. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. والحمد لله رب العالمين. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا ما كان منا.

الهوامش والمراجع

١ ـ الموافقات، للشاطبى تحقيق/ مشهور آل سلمان. ج٤/١٨٣. دار ابن عفان/ السعودية طـ١ ١٤١٧هـ.

٢ ـ سنن الدارمى ١/١٤٥ وإسناده صحيح، مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، ط ١٤٠٨هـ.

٣ ـ الشعراء / ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

٤ ـ صحيح سنن الترمذى. الألبانى برقم/ ٢٨٦٣/ ١٤٣ وهو صحيح. مكتبة المعارف/ الرياض. ١٤١٩هـ.

٥ ـ الموافقات للشاطبى، حاشية ج٤/١٤٦.

٦ ـ النساء/ ٥٩.

٧ ـ الفقيه، للخطيب البغدادى ج١/١٤٤ إسناده حسن.

٨ ـ المسند، للإمام أحمد برقم/ ١٥٧٨٥. تحقيق شعيب الأرنؤوط وإخواته. مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١، ١٤١٦هـ. بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

٩ ـ المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى. ص/٣٣١. دار العلم للملايين/ بيروت ط١٩٨١م.

١٠ ـ صحيح الإمام البخارى برقم/ ٦١٤٥. ومسند الإمام أحمد برقم/ ١٥٧٨٦ بسند صحيح على شرط الشيخين.

١١ ـ الاعتصام للشاطبى. تحقيق/ سليم الهلالى ٢/٨٢٢. دار ابن عفان/ السعودية، طـ، ١٤١٤هـ.

١٢ ـ الشعر العربى فى القرن الأول الهجرى. ص/ ٨٦. دار العلوم العربية/ بيروت ١٤٠٨هـ.

١٣ ـ المصدر السابق ص/ ٨٧.

١٤ ـ رواه أحمد، والبزار، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة

والموضوعة للألبانى برقم/ ٢٩٣٠ . مكتبة المعارف/ الرياض ط، ١٤١٢هـ.
١٥ ـ الشعر العربى فى القرن الأول الهجرى. ص/١٠١.
١٦ ـ المصدر السابق ص/١٠٢.
١٧ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد. ص ١٥ ـ ١٨ بتصرف يسير.
١٨ ـ آل عمران/ ٦٤.
١٩ ـ طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، تحقيق/ محمود شاكر. ج١/ ٢٤ . مطبعة دار المدنى/ القاهرة، بدون تاريخ.
٢٠ ـ منهاج البلغاء، لحازم القرطاجنى، تحقيق/ محمد الحبيب ابن الخوجة. ج١/١٢٢ . دار الغرب الإسلامى ط ١٩٨١م. والقول لابن سينا.
٢١ ـ قيم جديدة للأدب العربى، عائشة عبدالرحمن. ص/٢٧ . دار المعارف/ مصر، ط١٩٧٠م.
٢٢ ـ السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق/ مصطفى السقا وإخوانه. ١/ ٣٠٠ . مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ.
٢٣ ـ تفسير الطبرى. تحقيق/ محمود شاكر، ١٨/ ١٣٧ . دار التربية والتراث/ مكة المكرمة بدون تاريخ.
٢٤ ـ المعلقة العربية، نجيب محمد البهبيتى. ١/ ٧٦ . دار الثقافة/ الدار البيضاء، ط١٤٠١هـ.
٢٥ ـ السيرة النبوية لابن هشام. ٢/ ٤١٩ . وقال عقبها: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.
٢٦ ـ صحيح البخارى برقم/ ٦١٠١ . ومسلم (٢٧ ـ ٢٣٥٦).
٢٧ ـ صحيح البخارى برقم/ ٥٢ . ومسلم برقم (١٠٧ ـ ١٥٩٩).
٢٨ ـ مسند أحمد برقم/ ٢٧٠٢٧ وهو حديث صحيح. عن عمرو ابن عبسة قال: قال رجل: يارسول الله! ما الإسلام؟ قال: (أن

يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك) وللحديث لفظ آخر عند البخارى برقم/ ١١ (أى الإسلام أفضل...) وعند مسلم برقم/٦٤ ـ ٤٠ (أى المسلمين خير...).

٢٩ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألبانى برقم/ ١٢٠١/٢٢٦ وهو حديث حسن. المكتب الإسلامى/ بيروت، ط١٤٠٨هـ.

٣٠ ـ المصدر السابق برقم/ ١١٢٢.

٣١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى، برقم/ ٨٨٨.

٣٢ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه برقم/ ٤٩ ـ ٢٩٨٨. وأحمد فى مسنده برقم/ ٧٢١٥.

٣٣ ـ صحيح سنن الترمذى، للألبانى برقم/ ٢٤٠٧ عن أبى سعيد، وهو حديث حسن.

٣٤ ـ مسند أحمد برقم/ ٣٨٠٣ والحديث صحيح لغيره، وإنعاش الحق: رفعه وإظهاره وتشهيره.

٣٥ ـ صحيح البخارى برقم/ ٦٠١٩.

٣٦ ـ أخرجه أحمد فى مسنده برقم/ ٦٤١٨، ج١١/١٩. والترمذى فى سننه برقم/ ٢٥٠١ وهو حديث حسن.

٣٧ ـ آخرجه أحمد فى مسنده برقم/ ٢١٩٥٤ ٣٦/٢٥٨ بإسناد صحيح.

٣٨ ـ صحيح البخارى برقم/ ١٤١٣.

٣٩ ـ رواه أحمد في الزهد/ ٢٠٦. وقال عنه الألبانى فى حاشية الحديث رقم/ ٢١٢٨ ـ ج٥/١٤٩ من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، صح موقوفاً.

٤٠ ـ صحيح البخارى برقم/ ٧٢٧٤. ومسلم فى صحيحه برقم/٢٣٩ ـ ١٥٢.

٤١ ـ غريب الحديث للخطابى تحقيق/ عبدالكريم الغرباوى. ص/

٤٨ . مركز البحث العلمي وإحياء التراث. جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ .

٤٢ ـ أخرجه أحمد فى مسنده برقم/ ١٤٠٣هـ .

٤٣ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم/ ١٠٥٨/ ٢٤١ .

٤٤ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص/٨٥.

٤٥ ـ آخرجه أحمد فى مسنده برقم/١٢٥٥٥خ٢٠/٢٩ . وصحيح سنن النسائى للألبانى برقم/٤٠٣ .

٤٦ ـ أخرجه أحمد فى مسنده برقم/١٥٧٨٥ ج٢٥/٦٣ . عن كعب ابن مالك .

٤٧ ـ المصدر السابق برقم/١٥٧٨٥ بإسناد صحيح .

٤٨ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه برقم/١١٨٠ .

٤٩ ـ أخرجه أبو داود فى سننه برقم/٥٠١٥ . والترمذى فى سننه برقم/ ٢٨٤٦/١٣٥ وهو حديث حسن .

٥٠ ـ أخرجه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم/١٩٧٠ .

٥١ ـ الزخرف/ ٣٦ .

٥٢ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه برقم/٢٨١٥ .

٥٣ ـ أخرجه أحمد فى مسنده برقم/ ١٦٣٠٧ . ج٢٦/٢٣٤ بإسناد صحيح على شرط مسلم .

٥٤ ـ صحيح البخارى برقم/ ٥١٤٧ .

٥٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه فى حديثين. الأول برقم/٥١٤٦، والثانى برقم/٦١٤٥ . وأحمد فى مسنده برقم/٥٧٨٦ بإسناد صحيح على شرط الشيخين. وصحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى برقم/٢٢١٥/٤٤١ بتمامه .

٥٦ ـ غريب الحديث للخطابى ج٣/١٩٧٨ .

٥٧ ـ النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير. تحقيق/ طاهر

الزاوى، ومحمود الطناحى ج١/٤١٩. دار الفكر/ بيروت. بدون تاريخ.
٥٨ ـ فتح البارى، لابن حجر العسقلانى. تحقيق/ عبدالعزيز بن باز ج١٠/٥٤٢. دار الفكر/ بيروت. ط١٤١٦هـ.
٥٩ ـ العمدة، لابن رشيق، تحقيق/ محيى الدين عبدالحميد، ج١/٢٧. دار الجيل/ بيروت، ط ١٤٠١هـ.
٦٠ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه برقم/٦١٤٧. ومسلم برقم/٢٢٥٦.
٦١ ـ صحيح البخارى برقم/ ٦١٥١. وأحمد فى مسنده برقم/١٥٧٣٧.
٦٢ ـ صحيح الأدب المفرد، للألبانى ٦١٣/٧٩٩. دار الصديق/ الجبيل السعودية، ط ١٤١٤هـ. وصحيح سنن ابن ماجه للألباني برقم/ ٣١٠. مكتبة المعارف/ الرياض، ط ١٤١٩هـ.
٦٣ ـ مختصر الشمائل المحمدية. للإمام الترمذى، اختصره الألبانى برقم/٢٠٦. مكتبة المعارف/ الرياض ١٤١٣هـ.
٦٤ ـ صحيح البخارى برقم/٤١٠٤. ومسلم برقم/١٧٩٦.
٦٥ ـ مسند أحمد برقم/ ٢٠٨١٠ وهو حديث حسن.
٦٦ ـ صحيح سنن النسائى للألبانى برقم/٢٨٧٣/٣٠٥. وصحيح سنن الترمذى للألبانى برقم ٢٨٤٧/١٣٦ وهو حديث صحيح. مكتبة المعارف/ الرياض، ط ١٤١٩هـ.
٦٧ ـ صحيح البخارى برقم/ ٣٩٠٦.
٦٨ ـ المصدر السابق برقم/٣٠٣٤ و٤١٠٤.
٦٩ ـ المصدر السابق برقم/١٩٦١. ومسلم برقم/١٨٠٥.
٧٠ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى، لابن حجر قراءة وتعليق عبدالعزيز بن باز ج١٠/٥٤٢. المكتبة التجارية. ط١٤٠٨هـ.
٧١ ـ المصدر السابق ج١٠/٥٣٩.

٧٢ ـ قيم جديدة للأداب العربى. بنت الشاطىء ص/٧١.
٧٣ ـ صحيح البخارى برقم/ ٤٠٣٧. وورد فى سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى برقم/٦٥٣٢. مكتبة المعارف/ الرياض. س١٤١٥هـ.
٧٤ ـ مسند الإمام أحمد برقم/ ٦٥٠٠ ج٣٩/٥٠٥ وهو صحيح لغيره.
٧٥ ـ المصدر السابق برقم/ ١٦٧٣٩ وهو حسن لغيره.
٧٦ ـ المصدر السابق برقم/٢٥٥٥٤ بإسناد صحيح.
٧٧ ـ السيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٠٣.
٧٩ ـ أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ج٥/٢٦٩/٥٣٠٣. والألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم/٣٢٥٢.
٨٠ ـ صحيح الأدب المفرد برقم/٨٦٥/٦٦٤.
٨١ ـ مسائل فى طلب العلم وأقسامه ص/٢٠٩. والحديث فى صحيح البخارى برقم/٦١٥٤. ومسلم برقم/ ٢٢٥٧.
٨٢ ـ صحيح مسلم برقم/٢٢٥٩. ومسند أحمد برقم/١٥٠٦ بإسناد صحيح على شرط الشيخين.
٨٣ ـ أخرجه بهذه الزيادة العقيلى فى الضعفاء. ص/٤٣٥. والألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم/١١١١ وقال: بل هذه الزيادة باطلة قطعاً، والحديث مكذوب.
٨٤ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى ج١/٦٦ بتصرف فى ترتيب النقول.
٨٥ ـ العمدة ج١/١٨.
٨٦ ـ نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، ص/٧٨. المكتبة العلمية/بيروت ١٤٠٠هـ.
٨٧ ـ الموافقات، للشاطبى ٢/٢٦٤.
٨٨ ـ الشعراء المخضرمون، عبدالحليم حفنى ص/٢٨.
٨٩ ـ طبقات فحول الشعراء، تحقيق/ محمود شاكر ج١/٢١٥.